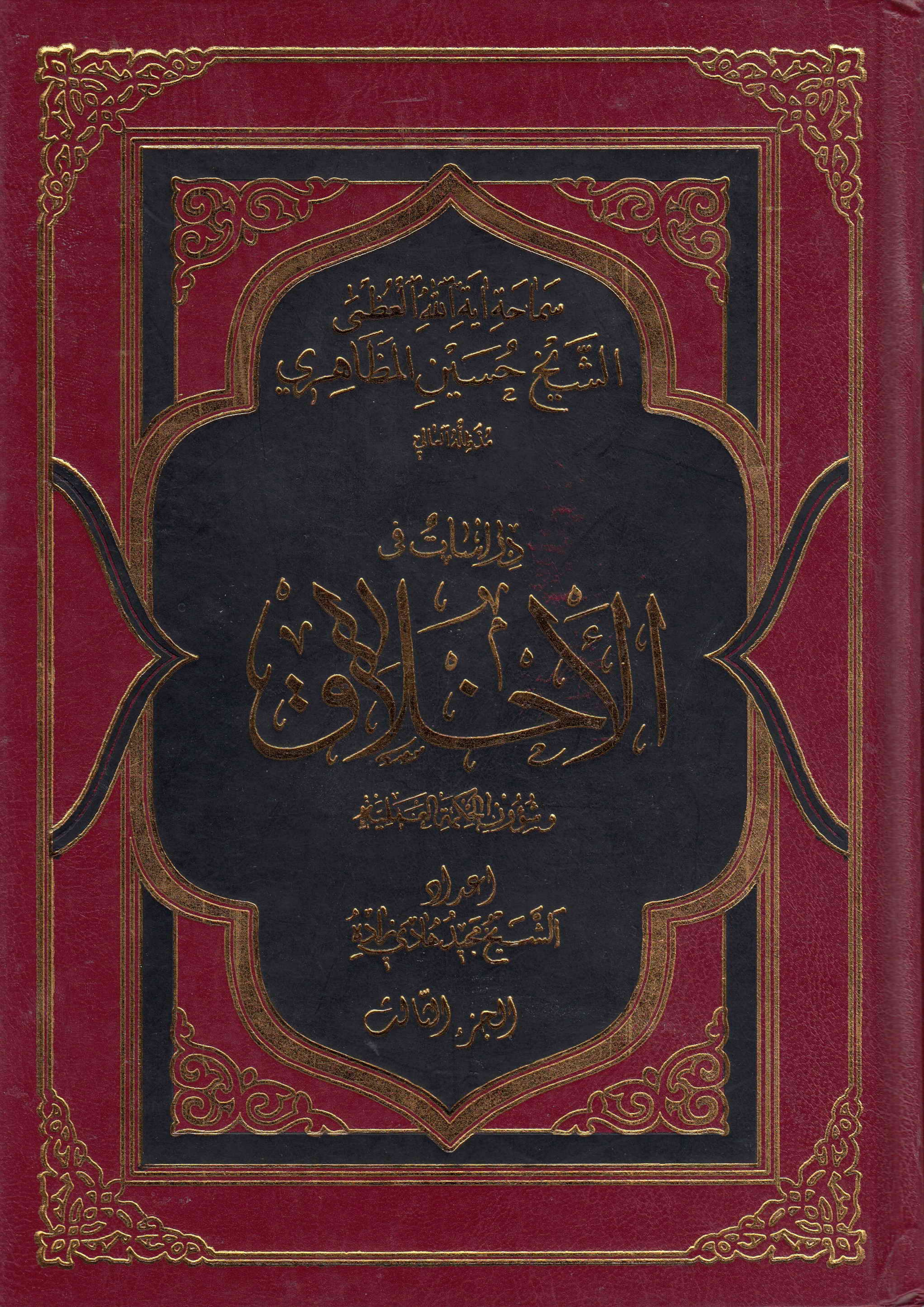

سماحة آية الله العظمى
الشيخ حسين المظاهري
مد ظله العالي
دراسات في
الأخلاق
وشؤون الحكمة العملية
إعداد
الشيخ محمد هادي زاده
الجزء الثالث

سماحة آية الله العظمى

الشيخ حسين المظاهري

مد ظله العالي

دراسات في

الأخلاق

وشؤون الحكمة العملية

اعداد

الشيخ مجيد هادي زاده

الجزء الثالث

فهرست‌نویسی پیش از انتشار: کتابخانه ملّی ایران

سرشناسه	:	مظاهری، حسین، ۱۳۱۲ ـ
عنوان و نام پدیدآور	:	دراسات فی الأخلاق و شؤون الحکمة العملیّة / حسین المظاهری
مشخصات نشر	:	اصفهان: مؤسّسه فرهنگی مطالعاتی الزّهراء و دفتر تبلیغات اسلامی حوزه علمیه قم، شعبه اصفهان، ۱۳۸۹ -
مشخصات ظاهری	:	ج
فروست	:	مجموعه آثار؛ ۲۲، ۲۳، ۲۴. اخلاق؛ ۳، ۲، ۱
شابک	:	(دوره) ۱-۲۴-۲۹۸۵-۹۶۴-۹۷۸: ۲۱۰۰۰۰ ریال؛ ج ۱: ۸-۲۵-۲۹۸۵-۹۶۴-۹۷۸؛ ۷۰۰۰۰ ریال؛ ج ۲: ۵-۲۶-۲۹۸۵-۹۶۴-۹۷۸؛ ج ۳: ۲-۲۷-۲۹۸۵-۹۶۴-۹۷۸
وضعیّت فهرست‌نویسی	:	فیپا — یادداشت: عربی.
موضوع	:	اخلاق اسلامی — شناسه افزوده: حوزه علمیّه قم، دفتر تبلیغات اسلامی.
رده‌بندی کنگره	:	۱۳۸۹ ۴د۶۲۵م/BP ۲۴۷/۸ — رده‌بندی دیویی: ۲۹۷/۶۱
شماره کتابشناسی ملّی		۲۲۵۶۵۶۲





دراساتٌ في الأخلاق و شُؤون الحِكْمة العَمَليّة (المجلّد الأوّل)

سلسلة المؤلّفات ـ ۲۴، الأخلاق / ۳

تأليف : سماحة آية الله العظمى المظاهري «مدّ ظلّه العالي»

اعداد و نشر : «مكتب الإعلام الإسلامي التابع لحوزة قم العلميّة ـ فرع إصفهان» و «مؤسّسة الزهراء الثقافيّة الدراسيّة»

الطبعة : الأولى ـ ۱۴۳۲ هـ ق / المطبعة: القلم

الكميّة المطبوعة : ۱۰۰۰ نسخة / ثمن الدورة: ۲۱۰۰۰ تومان

شابك (الدورة): ۱-۲۴-۲۹۸۵-۹۶۴-۹۷۸ شابك ج ۱: ۲-۲۷-۲۹۸۵-۹۶۴- ۹۷۸

التوزيع: ۱) مكتب الإعلام الإسلامي ـ فرع إصفهان؛ الهاتف: ۲۲۰۸۰۰۵ - ۰۳۱۱

۲) مؤسّسة الزهراء الثقافيّة الدراسيّة؛ الهاتف و فكس: ۴۴۶۳۶۷۱ ـ ۰۳۱۱

Internet: www.al_zahra.ir

بسم الله الرّحمن الرّحيم

نخستين بارقه‌ی وحی - که سرآغاز تمدّن شکوهمند اسلامی بود - سخن از خواندن داشت؛ و خداوند آموزگار »، که قلم در کار می‌کند، تا آدمی را بیاموزاند.

وحی «بیان» بود، و سخن و سیره‌ی معصومان - علیهم السّلام، که همانا پاکان و باورمندان اتمند - «تبیین» آن. و چنین شد که هرچند عصر «بیان» کوتاه بود، امّا دوره‌ی «تبیین» - که اصالةً عصر معصومان را در برداشت - ، به دلالت و امر همانان، تا روزگار ما و تا روز بازپسین ، ادامه خواهد داشت.

تلاش‌ها و تکاپوهای فکری / فرهنگی دانشیان مسلمان، از این رهگذر - که نشان از علم‌جویی و حقیقت‌طلبی آنان دارد - ، بسیار ارزشمند است؛ و از آن رهگذر - که نشانگر امتداد عصر تبیین است - ، بسیار مقدّس، چه براین باور، تبیین - و به دیگر سخن: پژوهش - در چشم کردن توتیای غباری است، که از کوی معصومان برخاسته و در فضای فرهنگی مسلمین، پراکنده شده است.

«مرکز مطالعات اسلامی» وابسته به پژوهشگاه علوم و فرهنگ اسلامی، و سامان یافته در معاونت پژوهش دفتر تبلیغات اسلامی حوزه‌ی علمیّه‌ی قم، شعبه‌ی اصفهان، بر همین اساس همگام با دیگر مراکز پژوهشی ایران اسلامی، با تعریف مأموریّت و تبیین مخاطبین خود، سلسله‌ای از طرح‌های پژوهشی را به اجرا گذارد؛ تا در غنای بیشتر دانش مایه‌ی مسلمین بکوشد، و در این راه پرشکوه نصیبی فراسهم خود آورد.

آنچه هم اکنون در قالب این دفتر فراروی خواننده‌ی ارجمند است، یکی از ثمرات آن کوشش است؛ و امید تا قبول نظر مردم صاحب نظر شود.

والسلام علیکم و رحمة الله و برکاته

مرکز مطالعات اسلامی

بسم اللّه الرّحمن الرّحيم

الحمدللّه ربّ العالمين وصلّى اللّه على خير خلقه محمّد وآله الطّاهرين سيّما بقيّة اللّه في الأرضين، ولعنة اللّه على أعدائهم أجمعين.

وبعد؛ فهذا هو المجلّد الثّالث من كتاب «الأخلاق و شؤون الحكمة العمليّة»، نقدّمه إلى القرّاء الكرام؛ راجين من المولى أن يتقبّله من شيخنا الأستاذ المؤلّف بقبولٍ حسن، وأن يمتّعنا بطول بقائه الشريف.

الفصل السّادس و العشرون

الفضيلـة السّابعة و العشرون: الخلـوص

الرّذيلة التّاسعة والعشرون : الرّياء والسُّمعة

الفضيلة السّابعة و العشرون: الخلوص

و هو سرّ من اسرار الله تعالى يؤتيه من يشاء من عباده و هي ملكة توجب ان لا يكون في ذُكر صاحبها إلّا الله تعالى.

قال الله تعالى: ﴿صبغة الله و من احسن من الله صبغة﴾.[1]

و قال تعالى: ﴿انّا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدّار﴾.[2]

و لها مراتب، و المرتبة الضعيفة منها ان لا يكون في ذُكر صاحبها عند اعماله من افعاله و اقواله شيءٌ غير الله.

قال تعالى: ﴿فمن كان يرجو لقاء ربّه فليعمل عملاً صالحاً و لا يشرك بعبادة ربّه احداً﴾.[3]

و المرتبة الوسطى منها ان لا يكون دائماً في ذُكره إلّا الله سواءٌ كان في حركةٍ أو سكونٍ.

قال تعالى: ﴿في بيوت اذن الله ان ترفع و يذكر فيها اسمه يسبّح له فيها بالغدوّ و الاصال * رجال لا تلهيهم تجارة و لا بيع عن ذكر الله﴾.[4]

و المرتبة الأخيرة منها ان لايحكم على قلبه غير الله تعالى بل يختصّ قلبه به تعالى و لا يكون فيه شيء غيره فلايملك قلبه إلّا الله تعالى و قد اطلق القرآن على المتّصف بهذه المرتبة

---

١ ـ البقرة / ١٣٨.　　٢- ص / ٤٦.　　٣ - الكهف / ١١٠.　　٤- النّور / ٣٦، ٣٧.

المخلص (بالفتح).

قال تعالى: ﴿كذلك لنصرف عنه السّوء و الفحشاء انّه من عبادنا المخلصين﴾.[١]

و يظهر من الآية الشّريفة انّه لمّا كان من المخلصين فقد استظلّ بظلّ عنايته تعالى و حكومته فصرف الله عنه السّوء و الفحشاء و لا سلطان للشيطان بعد ذلك عليه.

و بهذا المعنى المستفاد من هذه الآية الشريفة اشارت آيات أخر.[٢]

و حيث انّ كلّ مرتبة من المراتب الثلاث الضّعيفة و المتوسّطة و الشّديدة لها مراتب أخر شدّة و ضعفاً فلا محالة يكون صرف السّوء و الفحشاء مختلفاً ضعفاً و شدّة في كلٍّ من مراتب هذه المراتب الثلاث.

فالمرتبة الضّعيفة منها تتلو تلو العصمة و المرتبة المتوسّطة منها هي العصمة و المرتبة الأخيره هي ما فوق العصمة، و المرتبة الضّعيفة للكمّلين و المرتبة المتوسّطة للانبياء و المرتبة الشّديدة الأخيرة هي لأهل البيت عليهم السلام و لقد اجاد الفيلسوف السّبزواري حيث قال في منظومته:

كدرج التوب مراتب التقى   من حرمة أو حلّ أو غير اللقاء

ثمّ انّه يظهر من القرآن انّ بعث الرسل عليهم السلام و انزال الكتب ليس إلّا للامر بهذه الفضيلة و ابلاغها و تبليغها و ليس فضيلة من الفضائل بهذه المثابة من الاهتمام و العظمة.

قال تعالى: ﴿قل انّما اعظكم بواحدة ان تقوموا لله مثنى و فرادىٰ﴾.[٣]

و قال تعالى: ﴿انّا انزلنا الكتاب بالحقّ فاعبد الله مخلصاً له الدّين * اَ لا لله الدّين الخالص... * قل انّى امرت ان اعبد الله مخلصاً له الدّين * و امرت لأن اكون اوّل المسلمين * قل انّى اخاف ان عصيت ربّي عذاب يوم عظيم * قل الله اعبد مخلصاً له ديني﴾.[٤]

١- يوسف / ٤٦.   ٢- الحجر / ٤٠ و الصّافات / ٤٠، ٧٤، ١٢٨، ١٦٠، ١٦٩، و ص / ٨٣.

٣- سبأ / ٤٦.   ٤- الزّمر / ٢ ـ ١٤.

و قال تعالى: ﴿و ما امروا إلّا ليعبدوا الله مخلصين له الدّين حنفاء و يقيموا الصّلاة و يؤتوا الزّكوة و ذلك دين القيّمة﴾.[١]

و في هذه الآيات و نظائرها نكتة جالبة للنظر لا بدّ لنا من التّنبّه اليها و هي:

انّ الله تعالى بيّن في تلك الآيات انّ حصول الخلوص لا يكون بالعمل فقط، بل الخلوص يتمّ إذا كان في الدّين، و الدّين يركّب من الاعتقاد و الاقرار باللّسان و العمل بالجوارح.

فمن أخلص في الدّين أي في الاعتقادات و الاقوال و الافعال بأجمعها فهو المخلص حقّاً، و أمّا من أخلص في الاعمال و الاقوال دون الاعتقادات فهو المرائى، كما انّ من أخلص بحسب الاعتقادات و الاقوال و لا يخلص في الاعمال فهو المرائى ايضاً.

فالمخلص الحقيق من أخلص في المجموع من الثلاث لا في بعضه، فلهذه النكتة لم يكتف القرآن الشّريف في آيات الاخلاص بالاخلاص في العمل فقط و لم يقل: و ما امروا إلّا ليعبدوا الله مخلصين له العبادة، بل صرّح في جميع الآيات بالدين، منها قوله تعالى: ﴿و ما امروا إلّا ليعبدوا الله مخلصين له الدّين حنفاء و يقيموا الصّلوة و يؤتوا الزّكوة و ذلك دين القيّمة﴾.[٢]

و كون الدّين بمعنى الطّاعة في جميع هذه الآيات مضافاً إلى كونه خلاف الظاهر و مضافاً إلى سلب هذه النكتة اللطيفة الّتي بيّنّاها عنها، ينافي هذه الآية الشّريفة لأنّها تقول: «و ذلك دين القيّمة» إذ الدّين هو الاعتقادات و الاقوال و الاعمال بأجمعها لا الاعمال فقط.

فتلخّص من جميع ما ذكرنا انّ الآيات تدلّ على انّ المخلص من أخلص ـ اخلاصاً راسخاً ـ في اعتقاداته و لا تشوبها بما ليس من الاسلام، و في الاقوال أيضاً من غير أن تشوبها الاوهام و الخرافات و هو القائل لا اله إلّا الله حقّاً، و في الاعمال أيضاً و لا يشوبها غير الله تعالى من المنافع المادّيّة أو المعنويّة فهو المخلص و لقد اجاد الرّاغب في مفرداته حيث قال:

---

١ - البيّنة / ٥.　　٢- البيّنة / ٥.

الاخلاص، التّبرّي عن كلّ ما دون الله تعالى.[١]

قال تعالى: ﴿و من احسن ديناً ممّن اسلم وجهه لله و هو محسن و اتّبع ملّة ابراهيم حنيفاً و اتّخذ الله ابراهيم خليلاً﴾.[٢]

و قال تعالى: ﴿انّي وجّهت وجهي للّذي فطر السّموات و الأرض حنيفاً و ما انا من المشركين﴾.[٣]

و المراد من الوجه في الآيتين هو الذّات، ففي الآية الاولى يقول: انّ احسن الدّين هو تسليم الإنسان بهويّته القلبيّة و العقائديّة و القوليّة و الفعليّة لله تعالى و هو دين ابراهيم عليه السلام الّذي جعله الله خليلاً، لمقام تسليمه.

و في الآية الثّانية دلالة على انّ ابراهيم عليه السلام بعد الوصول إلى بعض مراتب اليقين العُليا، رأى رؤيةً قلبيّة قيّوميّة الحقّ تعالى و تدلّى ما سواه و فقره و امكانه و ظلّيّته.

و بعبارة أخرى، رأى برؤية القلب الظّلّ و ذي الظّلّ، الغنى المطلق و الفقر المحض، اليمّ و النمّ، الرّبّ و المربوب.

قال تعالى: ﴿و كذلك نري ابراهيم ملكوت السّموات و الأرض و ليكون من الموقنين﴾.[٤]

فردع عن كلّ ما سوى الله و توجّه بتمامه نحو الله تعالى كانّه لم ير بعد ذلك إلّا إيّاه.

و بعبارة أخرى، حصل له الخلوص العلمي.

و في آية أخرى ينبّأ عن حصول مقام التسليم له.

قال تعالى: ﴿و من يرغب من ملّة ابراهيم إلّا من سفه نفسه و لقد اصطفيناه في الدّنيا و انّه في الآخرة لمن الصّالحين* اذ قال له ربّه اسلم قال اسلمت لربّ العالمين﴾.[٥]

١- المفردات، ص ١٥٥، ذيل لغة خلص. ٢- النّساء / ١٢٥. ٣- الانعام / ٧٩.

٤- الانعام / ٧٥. ٥- البقرة / ١٣٠، ١٣١.

و نظير الآيتين في القرآن كثير ينبغى ذكر بعضها:

قال تعالى: ﴿بلى من اسلم وجهه لله و هو محسن فله اجره عند ربّه﴾.[١]

و قال تعالى: ﴿و من يسلم وجهه إلى الله و هو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى﴾.[٢]

و يظهر من الكتاب العزيز ان الخلوص هو حقيقة العمل بل هو حقيقة القلب، و العمل الخالى منه ليس بعمل و كأنّه جسمٌ بلا روح، بل انه يُعدّ من السيّئات الكبار الّتي هي في حدّ الكفر و الشرك بالله العظيم. و القلب الخالى عن هذه الفضيلة ليس بقلب بل هو محلّ الرّجس و الظّلمة و فيه ظلمات بعضها فوق بعض و فيه قسوة على قسوة فهو حجارة بل اشدّ منها بحيث لا يرجى منه الخير.

قال تعالى: ﴿يا ايّها الّذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمنّ و الأذى كالّذي ينفق ماله رئاء النّاس و لا يؤمن بالله و اليوم الاخر فمثله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلداً لا يقدرون على شيء ممّا كسبوا و الله لا يهدي القوم الكافرين * و مثل الّذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله و تثبيتاً من أنفسهم كمثل جنّة بربوة أصابها وابل فآتت اكلها ضعفين فان لم يصبها وابل فطلّ و الله بما تعملون بصير﴾.[٣]

و قال تعالى: ﴿مثل الّذين كفروا بربّهم اعمالهم كرماد اشتدّت به الرّيح في يوم عاصف لا يقدرون ممّا كسبوا على شيء ذلك هو الضّلال البعيد﴾.[٤]

و قال تعالى: ﴿و الّذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظّمأن ماء حتّى إذا جائه لم يجده شيئاً و وجد الله عنده فوفّاه حسابه و الله سريع الحساب * أو كظلمات في بحر لجّيّ يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها و من يجعل الله له نوراً فما له من نور﴾.[٥]

١- البقرة / ١١٢. ٢- لقمان / ٢٢. ٣- البقرة / ٢٦٤، ٢٦٥.

٤- ابراهيم / ١٨. ٥- النّور / ٣٩، ٤٠.

و قال تعالى: ﴿من كان يريد العاجلة عجّلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثمّ جعلنا له جهنّم يصليٰها مذموماً مدحوراً * و من اراد الآخرة و سعى لها سعيها و هو مؤمن فاولئك كان سعيهم مشكوراً﴾ (۱)

و أمثال هذه الآيات في القرآن كثيرةٌ و في روايات أهل البيت عليهم السلام ما يزيد على نصوص الكتاب العزيز عدداً و روى صاحب الوسائل في اوّل المجلّد الأوّل منه كثيراً منها و من تلك الرّوايات الّتي اشتهرت بين العامّة و الخاصّة بالتواتر اللفظى قول الرسول صلى الله عليه و آله و سلم: انّما الاعمال بالنّيّات. و قد اشتهر منهم عليهم السلام: لكلّ امرء مانوى، و قولهم: لا عمل إلّا بالنيّة». (۲)

قال تعالى: ﴿إليه يصعد الكلم الطّيّب و العمل الصّالح يرفعه﴾. (۳)

بناء على أنّ معناها انّه بالكلم الطيّب و هو النيّة يرفع الاعمال الصّالحة و بدونها لا ترفع الاعمال اصلاً و لن يقبلها الله تعالى قطّ.

و بالجملة، انّ الآيات و الرّوايات قد تطابقت على انّ العمل بلا خلوص كالجسم بلا روح و هو ليس إلّا كسراب بقيعة يحسبه الظّمأن ماء فهو ليس بشيء فضلاً عن انضمام التظّاهر و الرّياء و النّفاق اليه.

و على حدّ تعبير الكتاب العزيز لو أراد العامل عن عمله غير الله تعالى و هو الدّنيا بمعنى العامّ فليس له إلّا جهنّم يصليٰها مذموماً مدحوراً.

فلابدّ للعمل مضافاً إلى حسن الفعل من حسن الفاعل، و حسن الفعل من دون انضمام حسن الفاعل إليه غير كاف بل روح العمل هو حسن الفاعل، نعم قد يتّفق ان يكون لحسن الفعل منفعة عامّة كبناء المستشفى و كابداء الكهرباء مثلاً فتلك المنفعة لها مثوبة و قد كرّر الله تعالى في الكتاب الحكيم الاشارة إلى أنّ حسن الفعل ينتج مثوبةً لفاعله، كقوله تعالى: ﴿انّ

۱- الاسراء / ۱۸، ۱۹. ۲- وسائل الشيعة، ج ۱، ص ۳۳ - ۳۵، ابواب مقدمة العمل، باب ۵.

۳- فاطر / ۱۰.

الله لا يضيع اجر المحسنين﴾.[١]

توضيح ذلك، انّ للعمل جهة مرتبطة بالفاعل بها ينفخ فيه الرّوح و هو النيّة، كان الفاعل بفعله مهاجراً إلى الله تعالى فبقدمٍ واحدٍ يصل به، ألا و هو وطأ الهوى و تذليل النّفس لانّه لا فاصلة بين العبد و بين الله الاّ بأن يطأ نفسه ألا ترى كيف يصل العبد إلى مقام اللّقاء بتوبة محضة و بكلمة و بقطرة دمع تفيض من حقيقة قلبه و سويداه، و أمّا ان كانت هجرته إلى النّفس الأمّارة فقد يتمّ له الوصول إلى الطّاغوت، فقد يصل إليه من غير تراخٍ لانّه ايضاً لا فصل بينه و بين الطّاغوت إلّا بقدم، اَلا ترى ان التفوّه بكلمة كفر كيف يسقط الانسان، اَ لا ترى انّ قدم ضلالة كيف يوصل الإنسان إلى الدّرك الاسفل من النّار.

و جهة مرتبطة بنفس العمل كابداء الكهرباء و كشف المكروب، فلا نعلم انّ اديسون و باستور بايّ وجه من الوجهين اخترعا و كشفا هذين الأمرين و لكن نعلم انّ العمل في غاية المنفعة و انّه ينفع للّناس، هذا من حيث المنفعة و أمّا من حيث المضرّة كابداء السّلاح المهدم المكروبي أو الكيمياوي فهو ظلمات بعضها فوق بعض.

فالعمل له باعتبار الجهة الاولى الحسن الفاعلي و باعتبار الجهة الثّانية الحسن الفعلي ان كان حسناً و القبح الفعلي إن كان سيّئاً.

فالعمل باعتبار الحسن الفعلي أو القبح الفعلي و ان كان يترتّب عليه المثوبة أو العقوبة و قد روي عن رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم: من سنّ سنّة حسنة كان له اجرها و اجر من عمل بها و من سنّ سنّة سيّئة كان عليه وزرها و وزر من عمل بها.[٢] و لكنّه ليس للعمل ان يدرج الإنسان منزلة منزلة إلى السّعادة ان كان خيراً و إلى الشقاوة ان كان شرّاً.

و أمّا إذا كان العمل الصالح ذا روحٍ و هو النيّة، فان كانت خيراً، الّذي عبّر عنها في القرآن و الرّوايات بالخلوص فهو الكلم الطيّب الّذي يرفع العمل حتّى يوصله إلى حضرته تعالى كما

١- التّوبة / ١٢٠.　　٢- بحار الانوار، ج ٧١، ص ٢٠٤، باب ١٤، ذيل ح ٤١.

يرفع صاحبه إلى حدّ لقائه تعالى و تقدّس.

قال تعالى: ﴿يا ايّتها النّفس المطمئنّة * ارجعى إلى ربّك﴾.(١)

كما انّه إذا كانت شرّاً فهي الّتي عبّر عنها في القرآن و الرّوايات بالرّياء و النّفاق و الكفر و الشّرك فيسقط صاحبه إلى الجهيم درجة درجة حتّى إلى الدّرك الاسفل من النّار.

قال الله تعالى: ﴿انّ المنافقين في الدّرك الاسفل من النّار﴾.(٢)

فبعد ذلك فلا تعجب ممّا يظهر من الذكر الحكيم انّ بعث الرسل و انزال الكتب، ليس إلّا لإشاعة الخلوص بين الناس.

قال تعالى: ﴿و ما امروا إلّا ليعبدوا الله مخلصين له الدّين﴾.(٣)

و قال الله تعالى: ﴿قل انّما اعظكم بواحدة ان تقوموا لله مثنى و فرادىٰ﴾.(٤)

و بعد ماتلونا عليك يسهل لك معنى الرّواية المشهورة بين الفريقين عن النبی صلّی الله علیه و آله و سلّم انّه قال: نيّة المؤمن خير من عمله و نيّة الكافر شرّ من عمله.(٥)

و العلّامة المجلسى رحمه الله أوردها و ذكر فيها اثنى عشر احتمالاً.(٦)

و لكن ارادة الجميع منها ليست ببعيدة و ان كان ما قوّيناه من اظهر المصاديق.

ثمّ انّ الخلوص باعتبار الدّواعى ينقسم إلى أقسامٍ.

توضيح ذلك، انّ العمل لا بدّ ان يكون خالصاً لله تعالى من غير ان يشوبه شيء، فلو ضمّ إليه شيء فلا يكون خالصاً له تعالى بل يكون له و لمن ضُمّ إليه تعالى فيه، مع انّه أمر تعالى ان يُؤتى به له فقط.

قال تعالى: ﴿و ما امروا إلّا ليعبدوا الله مخلصين له الدّين﴾.(٧)

١- الفجر / ٢٨، ٢٧. ٢- النّساء / ١٤٥. ٣- البيّنة / ٥. ٤- سباء / ٤٦.

٥- الكافي، ج ٢، ص ٨٤، باب النيّة، ح ٢.

٦- بحار الانوار، ج ٦٧، ص ١٨٩، باب ٥٣، ذيل ح ٢. ٧- البيّنة / ٥.

و لا فرق في الضّميمة بين ان يكون انسيّاً، أو غيره، حلالاً أو حراماً، من الدّنيا أو الآخرة.
فكما انّه لو اتى بالعمل لله و لغيره مرائياً فيه فهو فاسد و العامل مشرك و ذنب عمله في حدّ الشّرك.

كما قال تعالى: ﴿يا ايّها الّذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمنّ و الأذى كالّذي ينفق ماله رئاء النّاس و لا يؤمن بالله و اليوم الاخر﴾.[١]

فكذلك لو اتى بالعمل لله و لأغراض أُخر، كالتسخّس و التبرّد و النّظافة مثلاً، لانّ العمل لم يؤت به لله فقط فهو غير خالص، فهذا العامل مشرك و قد أمر الله ان لا يشرك بعبادة ربّه احداً.

قال تعالى: ﴿فمن كان يرجو لقاء ربّه فليعمل عملاً صالحاً و لا يشرك بعبادة ربّه احداً﴾.[٢]

و من هذه الجهة ذهب الشهيد الأوّل في الذّكرى إلى بطلان العمل إذا ضمّ إليه مثل ذلك.
حتّى انّه إذا اتى بالعمل لان يصيبه خير في الدّنيا كالعرض و كثرة المال و رفع الشّرور أو في الآخرة كدخول الجنّة أو حذراً من النّار يكون فاسداً لأنّه ليس خالصاً لله و لا فرق من حيث عدم الخلوص بين تلك الأمور اصلاً.

فلذا قد اشتهر بين الاصحاب بطلان العمل إذا اتى به لدخول الجنّة أو رفع العقاب عن نفسه.[٣]

بل ادّعى الشّهيد في القواعد قطع الاصحاب به و إجماعهم عليه.[٤]

فتلخّص من ذلك كلّه انّ العبادة لا بدّ من ان يؤتى بها لله تعالى فقط و لا يقصد منه إلّا إيّاه، فلو دخل في نيّته هذه شيء آخر دنيويّاً كان أو أخرويّاً بطل العمل و صار صاحبه مشركاً و ذنب الشّرك عظيم.

١- البقرة / ٢٦٤. ٢- الكهف / ١١٠. ٣- جواهر الكلام، ج ٢، ص ٨٧.
٤- جواهر الكلام، ج ٢، ص ٨٧.

نعم انّ دواعى العمل مختلفة و تلك الدّواعى غير نيّة الاتيان بالفعل لله تعالى، فيمكن ان يكون الدّاعى شيئاً و النيّة شيئاً آخر و ذلك الدّاعى يدعو إلى ان يؤتى بالعمل له تعالى و يقال لهذا الداعى إلى العمل في الفقه: الدّاعى على الدّاعى، و تلك الدّواعى مختلفة و هي على اقسام:

القسم الاوّل: ما يكون الدّاعى امراً من الأمور الدنيويّة و هو ايضاً على اقسام:

١ ـ أن يكون الدّاعى امراً راجحاً عقلاً و شرعاً كطلب الذريّة الصالحة و ماء الوجه و المال النافع و العيش الهنىء.

و يجمع المذكورات و غيرها الحيوة الطّيّبة.

و القرآن وعدها في آيات كثيرة للمتّقين، جزاءً لهم بما صدر عنهم في الدّنيا و من تلك الآيات:

قوله تعالى: ﴿من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى و هو مؤمن فلنحيينّه حيواة طيّبة و لنجزينّهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون﴾.[١]

و قد أمر الله عباده في آيات كثيرة بطلبهم تلك الحيوة في حياتهم الدنياويّة و من تلك الآيات:

قوله تعالى: ﴿و منهم من يقول ربّنا اتنا في الدّنيا حسنة و في الآخرة حسنة و قنا عذاب النّار﴾.[٢]

٢ ـ أن يكون امراً مباحاً عقلاً و شرعاً كارادة الشكّر أو الجزاء من الخلق في عباداته و اعماله الصّالحة أو كالتّكسّب أو اللّذّة كالتبرّد و التسخّن و النّظافة في الغسل و الوضوء و من هذا القسم العبادات الاستيجاريّة و زيارة المشاهد المنعشة و نحو ذلك.

٣ ـ أن يكون امراً مرجوحاً عقلاً و شرعاً كالامثلة المذكورة إذا اراد فضول العيش و

١- النّحل / ٩٧. ٢- البقرة / ٢٠١.

التّوغّل في المشتهيات ككون الدّاعي إلى العبادات الاستيجاريّة الترفّه أو جمع المال أو أراد إتيان المزارات المشرّفة أو المساجد طلباً للأعمال أو الأقوال الّتي لاتفيد إلّا تضييع العمل و امتلاء صحيفة الاعمال ممّا لا يغني و من المؤسّف عليه جدّاً انّ هذا القسم هو الشائع بين الناس.

٤ ـ أن يكون امراً محرّماً ـ و العياذ بالله من شرّ الهوى و النّفس الأمّارة عقلاً و شرعاً.

و لا يتوهّم انّ هذا القسم قليل شاذّ بل يوجد كثيراً عند عامّه النّاس كما إذا كان محرّكه و داعيه في الحجّ أو الزّيارات اخذ مال الغير ظلماً كبعض رؤساء القوافل و هاديها في سالف الزمن أو امرئة يصيبها حراماً أو بيع أو شراء الاجناس المحرّمة بحيث أنّه لو لا أخذ تلك الاموال أو نيل تلك الإمرأة أو شراء تلك الاجناس المحرّمة لما يحجّ اصلاً و نظير تلك الأمثلة كثيرٌ في سيرة النّاس فانظر فيها و تعجّب من وفورها فيها.

بل الامثلة في الخواصّ ايضاً كثيرة، فهل جميع من اشتغل بالعلوم الدينيّة و ترويج الشّريعة المقدّسة و كتابة الرّسالة العمليّة يكون مريداً له تعالى خالصاً فعله لوجهه و لا يكون محرّكه هو الهوىٰ و الشّهوات! و لااقّل من الشّهوات العقليّة فلا يمكن إلّا ان يقال انّ العمل لله تعالى و لكن الدّاعي إليه هو أمر محرّم عقلاً و شرعاً حتّى أنّه إن كان المحرّك هو الشّهوات العقليّة لا النّفسيّة فهو ايضاً حرام عند أهل الله و إن لم يكن محرّماً عقلاً و شرعاً.

القسم الثّاني من الدّواعي: ما يرتبط بالاخرة لا بالدّنيا و اصحاب هذا الدّاعي على صنفين: صنف يفعل الخير لله تعالى بداعي دخول الجنّة و القرآن اكّد على ذلك في آيات كثيرة منها: قوله تعالى: **﴿لمثل هذا فليعمل العاملون﴾**.[1]

و ما من صفحة من صفحات القرآن إلّا و فيها ترغيب العباد إلى الأعمال الصّالحة للفوز بالجنّة و نعيمها و هؤلاء الافراد بحسب الهمّة و الايمان على أصنافٍ:

١- الصّافات / ٦١.

الف: فمنهم طائفةٌ يريدون في عباداتهم و خيراتهم الجنّة و نعيمها من الانهار و القصور و الحور و اللّذّات بمراتبها الّتي وعدها القرآن من الجنّة و العدن و الرّضوان و هم أكثر النّاس بل كلّهم إلّا شاذّاً، فهذا سرّ مايترائى من انّ القرآن اكّد على ذلك ليرغّبهم إلى العبادات فهم عند اصحاب القلوب، اصحاب البطن و الشهوة.

ب: و منهم طائفةٌ يريدون من اعمالهم الخير نيل مجالسة الاخيار من النّبيّين و الصّالحين في الدار الآخرة، و القرآن وعدها لمن أرادها.

قال تعالى: ﴿و من يطع الله و الرّسول فاولئك مع الّذين انعم الله عليهم من النّبيّين و الصّدّيقين و الشّهداء و الصّالحين و حسن اولئك رفيقاً﴾.[١]

و قد أمر الله تعالى عباده بطلب ذلك المقام في الصّلوات كلّها بقوله: ﴿اهدنا الصّراط المستقيم * صراط الّذين انعمت عليهم﴾.[٢]

و هم عند أهل القلوب، أصحاب الذّوق و العشق.

ج: و منهم طائفةٌ لا يريدون من اعمالهم الخير إلّا قربه تعالى، فالمحرّك لهم كلّ المحرّك هو طلب ذلك المقام، و القرآن حكى عن امرئة فرعون انّها طلبته من الله تعالى.

قال تعالى حكاية عنها: ﴿ربّ ابن لى عندك بيتاً في الجنّة و نجّنى من فرعون و عمله و نجّنى من القوم الظّالمين﴾.[٣]

و القرآن الكريم وعد تلك المنزلة لمن اتّقى الله حقّ تقاه و لاصحاب النّفس المطمئنّة.

قال تعالى: ﴿انّ المتّقين في جنّات و نهر * في مقعد صدق عند مليك مقتدر﴾.[٤]

و قال تعالى: ﴿يا ايّتها النّفس المطمئنّة * ارجعى إلى ربّك﴾.[٥]

و هم العرفاء عند اصحاب القلوب.

١- النّساء / ٦٩.　٢- الحمد / ٧ - ٦.　٣- التحريم / ١١.　٤- القمر / ٥٥، ٥٤.

٥- الفجر / ٢٨، ٢٧.

هذا كلّه حال الصنف الأوّل الّذين تكون دواعيهم و محرّكهم في الخيرات هو الطمع في الجنّة.

و أمّا الصنف الاخر، فهم الّذين يعملون الخير خوفاً من النّار، و هم أكثر عدداً من الصنف الاوّل، بل لو ادّعى أحدٌ انّه لو لم تكن الجحيم و عذابها لا يعبد الله إلّا الاوحدي من النّاس، لايجازف في القول.

و هم على اصناف و دواعيهم ايضاً على اقسام:

الف: الخوف من النّار و ما فيها من نقماتها الّتي تتحيّر العقول بسماعها و لا تقدر على قبولها إلّا بالتأمّل في أنّها من غضب الله و قهره و كما أنّه لا يمكن درك ذاته و صفاته العليا، لا يمكن درك حقيقة افعاله العظمى و كنهها، و لذلك أنّ الصادق المصدّق كان يشير في جميع أحواله صلى الله عليه وآله وسلم إلى دلالة كلّ واحدٍ من أوراق أشجار العالَم على قدرته تعالى فبالنظر إلى قدرته التامّة يمكن للعقل تجويز هذه العقابات الهائلة؛ إليك نموذجاً منها:

قال تعالى: ﴿انطلقوا إلى ظلّ ذي ثلث شعب * لا ظليل و لا يغنى من اللّهب * انّها ترمى بشرر كالقصر * كانّه جمالة صفر﴾.[١]

و قال تعالى: ﴿ليس لهم طعام إلّا من ضريع * لا يسمن و لا يغنى من جوع﴾.[٢]

و قال الله تعالى: ﴿و اصحاب الشّمال ما اصحاب الشّمال * في سموم و حميم * و ظلّ من يحموم * لا بارد و لا كريم﴾.[٣]

و قال تعالى: ﴿خذوه فغلّوه * ثمّ الجحيم صلّوه * ثمّ في سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً فاسلكوه * انّه كان لا يؤمن بالله العظيم * و لا يحضّ على طعام المسكين * فليس له اليوم هٰهنا حميم * و لا طعام إلّا من غسلين * لا يأكله إلّا الخاطئون﴾.[٤]

و الانصاف انّ نظير هذه الآيات الكثيرة البالغة عدداً هائلاً، يحرّك القلوب و أهلها نحو

١- المرسلات / ٣٠ ـ ٣٣. ٢- الغاشية / ٧ - ٦. ٣- الواقعة / ٤١ ـ ٤٤.

٤- الحاقّة / ٣٠ ـ ٣٧.

السداد، و نعم المحرّك هو.

ب: الخوف من مجالسة اعداء الله و اعداء الرّسل القرناء السوء، الّذين ليس مجالستهم بخيرٍ من النار!، سيّما للصالحين، و لذلك يحكى الذكر الحكيم طلبَ أهل النار المفارقة بينهم و بين قرنائهم.

قال تعالى: ﴿و من يعش عن ذكر الرّحمن نقيّض له شيطاناً فهو له قرين * و انّهم ليصدّونهم عن السّبيل و يحسبون انّهم مهتدون * حتّى إذا جائنا قال يا ليت بينى و بينك بعد المشرقين فبئس القرين * و لن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم انّكم في العذاب مشتركون﴾.[١]

و قال تعالى: ﴿كلّما دخلت امّة لعنت اختها حتّى إذا ادّاركوا فيها جميعاً قالت أخريٰهم لاوليٰهم ربّنا هؤلاء اضلّونا فآتهم ضعفاً من النّار قال لكلّ ضعف و لكن لا تعلمون * و قالت اوليٰهم لاخريٰهم فما كان لكم علينا من فضل فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون﴾.[٢]

و قال تعالى: ﴿هذا و انّ للطّاغين لشرّ مآب * جهنّم يصلونها فبئس المهاد * هذا فليذوقوه حميم و غسّاق * و آخر من شكله ازواج * هذا فوج مقتحم معكم لا مرحباً بهم انّهم صالوا النّار * قالوا بل انتم لا مرحباً بكم انتم قدّمتموه لنا فبئس القرار * قالوا ربّنا من قدّم لنا هذا فزده عذاباً ضعفاً في النّار * و قالوا ما لنا لا نرى رجالاً كنّا نعدّهم من الاشرار * اتّخذناهم سخريّاً ام زاغت عنهم الابصار * انّ ذلك لحقّ تخاصم أهل النّار﴾.[٣]

و قال أميرالمؤمنين عليه السلام في الدعاء المسمّاة بدعاء الكميل: فلئن صيّرتنى للعقوبات مع اعدائك و جمعت بينى و بين أهل بلائك و فرّقت بينى و بين احبّائك و اوليائك، فهبنى يا الهى

١- الزّخرف / ٣٦ ـ ٣٩. ٢- الاعراف / ٣٩، ٣٨. ٣- سورة ص / ٥٥ ـ ٦٤.

و سيّدي و مولاى.[١]

ج: الخوف من بعده عن الله تعالى و كونه محجوباً عنه و محروماً من رحمته و فضله و كرمه و هذا اشدّ عذاباً و اشدّ خوفاً لأهل الله تعالى من النقمات الأخرى،

قال تعالى: ﴿إذا تتلىٰ عليهم آياتنا قال اساطير الاوّلين * كلّا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون * كلّا انّهم عن رّبهم يومئذ لمحجوبون﴾.[٢]

و قال تعالى: ﴿وجوه يومئذ ناضرة * إلى ربّها ناظرة * و وجوه يومئذ باسرة * تظنّ ان يفعل بها فاقرة﴾.[٣]

و قال أميرالمؤمنين عليه السلام في دعاء الكميل: فهبنى يا الهى و سيّدي و مولاي صبرت على عذابك فكيف اصبر على فراقك و هبنى يا الهى صبرت على حرّ نارك فكيف اصبر عن النظر إلى كرامتك ام كيف اسكن في النّار و رجائى عفوك.[٤]

فالخوف الأوّل لعامّة النّاس و الثّانى لخواصّهم و الثالث لاخصّ خواصّهم.

و على كلّ تقدير انّه نعم المحرّك إلى ابتعاد النّاس عمّا يسخط الربّ تعالى، و نعم الدّاعى لهم إلى رحمته، و انّه لعموم النّاس يكون داعياً بمراتبه الثّلاث.

القسم الثّالث من الدّواعى: تجسّم العمل و هو ايضاً على اقسام، و قبل الشّروع في بيان الاقسام لابدّ ان نذكر اجمالَ ما مضى تفصيله و هو انّ لاعمالنا كلّها من الاقوال و الافعال بل الافكار و النيّات تجسّماً في نفس الامر و الواقع يناسبها، فيتجسّم كلّ قول أو فعلٍ أو نيّةٍ منا بصورةٍ يناسبها ان كانت خيراً فخيراً و ان كانت شرّاً فشرّاً.

فسعادة الدّارين و راحتها لكّل أحدٍ من النّاس مرهونةٌ لأعماله و شقاوة الدّارين و مشقّاتها مرهونة لها أيضاً و التوجّه إلى هذا الأمر الّذي تسالم عليه الوحى و الحديث و

١- مفاتيح الجنان، دعاء كميل. ٢- المطفّفين / ١٣ ـ ١٥.

٣- القيامة / ٢٢ ـ ٢٥. ٤- مفاتيح الجنان، دعاء كميل.

العقل يحرّك إلى صالح الأعمال و يدعو إليه.

إذا تقرّر هذا فنقول: انّه يظهر من تتبّع آي القرآن و الرّوايات المستفيضة الواردة في الباب كما يقرّره الفلسفة و العرفان انّ تجسّم العمل على اقسام، فلا محالة تكون داعويّته على اقسام:

الف: تجسّم الاعمال الصّالحة أو الفاسدة في هذه الدّنيا بصورٍ تناسبها و وصول تلك الصور إلى صاحبها فتوجب الاعمال الصّالحة في هذه الدار لصاحبها بل لذريّته و أقرباءه و مجتمعه السعادة و سعة العيش و الراحة.

كما أنّ الاعمال السيّئة توجب لصاحبها و ذرّيته و اقربائه و مجتمعه الشّقاوة و المحنة.

قال تعالى: ﴿من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى و هو مؤمن فلنحيينّه حيوة طيّبة﴾.[١]

و قال تعالى: ﴿و أمّا الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة و كان تحته كنز لهما و كان أبوهما صالحاً فأراد ربّك ان يبلغا أشدّهما و يستخرجا كنزهما رحمة من ربّك﴾.[٢]

و قال تعالى: ﴿و يا قوم استغفروا ربّكم ثمّ توبوا إليه يرسل السّماء عليكم مدراراً و يزدكم قوّة إلى قوّتكم﴾.[٣]

و قال تعالى: ﴿يا أيّها النّاس انّما بغيكم على أنفسكم متاع الحيوة الدّنيا ثمّ الينا مرجعكم فننبّئكم بما كنتم تعملون﴾.[٤]

و قال تعالى: ﴿و ليخش الّذين لو تركوا من خلفهم ذرّية ضعافاً خافوا عليهم فليتّقوا الله و ليقولوا قولاً سديداً﴾.[٥]

و قال تعالى: ﴿لايزال الّذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة أو تحلّ قريباً من دارهم﴾.[٦]

و قال تعالى: ﴿و ضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنّة يأتيها رزقها رغداً من كلّ مكان

١- النّحل / ٩٧. ٢- الكهف / ٨٢. ٣- هود / ٥٢. ٤- يونس / ٢٣.

٥- النّساء / ٩. ٦- الرّعد / ٣١.

فكفرت بانعم الله فاذاقها الله لباس الجوع و الخوف بما كانوا يصنعون﴾.[١]

و قال تعالى: ﴿ظهر الفساد في البرّ و البحر بما كسبت ايدي النّاس﴾.[٢]

و نظير الآيات في القرآن كثير و لها دلالة واضحة على أن لاسبيل إلى سعادة الدارين و شقائها إلّا بالاعمال الصالحة أو الطالحة. فتلخّص ممّا قلنا أنّه يستظهر من سبر آي الذكر الحكيم ستّة دواعى لاتيان العبادة لله تعالى من غير أن تكون خالصةً له،

١ ـ ان يكون المحرّك سعادة نفسه و تدلّ عليه الآية الاولىٰ.

٢ ـ ان يكون المحرّك سعادة اقربائه و تدلّ عليه الآية الثّانية.

٣ ـ ان يكون المحرّك سعادة ملّته أو أمّته و تدلّ عليه الآية الثّالثة.

٤ ـ ان يكون الدّاعى رفع الشقاء عن نفسه و تدلّ عليه الآية الرّايعة.

٥ ـ ان يكون الدّاعى رفع الشقاء عن اقربائه و تدلّ عليه الآية الخامسة و السّادسة.

٦ ـ ان يكون الدّاعى رفع الشقاء عن مجتمعه و تدلّ عليه آيتان السّابعة و الثّامنة.

ب: تجسّم الاعمال الصّالحة أو الطّالحة يوم القيامة، بمعنى ظهورهما له و لغيره في هذا اليوم بعد أن كانا موجودين متجسّمين في عالم الامر، فتظهر له عند الموت و تصاحبه في القبر و هي معه يوم القيامة فتظهر له من حين موته و لغيره من حين أن تقوم الساعة و لاتخفى عنهما أبداً.

قال تعالى: ﴿فكشفنا عنك غطائك فبصرك اليوم حديد﴾.[٣]

و المراد من اليوم هو حين الموت إلى أبد الآباد، لا يوم القيامة، لانّ رفع الغطاء عن البصر و كونها حديداً من الموت إلى ما لانهاية له زمناً يُعدّ من الواضحات، و ادّعى العلّامة المجلسى نقلاً و تحصيلاً تواتر الاخبار عليه و كونها من ضروريات التّشيّع، بل الإسلام فراجع البحار ج ٦، ص ١٤٤ إلى ٢٩٤.

١- النّحل / ١١٢. ٢- الرّوم / ٤١. ٣- سورة ق / ٢٢.

و بالجملة، انّ تجسّم الاعمال الصالحة أو الطالحة من الموت إلى الابد لنفسه و تجسّمها من يوم القيامة إلى الابد لنفسه و لغيره ممّا لا اشكال فيه و عليه تواتر الرّوايات و ضرورة الفريقين، فبناء عليه تكون داعوّية هذا القسم ايضاً على اقسام:

١ ـ كون المحرّك إلى صالح الأعمال تحصيل القرين الحسن و تهيئة العيش لقبره و برزخه إلى يوم القيامة.

و قد رغّب القرآن إليه في موارد عدّة منها:

قال تعالى: ﴿انّى امنت بربّكم فاسمعون * قيل ادخل الجنّة قال يا ليت قومى يعلمون * بما غفر لى ربّى و جعلنى من المكرمين﴾.[١]

و فيها دلالة واضحة على انّه بمجرد استشهاده بيد قومه دخل الجنّة و ليس هي إلّا جنّة البرزخ و هو في تلك الجنّة نادىٰ: يا ليت قومى كانوا عالمين بغفران الله و كرامته.

فتأمّل في سماحته كيف كان يطلب النّجاة و السّعادة لقتلته!.

و الآية الشّريفة و ان لم تدلّ على أنّ تكريم الله تعالى إيّاه كان من باب تجسّم العمل إلّا أنّه يستفاد ذلك بل حصر النّعم و النقم فيها ممّا يزيد على عشرين آية من آيات الكتاب كقوله تعالى: ﴿ذلك بما قدّمت ايديكم﴾.

٢ ـ يكون داعيه في اعمال الخير حفظه عن عذاب القبر.

و القرآن في آيات كثيرة، أشار إلى ذلك و ليس هذا البيان قبل حلول الأجل إلّا لترغيب النّاس إلى فعل الخير، فلا كلام في كونه داعياً و محرّكاً لهم إليه، منها قوله تعالى: ﴿و حاق بآل فرعون سوء العذاب * النّار يعرضون عليها غدوّاً و عشيّاً و يوم تقوم السّاعة ادخلوا آل فرعون اشدّ العذاب﴾[٢]

و قوله تعالى: ﴿و لو ترى اذ يتوفّى الّذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم و ادبارهم و

١- يس / ٢٥ ـ ٢٧. ٢- غافر / ٤٥ ـ ٤٦.

ذوقوا عذاب الحريق﴾.[1]

٣ ـ يدعوه إلى الأعمال الصالحة و يحرّكة إليها المُقام يوم القيامة عند الأولياء تحت لواء الحمد و يكون اعماله نوراً يحصد فيها ثمراتها.

و إن استفاضت الرّوايات في ذلك لكنّ العمدة فيه الآيات الكثيرة الدالّة عليه و منها قوله تعالى: ﴿يوم ترى المؤمنين و المؤمنات يسعى نورهم بين ايديهم و بأيمانهم بشراكم اليوم جنّات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم * يوم يقول المنافقون و المنافقات للّذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا ورائكم فالتمسوا نوراً فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرّحمة و ظاهره من قبله العذاب * ينادونهم الم نكن معكم قالوا بلى و لكن كم فتنتم انفسكم و تربّصتم و ارتبتم و غرّتكم الأمانيّ حتّى جاء أمر الله و غرّكم بالله الغرور﴾.[2]

٤ ـ كون داعيه إلى أعماله الصالحة الحذر عن ظهور طوالح أعماله بمرئى النّاس يوم الجزاء، لئلّا يفتضح بها عندهم و يسوّد وجهه لديهم.

و للقرآن اشاراتٌ كثيرة إلى هذا النحو من التجسّم و انّه من أقوى المحرّكات و أحسن الدواعى إلى فعل الصالحات و اجتناب القبائح و هذا سرّ تكراره في كثيرٍ من مواضيع الكتاب الحكيم منها قوله تعالى: ﴿يوم تجد كلّ نفس ما عملت من خير محضراً و ما عملت من سوء تودّ لو انّ بينها و بينه أمداً بعيداً و يحذّركم الله نفسه و الله رؤف بالعباد﴾.[3]

٥ ـ كون داعيه إلى الاعمال الصّالحة اجتلاب نعم الله، لما يرى انّ نعم الله ليست إلّا حصيلة اعماله و ثمرتها، فليست الجنّات أو الحور أو القصور إلّا ما قدّمته يداه، و للذكر المبارك أيضاً اشاراتٌ كثيرة إلى هذا الدّاعى.

١- الانفال / ٥٠. ٢- الحديد / ١٢ - ١٤. ٣- آل عمران / ٣٠.

قال تعالى: ﴿كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الايّام الخالية﴾.[١]

و قال تعالى: ﴿يا ايّها الّذين آمنوا اتّقوا الله و لتنظر نفس ما قدّمت لغد﴾.[٢]

و قال تعالى: ﴿و ما تقدّموا لأنفسكم من خير تجدوه عندالله﴾.[٣]

و قال تعالى: ﴿فمن يعمل مثقال ذرّة خيراً يره * و من يعمل مثقال ذرّة شرّاً يره﴾.[٤]

٦ ـ كون داعيه إلى الاعمال الصّالحة و الاجتناب عن المشتهيات النّفسانيّة ما يرى من انّ عذاب الجحيم و ما فيها من الحميم و الغسّاق و الحيّات و العقارب و السّلاسل و الاغلال ليس إلّا ثمرة اعماله الطّالحة.

و قد تواتر على ذلك روايات الفريقين، كما قد دلّت عليه جملةٌ من الايات، منها قوله تعالى: ﴿و نقول ذوقوا عذاب الحريق * ذلك بما قدّمت ايديكم و انّ الله ليس بظلّام للعبيد﴾.[٥]

و قوله تعالى: ﴿يوم ينظر المرء ما قدّمت يداه و يقول الكافر يا ليتنى كنت تراباً﴾.[٦]

و قوله تعالى: ﴿و جيئ يومئذ بجهنّم يتذكّر الإنسان و انّى له الذّكرى * يقول يا ليتنى قدّمت لحياتى﴾.[٧]

ج: تجسّم الاعمال بمعنى ادقّ من القسمين المذكورين و هو تأثير الاعمال و الاقوال و الافكار على النفس، فان كانت خيراً فيتوغّل نفس فاعلها في مراتب الانسانيّة و يستكمل متدرّجاً حتّى يصير انساناً كاملاً و يترقّى خطوةً خطوةً حتّى يصل إلى مراتب اولياء الله تعالى فهو معهم اينما كانوا.

قال تعالى: ﴿و من يطع الله و الرّسول فاولئك مع الّذين انعم الله عليهم من النّبيّين و

١- الحاقّة / ٢٤. ٢- الحشر / ١٨. ٣- البقرة / ١١٠. ٤- الزّلزلة / ٨، ٧.

٥- آل عمران / ١٨٢، ١٨١. ٦- النّباء / ٤٠. ٧- الفجر / ٢٤، ٢٣.

الصّدّيقين و الشّهداء و الصّالحين و حسن اولئك رفيقاً﴾.[١]

فله قلب و هو عرش الله في الدّنيا و له نور في الآخرة كنور القمر ليلة البدر يستضيىء لأهل المحشر كما يستضيىء القمر لأهل الدّنيا و لذلك يحشر مع أهل البيت عليهم السلام في الآخرة.

و أمّا ان كانت شرّاً فيتوغّل النّفس في الحيوانيّة و مراتبها الخسيسة حتّى تصوّر بصورة متناسبة لتلك الاعمال فتصير كلباً أو قردة أو خنزيراً أو ذئباً أو غيرها ممّا يناسب أفعاله.

فله عمى القلب في الدّنيا إذ صار حمىً للشّياطين فليس له في الآخرة إلّا الظلمة المطبّقة و ليس حشره إلّا مع أقرانه، كما أنّه لا منزل له إلّا دركات الجحيم يسقط فيها حسب سقوطه في مدارج البهيميّة حتّى يصل إلى الدرك الأسفل من النار.

قال تعالى: ﴿انّ المنافقين في الدّرك الأسفل من النّار﴾.[٢]

و هذا القسم ايضاً ينقسم بحسب الدّاعى إلى اقسام ستّة: لانّه قد يكون الدّاعى إلى الأعمال الصّالحة أو الاجتناب عن اعماله الطّالحة هو الشرف عند أهل القلوب في الدّنيا و عند النّاس في الآخرة و لا بأس به، بل هو من الدواعى الحسان، و اعلى منها هو تحصيل الشرف عند الله تعالى ضرورة انّ من توجّه إلى صعود الإنسان في مراتب الكمال أو سقوطه في مراتب الخسران بحسب أعماله الصالحة أو القبيحة يعمل بالأوّل و يترك الثانى، لئلّا يندرج في سلك الهائم بمسخ صورته بالصورة الملائمة لفعله فيراه أهل القلوب في الدّنيا و أهل المحشر في الآخرة بتلك الصّورة و ليس له عذاب اسوء منه.

فتأمّل في انّ الإنسان لو توجّه إلى إشراف مولانا ولىّ العصر عجّل الله تعالى فرجه الشّريف العلمى عليه فيراه على ما هو عليه من الواقع فان كان خيراً فخير و ان كان شرّاً فشرّ أ لايدعوه ذلك إلى العمل بالصّالحات و ينهاه عن المحرّمات فهو نعم الداعى إلى الخير، و اعلى و اشدّ منه لو توجّه بانّه حين الحشر يُحشر على وجهه عمياً و بكماً و صمّاً و كتب في وجهه

١- النّساء / ٦٩.	٢- النّساء / ١٤٥.

انّه أهل النّار،

قال تعالى: ﴿و نحشرهم يوم القيامة على وجوههم عمياً و بكماً و صمّاً مأواهم جهنّم﴾.[١]

فيفتضح بين النّاس و بذلك يُعذّب عذاباً ليس فوقه عذابٌ!. فداعويّة ذلك في كمال القوّة كما انّه لو توجّه بانّ المؤمن يحشر على صورة كالبدر يتوجّه إليه أهل المحشر و هو يفتخر بذلك كما قال تعالى: ﴿هاؤم اقرأوا كتابيه﴾.[٢]

فانّه ايضاً نعم الدّاعى إلى الانسلاك في سبيل المؤمنين، و اعلى و اشدّ منه هو التوجّه إلى انّ الاعمال الصّالحة توصل صاحبها في مراتب الانسانيّة إلى حدّ يليق ان يسلّم الله تعالى عليه.

قال تعالى: ﴿سلام قولاً من ربّ رحيم﴾.[٣]

و انّ الاعمال الطّالحة توصل صاحبها في مهالك الحيوانيّة إلى حدّ يخاطبه الله تعالى بقوله: ﴿قال اخسئوا فيها و لا تكلّمون﴾.[٤]

القسم الرّابع من الدّاعى: هو الله تعالى و هذا القسم اولى و أشرف من الاقسام السابقة و هو ايضاً على اقسام:

الف: ان يكون الدّاعى هو التقرّب إلى الله، تقرّب العبد إلى مولاه و لاريب أنّ القرب من باب التشكيك، فله مراتب ضعفاً و شدّة.

١ ـ فالمرتبة الاولى منه هو تقرّب العموم إلى المولىٰ.

٢ ـ و المرتبة المتوسّطة، تقرّب الخواصّ إلى المولىٰ.

٣ ـ و المرتبة الشّديدة، تقرّب اخصّ الخواصّ إلى المولىٰ.

و معلوم انّ لكلّ هذه المراتب الثّلاث أيضاً مراتب أخرى ضعفاً و شدّة.

ب: ان يكون الدّاعى، هو طاعة أمر المولى و هذا ايضاً كسابقه في التشكيك فله مراتب:

١- الاسراء / ٩٧.　٢- الحاقّه / ١٩.　٣- يس / ٥٨.　٤- المؤمنون / ١٠٨.

١ ـ طاعة العوام للمولى.

٢ ـ طاعة الخواصّ للمولى.

٣ ـ طاعة اخصّ الخواصّ للمولىٰ.

و لكلّ هذه المراتب، مراتب أُخر أيضاً.

ج: ان يكون الدّاعى استحياء العبد من المولى و هو ايضاً ذو مراتب و لكلّ مرتبة منها مراتب:

١ ـ استحياء العموم من المولى.

٢ ـ استحياء الخواصّ من المولى.

٣ ـ استحياء اخصّ الخواصّ من المولى.

د: ان يكون الدّاعى هو شكر المنعم عليه و هو ايضاً ذو مراتب و لكلّ مرتبة منها مراتب:

١ ـ شكر عوام النّاس لمولاهم و المنعم عليهم.

٢ ـ شكر خواصّ النّاس لمولاهم و المنعم عليهم.

٣ ـ شكر اخصّ الخواصّ للمولى و المنعم عليهم.

هـ: ان يكون الدّاعى هو رضى المولى و هذا القسم قد عدّ في القرآن اكبر من الجنّة بل جُعل من جنّة عدن.

قال الله تعالى: ﴿وعدالله المؤمنين و المؤمنات جنّات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها و مساكن طيّبة في جنّات عدن و رضوان من الله اكبر ذلك هو الفوز العظيم﴾.[1]

و تلك الجنّة هي الّتي جعلها جزاءً في الدّنيا للكمّلين من النّاس و المخلصين لهم.

قال تعالى: ﴿ما كتبناها عليهم إلّا ابتغاء رضوان الله﴾.[2]

و هي الّتي وعدها لمن اتّصف بالهداية العنائيّة في الدّنيا و رضوان الله الّذي أعلى من الجنّة في

١- التوبة / ٧٢. ٢- الحديد / ٢٧.

الآخرة.

قال تعالى: ﴿قد جائكم من الله نور و كتاب مبين * يهدى به الله من اتّبع رضوانه سبل السلام و يخرجهم من الظّلمات إلى النّور باذنه و يهديهم إلى صراط مستقيم﴾.[1]

و هذا الدّاعى مقول بالتشكيك كسابقه، فله مراتب شدّة وضعفاً.

١ ـ المرتبة الضّعيفة مع مراتبها للعموم.

٢ ـ المرتبة المتوسّطة مع مراتبها للخواصّ.

٣ ـ المرتبة الشّديدة مع مراتبها لاخصّ الخواصّ.

و: ان يكون الدّاعى هو محبّة الله تعالى.

و لمّا كانت المحبّة مقولة بالتشكيك فلا محالة هذا الدّاعى متفاوت بحسب الافراد.

١ ـ المرتبة الضّعيفة داعية للعموم و هم المحبّون لله تعالى.

٢ ـ المرتبة المتوسّطة داعية للخواصّ و هم الوجلون قلوبهم لله تعالى.

٣ ـ و المرتبة الشّديدة داعية لاخصّ الخواصّ و هم الاحرار عند أهل القلوب العشّاق عند أهل الذّوق و هم الّذين وصفهم الله تعالى بقوله: ﴿من يرتدّ منكم عن دينه فسوف يأتى الله بقوم يحبّهم و يحبّونه اذلّة على المؤمنين اعزّة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله و لا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء و الله واسع عليم﴾.[2]

ز: ان يكون الدّاعى هو الله تعالى فقط، من غير أن يشاركه تعالى فيه غيره.

و هذا الدّاعى هو الّذي لا تصل إليه ايدى الاغيار و يختصّ بأولياء الله و أهل الله الّذين لا تصل إليهم ايدى الشّياطين و قد أعاد الوحى الكريم التعبير عنهم بالمخلصين بالفتح ـ و هم نوادر الدّهر و بخاصّة المراتب الخاصّ و الأخصّ منهم لانّه ايضاً مقولة بالتشكيك.

١ ـ المرتبة الاولى منه ان يكون الدّاعى هو صفات فعله تعالى كالرّحمة و الرّأفة و الهداية و

١- المائدة / ١٦، ١٥.   ٢- المائدة / ٥٤.

العناية و الخلق و الرّبوبيّة و نحو ذلك.

٢ـالمرتبة المتوسّطة منه ان يكون الدّاعى هو صفات ذاته تعالى كالعلم و القدرة و الملكيّة و القدّوسيّة و الجبروتيّة و إلى بعض تلك الصّفات اشير في آخر سورة الحشر.

قال تعالى: ﴿**هو الله الّذي لا اله إلّا هو عالم الغيب و الشّهادة هو الرّحمن الرّحيم * هو الله الّذي لا اله إلّا هو الملك القدّوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبّار المتكبّر سبحان الله عمّا يشركون * هو الله الخالق البارئ المصوّر له الاسماء الحسنى يسبّح له ما في السّموات و الأرض و هو العزيز الحكيم**﴾.[١]

و يمكن ان يقال: تلك الصّفات المذكورة في هذه الآيات، كلّها باعتبار تُعدّ من صفات الذّات و ان كان بعضها من صفات الفعل و لكن النظر إليها ههنا باعتبار أنّها من صفات الذّات ايضاً فتأمّل.

و بالجملة، انّ عبادة الخاضعين الخاشعين الّتي تنشأ من خشية الله و عظمته هي من هذا القسم.

٣ـان يكون الدّاعى هو وجه الله تعالى الّذي أشير إليه في اوّل سورة الحديد.

قال تعالى: ﴿**هو الأوّل و الآخر و الظّاهر و الباطن**﴾.[٢]

و قد نُبّه في القرآن الكريم مراراً على أنّ أولياء تعالى لايعملون شيئاً إلّا له و لوجهه، كما أنّه نُبّه على أنّ سعادة الدارين مرهونة للاخلاص هذا.

قال تعالى: ﴿**بلى من اسلم وجهه لله و هو محسن فله اجره عند ربّه**﴾.[٣]

و قال تعالى: ﴿**فان حاجّوك فقل أسلمت وجهى لله و من اتّبعن**﴾.[٤]

و قال تعالى: ﴿**انّى وجّهت وجهى للّذى فطر السّموات و الأرض حنيفاً و ما انا من**

١- الحشر / ٢٤ - ٢٢. ٢- الحديد / ٣. ٣- البقرة / ١١٢. ٤- آل عمران / ٢٠.

المشركين﴾.[۱]

و قال تعالى: ﴿قل انّ صلاتی و نسکی و محیاي و مماتي لله ربّ العالمين * لا شريك له و بذلك امرت و أنا اوّل المسلمين﴾.[۲]

و قال تعالى: ﴿و لا تطرد الّذين يدعون ربّهم بالغداة و العشيّ يريدون وجهه﴾.[۳]

و قال تعالى: ﴿ذلك خير للّذين يريدون وجه الله و اولئك هم المفلحون﴾.[٤]

و قال تعالى: ﴿انّما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاءً و لا شكوراً * انّا نخاف من ربّنا يوماً عبوساً قمطريراً﴾.[٥]

و نظير هذه الآيات في القرآن الكريم و ان كان كثيراً إلّا انّه يختلج بالبال انّ هذه الآيات لا تدلّ على وحدة الدّاعى و المدعوّ له الّتي نحن بصدد بيانها الآن، بل لها دلالةٌ على وجوب ايتاء العمل لله، و لاتدلّ على أزيد من ذلك فالمصير إلى استظهار وجوب اتيان العمل بداعى وجهه تعالى منها، في غاية الاشكال.

بل مثل قوله تعالى ﴿انّا نخاف من ربّنا يوماً عبوساً قمطريراً﴾ يدلّ على انّهم اتوا بالعمل لله بداعى الأمن يوم القيامة مع كون هذه الآية الشّريفة لمكان نزوله في العترة الطّاهرة اجود و اعلى من الآيات بل مثل قوله تعالى ﴿انّى وجّهت وجهى للّذى فطر السّموات و الارض﴾ لمّا كان بصدد رفع الشّرك كلّه ينبغى ان يكون اظهر دلالة على ذلك مع ظهوره لمكان قوله: ﴿فطر السّموات و الارض﴾ في كون الدّاعى ربوبيّة الحقّ تعالى لا ذاته المقدّسة.

و بالجملة، انّا لم نجد آية و لا رواية تكون ظاهرة في ذلك إلّا ما نسب أميرالمؤمنين عليه السلام، انّه قال: ما عبدتك خوفاً من نارك و لا طمعاً في جنّتك و لكن وجدتك اهلاً للعبادة فعبدتك.[٦]

۱- الانعام / ۷۹. ۲- الانعام / ۱۶۲، ۱۶۳. ۳- الانعام / ۵۲.

٤- الرّوم / ۸۳. ۵- الدّهر / ۹، ۱۰. ٦- بحار الانوار، ج ٦۷، ص ۱۸٦، باب ۵۳، ح ۱.

في هذه الرّواية ايضاً نحو ايهام لاشتمالها على ما يخالف غيرها من الروايات، كالمرويّ عن عليّ بن الحسين عليهما السلام فانّها تدلّ على انّ الدّاعى غير المدعوّ له، فانّه قال: انّى اكره ان اعبد الله لأغراض لى و لثوابه فأكون كالعبد الطمع المطيع إن طمع عمل و إلّا لم يعمل و أكره أن أعبده لخوف عباده فأكون كالعبد السّوء ان لم يخف لم يعمل، قيل: فَلِمَ تعبده؟ قال: لما هو أهله بأياديه علىّ و إنعامه.[1]

و هذه الرواية كما ترى تدلّ على كون الدّاعى هو شكر المنعم فالله تعالى أهل للعبادة لكونه منعماً و لكن مع ذلك كلّه لا اشكال و لا كلام في انّ أهل البيت عليهم السلام بلغوا ما بلغوا من مقامات العبوديّة الّتي لايمكننا أن نتخيّلها، فهم عباده الحقيقيّون أي: يعبدون الله تعالى و لا نظر لهم إلّا إلى هو، و انت تعلم انّ ضمير (هو) اشارة إلى مقام الغيب الغيوبى و هو مقام الذّات المقدّسة البحت البسيط و معلوم انّ العبوديّة بهذا المعنى اعظم من الرّسالة و لعلّ لزوم الشّهادة بكونه عبده قبل الشّهادة بكونه رسوله في قول المصلّى في تشهّداته (و اشهد انّ محمّداً عبده و رسوله) يشير إلى ذلك.

و بعبارة أخرى، إنّا و إن لم نجد آية و لا رواية تدلّ على ذلك و لكنّ المسئلة ثبوتاً في حقّ أهل البيت عليهم السلام و مَنْ يتلوهم من الرّسل و الاوصياء و الاولياء، ممّا لا اشكال فيه.

ثمّ انّه يظهر من الرّوايات انّ أهل البيت عليهم السلام قد يعبدون الله خوفاً من القيامة و قد يعبدون الله طلباً لمرضاته و قد يعبدون الله حبّاً له و قد يعبدونه شكراً له و قد يعبدون الله طاعة و قد يعبدونه لكونه اهلاً للعبادة.

و لعلّ السرّ في ذلك، انّهم لمّا كانوا من حيث الوجود تامّاً فلهم مرتبة جمع الجمع من مراتبه فقد بلغوا أعلى مراتب العبودية، فلهم إذن التجلّى بجميع مراتبها و جلواتها.

و بعبارة أخرى، قد يتجلّى في قلوبهم صفات الجمال فيعبدونه طمعاً، و قد يتجلّى في قلوبهم

١- بحار الانوار، ج ٦٧، ص ١٩٨، باب ٥٣، ح ٢.

صفات الجلال فيعبدونه خوفاً.

قال تعالى: ﴿تتجافي جنوبهم عن المضاجع يدعون ربّهم خوفاً و طمعاً﴾.[1]

و قد يتجلّى في قلوبهم حبّ الله تعالى فيعبدونه حبّاً له، و قد يتجلّى في قلوبهم الوفاء و لزوم شكر المنعم فيعبدونه شكراً له، و قد يعبدونه لمرضاته لتجلّى الرّضا و التّسليم عليهم، و قد يعبدون الله تعالى لكونه ربّاً فاطر السّموات و الأرض لتجلّى ذلك الاسم عليهم، و قد يعبدون الله تعالى خشية منه لكون التجلّى حينئذ بجبروته، كما انّهم يعبدون الله لكونهم عباداً و هو المولى لتجلّى مقام العبوديّة على قلوبهم و ذلك أشرف مقاماتهم و أعلاها و هو المقام الّذي لا يتحمّله ملك مقرّب و لا نبيّ مرسل و لا خطر ببال احد سواهم، فلا تعلم نفس ما اخفى لهم من قرّة اعين.

و بما ذكرنا تستطيع ان تجمع بين الرّوايات المتخالفة بظاهرها، و نحن نذكرها انشاء الله تتميماً للبحث.

فنلخّص من جميع ما ذكرناه اوّلاً: انّ غالب النّاس يعبدون الله تعالى و لكن دواعيهم في العبادات مختلفة.

و قد ذكرنا لك ازيد من خمسين داعياً، و لعلّك تقدر ان تعدّ ازيد من ذلك بعد التأمّل.

و اتيان العمل رياءً لا يكون إلّا لقليل من النّاس و هم الكفرة الفجرة و هم المشركون حقّاً، و سيجيء البحث انشاء الله تعالى عن الرّياء و الرائى.

و ثانياً: انّ عبادات الكمّلين حتّى أهل البيت عليهم السلام الّذين يُطلق عليهم كلمة العباد و عباد الله حقّاً لا تكون على نسق واحد بل انّها بحسب الدّواعى مختلفة.

فكانوا قد يعبدونه للحوائج الدنياويّة و قد يعبدون الله للآخرة و قد يعبدونه تعالى لله بمراتبها، و استظهار ذلك من القرآن ليس ببعيد بل يظهر منه انّهم قد كانوا يجمعون بين

١- السّجدة / ١٦.

دواعى مختلفة في عمل واحد.

قال تعالى: ﴿يوفون بالنّذر و يخافون يوماً كان شرّه مستطيراً * و يطعمون الطّعام على حبّه مسكيناً و يتيماً و اسيراً * انّما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاءً و لا شكوراً * انّا نخاف من ربّنا يوماً عبوساً قمطريراً * فوقيٰهم الله شرّ ذلك اليوم و لقّيٰهم نضرة وسروراً * و جزاهم بما صبروا جنّة و حريراً﴾.[1]

فلكّل مكلّف ان يأتى بتكليفه لله تعالى مع انضمامه إلى عدّة دواعٍ أُخر، فيقيم الصّلوة و يؤتى الزّكوة و يجاهد في سبيل الله لسعادة الدّنيا و الآخرة و لمرضات الله تعالى و لحبّه لله تعالى، و هكذا يجمع بين الدّواعى كلّها.

نعم، طوبى لمن يكون عبداً له حقّاً و لا يطلب في عباداته إلّا مولاه و لا نظر له إلى شيء سواه.

و معلوم انّ تحصيل هذه الحالة يحتاج إلى طيّ مراحل و منازل من التّوبة و اليقظة و التّخلية و التّحلية و التّجلية و الفناء و اللّقاء.

و هذه سبعة منازل اشار اليها الشّاعر بالفارسيّة.

هفت شهر عشق را عطّار گشت ما هنوز اندر خم يك كوچه‌ايـم

و نحن نشكّ في سير العطّار و اتمامه تلك المراحل بقدم السير كما نعلم و نقطع بأنّا بعدُ لم نرد مدينة من تلك المدن فضلاً عن تردّدنا في شارع منها و كان الشّاعر يحسن الظّن بالعطّار بل بنفسه و بغيره.

و في الخاتمة تذكر امور لابدّ منها:

الف: انّ مسئلة الخلوص تعدّ من باب السّهل الممتنع، لانّه سهل باعتبار تعدّد الدّواعى و ممتنع باعتبار وحدة الدّاعى إلّا للاوحديّ من النّاس.

١- الإنسان / ٧ إلى ١٢.

توضيح ذلك، انّ اتيان العمل لله تعالى بداعى طلب الدّنيا أو طلب الآخرة ليس بمشكل و أكثر النّاس من عامّيهم فضلاً عن خواصّهم يأتون باعمالهم لله بالدّواعى الدنيويّة أو الاخرويّة.

و أمّا الاتيان بالعمل لله من غير توجّه إلى شيء غيره ففي غاية الصّعوبة و الاشكال سيّما الاتيان به من غير توجّه إلى اسمائه الحسنى و صفاته العليا و من غير توجّه إلى قربه و مرضاته و خشيته و عظمته.

و بعبارة أخرى، اتيان العمل لوجه الله تعالى بحيث لا نظر للعامل في مقام العمل إلّا إلى عبوديّة نفسه و مولويّة ربه تعالى.

و هذا يحتاج إلى رياضات شاقّة دينيّة وطيّ المنازل السّبعة مع سبق فضل الله و رحمته.

قال تعالى: ﴿و لو لا فضل الله عليكم و رحمته ما زكى منكم من احدٍ ابداً و لكن الله يزكّى من يشاء﴾.[1]

و بهذا البيان يجمع بين الاقوال.

فمن قال: انّ اتيان الاعمال على وجه الخلوص سهل، اراد بقوله اتيان العمل لله مع امكان انضمام دواعى مختلفة إليه، من طلب الدّنيا أو الآخرة كما هو عبادات غالب النّاس من العوام و الخواص.

و من قال: انّ ذلك مشكل يحتاج إلى رياضات من التّخلية و التّحلية، فاراد بذلك اتيان العمل لله من غير تكرّر الدواعى حين العمل، فالنزاع لفظيّ.

فراجع البحار مستظهراً ما ذكرناه حتّى تظهر لك حقيقته.[2]

ب: انّ فوائد الخلوص للدّنيا و الآخرة كثيرة و لا اظنّ ان تكون فضيلة من الفضائل اعظم فائدة و أكثر نتيجة من هذه الفضيلة بل لايقاس به فضيلةٌ أخرى.

١- النّور / ٢١.　　٢- بحار الانوار، ج ٦٧، ص ١٨٥ ـ ١٩٨ و ٢٣٤ ـ ٢٣٩.

بل يمكن ان يدّعى انّ جميع الفضائل يتوقّف على هذه الفضيلة، و عظمتها و نورها و جلائها و فائدتها تتوقّف على هذه الفضيلة و عظمتها و نورها و جلالها، لأنّها هي صبغة الله.

قال تعالى: ﴿صبغة الله و من أحسن من الله صبغة﴾.[1]

فكلّ شيء يصبّغ بهذه الصّبغة فهو عظيم و جليّ و كثير الفائدة بمقدار صبغه، فكلّما كان أشدّ صبغاً فجلائه و عظمته و فائدته أكثر حتّى يصل إلى ان ينزّل الله تعالى فيه آية أو سورة و لو كان ذلك الشّيء بحسب القيمة بخساً.

اَ لا ترى انّ اطعام أهل البيت عليهم السلام السّائلين بحسب القيمة لم يكن بشيء ثمناً و لم يكن ازيد من خبزات شعيرة و لكن خلوص الصّديقة الطّاهرة عليها السلام في فعلها هذا اوصلهمقام انزل الله تعالى فيه سورة الانسان.

و اَ لا ترى انّ استقرار أميرالمؤمنين عليه السلام في منام رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم ليلة الهجرة، كان سهلاً له عليه السلام و لكن اخلاصه فيه صيّره مفخراً له و لمتابعيه من المسلمين.

قال تعالى: ﴿و من النّاس من يشرى نفسه ابتغاء مرضات الله﴾.[2]

و اَ لا ترى انّ آية الولاية اعظم آيات الذكر الحكيم في بابها و لها نور و جلال خاصّ بين آيات الولاية بحيث لا اظنّ آية افضل و اجلى و أكثر نوراً و فائدةً منها في اخواتها، و الشّيعة و السّنة يقرّ بأنّها نزلت في أميرالمؤمنين عليه السلام إذا تصدّق بخاتمه في صلوته.

قال تعالى: ﴿انّما وليّكم الله و رسوله و الّذين آمنوا الّذين يقيمون الصّلوة و يؤتون الزّكوة و هم راكعون﴾.[3]

مع كون الخاتم بحسب القيمة رخيساً يساوى درهماً أو ازيد أو اقلّ لانّ أميرالمؤمنين عليه السلام في ذلك الزّمان سيّما مع زهده الّذي لم ير الدّهر مثله لم يختّم بخاتمٍ غال الثمن، فما يترائى في بعض المختلقات من غلاء ثمن خاتمه حتّى قيل انّه كان يساوى خراج الشام، فليس إلّا من قلّة

١- البقرة / ١٣٨. ٢- البقرة / ٢٠٧. ٣- المائدة / ٥٥.

البصيرة، إن لم ينشأ من عداوة القائل.

نعم يزيد خلوص مولانا أميرالمؤمنين عليه السلام في قدر فعله و قيمة خاتمه بما لايمكن أن يُعدّد، و يكفيك نزول الآية الشريفة فيه.

و أمّا لو لم يصبّغ شيء بتلك الصبغة، فلا قيمة له، بل التراب أغلى منه، و لو كان ذلك الشّيء بحسب الظاهر ذا قيمة بالغة و يكفيك في ذلك هذا الحديث النبوّى الشريف:

انّ اوّل من يدعى يوم القيامة رجل جمع القرآن، و رجل قتل في سبيل الله و رجل كثير المال، فيقول الله عزّوجلّ للقارىء: الم اعلّمك ما انزلت على رسولى؟ فيقول: بلى يا ربّ، فيقول: ما عملت فيما علّمت؟ فيقول: يا ربّ قمت به في آناء اللّيل و اطراف النّهار، فيقول الله: كذبت، و تقول الملائكة: كذبت، و يقول الله تعالى: انّما اردت ان يقال فلان قارئ فقد قيل ذلك، و يؤتى بصاحب المال فيقول الله تعالى: الم اوسّع عليك المال حتّى لم ادعك تحتاج احدٍ؟ فيقول: بلى يا ربّ، فيقول: فما عملت بما آتيتك؟ قال: كنت اصل الرّحم و اتصدّق، فيقول الله: كذبت، و تقول الملائكة: كذبت، و يقول الله سبحانه: بل اردت ان يقال فلان جواد و قد قيل ذلك، و يؤتى بالّذى قُتل في سبيل الله فيقول الله: ما فعلت؟ فيقول: امرت بالجهاد في سبيلك فقاتلتُ حتّى قُتلت، فيقول الله: كذبت، و تقول الملائكة: كذبت، و يقول الله سبحانه: بل اردت ان يقال: فلان شجاع جرىء فقد قيل ذلك، ثمّ قال رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم: اولئك خلق الله تسعر بهم نار جهنّم.[1]

و بالجملة، انّ الخلوص مقام عال شامخ فيه خير الدّنيا و الآخرة و لصاحبه مقام خاصّ بحسب شدّته و ضعفه فيه.

قال العسكريّ عليه السلام: لو جعلت الدّنيا كلّها لقمة واحدة و لقمتها من يعبد الله خالصاً لرأيت انّى مقصّر في حقّه و لو منعت الكافر منها حتّى يموت جوعاً و عطشاً ثمّ اذقته شربة من الماء

۱- بحار الانوار، ج ٦٩، ص ٣٠٥، باب ١١٦، ح ٥٢.

لرأيت انّي قد أسرفت.[١]

و في روايات مستفيضة عن أهل البيت عليهم السلام انّ التزام الخلوص في ايّام قليلة يوجب وصول الملتزم إلى مقام الفرقان و التّجلية، و من تلك الرّوايات قول النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم: من اخلص لله اربعين يوماً فجّر الله ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه.[٢]

و في روايات مستفيضة انّه يوجب خير الدّنيا و الآخرة منها قول سيّدة النّساء صلوات الله عليها: من اصعد إلى الله خالص عبادته اهبط الله عزّوجلّ إليه افضل مصلحته.[٣]

ج: كيفيّة تحصيل هذه الفضيلة العظمى كتحصيل سائر الفضائل، و قد مرّ الكلام فيه في المجلّد الأوّل من هذا الكتاب و لكن مرّ منّا في مبحثنا هذا انّ تحصيل هذه الفضيلة يحتاج طيّ المنازل السّبعة، و يوجد في الرّوايات تأكيدٌ على ذلك، منها قول أميرالمؤمنين عليه السلام في مواضع عدّة: الاخلاص ثمرة اليقين، اخلاص العمل من قوّة اليقين، على قدر قوّة الدّين يكون خلوص النيّة.

١- بحار الانوار، ج ٦٧، ص ٢٤٥، باب ٥٤، ح ١٩.

٢- بحار الانوار، ج ٦٧، ص ٢٤٩، باب ٥٤، ح ٢٥.

٣- بحار الانوار، ج ٦٧، ص ٢٤٩، باب ٥٤، ح ٢٥.

روايات في الاخلاص

* عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عزّوجلّ «حنيفاً مسلماً» قال: خالصاً مخلصاً ليس فيه شيء من عبادة الأوثان.[1]

* عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام انّ أميرالمؤمنين صلوات الله عليه كان يقول: طوبى لمن اخلص لله العبادة و الدّعاء و لم يشغل قلبه بما ترى عيناه و لم ينس ذكر الله بما تسمع أُذناه و لم يحزن صدره بما أُعطى غيره.[2]

* عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عزّوجلّ ﴿ليبلوكم ايّكم احسن عملاً﴾ قال: ليس يعنى اكثركم عملاً و لكن اصوبكم عملاً و انّما الاصابة خشية الله و النيّة الصادقة و الحسنة، ثمّ قال: الابقاء على العمل حتّى يخلص أشدّ من العمل، و العمل الخالص الّذي لا تريد ان يحمدك عليه احدٌ إلّا الله عزّوجلّ و النيّة افضل من العمل، اَ لا و انّ النيّة هي العمل، ثمّ تلا قوله عزّوجلّ: ﴿قل كلّ يعمل على شاكلته﴾ يعنى على نيّته.[3]

* عن سفيان ابن عيينه قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله عزّوجلّ ﴿إلّا من أتى الله بقلب سليم﴾ قال: القلب السليم الّذي يلقى ربّه و ليس فيه أحد سواه، قال: و كلّ قلب فيه شرك أو شكّ فهو ساقط و انّما أرادوا الزهد في الدّنيا لتفرغ قلوبهم للآخرة.[4]

* عن أبي جعفر عليه السلام قال: ما أخلص العبد الايمان بالله عزّوجلّ أربعين يوماً (أو قال: ما

١- الكافي، ج ٢، ص ١٥، باب الاخلاص، ح ١.
٢- الكافي، ج ٢، ص ١٦، باب الاخلاص، ح ٣.
٣- الكافي، ج ٢، ص ١٦، باب الاخلاص، ح ٤.
٤- الكافي، ج ٢، ص ١٦، باب الاخلاص، ح ٥.

أجمل عبد ذكر الله عزّوجلّ اربعين يوماً) إلّا زهّده الله عزّوجلّ في الدنيا و بصّره داءها و دواءها فأثبت الحكمة في قلبه و أنطق بها لسانه، ثم تلا: ﴿انّ الّذين اتّخذوا العجل سينالهم غضب من ربّهم و ذلّة في الحياة الدّنيا و كذلك نجزى المفترين﴾ [١] فلاترى صاحب بدعة إلّا ذليلاً و مفترياً على الله عزّوجلّ و على رسوله صلى الله عليه وآله وسلم و على أهل بيته صلوات الله عليهم إلّا ذليلاً. [٢]

* قال أميرالمؤمنين عليه السلام في غرر الحكم:

الاخلاص اشرف نهاية.

الاخلاص غاية الدّين.

الاخلاص عبادة المقرّبين.

الاخلاص ملاك العبادة.

الاخلاص اعلى الايمان.

الاخلاص شميّة افاضل النّاس.

في اخلاص الاعمال تتنافس أُولى النّهى و الألباب.

كلّما أخلصت عملاً بلغت من الآخرة أملاً.

غاية اليقين الإخلاص.

أين الّذين أخلصوا أعمالهم لله، و طهّروا قلوبهم لمواضع نظر الله.

لو ارتفع الهوى لأنف غير المخلص عمله.

العمل كلّه هباء إلّا ما اخلص فيه.

ضاع من كان له مقصد غير الله.

العبادة الخالصة ان لا يرجوا الرّجل إلّا ربّه، و لا يخاف إلّا ذنبه.

١- الاعراف / ١٥٢. ٢- الكافي، ج ٢، ص ١٦، باب الاخلاص، ح ٦.

ألزّهد سجيّة المخلصين.

سبب الاخلاص اليقين.

الاخلاص ثمرة اليقين.

اخلاص العمل من قوّة اليقين و صلاح النيّة.

الاخلاص ثمرة العبادة.

على قدر قوّة الدّين يكون خلوص النيّة.

ثمرة العلم اخلاص العمل.

قلّل الآمال تخلص لك الاعمال.

اوّل الاخلاص، اليأس ممّا في أيدى النّاس.

أصل الاخلاص، اليأس ممّا في أيدى النّاس.

من رغب فيما عندالله أخلص عمله.

كيف يستطيع الاخلاص من يغلبه هواه (من بقلبه الهوى ـ خ ل).

غاية الاخلاص الخلاص.

المخلص حرىّ بالاجابة.

عند تحقّق الاخلاص تستنير البصائر.

بالاخلاص ترفع الأعمال.

لو خلصت النّيّات، لزكت الأعمال.

من اخلص النّيّة، تنزّه عن الدّنيّة.

في اخلاص النّيّات نجاح الامور.

اخلص تنل.

من اخلص، بلغ الآمال.(١)

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: خطب رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم النّاس بمنى في حجّة الوداع في مسجد الخيف فحمد الله و أثنى عليه ثمّ قال: نضّر الله عبداً سمع مقالتي فوعاها ثمّ بلّغها من لم يسمعها، فربّ حامل فقه غير فقيه، و ربّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ثلاث لا يغلّ عليهنّ قلب امرئ مسلم: اخلاص العمل لله و النصيحة لائمّة المسلمين و اللّزوم لجماعتهم، فانّ دعوتهم محيطة من ورائهم، المسلمون اخوة تتكافأ دماؤهم يسعى بذّمتهم ادناهم و هم يد على من سواهم.(٢)

* عن الرضا عن آبائه عليهم السلام قال: قال أميرالمؤمنين عليه السلام: الدّنيا كلّها جهل إلّا مواضع العلم، و العلم كلّه حجّة إلّا ما عمل به، و العمل كلّه رباء إلّا ما كان مخلصا، و الاخلاص على خطر حتّى ينظر العبد بما يختم له.(٣)

* عن الرضا عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: ما اخلص عبد لله عزّوجلّ اربعين صباحاً إلّا جرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه.(٤)

* عن أبي عبدالله عليه السلام يقول: قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: ثلاث من كنّ فيه أو واحدة منهنّ كان في ظلّ عرش الله يوم لا ظلّ إلّا ظلّه: رجل اعطى النّاس من نفسه ما هو سائلهم لها، و رجل لم يقدّم رجلاً حتّى يعلم انّ ذلك لله رضاً أو يحبس، و رجل لم يعب اخاه المسلم بعيب حتّى ينفي ذلك العيب عن نفسه، فانّه لا ينتفي عنه عيب إلّا بدا له عيب، و كفى بالمرء شغلاً بنفسه عن النّاس.(٥)

١- ميزان الحكمة، ج ٣، باب الاخلاص، ص ٥٦ ـ ٦٨.

٢- بحار الانوار، ج ٦٧، ص ٢٤٢، باب ٥٤، ح ٨

٣- بحار الانوار، ج ٦٧، ص ٢٤٢، باب ٥٤، ح ٩.

٤- بحار الانوار، ج ٦٧، ص ٢٤٢، باب ٥٤، ح ١٠.

٥- بحار الانوار، ج ٦٧، ص ٢٤٣، باب ٥٤، ح ١١.

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: انّ المؤمن ليخشع له كلّ شيء و يهابه كلّ شيء ثمّ قال: إذا كان مخلصاً لله أخاف الله منه كلّ شيء حتّى هوامّ الأرض و سباعها و طير السماء.[۱]

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: من أحبّ لله و أبغض لله و أعطى لله و منع لله، فهو ممّن يكمل إيمانه.[۲]

* قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: خرج ثلاث نفر يسيحون في الأرض فبيناهم يعبدون الله في كهف في قلّة جبل حتّى بدت صخرة من أعلى الجبل حتّى التقمت باب الكهف، فقال بعضهم لبعض: عبادالله و الله ما ينجّيكم ممّا وقعتم إلّا أن تصدّقوا الله فهلمّ ما عملتم لله خالصاً فانّما ابتليتم بالذنوب، فقال أحدهم: اللّهمّ ان كنت تعلم انّى طلبت امرأة لحسنها و جمالها، فأعطيت فيها مالاً ضخماً حتّى إذا قدرت عليها و جلست منها مجلس الرجل من المراة، ذكرت النار فقمت عنها فَرِقاً منك، اللّهم فادفع عنّا هذه الصخرة، فانصدعت حتّى نظرواالصدع، ثمّ قال الآخر: اللّهم ان كنت تعلم انّى استأجرت قوماً يحرثون، كلّ رجل منهم بنصف درهم، فلمّا فرغوا أعطيتهم أُجورهم، فقال أحدهم: قد عملت عمل اثنين و الله لا آخذ إلّا درهماً واحداً، و ترك ماله عندى، فبذرت بذلك النصف الدرهم في الأرض فأخرج الله من ذلك رزقاً و جاء صاحب النصف الدرهم فأراده فدفعت إليه ثمان عشرة آلاف فان كنت تعلم انّما فعلته مخالفة منك فادفع عنّا هذه الصخرة، قال: فانفجرت عنهم حتّى نظر بعضهم إلى بعض. ثم انّ الآخر قال: اللّهم ان كنت تعلم انّ أبي وامّى كانا نائمين فأتيتها بقعب من لبن فخفت -ان أضعه- أن تمجّ فيه هامة و كرهت أن اوقظهما من نومهما فيشقّ ذلك عليهما، فلم أزل كذلك حتّى استيقظا و شربا، اللّهم ان كنت تعلم انّى كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فادفع عنّا هذه الصخره، فانفجرت لهم طريقهم، ثم قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: من

۱- بحار الانوار، ج ٦٧، ص ٢٤٨، باب ٥٤، ح ٢١.

۲- بحار الانوار، ج ٦٧، ص ٢٤٨، باب ٥٤، ح ٢٢.

صدق الله نجا.[١]

* عن المفضّل بن صالح قال: قال لى مولاى الصادق عليه السلام: يا مفضّل انّ لله تعالى عباداً عاملوه بخالص من سرّه، فقابلهم بخالص من برّه، فهم الّذين تمرّ صحفهم يوم القيمة فارغاً فاذا وقفوا بين يديه ملأها لهم من سرّ ما أسرّوا اليه، فقلت: و كيف ذاك يا مولاى؟ فقال: أجلّهم ان تطّلع الحفظة على ما بينه و بينهم.[٢]

* قال الصادق عليه السلام: الاخلاص يجمع حواصل الأعمال، و هو معنى مفتاحه القبول، و توقيعه الرضا، فمن تقبّل الله منه و رضى عنه فهو المخلص و ان قلّ عمله، و من لا يتقبّل الله منه فليس بمخلص و ان كثر عمله، اعتباراً بآدم عليه السلام و إبليس، و علامة القبول وجود الاستقامة ببذل كلّ المحابّ مع إصابة علم كلّ حركة و سكون، فالمخلص ذائب روحه بازل مهجته، في تقويم ما به العلم و الأعمال، و العامل و المعمول بالعمل، لأنّه إذا أدرك ذلك فقد أدرك الكلّ، و إذا فاته ذلك فاته الكلّ و هو تصفية معانى التنزيه في التوحيد كما قال الأوّل: هلك العاملون ألّا العابدون و هلك العابدون إلّا العالمون و هلك العالمون إلّا الصادقون و هلك الصادقون إلّا المخلصون و هلك المخلصون إلّا المتّقون و هلك المتّقون إلّا الموقنون و إنّ الموقنين لعلى خطر عظيم، قال الله لنبيّه صلّى الله عليه و آله و سلّم: و اعبد ربّك حتّى يأتيك اليقين، و أدنى حدّ الاخلاص بذل العبد طاقته ثمّ لا يجعل لعمله عند الله قدراً فيوجب به على ربّه مكافاة بعمله، لعلمه أنّه لو طالبه بوفاء حقّ العبوديّة لعجز، و أدنى مقام المخلص في الدنيا السلامة من جميع الآثام، و في الآخرة النجاة من النار و الفوز بالجنّة.[٣]

* عن النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم قال: من أخلص لله اربعين يوماً فجّر الله ينابيع الحكمة من قلبه على

١- بحار الانوار، ج ٦٧، ص ٢٤٤، باب ٥٤، ح ١٧.

٢- بحار الانوار، ج ٦٧، ص ٢٥٢، باب ٥٥، ح ٧. ٣- بحار الانوار، ج ٦٧، ص ٢٤٥، باب ٥٤، ح ١٨.

لسانه.[١]

* عن أبي جعفر الجواد عليه السلام قال: أفضل العبادة الاخلاص.[٢]

* عن الصادق عليه السلام قال: ما أنعم الله عزّ وجلّ على عبد أجلّ من أن لا يكون في قلبه مع الله عزّ وجلّ غيره.[٣]

* عن سيّدة النساء صلوات الله عليها قالت: من أصعد إلى الله خالص عبادته أهبط الله عزّ وجلّ إليه أفضل مصلحته.[٤]

* عن العسكري عليه السلام قال: لو جعلت الدّنيا كلّها لقمة واحدة ثم لقّمتها من يعبد الله خالصاً لرأيت أنّي مقصّر في حقه، و لو منعت الكافر منها حتّى يموت جوعاً و عطشاً ثم أذقته شربة من الماء لرأيت أنّي قد أسرفت.[٥]

* و كان عيسى عليه السلام يقول للحواريين: إذا كان صوم أحدكم فليدهن رأسه و لحيته و يمسح شفتيه بالزيت لئلّا يرى النّاس أنّه صائم، و إذا أعصى بيمينه فليخف عن شماله، و إذا صلّى فليرخ ستر بابه فانّ الله يقسّم الثناء كما يقسّم الرزق.[٦]

* عن الصادق عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم: أعظم العبادة أجراً أخفاها.[٧]

١- بحار الانوار، ج ٦٧، ص ٢٤٩، باب ٥٤، ح ٢٥.

٢- بحار الانوار، ج ٦٧، ص ٢٤٩، باب ٥٤، ذيل ح ٢٥.

٣- بحار الانوار، ج ٦٧، ص ٢٤٩، باب ٥٤، ذيل ح ٢٥.

٤- بحار الانوار، ج ٦٧، ص ٢٤٩، باب ٥٤، ذيل ح ٢٥.

٥- بحار الانوار، ج ٦٧، ص ٢٥٠، باب ٥٤، ذيل ح ٢٥.

٦- بحار الانوار، ج ٦٧، ص ٢٥٠، باب ٥٤، ذيل ح ٢٥.

٧- بحار الانوار، ج ٦٧، ص ٢٥١، باب ٥٥، ح ١.

* أوحى الله إلى نبيّ من أنبيائه: و انّ العمل الصالح إذا كتمه العبد و أخفاه أبي الله عزّ و جلّ إلّا أن يظهره ليزيّنه به مع ما يدخّره له من ثواب الآخرة.(١)

* عن عبّاس بن هلال قال: سمعت الرضا عليه السلام يقول: المستتر بالحسنة تعدل سبعين حسنة، و المذيع بالسيّئة مخذول، و المستتر بالسيّئة مغفور له.(٢)

* قال عليّ بن أبيطالب عليه السلام: من كنوز الجنّة إخفاء العمل و الصّبر على الرزايا و كتمان المصائب.(٣)

* عن الرضا عليه السلام قال: من شهر نفسه بالعبادة فاتّهموه على دينه فانّ الله عزّ و جلّ يبغض شهرة العبادة و شهرة اللباس.(٤)

* قال أميرالمؤمنين عليه السلام: .... طوبى لمن اخلص لله عمله و علمه و حبّه و بغضه و اخذه و تركه و كلامه و صمته و فعله و قوله.(٥)

* قال أميرالمؤمنين عليه السلام: .... تصفية العمل خير من العمل.(٦)

* قال أميرالمؤمنين عليه السلام: .... تصفية العمل أشدّ من العمل، و تخليص النيّة عن الفساد أشدّ على العاملين من طول الجهاد.(٧)

* فيما ناجى الله تعالى موسى: يا موسى ما اريد به وجهي فكثير قليله و ما اريد به غيري

١- بحار الانوار، ج ٦٧، ص ٢٥١، باب ٥٥، ذيل ح ١.

٢- بحار الانوار، ج ٦٧، ص ٢٥١، باب ٥٥، ح ٢. ٣- بحار الانوار، ج ٦٧، ص ٢٥١، باب ٥٥، ح ٣.

٤- بحار الانوار، ج ٦٧، ص ٢٥١، باب ٥٥، ح ٥.

٥- بحار الانوار، ج ٧٤، ص ٢٩١، باب ١٤، ذيل ح ١.

٦- بحار الانوار، ج ٧٥، ص ٩٠، باب ١٦، ذيل ح ٩٥.

٧- بحار الانوار، ج ٧٤، ص ٢٨٨، باب ١٤، ذيل ح ١.

فقليل كثيره.[١]

* قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم (مخاطباً لابن مسعود): يا ابن مسعود إذا عملت عملاً فاعمل لله خالصاً لانّه لا يقبل من عباده الاعمال إلّا ما كان خالصاً فانّه يقول ﴿و ما لأحد عنده من نعمة تجزى إلّا ابتغاء وجه ربّه الاعلى و لسوف يرضى﴾.[٢]

* قال النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم: انّ لكلّ حقّ حقيقة، و ما بلغ عبد حقيقة الاخلاص حتّى لا يحبّ أن يحمد على شيء من عمل لله.[٣]

* قال علي عليه السلام: إنّ لله عباداً عاملوه بخالص من سرّه، فشكر لهم بخالص من شكره، فاولئك تمرّ صحفهم يوم القيامة فُرّغا، فاذا وقفوا بين يديه ملأها لهم من سرّ ما أسرّوا اليه.[٤]

* قال الباقر عليه السلام: يا جابر.... و ادفع عن نفسك حاضر الشرّ بحاضر العلم، و استعمل حاضر العلم بخالص العمل، و تحرّز في خالص العمل من عظيم الغفلة بشدّة التيقّظ، و استجلب شدّة التيقّظ بصدق الخوف.[٥]

* قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: .... أيّها النّاس انّه من لقى الله عزّوجلّ يشهد أن لا اله إلّا الله مخلصاً لم يخلط معها غيرها دخل الجنّة، فقام عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه فقال: يا رسول الله بأبي انت و أُمّي، و كيف يقولها مخلصاً لا يخلط معها غيرها؟ فسّر لنا هذا حتّى نعرفه، فقال: نعم، حرصاً على الدّنيا و جمعاً لها من غير حلّها و رضىً بها، و أقوام يقولون اقاويل الاخيار و يعملون اعمال الجبابرة فمن لقى الله عزّوجلّ و ليس فيه شيء من هذه

١- بحار الانوار، ج ٧٤، ص ٣٦، باب ٢، ذيل ح ٧. ٢- بحار الانوار، ج ٧٤، ص ١٠٣، باب ٥، ذيل ح ١.

٣- بحار الانوار، ج ٦٩، ص ٣٠٤، باب ١١٦، ذيل ح ٥١.

٤- بحار الانوار، ج ٧٥، ص ٦٤، باب ١٦، ح ١٥٦.

٥- بحار الانوار، ج ٧٥، ص ١٦٣، باب ٢٢، ذيل ح ١.

الخصال، و هو يقول لا اله إلّا الله، فله الجنّة فان أخذ الدّنيا و ترك الآخرة فله النار.[١]

* قال رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم: قال الله عزّوجلّ لا أطّلع على قلب عبد فأعلم منه حبّ الاخلاص لطاعتى لوجهى و ابتغاء مرضاتى إلّا تولّيت تقويمه و سياسته، و من اشتغل في صلاته بغيرى فهو من المستهزئين بنفسه و مكتوب اسمه في ديوان الخاسرين.[٢]

* قال على بن الحسين عليه السلام:.... فأمّا حقّ الله الأكبر عليك فان تعبده لا تشرك به شيئاً، فاذا فعلت ذلك باخلاص جعل لك على نفسه ان يكفيك أمر الدّنيا و الآخرة.[٣]

* في وصيّة أبي الحسن موسى عليه السلام لهشام بن الحكم: يا هشام انّ المسيح عليه السلام قال للحواريّين:.... يا عبيد السّوء نقّوا القمح و طيّبوه و ادقّوا طحنه تجدوا طعمه و يهنئكم أكله، كذلك فأخلصوا الايمان و أكملوه تجدوا حلاوته و ينفعكم غبّه.[٤]

* قال على عليه السلام:.... تمام الاخلاص تجنّب المعاصى.[٥]

* في دعاء لعلىّ بن الحسين عليه السلام: اللّهم صلّ على محمّد و آل محمّد و اجعلنا ممّن جاسوا خلال الديار الظالمين و استوحشوا من مؤانسة الجاهلين و سموا إلى العلوّ الاخلاص.[٦]

١- بحار الانوار، ج ٧٣، ص ٣٦٠، باب ٦٧، ذيل ح ٣٠.

٢- بحار الانوار، ج ٨٢، ص ١٣٦، باب ٢٧، ذيل ح ١٦.

٣- بحار الانوار، ج ٧١، ص ٣، باب ١، ذيل ح ١.

٤- بحار الانوار، ج ٧٥، ص ٣٠٧، باب ٢٥، ذيل ح ١.

٥- بحار الانوار، ج ٧٤، ص ٢١٣، باب ٨، ذيل ح ١.

٦- بحار الانوار، ج ٩١، ص ١٢٦، باب ٣٢، ذيل ح ١٩.

الرّذيلة التّاسعة و العشرون: الرّياء و السمعة

الرّياء من الرّؤية، و السّمعة من السّماع، و المراد منهما في هذا العلم طلب الرفعة عند النّاس بما يعرض عليهم من الأفعال و الأقوال حيث يُخيّل إليهم أنّه لايعمل إلّا لله، فله منزلةٌ عاليةٌ عنده تعالى و من المعلوم انّ ذلك يتوقّف على القصد و النيّة و ذلك القصد قد يكون ملكة و هو المراد هنا و قد لا يكون ملكة و هو و ان كان من المحرّمات الكبيرة عقلاً و شرعاً إلّا انّه ليس مورد البحث هنا.

فالبحث فعلاً في الرّياء و السمعة اللّذَين ينشئان من الملكة.

و تلك الرذيلة كسائر الملكات مقولة بالتشكيك و المرتبة الضعيفة منها خدعةً بعرض خير الخصال عليهم مع الاعتقاد بالمبدأ الواحد الأحد و بالمعاد. فهو مع عقد القلب على معتقدات المسلمين يعمل الخيرات رياءً و سمعة و يطلب بذلك منزلةً عند النّاس و هذا هو موضوع البحث و عليه يترتّب الذّنب العظيم الّذي هو في حدّ الكفر بالله تعالى و بطلان العمل اجماعاً من الاعلام. و ما يترائى من المرتضى من ذهابه إلى صحّة العمل مع عدم الثواب عليه مضافاً إلى كونه خرق الاجماع فلا يُلتفت إليه، لا يُعبأ به لأنّه كلام مجمل لا يُعلم مراده.

قال الله تعالى: ﴿لا تبطلوا صدقاتكم بالمنّ و الأذى كالّذى ينفق ماله رئاء النّاس و لا

يؤمن بالله و اليوم الاخر﴾.[1]

و قال تعالى: ﴿و الّذين ينفقون اموالهم رئآء النّاس و لا يؤمنون بالله و لا باليوم الاخر و من يكن الشيطان له قريناً فساء قريناً﴾.[2]

و قال تعالى: ﴿فويل للمصلّين * الّذين هم عن صلاتهم ساهون * الّذين هم يرائون * و يمنعون الماعون﴾.[3]

و هذه المرتبة ايضاً مقولة بالتشكيك و هي على ثلاثة اقسام و ان شئت قلت على ثلاث مراتب :

الف: ان يأتى بالعمل لله تعالى و لكن المحرّك و الدّاعى هو طلب المنزلة في قلوب النّاس باراءة العمل عليهم أو اسماعه لهم فهى من باب الدّاعى على الدّاعى، فالدّاعى هو الرّئاء و السمعة لا اصل العمل.

و لمّا كان هذا العمل مصداق الرّئاء و السمعة عرفاً، فهو المنهىّ عنه في الآيات و الرّوايات السالف ذكرها آنفاً، ففيه مضافاً إلى فساده، ذنب عظيم.

و ادّعاء انّ هذا ليس مصداقاً للآيات و الروايات ضعيف جدّاً بل يمكن ان يدّعى انّ هذه المرتبة هي الشائعة عند المرائيّين فهو الفرد الأجلى من الرئاء، و غيرها من المراتب غير شائعةٍ عندهم.

ب: ان يأتى بالعمل لله تعالى و للنّاس، فهو مع انّه يأتى بالعمل لاسقاط التكليف و التقرّب إلى الله تعالى، ينوى به التقرّب إلى النّاس ايضاً فالعمل فاسد و صاحبه مشرك، و في كثيرٍ من الروايات عُدَّ هذا العامل مشركاً منها قول أبي جعفر عليه السلام: لو انّ عبداً عمل عملاً يطلب به وجه الله عزّوجلّ و الدّار الآخرة فادخل فيه رضى احدٍ من النّاس كان مشركاً.[4]

۱- البقره / ۲٦٤.   ۲- النساء / ۳۸.   ۳- الماعون / ٤ - ۷.

٤- بحار الانوار، ج ٦۹، ص ۲۹۷، باب ۱۱٦، ح ۲۸.

ج: ان يأتى بالعمل للتقرّب إلى النّاس و رضاهم من غير دخلٍ للقرب إلى الله فيه فالعامل كافرٌ كما قد عُدَّ في جملةٍ من النصوص منهم، منها قول الصادق عليه السلام عن ابيه عليه السلام: انّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سئل فيما النّجاة غداً؟ قال: انّما النّجاة في ان لا تخادعوا الله فيخدعكم، فانّه من يخادع الله يخدعه و يخلع منه الايمان و نفسه يخدع لو يشعر، فقيل له: و كيف يخادع الله؟ قال: يعمل بما أمر الله به ثمّ يريد به غيره فاتّقوا الله و اجتنبوا الرّياء فانّه شرك بالله، انّ المرائى يدعى يوم القيامة باربعة اسماء: يا كافر، يا فاجر، يا غادر، يا خاسر حبط عملك و بطل اجرك و لا خلاق لك اليوم فالتمس اجرك ممّن كنت تعمل له.[١]

و قد أشرنا إلى اطلاق المشرك على هذا العامل أيضاً في عدّةٍ من الروايات، كما في هذا الحديث الشريف.

فهو كافر لانّه لم يرد الله تعالى بل اراد غيره من المخلوقين و مشرك لانّه كمن يعبد الاصنام، و عبدة الاصنام مشركون لأنّهم أرادوا قرب الله تعالى و لكنهم بما جعلوا الاصنام وسيلة لهم فقد أشركوا في عملهم، كما يُشاهد في هذا العامل.

و أمّا المرتبة الوسطى من الرّياء، فهى ان يخدع الله بان يريد القرب إليه تعالى بعمله مع انّه لم يكن له تعالى، و هذا حال كثير من النّاس بما يحكم عليهم الجهل المركّب.

سئل أميرالمؤمنين عليه السلام عن عظيم الشقاق، قال: رجل ترك الدّنيا للدّنيا ففاتته الدّنيا و خسر الآخرة، و رجل تعبّد و اجتهد و صام رئاء النّاس فذلك الّذي حرم لذّات الدّنيا و لحقه التعب الّذي لو كان به مخلصاً لاستحقّ ثوابه، فورد الآخرة و هو يظنّ انّه قد عمل ما يثقل به ميزانه فيجده هباءً منثوراً.[٢]

و قال الله تعالى: ﴿قل هل ننبّئكم بالاخسرين اعمالاً * الّذين ضلّ سعيهم في الحيوة الدّنيا

١- بحار الانوار، ج ٦٩، ص ٢٩٥، باب ١١٦، ح ١٩.

٢- بحار الانوار، ج ٦٩، ص ٣٠٠، ح ٣٨، باب ١٦.

و هم يحسبون انّهم يحسنون صنعاً﴾.[١]

بل كثير من النّاس يخدعون الله مع علمهم بقبيح خداع الله، نعوذ بالله من الرّذائل، و لا تتوهّم انّه غير سائغ في الناس، لاتّفاق الوحي و الحديث على الإخبار عن شيوعه فيهم.

قال تعالى: ﴿يوم يبعثهم الله جميعاً فيحلفون له كما يحلفون لكم و يحسبون انّهم على شيءٍ اَ لا انّهم هم الكاذبون﴾.[٢]

و سئل عن رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم فيما النّجاة غداً؟ قال: انّما النّجاة ان لا تخادعوا الله فيخدكم.... فقيل له كيف يخادع الله تعالى؟ قال: يعمل بما أمر الله به ثمّ يريد به غيره فاتّقوا الله و اجتنبوا الرّياء.[٣]

و السرّ في ذلك انّ الرّذيلة ـ أيّ رذيلة كانت ـ تستقرّ في النّفس بعد رسوخها فيها فتصير ستراً و حجاباً لنفس الامر و الواقع فهو صمّ بكم عمي لايتعقّل و لا يدرك الواقع بل يعمل على شاكلته فالكذّاب يكذب مع علمه بانّ مخاطبه يعلم انّه يكذب، و المرائى يعمل مع علمه بانّ الله تعالى يعلم حاله، و الظّالم يرى نفسه محقّاً مع علمه بانّ النّاس يعلمون عدم استحقاقه و هكذا في غيرها من الرذائل.

قال تعالى: ﴿افرأيت من اتّخذ الهه هواه و اضلّه الله على علم و ختم على سمعه و قلبه و جعل على بصره غشاوة﴾.[٤]

و قال تعالى: ﴿و لقد ذرأنا لجهنّم كثيراً من الجنّ و الانس لهم قلوب لا يفقهون بها و لهم اعين لا يبصرون بها و لهم آذان لا يسمعون بها اولئك كالأنعام بل هم اضلّ اولئك هم الغافلون﴾.[٥]

١- الكهف / ١٠٤، ١٠٣.
٢- مجادلة / ١٨.
٣- بحار الانوار، ج ٦٩، ص ٢٩٥، باب ١١٦، ح ١٩.
٤- الجاثية / ٢٣.
٥- الاعراف / ١٧٩.

و أمّا المرتبة الشديدة من الرّئاء فهو النّفاق و هو ان يتظاهر بالايمان حالكونه يعمل لغير الله طلباً للمنزلة في قلوب النّاس و هو اسوء حالاً من الكافر.

قال تعالى: ﴿انّ المنافقين في الدّرك الاسفل من النّار﴾.[1]

و هم الّذين انزل الله فيهم آيات في اوّل سورة البقرة و يظهر من تلك الآيات انّ المنافق اسوء حالاً و اضرّ وجوداً من الكافر و انزل الله فيهم سورة سمّيت بالمنافقين كما قد انزل الله تعالى في مطاوى القرآن آيات كثيرة أخرى فيهم و من تلك الآيات ما يدلّ على انّهم يخادعون الله و الّذين آمنوا و ذلك برئائهم في أعمالهم.

قال تعالى: ﴿انّ المنافقين يخادعون الله و هو خادعهم و إذا قاموا إلى الصّلوة قاموا كسالى يرائون النّاس و لا يذكرون الله إلّا قليلاً * مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء و لاهؤلاء و من يضلل الله فلن تجد له سبيلاً﴾.[2]

و قال الله تعالى: ﴿و لا تكونوا كالّذين خرجوا من ديارهم بطراً و رئاء النّاس و يصدّون عن سبيل الله و الله بما يعملون محيط﴾.[3]

و ما أصاب الإسلام من المنافقين و يصيب منهم هو اضرّ ممّا نال و ينال من الكافرين و المشركين كما يُشاهد في عصرنا هذا.

انّا لله و انّا إليه راجعون، كتبت هذه الاسطر في الساعة الأخيرة من يوم العاشر لمحرّم سنة ١٤١٥ و تبهت فيها على أنّ النفاق و المنافقين أشدّ خطراً على الإسلام من الكفّار و المشركين فاذاً بالتلفزة القوميّة اذاعت خبراً عمّا قام به منافقٌ من انفجار قنبلةٍ قرب ضريح ثامن الحجج المقدّس سلام الله عليه، حيث قتل أزيد من عشرين زائراً كما قد جرح منهم ما يقرب من مأتي نفس أو أريد، فيا للإنسان إذا غلب عليه الشقاء و تمكّن في نفسه الرذائل يقوم بما يحذر منه السباع.

١- النّساء / ١٤٥.　　٢- النّساء / ١٤٢، ١٤٣.　　٣- الانفال / ٤٧.

فالإنسان لو غلب عليه رذيلة يهبط إلى أسفل الدرجات فيقتل وليّ الله في بيت الله قربة إلى الله و يقتل اولياء الله في حرم الامام يوم العاشوراء بلا جرم و ذنب بما يخيّل إليه الشيطان، حيث كان له قريناً فيتمكّن من خداعه.

اللّهمّ بحقّ صاحب يوم العاشور و بحقّ صاحب تلك الروضة الشريفة و بحقّ اولئك الشّهداء الّذين استُشهِدوا فيها، خذ المنافقين اخذ عزيز مقتدر و سلّط عليهم من لا يرحمهم و افضحهم و استشف قلوبنا بقتلهم و قصاصهم سريعاً عاجلاً انشاء الله.

تنبيهات

التنبيه الاول: قد اشتهر انّ الرثاء باعتبار الحكم ينقسم باقسام خمسة، و هي الحرام و المكروه و المباح و المستحبّ و الواجب.

أمّا الحرام، فقد مضى ذكره و هو طلب المنزلة في قلوب النّاس بعرضه عليهم عمل خير كالصّلوة واجبةً أو مستحبّةً و الانفاق كذلك، و هو الّذي سلب الوحيُ الايمانَ عن صاحبه ثمّ أخبر عن سوء ختامه بقوله فويلٌ....

قال تعالى: ﴿ارأيت الّذي يكذّب بالدّين.... فويل للمصلّين * الّذين هم عن صلوتهم ساهون * الّذين هم يرائون * و يمنعون الماعون﴾.[1]

و أمّا المكروه، فهو طلب المنزلة عند النّاس بعرض عمل مكروه عليهم كاظهار الفقر ـ سيّما مع غناه ـ قولاً أو عملاً بحسب ملبسه أو مسكنه أو نحو ذلك مع انّ الإسلام كتاباً و سنّةً نهى تنزيهاً عنه و أمر ندباً باظهار الغناء.

١- الماعون / ١ ـ ٧.

قال تعالى: ﴿يحسبهم الجاهل اغنياء من التّعفّف﴾.[١]

و قال تعالى: ﴿و أمّا بنعمة ربّك فحدّث﴾.[٢]

و في روايات كثيرة نهى تنزيهاً عن اظهار الذلّة و المسكنة و السؤال من غير احتياج بل استفادة الحرمة من بعضها ليس ببعيدٍ، فلذا اتّفق الاصحاب على عدم قبول شهادة السّائل بالكفّ.

و من المعلوم، انّ الحرمة فيما إذا كان اظهار المسكنة أو الذلّة و السؤال موجباً لذلّته و إلّا فليس بحرام و على كلّ حال انّ اظهار الفقر مكروه بلا اشكال إلّا ان يترتّب عليه عنوان آخر فيحرّمه أو يرجّحه، فراجع الروايات و اجمع بينها.

و أمّا المباح، فهو طلب المنزلة في قلوب النّاس بامر مباح كالفصاحة و البلاغة في الكلام سيّما إذا لم يكن فصيحاً بليغاً و التزيّن باللّباس و الدّار و نحو ذلك سيّما إذا لم يكن أهلاً لذلك التّجمّل فهو المرائى الّذي يريد طلب المنزلة بمثل هذه الأمور المباحة.

و أمّا المستحبّ من الرّئاء، فهو طلب المنزلة بعرض عمل مرغوب فيه عقلاً و شرعاً كالنّظافة و الخلق الحسن و نحوهما سيّما إذا كانتا على وجه التصنّع.

و أمّا الواجب من الرّئاء، فهو كالتّقيّة الّتي أمر بها الائمّة الطّاهرون عليهم السلام حتّى قال الصادق عليه السلام: لا دين لمن لا تقيّة له.[٣]

و ليست التقيّة إلّا عرض العمل مثل الصّلوة طبقاً لفتوى المخالفين و رأيهم طلباً للمنزلة عندهم و لو لعدم تعرّضهم له.

هذا خلاصة ما ذهب إليه الاصحاب من تقسيم الرّئاء باعتبار الاحكام، تقريراً و تحريراً و توضيحاً منّا،

و لكنّه للنّظر فيما اشتهر مجال واسع.

١- البقرة / ٢٧٣. ٢- الضّحىٰ / ١١. ٣- الكافي، ج ٢، ص ٢١٧، باب التقيّة، ح ٢.

لانّه اوّلاً: انّ مقسم الرّئاء في هذا التّقسيم هو الرّئاء اللّغوى لا الرّئاء المصطلح عليه في علم الأخلاق، و الرّئاء المصطلح عليه و هو ضدّ الاخلاص يختصّ بالخير قولاً و فعلاً و لا يأتى في الأمور المكروهة و المرغوبة فيها عقلاً و المباحة، بل يمكن ان يقال انّها بحسب الاصطلاح مختصّةٌ بالتّعبّديات المشروطة بقصد القربة.

فمن البعيد صدق الرئاء على التوصّليات الّتي لاتبطل بالرئاء فيها؛ فتأمّل.

و ثانياً: انّ هذا التقسيم تكون بحسب تعلّق الصّفة بحال متعلّق الموصوف لا بالموصوف يعنى انّ متعلّق الرّئاء يكون مكروهاً أو مباحاً أو مستحبّاً أو واجباً لا نفس الرّياء.

فالرّئاء في التّقيّة لا يكون بواجب بل الواجب هو الصّلوة طبقاً لفتوى المخالفين، و الرّئاء في النّظافة ليس بمستحبّ بل النّظافة نفسها خلوة أو جلوة تكون مرغوباً فيها عقلاً و شرعاً.

و الرّئاء في التّعفّف ليس بمستحبّ و كذلك الرّياء في الفقر ليس بمكروه بل التّعفّف مرغوب فيه و الذّلّة مرغوب عنه.

و الرّئاء في التّلبّس و التّزيّن ليس بمباح بل المباح هو التّلبّس بالبسة فاخرة و التّزيّن بما يكون زينة.

فالرّئاء في غير العبادات لا يكون له حكم اصلاً بل انّه وسيلة لطلب المنزلة عند الناس، و طلب المنزلة ليس بواجب و لا بمستحبّ و لا بمكروه بل هو مباح كطلب المال إلّا ان يترتّب عليه عنوان آخر خارج عن محلّ الكلام.

و بالجملة، انّ تقسيم الرّئاء باعتبار الاحكام الخمسة بالواجب و المندوب و المباح و المكروه و الحرام ليس له وجه، و لعلّ من أبدى هذا التقسيم نظر إلى متعلّق الرّئاء لا إلى نفس الرّئاء.

التنبيه الثانى: قد اشتهر انّ الرّئاء قد يكون بالقول كتغليظ الألفاظ في الصّلوة و كالمداومة على الأذكار المندوبة بمرئى النّاس أو الامر بالمعروف و النّهى عن المنكر عندهم،

فلا اشكال في حرمة ذلك و فساد العمل.

و قد يكون في العمل كطول الرّكوع و السّجود و اطعام الفقراء و الانفاق عليهم، فلا اشكال في فساد العمل و حرمته.

و قد يكون في البدن كصفر اللّون و خفض الجناح و طول اللّحية و نحو ذلك و كالتّخشّع و التّأدّب في الصّلوة، فلا اشكال في حرمته و فساد العمل أيضاً.

و قد يكون في الزّيّ كلبس البسة محقّرة و التّعمّم و التّحنّك و نحو ذلك، فلا اشكال في الحرمة كما انّ الظّاهر فساد العمل لرجوع ذلك إلى الوصف للصّلوة فيسرى الرّئاءالصّلوة.

و قد يكون في الاعمال الخارجة عن العمل كالصّلوة في اوّل الوقت أو في المسجد أو في الجماعة و نحو ذلك، فلا اشكال في حرمة العمل و بطلان الصّلوة لرجوع ذلك كلّه إلى وصف العمل.

نعم، لو كان الرّئاء في مقدّمات العمل أو بعد العمل فهو حرام قطعاً إلّا انّه لا يوجب فساد العمل بمعنى لزوم الاعادة أو القضاء عليه، إلّا انّه يظهر من القرآن و بعض الرّوايات بطلان العمل كالمنّ و الأذى بعد العمل، بمعنى عدم ترتّب الثواب عليه بل لايبعد ترتّب العقاب عليه كذلك.

قال تعالى: **﴿لا تبطلوا صدقاتكم بالمنّ و الأذى كالّذى ينفق ماله رئآء النّاس و لا يؤمن بالله و اليوم الاخر﴾**.[1]

و عن أبي جعفر عليه السلام انّه قال: الابقاء على العمل اشدّ من العمل، قال: و ما الابقاء على العمل؟ قال: يصل الرّجل بصلة و ينفق نفقة لله وحده لا شريك له فكتب له سرّاً ثمّ يذكرها فتمحى فتكتب له علانية ثمّ يذكرها فتحمى و تكتب له رياءً.[2]

قال العلّامة المجلسى قدس سره في مرآت العقول مذيّلاً على هذه الرّواية: أي: تبطل ثوابه بل

١- البقرة / ٢٦٤.
٢- الكافي، ج ٢، ص ٢٩٦، باب الرياء، ح ١٦.

يعاقب عليه، و كذا في البحار في ذيل الرّواية.[١]

و هذا من موارد الحبط الّذي اتّفق عليه الآيات و الرّوايات بل ادّعى العلّامة المجلسى في البحار تواتر الرّوايات عليه.[٢]

التنبيه الثالث: مسئلة الحبط و التّكفير مسئلة كلاميّة مفصّلة خارجة عن هذا البحث إلّا انّه لا بأس بالتعرض لها على نحو الايجاز.

اشتهر بين المتكلّمين من الاماميّة بطلان الحبط و التّكفير، بمعنى بطلان عملٍ بعملٍ آخر من العقاب أو الثّواب فهذا لا يجوز عندهم عقلاً و شرعاً.

قال الخواجه نصير الدّين في التّجريد في بحث المعاد: و الاحباط باطل لاستلزامه الظّلم و لقوله تعالى: فمن يعمل مثقال ذرّة خيراً يره.[٣]

و مراده من استلزام الظّلم، انّ الحبط يستلزم ان يكون المطيع بعد العصيان كالعاصى الّذي لم يطع الله اصلاً و هذا ظلم.

و فيه، انّه لو فرضنا انّ العصيان كالنّار الّتي تحرق المال و كالسّيل الّذي يهدم البناء فالمطيع بعد العصيان يكون بلا مال و بلا بناء فهو يساوى المعدم و هذا ليس بظلم اصلاً.

و بهذا يجاب عن الآية الشّريفة لانّ المثاب يرى يوم القيامة ثواب عمله مادام العمل له باقياً بل يظهر من الآية الشريفة انّه يرى نفس ما يعمل، لا جزائه و هذا من باب تجسّم العمل الّذي مرّ الكلام فيه سابقاً و أمّا لو عصى و احبط ما عمله فليس له عمل حتّى يراه.

و العجب انّ هذا المحقّق الّذي يُعدّ مفخر الشّيعة ذهب قبل هذا الفصل بجواز الموافات، بانّ نيل الثواب على عمل مشروط بعدم وقوع معصية بعده كما أنّ نيل العقاب عليه

١- بحار الانوار، ج ٦٩، ص ٢٩٢، باب ١١٦، ذيل ح ١٦.

٢- بحار الانوار، ج ٥، ص ٣٣٤، باب ١٨.

٣- شرح التّجريد للعلّامة، ص ٣٢٧، ط المصطفوى قم.

مشروط بعدم وقوعها بعدها.

قال: و يجوز توقّف الثّواب على شرط و إلّا لاثيب العارف بالله تعالى خاصّة و هو مشروط بالموافاة لقوله تعالى: ﴿لئن اشركت ليحبطنّ عملك﴾ و قوله تعالى: ﴿و من يرتدّ منكم عن دينه﴾.[١]

و فيه، انّه يرد عليه نفس ما يرد على الحبط و التّكفير طابق النّعل بالنّعل.

و لقد اجاد العلّامة المجلسي‌ﷺ موجزاً في المجلّد الخامس و مفصّلاً في المجلّد الثّامن و السّتّين من البحار، حيث استفاد مغزى الحقّ الحقيق بالتصديق من الآيات و الرّوايات بعد جعل كلام النصير و غيره من المتكلّمين من النزاع اللّفظي فراجع و تأمّل.[٢]

و لقد افاد سيّدنا الاستاذﷺ في الميزان في المقام ما هو فوق المراد فراجع.[٣]

اقول: يظهر من القرآن الكريم ظهوراً لايقبل التّأويل و من الرّوايات الّتي ادّعى حامل روايات أهل البيت ـ العلّامة المجلسي ـ تواترها: انّ بعض الحسنات يُكفّر بعض السّيّئات و انّ بعض السّيّئات يُحبط بعض الحسنات.

فالحبط و التّكفير في الجملة على نحو القضايا المهملة و على نحو القضايا الحقيقيّة لا بالجملة كانّهما من ضروريّات القرآن و الرّوايات و نحن هيهنا نشير إلى بعض تلك الموارد.

و قبل ذلك ينبعى ان نشير إلى قانون يستظهر من القرآن و روايات أهل البيت عليهم السلام و هو تأثير اعمال العباد الصالحة و الطالحة تأثيراً بيّناً في انفسهم تارة و في مجتمعهم سيّما في اقربائهم أخرى و من اظهر الآيات في ذلك قوله تعالى: ﴿من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى و هو مؤمن فلنحيينّه حيوة طيّبة»[٤] و قوله تعالى: ﴿و لو انّ أهل القرى آمنوا و اتّقوا لفتحنا

١- شرح التجريد للعلّامة، ط المصطفوى قم، ص ٣٢٦، آخر المسئلة السّادسة من مسائل المعاد.

٢- بحار الانوار، ج ٥، ص ٣٣٢ - ٣٣٤، و ج ٦٨، ص ١٩٧ - ٢٠٣.

٣- الميزان، ج ٢، ص ١٦٧ - ١٩١.

٤- النّحل / ٩٧.

عليهم بركات من السّماء و الأرض و لكن كذّبوا فاخذناهم بما كانوا يكسبون»[1] و قوله تعالى: ﴿ظهر الفساد في البرّ و البحر بما كسبت ايدى النّاس﴾.[2]

و في تجسّم العمل ثالثة و في كون الاعمال نعماً في الجنّة و نقماً في السّقر رابعة.

و في آيات كثيرة دلالة على الوجهين ايضاً و من أظهرها:

قوله تعالى: ﴿يوم تجد كلّ نفس ما عملت من خير محضراً و ما عملت من سوء تودّ لو انّ بينها و بينه امداً بعيداً و يحذّركم الله نفسه و الله رؤف بالعباد﴾.[3]

و قوله تعالى: ﴿كلوا و اشربوا هنيئاً بما اسلفتم في الايّام الخالية﴾.[4]

و قوله تعالى في موارد عدّة بعد ذكر نقمات السّعير: ﴿ذلك بما قدّمت ايديكم و انّ الله ليس بظلّام للعبيد﴾.[5]

و جملة القول انّ لاعمالنا من الاقوال و الافعال و الافكار أثراً هامّاً في انفسنا من حيث السّعادة و الشّقاوة، ان خيراً فخيراً و ان شرّاً فشرّاً و في مجتمعنا كذلك، هذا بحسب الدّنيا.

و في الآخرة لها تأثير في تجسّمها و ظهورها لنا أو علينا و في كونها مصوّراً لحيٰوتنا الاخرويّة فان كانت خيراً فهى نعم لنا و ان كانت شرّاً فهى عذاب اليم.

إذا تقرّر هذا فنقول: يظهر من القرآن الكريم و روايات أهل البيت عليهم السلام وجود الحبط و التّكفير في كلّ نشأة من النّشآت الاربعة.

أمّا نشأة النّفس، فقال الله تعالى: ﴿الله وليّ الّذين آمنوا يخرجهم من الظّلمات النّور و الّذين كفروا اوليائهم الطّاغوت يخرجونهم من النّور إلى الظّلمات﴾.[6]

فترى انّ الآية الشريفة و نظائرها الكثيرة تدلّ على انّ الله تعالى كما يمحق الباطل و يحقّ الحقّ، يمحو ما يشاء و يثبت ما يشاء.

١- الاعراف / ٩٦. ٢- الرّوم / ٤١. ٣- آل عمران / ٣٠. ٤- الحاقّة / ٢٤.

٥- آل عمران / ١٨٢ و الانفال / ٥١. ٦- البقرة / ٢٥٧.

قال تعالى: ﴿و يمح الله الباطل و يحقّ الحقّ﴾.[١]

و قال تعالى: ﴿يمحوا الله ما يشاء و يثبت﴾.[٢]

فكذلك يكفّر الظّلمات بالنّور و يحبط النّور بالظّلمات و يخرج المؤمن من الظّلمات النّور و يخرج الكافر و الفاسق من النّور إلى الظّلمات.

و أمّا نشأة الحيوة الجماعيّة فقد دلّت آيات كثيرة على الحبط و التّكفير فيها و منها:

ثوله تعالى: ﴿و ضرب الله مثلاً قرية كانت امنة مطمئنّة يأتيها رزقها رغداً من كلّ مكان فكفرت بانعم الله فاذاقها الله لباس الجوع و الخوف بما كانوا يصنعون﴾.[٣]

و قوله تعالى: ﴿و يا قوم استغفروا ربّكم ثمّ توبوا إليه يرسل السّماء عليكم مدراراً و يزدكم قوّة إلى قوّتكم و لا تتولّوا مجرمين﴾.[٤]

و أمّا النّشأة البرزخيّة التّجسّميّة، و بعبارة أخرى نشأة بروز الاعمال الصّالحة أو الطّالحة و ظهورها فآيات الحبط و التّكفير الكثيرة واردة فيها و من تلك الآيات:

قوله تعالى: ﴿و الّذين آمنوا و عملوا الصّالحات لنكفّرنّ عنهم سيّئاتهم و لنجزينّهم احسن الّذي كانوا يعملون﴾.[٥]

و قوله تعالى: ﴿من كان يريد الحيٰوة الدّنيا و زينتها نوفّ إليهم اعمالهم فيها و هم فيها لا يبخسون * اولئك الّذين ليس لهم في الآخرة إلّا النّار و حبط ما صنعوا فيها و باطل ما كانوا يعملون﴾.[٦]

و أمّا نشأة الجنّة و النّار فبالضّرورة إذا حبطت اعمالهم فمأواهم النّار كما يدلّ على ذلك غير واحد من آيات حبط الاعمال و كذلك إذا كفّرت سيّئاتهم فمأواهم الجنّة كما يدلّ على ذلك غير واحد من آيات تكفير السيّئات.

١- الشورى / ٢٤.　２- الرّعد / ٣٩.　٣- النّحل / ١١٢.　٤- هود / ٥٢.

٥- العنكبوت / ٧　٦- هود / ١٥، ١٦

هذا، مضافاً إلى انّ نعم الجنّة و نقم النّار كما مرّ الكلام فيهما ليس إلّا نفس اعمالهم، فقوله تعالى: ﴿نكفّر عنهم سيّئاتهم﴾، و قوله تعالى: ﴿و حبط ما صنعوا فيها و باطل ما كانوا يعملون﴾ كما يشمل صور الأعمال البرزخيّة المجسّمة بما يناسب العمل يشمل نعم الجنّة و نقم الجحيم بالفحوى و لااقلّ من اشتماله عليهما بالمساواة.

هذا، مع انّك لو تأمّلت في آيات الحبط و التكفير ترى فيها اشعاراً بحبط تلك النّشأة الرّابعة و تكفيرها ايضاً و من تلك الآيات قوله تعالى: **﴿و الّذين لا يدعون مع الله الهاً آخر و لا يقتلون النّفس الّتي حرّم الله إلّا بالحقّ و لا يزنون و من يفعل ذلك يلق اثاماً * يضاعف له العذاب يوم القيامة و يخلد فيه مهاناً * إلّا من تاب و آمن و عمل عملاً صالحاً فاولئك يبدّل الله سيّئاتهم حسنات و كان الله غفوراً رحيماً﴾**.[١]

و قوله تعالى: **﴿و من يرتدد منكم عن دينه فيمت و هو كافر فاولئك حبطت اعمالهم في الدّنيا و الآخرة و اولئك اصحاب النّار هم فيها خالدون﴾**.[٢]

و في حبط الأعمال بعد الموت في الدّنيا كما تدلّ عليه هذه الآية الشّريفة ابهامٌ لم نجد من يكشف النقاب عن وجهه لانّ حبط الأعمال الدّنيويّة بعد الموت لا معنى له ظاهراً إلّا ان يقال انّ الآيات الشّريفة مشعرة بانّ الارتداد كما يحبط ما للمرتدّ من الاعمال البرزخيّة التّجسّميّة يحبط ما له في الجنّة من حورها و قصورها و جنّاتها الّتي فضّل الله تعالى عليه بأعماله الصالحة، كما انّ تبديل السّيّئات بالحسنات في الآية الشريفة لو لم يكن ظاهراً في انّ الله تعالى بتوبة عبده يكفّر ما تهيّأ العبد في السّقر بتوبته و بأعماله الصالحة و يفضّل عليه في الجنّة فيهبه من قصورها و حورها و جنّاتها و سائر نعمها، ما لايحصيه إلّا هو؛ فلااقلّ من اطلاقها و شمولها لذلك سيّما بمعونة روايات مستفيضة في ذلك و سيأتى ذكر روايات يحكى عن أمر الله تعالى بارسال الترياق لاعدام العقارب و الحيّات البرزخيّة أو النّاريّة.

١- الفرقان / ٦٨ - ٧٠.

٢- البقرة / ٢١٧.

و روايات دالّة على انّ الله تعالى نهى عن تقديم العبد ما يحرق و يخرّب و يعدم ما غرس أو بنى في الجنّة بأعماله الطّالحة و ذلك ليس إلّا التكفير و الحبط.

أو يقال: انّ قوله تعالى:«فيمت و هو كافر» يفهم منه معنى آخر و هو انّ الارتداد يوجب الحبط و أمّا لو رجع عن ارتداده قبل الموت فيرجع الله تعالى إليه و يعطيه ما قد حبط منه و هذا قويّ جدّاً و استقرّ عليه رأينا، و من ذهب إلى انّ توبة المرتدّ غير مقبولة فليس له وجه، و تفصيل ذلك موكولٌ إلى الفقه.

و أَعتَذر إليكم للخروج عن موضوع الكتاب و طوره.

و بعد اللّتيا و الّتي، فلا اشكال في دلالة آياتٍ كثيرة و روايات وفيرة على الحبط و التكفير في بعض الاعمال.

أمّا الحبط، فلمثل الكفر و الشّرك و النّفاق بعد الإسلام و تدلّ عليه آيات منها:

قوله تعالى: ﴿**لئن اشركت ليحبطنّ عملك**﴾.[١]

و قوله تعالى: ﴿**و من يكفر بالايمان فقد حبط عمله**﴾.[٢]

و قوله تعالى: ﴿**و من يرتدد منكم عن دينه فيمت و هو كافر فاولئك حبطت اعمالهم في الدّنيا و الآخرة و اولئك اصحاب النّار هم فيها خالدون**﴾.[٣]

و لمثل المنّ و الأذى بعد العمل و كذلك الرّئاء بعده.

قال تعالى: ﴿**لا تبطلوا صدقاتكم بالمنّ و الأذى كالّذى ينفق ماله رئاء النّاس و لا يؤمن بالله و اليوم الاخر**﴾.[٤]

و لمثل طلب الدنيا و بثّ الهمّ عليها.

قال تعالى: ﴿**اولئك الّذين ليس لهم في الآخرة إلّا النّار و حبط ما صنعوا فيها و باطل**

١- الزّمر / ٦٥. ٢- المائدة / ٥. ٣- البقرة / ٢١٧. ٤- البقرة / ٢٦٤.

ما كانوا يعملون﴾.[١]

و لمثل الفرار من الزّحف بأيّ نحو كان.

قال تعالى: ﴿يا ايّـها الّـذين آمـنوا اطـيعوا الله و اطـيعوا الرّسـول و لا تـبطلوا اعمالكم﴾.[٢]

و لمثل سوء الادب في محضر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بحيث يوجب ايذائه، يدلّ عليه قـوله تعالى: ﴿يا ايّها الّذين آمنوا لا تقدّموا بين يدى الله و رسوله و اتّقوا الله انّ الله سميع عليم * يا ايّها الّذين آمنوا لا ترفعوا اصواتكم فوقِ صوت النّبىّ و لا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ان تحبط اعمالكم و انتم لا تشعرون * انّ الّذين يغضّون اصواتهم عند رسول الله اولئك الّذين امتحن الله قلوبهم للتّقوى لهم مغفرة و اجرٌ عظيم * انّ الّـذين ينادونك من وراء الحجرات اكثرهم لا يعقلون * و لو انّهم صبروا حتّى تخرج إليهم لكان خيراً لهم و الله غفور رحيم﴾.[٣]

و هذه الآيات لها ظاهر و باطن فظاهرها يدلّ على لزوم مراعات الادب بأيّ نحو كان بحضرة الرسول و أهل بيته عليهم السلام حيّاً و ميّتاً.

و باطنها يدلّ على وجوب التّسليم بأيّ نحو كان قِبَل قوانينهم و اوامرهم واجبة كانت أو مستحبّة، وضعيّة كانت أو تكليفيّة.

و يختلج بالبال انّ مثل هذه الآيات الشّريفة نزلت لبيان هذا المعنى فلا يكـون مـن البواطن بل هو من الظّواهر الّتي سيقت الآيات له و بعبارة أخرى انّ المعنى الأوّل ليس إلّا قنطرة يوصلنا إلى المعنى الثّانى كالكنايات و المجازات الّتي اخترنا في علم اصول الفقه كونها كذلك يعنى انّ الكنايات و المجازات تفيد معناها من باب القنطرة فالمتكلّم بها أراد مـن اللّفظ المعنى الموضوع له حقيقة ثمّ القرينة تذهب بالمخاطب إلى المـعنى غـير المـوضوع له

١- هود / ١٦. ٢- محمّد / ٣٣. ٣- الحجرات / ١ ـ ٥.

فالمعنى الموضوع له يراد من اللّفظ الكنائى أو المجازىّ حقيقة و واقعاً و لكن الكلام سيقت لافهام شيء آخر و هو المعنى الكنائى أو المجازى.

و نظير ذلك في الذكر الحكيم كثير جدّاً.

و المختار أنّ تلك الآيات ليست من باب المجاز و الكناية حتّى تفيد معنىً ثمّ تُظهِر معنىً آخر، بل المراد منها وجوب التسليم عند الرسول و خلفائه من الأئمّة المعصومين عليهم السلام و والى الحكم الاسلامى و علماء الأمّة الصالحين؛ هذا هو المنزّل له في تلك الايات السائقة بظاهرها لبيان عدم جواز التقدّم ـ عملاً كان أو نظراً ـ على النّبى و خلفائه الخاصّة و العامّة فلا يجوز لأحدٍ التقدّم عليهم بالافراط في عملٍ أو رأى أو التأخّر عنهم بالتفريط فيهما، و الافراط و التفريط هما الغالب على عموم النـاس؛ و الاسـتقامة عـلى الصّراط المسـتقيم مشكل جدّاً.

و بالجملة، انّ التّسليم من الأمور الهامّة في علم الأخلاق سيّما التّسليم في التّشريع و قليل من عباد الله الصّالحين نالوا هذا المقام.

و النّاس قبال القوانين و الشرايع أمّا خاضعين خاشعين و هم الاوحدىّ من النّاس و أمّا خاضعين غير خاشعين فهم مسلمون الّذين يثقل عليهم التّكاليف.

قال تعالى: «و استعينوا بالصّبر و الصّلوة و انّها لكبيرة إلّا على الخاشعين».[١]

و الصّلاة في الآية الشريفة ليست إلّا من باب المثال فغير الخاشع يثقل عليه التكاليف إلّا ما يلائم نفسيّاته بل كثير منهم يأوّلون الأحكام حتّى كانوا يطلبون من الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم توجيهها إلى ما يرضونه، و بعبارة أخرى يطلبون ديـناً يـلائم دنـياهم و نـفسيّاتهم بـل يصرّحون بذلك من قديم الزمن إلى الآن.

قال تعالى: ﴿قال الّذين لا يرجون لقائنا ائت بقران غير هذا أو بدّله﴾.[٢]

١- البقرة / ٤٥.　　٢- يونس / ١٥.

قال تعالى: ﴿و يقولون نؤمن ببعض و نكفر ببعض و يريدون ان يتّخذوا بين ذلك سبيلاً * اولئك هم الكافرون حقّاً و اعتدنا للكافرين عذاباً مهيناً﴾.[١]

و أمّا التكفير فقوله تعالى: ﴿انّ الحسنات يذهبن السيّئات﴾[٢] و نظائره و ان كانت ظاهرة في انّ مطلق الحسنة يكفّر مطلق السيّئة ولكن لا يمكن الالتزام بهذا المعنى لها عقلاً و لا شرعاً و ان التزم به بعض المعتزلة.

كما انّ قوله تعالى: ﴿يا ايّها الّذين آمنوا اطيعوا الله و اطيعوا الرّسول و لا تبطلوا اعمالكم»[٣] و نظائره تدلّ على انّ مطلق مخالفة الله و الرّسول يحبط مطلق الحسنات و لكن لا يمكن الالتزام به عقلاً و لا شرعاً و ان التزم به بعض المعتزلة حيث ذهبوا إلى انّ الإنسان أمّا مطيع فقط أو عاص فقط و ليس له حالاً ثالثة فالطاعة تحبط العصيان كما أنّ العصيان يحبط الطّاعة، هذا مع انّ القرآن الكريم مع قطع النّظر عن ضرورة العقل و الشّرع يخالف ذلك.

قال تعالى: ﴿و آخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً و أخر سيّئاً عسى الله ان يتوب عليهم انّ الله غفور رحيم﴾.[٤]

فلابدّ من ان يقال كما مرّ تفصيل الكلام فيه، انّ التكفير كالحبط من الحقائق القرآنيّة الّتي دل الكتاب العزيز عليها، و لكن يدلّ عليها على سبيل المهملة لا القضايا الحقيقيّة.

فالوحى و الأحاديث قد طابقا على انّ بعض الحسنات يُذهب بعض السيّئات.

فمثل الاجتناب عن الكبائر يذهب بعض السيّئات و يمحوه.

قال تعالى: ﴿ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفّر عنكم سيّئاتكم﴾.[٥]

و مثل الصّلوات اليوميّة تكفّر بعض السيّئات.

١- النّساء / ١٥٠، ١٥١.　　٢- هود / ١١٤.　　٣- محمّد / ٣٣.

٤- التوبة / ١٠٢.　　٥- النّساء / ٣١.

قال تعالى: ﴿و اقم الصّلاة طرفي النّهار و زلفاً من اللّيل انّ الحسنات يذهبن السيّئات﴾.[١]

و في روايات مستفيضة انّ قضاء حوائج النّاس يكفّر السيّئات.

و في روايات مستفيضة انّ زيارة المشاهد المشرّفة و التوسّلات سيّما اقامة عزاء الحسين روحى و ارواح العالمين لمجالس تعزيته فداء كفّارة الذّنوب.

و لكن كلّ ذلك ليس إلّا على نحو القضايا الطبيعيّة المهملة لا الحقيقيّة.

نعم، ما يكون مكفّراً على نحو الاطلاق بضرورة القرآن و الحديث و الفقه و الأخلاق ـ و بعبارة أخرى بضرورة الإسلام ـ هو التّوبة فهى تكفّر كلّ سيّئة حتّى الكفر و الشّرك والنفاق و الارتداد فضلاً عن الذنوب كبيرة أو صغيرة، قليلة أو كثيرة.

قال تعالى: ﴿قل يا عبادى الّذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله انّ الله يغفر الذّنوب جميعاً﴾.[٢]

فخلاصة القول في ذلك انّ الارتداد يحبط الحسنات كلّها فهو على سبيل القضايا الحقيقيّة و انّ التّوبة يكفّر السيّئات كلّها فهو ايضاً على سبيل القضايا الحقيقيّة.

و أمّا غيرهما فالحبط مسلّم على مبادىء الشريعة القويمة في الجملة و التكفير مسلّم عليها في الجملة أيضاً.

و من تلك الجملة انّ الرّياء بعد العمل يحبط العمل المرائىٰ فيه.

و منها انّ الصّلوات اليوميّة تكفّر السيّئات في الجملة.

التنبيه الرابع: يترائى من روايات باب الرّئاء انّه أمر قصدىّ،[٣] فالعامل هو الّذي يتوجّه إلى خلوص عمله أو كونه مشوباً فلذا تمسّك أهل البيت عليهم السلام في تلك الرّوايات

١- هود / ١١٤.   ٢- الزّمر / ٥٣.   ٣- بحار الانوار، ج ٦٩، ص ٢٨٥، باب ١١٦، ح ٦.

بقوله تعالى: ﴿بل الإنسان على نفسه بصيرة و لو القى معاذيره﴾.[١]

فبناء عليه انّه لو أراد المرائي من عمله ترغيب النّاس إلى الخيرات أو تحذيرهم عن السيّئات فليس هو من الرّياء بل في روايات كثيرة التّرغيب إليه حيث يُعدّ من احسن مصاديق الامر بالمعروف و النّهى عن المنكر و من تلك الرّوايات:

عن عبدالله بن بكير قال: قلت لابى عبدالله عليه السلام: الرّجل يدخل في الصّلاة فيجوّد صلاته و يحسنها رجاء ان يستجرّ من يراه إلى هواه، قال: ليس هو من الرّياء.[٢]

التنبيه الخامس: انّ الرّياء هو اتيان العمل لغير الله أو بداعى غير الله كما مرّ الكلام فيه مفصّلاً.

و أمّا إذا اتى بالعمل لله و بداعى أمر الله و لكن يحبّ ان يحمده النّاس عليه، و بعبارة أخرى لم يصل إلى مرتبةٍ لسان حاله يقول: لا نريد منكم جزاءً و لا شكوراً فقد اختلفت الرّوايات في ذلك:

فجملةٌ منها تدلّ على كونه مرائياً مشركاً و لكن ريائه و شركه مغفور.

منها: عن أبي عبدالله عليه السلام سألته عن تفسير هذه الآية ﴿من كان يرجو لقاء ربّه فليعمل عملاً صالحاً و لا يشرك بعبادة ربّه احداً﴾ قال: من صلّى أو صام أو اعتق أو حجّ يريد محمدة النّاس فقد اشرك في عمله و هو شرك مغفور.[٣]

و يظهر منها انّ تلك العبادات و إن لم تكن موصولةً إلى حضرة الله تعالى أو صالحةً للسّلوك إلى جنابه، و لكنّها ترفع التكليف و تسقطه.

نعم، انّ الطريق ادقّ و ارقّ من الشّعر و اشدّ حدّة و احراقاً من السيف و النّار.

عن أبي محمّد عليه السلام قال: الشّرك في النّاس اخفى من دبيب النّمل على المسح الاسود في

١- القيامة / ١٥، ١٤. ٢- بحار الانوار، ج ٦٩، ص ٣٠١، باب ١١٦، ح ٣٩.

٣- بحار الانوار، ج ٦٩، ص ٣٠١، باب ١١٦، ح ٤٠.

اللّيلة المظلمة.[1]

و لكن رفع التكليف و ادائه ليس بصعبٍ إذ الإسلام سمحة سهلة و عفو الله و فضله و رحمته اوسع من ان يكتب أو يقال بل ان يتصوّر و ان يخطر ببال احد و الحمد لله ربّ العالمين.

التنبيه السادس: من عمل عملاً ثمّ رآه أحدٌ بعد فراغه عنه، فسرّ بذلك، فهل ذلك السّرور يفسد ذلك العمل كالرّياء بعد العمل ام لا ؟

يظهر من بعض الرّوايات أنّه لا يضرّ.

منها: عن أبي جعفر عليه السلام قال: سألته عن الرّجل يعمل الشّيء من الخير فيراه انسان فيسرّه ذلك؟ فقال: لابأس، ما من احد إلّا و هو يحبّ ان يظهر له في النّاس الخير إذا لم يكن صنع ذلك لذلك.[2]

و نظير ذلك السّرور باظهار أحدٍ خصاله الجميلة أو تعريفه بفعاله الحميدة، أو اظهار الخير علانية لرفع التّهمة أو دفع المذمّة عنه و نحو ذلك.

و الامام عليه السلام في هذه الرّواية الشّريفة التي كبرى كلّيّة ليُنطبق عليها جزئيّاتها و هي قوله عليه السلام: إذا لم يكن صنع ذلك لذلك.

فالفرق بين الرّياء المبطل و غيره مستورٌ في هذه الكبرى الكلّيّة.

و لكن لا تنس انّ الامام عليه السلام التي تلك الكبرى الكلّيّة لبيان حكم عامّة النّاس لا لخواصّه الّذين لهم قدمٌ في السّير و السّلوك و إرادة الوصول إلى مقام اللّقاء بطيّ المنازل السّبعة لأنّ السالك عليه أن يترك هذه الوساوس و الخواطر الشيطانيّة، ليدركه نور الله الّذي لا محيص عنه في سلوك السبيل.

١- بحار الانوار، ج ٦٩، ص ٢٩٨، باب ١١٦، ح ٣١.

٢- الكافي، ج ٢، ص ٢٩٧، باب الرّياء، ح ١٨.

و بهذا يجمع بين الرّوايات.

فهذه الرّواية الشّريفة تدلّ على أنّه لابأس بالمحمدة و السّرور و إرادة رفع التّهمة إذا لم يكن يصنع ذلك لذلك.

و رواية السّكونى و نظائرها تدلّ على انّ المرائى هو الّذي يحبّ ان يحمد في جميع اموره.[١]

فوجه الجمع هو الّذي تفضّل به علينا في رواية أخرى بقوله عليه السلام: انّ مثل ذلك رياء مغفور[٢] و بقوله عليه السلام في هذه الرّواية: ما من احد إلّا و هو يحبّ ان يظهر له في النّاس الخير، أي: ما من احد من عموم النّاس لا من خواصّهم.

و نحو ذلك من الرّوايات التّى تدلّ على انّ الرّياء المفسد (و هو الرّئاء المصطلح عليه في الفقه) غير الرّياء الصّادّ للطّريق (و هو الرّياء المصطلح عليه في الأخلاق) و لكن يجب على من يريد السّير و السلوك ان يخلّى نفسه عن كليهما.

و تخلية النّفس عن الرّياء المصطلح في الفقه ليس بمشكل سيّما لمن اتّقى و آمن ايماناً قلبيّاً.

و أمّا التّخلية و التنزّه عن الرّياء الاخلاقى فمشكلةٌ جدّاً، تحتاج إلى الدّعاء و الانابة و التّوسّل و الاجتناب عن مخالفة الله تعالى.

التنبيه السابع: قد ظهر ممّا حقّقناه في معنى الرّياء، انّ الرّياء بمراتبه يُعدّ من أقسام النفاق و هو الترفّع في قلوب النّاس بعرض خصال الخير عليهم ليخيّل إليهم أنّه ما يفعلها إلّا لله تعالى فالمنافق المرائى لا يريد إلّا تسخير قلوب النّاس بفعله حالكونه يظهرها خالصةً لوجهه الكريم.

فبناءً عليه لو فعل الخير لا لذلك بل لتسخير قلوب النّاس فهو ليس برياء بل كثيراً ما

١- الكافي، ج ٢، ص ٢٩٥، باب الرّياء، ح ٨.

٢- بحار الانوار، ج ٦٩، ص ٣٠١، باب ١١٦، ح ٤٠.

يُعدّ مطلوباً.

فمن يتعلّم العلم و يمارسه لقضاء حوائجه المادّية أو يحصل التميّز في فنٍّ لان يطلب به المال و الرّئاسة و المنزلة في قلوب النّاس، أو من يجالس الكبراء لتحصيل الأبّهة في قلوب النّاس، أو من يجالس الفقراء لتسخير قلوبهم، و امثال ذلك، فهذه الأفعال كلّها ليست برياء.

و بعبارة أخرى انّ طلب المنزلة و الرفعة في هذه الامثلة كطلب المال، فكما انّه ليس برئاء فكذلك طلب المنزلة ليس برئاء.

نعم، لو كان طلب المنزلة في قلوب النّاس خدعةً فهو كطلب المال من غير طريق الحقّ فهو حرامٌ ولكن حرمته ليست بما أنّه رئاء، بل بما أنّه خدعةٌ مع الناس.

نعم، انّ ذلك كلّه غير مفيد للآخرة و غير معاضدٍ في السير إلى جنابه تعالى، بل كلّه يوم القيامة محبوط و بذلك اشار تعالى في آيات منها قوله تعالى: ﴿من كان يريد الحيوة الدّنيا و زينتها نوفّ إليهم اعمالهم فيها و هم فيها لا يبخسون * اولئك ليس لهم في الآخرة إلّا النّار و حبط ما صنعوا فيها و باطل ما كانوا يعملون﴾.[١]

و هم أهل النّار لانّهم لم يعملوا للآخرة بل ليس سعيهم إلّا للدنيا، و ما يؤتى به للدنيا ليس في الآخرة إلّا كسرابٍ لا يثمن عن ضمأ.

و بالجملة العمل لو كان دنياويّاً، فلا فائدة فيه إلّا في الدنيا، و إن كان أخروياً فله أثرٌ بالغٌ هامٌ دنييٌ و عقباً.

قال تعالى: ﴿قل كلّ يعمل على شاكلته﴾.[٢]

نعم، قد يكون لعمل فائدة ترجع إلى المجتمع كابداء الكهرباء و كشف المكروب و بناء الابنية العامّة فهذا العمل يفيد صاحبه لقوله تعالى: ﴿انّ الله لا يضيع اجر المحسنين﴾[٣] و قول رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: من استنّ بسنّة حسنة فله اجرها و اجر من عمل بها من غير ان

١- هود / ١٦، ١٥.   ٢- الأنبياء / ٨٤.   ٣- التوبة / ١٢٠.

ينقص من اجورهم شيء و من استنّ بسنّة سيّئة فعليه وزرها و وزر من عمل بها من غير ان ينقص من اوزارهم شيء[1] في الآخرة نصيب مشروطاً بانّه لم يرد الشرّ بذلك العمل.

و لقد مرّ الكلام في ذلك مفصّلاً في بعض مباحث هذا الكتاب.

التنبيه الثامن: انّ أهل القلوب كانوا يوصون تلامذتهم اوّلاً بالخلوص قائلاً: عليكم ثمّ عليكم ثمّ عليكم بالخلوص الّذي هو الاكسير للعمل، و لولا هذا الاكسير فلا قيمة للعمل اصلاً بل التراب أغلى منه!

ثمّ يذكّروهم مرّةً بعد أخرى انّ اخلاص العمل من الشّوائب و الاوهام في غاية الصعوبة.

و مع الوصف كانوا يحذّرونهم عن شَرَكٍ من أَشراك الابليس و هو الوسوسة في الخلوص لانّها لجامٌ يلجم به الابليس من يريد السّير إلى الله تعالى، فكانوا يحذّرونهم عن ترك العمل بالخطورات القلبيّة و بالوسوسة الشيطانيّة، لانّهما ردمان يمنعان عن الأعمال الصالحة و الثبات عليهما يسلّط على السالك الكسل و البطالة.

و لا كلام في أنّ هذه الحالة تفريط كما انّ ملكة الرّياء افراط و كلاهما من المهلكات، عصمنا الله من الزلل و من الافراط و التّفريط في القول و الفكر و العمل.

هذا آخر ما اردنا ايراده في هذا البحث، و لا بأس لتتميم البحث بالاستعانة بروايات أهل البيت عليهم السلام.

١- بحار الانوار، ج ٢، ص ٢٤، باب ٨، ح ٧٥.

روايات في الرّياء

* عن أبي عبدالله عليه السلام أنّه قال لعبّاد بن كثير البصرى في المسجد: و يلك يا عبّاد ايّاك و الرّياء فانّه من عمل لغير الله وكّله الله إلى من عمل له.(١)

* عن عليّ بن عقبة عن أبيه قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: اجعلوا أمركم هذا لله و لا تجعلوه للناس فانّه ما كان لله فهو لله و ما كان للناس فلا يصعد إلى الله.(٢)

* قال أبو عبدالله عليه السلام: كلّ رياء شرك، انّه من عمل للناس كان ثوابه على النّاس و من عمل لله كان ثوابه على الله.(٣)

* عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عزّوجلّ «فمن كان يرجو لقاء ربّه فليعمل عملاً صالحاً و لا يشرك بعبادة ربّه أحداً» قال: الرجل يعمل شيئاً من الثواب لا يطلب به وجه الله، انّما يطلب تزكية الناس، يشتهى أن به الناس، فهذا الّذي أشرك بعبادة ربّه، ثمّ قال: ما من عبد أسرّ خيراً فذهبت الايّام أبداً حتّى يظهر الله له خيراً و ما من عبد يُسرّ شرّاً فذهبت الايّام أبداً حتّى يظهر الله له شرّاً.(٤)

* عن محمّد بن عرفة قال: قال لى الرّضا عليه السلام: ويحك يا ابن عرفة اعملوا لغير رياء و لا سمعة، فانّه من عمل لغير الله وكّله الله إلى ما عمل ويحك ما عمل أحد عملاً إلّا رداه الله،

١- الكافي، ج ٢، ص ٢٩٣، باب الرّياء، ح ١.

٢- الكافي، ج ٢، ص ٢٩٣، باب الرّياء، ح ٢.

٣- الكافي، ج ٢، ص ٢٩٣، باب الرّياء، ح ٣.

٤- الكافي، ج ٢، ص ٢٩٣، باب الرّياء، ح ٤.

ان خيراً فخيرٌ و ان شرّاً فشرٌّ.[١]

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: انّ الملك ليصعد بعمل العبد مبتهجاً به فاذا صعد بحسناته يقول الله عزّوجلّ: اجعلوها في سجّين انه ليس ايّاى أراد بها.[٢]

* قال أميرالمؤمنين عليه السلام: ثلاث علامات للمرائى: ينشط إذا رأى الناس، و يكسل إذا كان وحدة، و يحبّ ان يُحمد في جميع أُموره.[٣]

* عن على بن سالم قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: قال الله عزّوجلّ أنا خير شريك، من أشرك معى غيرى في عمل عمله لم أقبله إلّا ما كان لى خالصاً.[٤]

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: من اظهر للناس ما يحبّ الله و بارز الله بما كرهه لقى الله و هو ماقت له.[٥]

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: ما يصنع أحدكم أن يظهر حسناً و يُسرُّ سيّئاً، اليس يرجع إلى نفسه فيعلم انّ ذلك ليس كذلك والله عزّوجلّ يقول: «بل الإنسان على نفسه بصيرة» انّ السّريرة إذا صحّت قويت العلانية.[٦]

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: من أراد الله عزّوجلّ بالقليل من عمله اظهر الله له أكثر ممّا اراد، و من اراد النّاس بالكثير من عمله في تعب من بدنه و سهر من ليله ابى الله عزّوجلّ إلّا ان يقلّله في عين من سمعه.[٧]

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سيأتى على النّاس زمان تخبث فيه سرائرهم و تحسن فيه علانيتهم، طمعاً في الدنيا، لا يريدون به ما عند ربّهم، يكون دينهم

١- الكافي، ج ٢، ص ٢٩٤، باب الرّياء، ح ٥.
٢- الكافي، ج ٢، ص ٢٩٤، باب الرّياء، ح ٧.
٣- الكافي، ج ٢، ص ٢٩٥، باب الرّياء، ح ٨.
٤- الكافي، ج ٢، ص ٢٩٥، باب الرّياء، ح ٩.
٥- الكافي، ج ٢، ص ٢٩٥، باب الرّياء، ح ١٠.
٦- الكافي، ج ٢، ص ٢٩٥، باب الرّياء، ح ١١.
٧- الكافي، ج ٢، ص ٢٩٦، باب الرّياء، ح ١٣.

رياء لا يخالطهم خوف، يعمّهم الله بعقاب، فيدعونه دعاء الغريق فلا يستجيب لهم.(١)

* عن عمر بن يزيد قال: انّى لأتعشّى مع أبي عبدالله عليه السلام اذ تلا هذه الآية ﴿بل الإنسان على نفسه بصيرة و لو ألقى معاذيره﴾ يا أبا حفص ما يصنع الإنسان ان يعتذرالنّاس بخلاف ما يعلم الله منه، انّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يقول من اسرّ سريرة البسه الله رداءها ان خيراً فخيرٌ و ان شرّاً فشرٌّ.(٢)

* عن أبي جعفر عليه السلام انّه قال: الابقاء على العمل أشدّ من العمل، قال: و ما الابقاء على العمل؟ قال: يصل الرّجل بصلة و ينفق نفقة لله وحده لا شريك له فكتب له سرّاً ثمّ يذكّرها فتمحى فتكتب له علانية، ثمّ يذكّرها فتمحى و تكتب له رياء.(٣)

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال أميرالمؤمنين صلوات الله عليه: اخشوا الله خشية ليست بتعذير، و اعملوا لله في غير رياء و لا سمعة، فانّه من عمل لغير الله وكّله الله عمله.(٤)

* عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال: سألته عن الرّجل يعمل الشّيء من الخير فيراه انسان فيسرّه ذلك؟ فقال: لابأس، ما من احد إلّا و هو يحبّ ان يظهر له في النّاس الخير، إذا لم يكن صنع ذلك لذلك.(٥)

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال أبو جعفر عليه السلام: من كان ظاهره أرجع من باطنه خفّ ميزانه.(٦)

* قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ويل للّذين يجتلبون الدنيا بالدّين، يلبسون للنّاس جلود الضأن من لين ألسنتهم كلامهم أحلا من العسل و قلوبهم قلوب الذّئاب، يقول الله تعالى: أبى يغترّون أم علىّ يجترؤون، فوعزّتى و جلالى لابعثنّ عليهم فتنة تذر الحليم منهم

١- الكافي، ج ٢، ص ٢٩٦، باب الرّياء، ح ١٤.
٢- الكافي، ج ٢، ص ٢٩٦، باب الرّياء، ح ١٥.
٣- الكافي، ج ٢، ص ٢٩٦، باب الرّياء، ح ١٦.
٤- الكافي، ج ٢، ص ٢٩٧، باب الرّياء، ح ١٧.
٥- الكافي، ج ٢، ص ٢٩٧، باب الرّياء، ح ١٨.
٦- بحار الانوار، ج ٦٨، ص ٣٦٥، باب ٩٠، ح ٩.

حيران.[١]

* عن النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم قال: انّ أولى النّاس ان يقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد فأُتى به فعرّفه نعمه فعرفها قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتّى استشهدت قال: كذبت، و لكنّك قاتلت ليقال جرىء، فقد قيل ذلك، ثمّ أُمر به فسحب على وجهه حتّى أُلق في النار، و رجل تعلّم العلم و علّمه و قرأ القرآن فأُتى به فعرّفه نعمه فعرفها قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلّمت العلم و علّمته و قرأت فيك القرآن، قال: كذبت و لكن ك تعلّمت ليقال: عالم، و قرأت القرآن ليقال: قارىء القرآن، فقد قيل، ثم أُمر به فسحب على وجهه حتّى أُلق في النار، و قال صلى الله عليه و آله و سلم: انّما الأعمال بالنيّات، و إنّما لكلّ امرئ ما نوى فمن كانت هجرته الله و رسوله فهجرته إلى الله و رسوله، و من كانت هجرته إلى أمر دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر اليه، و قال صلى الله عليه و آله و سلم: نيّة المؤمن خير من عمله، و في لفظ آخر أبلغ من عمله، و قال صلى الله عليه و آله و سلم: إنّما يبعث النّاس على نيّاتهم، و قال صلى الله عليه و آله و سلم مخبراً عن جبرئيل عن الله عزّوجلّ انّه قال: الاخلاص سّر من اسرارى استودعته قلب من احببت من عبادى.[٢]

* عن النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم: قال الله عزّوجلّ: أنا أغنى الشّركاء عن الشّرك، فمن عمل عملاً أشرك فيه غيرى فأنا منه برىء، فهو للذى اشرك.[٣]

* قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: انّ الله تعالى لا يقبل عملاً فيه مثقال ذرّة من رياء.[٤]

* قال أبو عبدالله عليه السلام: من عمل للنّاس كان ثوابه على النّاس، انّ كلّ رياء شرك، و

١- بحار الانوار، ج ٧٤، ص ١٧٥، باب ٧، ذيل ح ٨.

٢- بحار الانوار، ج ٦٧، ص ٢٤٩، باب ٥٤، ح ٢٤.

٣- بحار الانوار، ج ٦٩، ص ٢٨٢، باب ١١٦، ح ٤.

٤- بحار الانوار، ج ٦٩، ص ٣٠٤، باب ١١٦، ح ٥١.

قال عليه السلام: قال الله عزّوجلّ: من عمل لى و لغيرى هو لمن عمل له.[١]

* قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: انّ الجنّة تكلّمت و قالت: انّى حرام على كلّ بخيل و مراء.[٢]

* عن الصّادق، عن ابيه عليه السلام انّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سئل في ما النّجاة غداً؟ فقال: انّما النّجاة في أن لا تخادعوا الله فيخدعكم، فانّه من يخادع الله يخدعه و يخلع منه الايمان، و نفسه يخدع لو يشعر، فقيل له: و كيف يخادع الله؟ قال: يعمل بما أمر الله به ثمّ يريد به غيره، فاتّقوا الله و اجتنبوا الرّياء، فانّه شرك بالله، انّ المرائى يدعى يوم القيمة باربعة اسماء: يا كافر! يا فاجر! يا غادر! يا خاسر! حبط عملك و بطل أجرك و لا خلاق لك اليوم فالتمس أجرك ممّن كنت تعمل له.[٣]

* عن عبيد قال: قلت لأبى عبدالله عليه السلام: الرّجل يدخل في الصّلوة فيجوّد صلوته و يحسنها رجاء ان يستجرّ بعض من يراه إلى هواه، قال: ليس هو من الرّياء.[٤]

* عن الصادق عن ابيه عليه السلام انّ النّبىّ صلى الله عليه وآله وسلم قال: إذا اتى الشّيطان أحدكم و هو في صلاته فقال: انّك مرائى فليطل صلاته ما بدا له ما لم يفته وقت فريضة، و إذا كان على شيء من أمر الآخرة فليتمكّث ما بدا له، و إذا كان على شيء من أمر الدّنيا فليبرح....[٥]

* قال علىّ عليه السلام: قلنا يا رسول الله الرّجل منّا يصوم و يصلّى فيأتيه الشّيطان فيقول إنّك مراء، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: فليقل أحدكم عند ذلك أعوذ بك أن أُشرك بك شيئاً و أنا

١- بحار الانوار، ج ٦٩، ص ٢٩٨، باب ١١٦، ح ٢٨.

٢- بحار الانوار، ج ٦٩، ص ٣٠٥، باب ١١٦، ح ٥٢.

٣- بحار الانوار، ج ٦٩، ص ٢٩٥، باب ١١٦، ح ١٩.

٤- بحار الانوار، ج ٦٩، ص ٣٠١، باب ١١٦، ح ٣٩.

٥- بحار الانوار، ج ٦٩، ص ٢٩٥، باب ١١٦، ح ٢٠.

أعلم، و أستغفرك لما لا أعلم.[١]

* عن أبي جعفر عليه السلام قال: سئل رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم عن تفسير قول الله: ﴿فمن كان يرجو لقاء ربّه....﴾ فقال: من صلّى مرائاة النّاس فهو مشرك، و من زكّى مرائاة النّاس فهو مشرك، و من صام مرائاة النّاس فهو مشرك، و من حجّ مرائاة النّاس فهو مشرك، و من عمل عملاً ممّا أمرالله به مرائاة النّاس فهو مشرك، و لا يقبل الله عمل مراء.[٢]

* قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم في وصيته لأميرالمؤمنين عليه السلام: و أمّا علامة المرائى فاربعة: يحرص في العمل لله إذا كان عنده احد و يكسل إذا كان وحدة، و يحرص في كلّ أمره على المحمدة و يحسن سمته بجهده.[٣]

* عن علاء بن فضيل عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن تفسير هذه الآية ﴿فمن كان يرجو لقاء ربّه....﴾ قال: من صلّى اوصام أو أعتق أو حجّ يريد محمدةالنّاس فقد أشرك في عمله و هو شرك مغفور.[٤]

* عن أبي بصير قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام قال: يجاء بعبد يوم القيمة قد صلّى فيقول: يا ربّ صلّيت ابتغاء وجهك، فيقال له: بل صلّيت ليقال ما احسن صلاة فلان؟ اذهبوا به إلى النّار، و يجاء بعبد قد تعلّم القرآن فيقول: يا ربّ تعلّمت القرآن ابتغاء وجهك، فيقال له: بل تعلّمت ليقال ما أحسن صوت فلان؟ اذهبوا به إلى النار، و يجاء بعبد قد قاتل فيقول: يا ربّ قاتلت ابتغاء وجهك، فيقال له: بل قاتلت ليقال ما أشجع فلاناً؟ اذهبوا به إلى النّار، و يجاء بعبد قد أنفق ماله فيقول: يا رب أنفقت مالى ابتغاء وجهك فيقال له: بل أنفقته ليقال ما

١- بحار الانوار، ج ٦٩، ص ٣٠٣، باب ١١٦، ح ٤٨.

٢- بحار الانوار، ج ٦٩، ص ٢٩٧، باب ١١٦، ح ٢٥.

٣- تحف العقول، طبع دارالاضواء، بيروت، ص ٢٣.

٤- بحار الانوار، ج ٦٩، ص ٣٠١، باب ١١٦، ح ٤٠.

اسخى فلانا؟ اذهبوا به إلى النّار.[١]

* قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إنّ أوّل من يدعى يوم القيامة رجل جمع القرآن و رجل قتل في سبيل الله و رجل كثير المال، فيقول الله عزّوجلّ للقارى: ألم أُعلّمك ما انزلت على رسولى؟ فيقول: بلى يا ربّ فيقول: ما عملت فيما علمت فيقول: يا ربّ قمت به في آناء اللّيل و أطراف النّهار، فيقول الله: كذبت و تقول الملائكة، كذبت، و يقول الله تعالى: إنّما اردت ان يقال: فلان قارىء، فقد قيل ذلك.[٢]

* عن أبي ذرّ أنّه قيل لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أرأيت الرّجل يعمل العمل من الخير و يحمده النّاس عليه، قال: تلك عاجل بشرى المؤمن، يعنى البشرى المعجّلة له في الدّنيا و البشرى الأُخرى قوله سبحانه: ﴿بشريكم اليوم جنّات تجرى من تحتها الأنهار﴾.[٣]

* قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:.... يا ابن مسعود إذا عملت عملاً من البرّ و انت تريد بذلك غير الله، فلا ترج بذلك منه ثواباً فانّه يقول: ﴿فلا نقيم لهم يوم القيٰمةوزناً﴾.[٤]

* قال الصّادق عليه السلام.... الرّياء مع المنافق في داره عبادة، و مع المؤمن شرك.[٥]

* عن أبي عبدالله عليه السلام: إذا كان يوم القيمة نظر رضوان خازن الجنّة إلى قوم لم يمرّوا به، فيقول: من أنتم و من أين دخلتم؟ قال: يقولون: إيّاك عنّا فانّا قوم عبدنا الله سرّاً فأدخلنا الله سرّاً.[٦]

* قال الباقر عليه السلام.... يا ذوى الهيئة المعجبة، و الهيم المعطنة ما لى أرى اجسامكم

١- بحار الانوار، ج ٦٩، ص ٣٠١، باب ١١٦، ح ٤٤.

٢- بحار الانوار، ج ٦٩، ص ٣٠٥، باب ١١٦، ح ٥٢.

٣- بحار الانوار، ج ٦٩، ص ٢٩٤، باب ١١٦، ح ١٨.

٤- بحار الانوار، ج ٧٤، ص ١٠٣، باب ٥، ح ١.

٥- بحار الانوار، ج ٧٢، ص ٤٢١، باب ٨٧، ح ٧٩.

٦- بحار الانوار، ج ٧٢، ص ٤١١، باب ٨٧، ح ٦٠.

عامرة و قلوبكم دامرة ،أوما والله لو عاينتم ما أنتم ملاقوه و ما أنتم إليه صائرون لقلتم: ﴿يا ليتنا نردّ و لا نكذّب بآيات ربّنا و نكون من المؤمنين﴾.[۱]

* قال أميرالمؤمنين عليه السلام:.... و منهم من يطلب الدّنيا بعمل الآخرة و لا يطلب الآخرة بعمل الدّنيا، قد طأمن من شخصه، وقارب من خطره، و شمّر من ثوبه و زخرف من نفسه للأمانة و اتّخذ سرّ الله تعالى ذريعة إلى المعصية.[۲]

* قال أميرالمؤمنين عليه السلام: المؤمن يرغب فيما يبقى و يزهد فيما يفنى.... لا يعمل شيئاً من الخير رياءً و لا يتركه حياءً.[۳]

* عن أميرالمؤمنين عليه السلام: فقال له زيد بن صوحان العبدى: يا أميرالمؤمنين.... فأىّ الخلق اعمى؟ قال: الّذي عمل لغير الله، يطلب بعمله الثّواب من عندالله عزّ و جلّ.[٤]

* قال أميرالمؤمنين عليه السلام: ما أقبح بالإنسان باطناً عليلاً و ظاهراً جميلاً.[٥]

* قال أميرالمؤمنين عليه السلام: المرائى ظاهره جميل و باطنه عليل.[٦]

* قال أميرالمؤمنين عليه السلام: كلّ حسنة لا يراد بها وجه الله تعالى فعليها قبح الرّياء و ثمرها قبح الجزاء.[۷]

* قال أميرالمؤمنين عليه السلام: و اعلموا انّ يسير الرّياء شرك.[۸]

* قال أميرالمؤمنين عليه السلام: اللّهمّ إنّى اعوذ بك من ان تحسّن في لامعة العيون علانيتى، و

۱- بحار الانوار، ج ۷۵، ص ۱۷۱، باب ۲۲، ح ٤. ۲- بحار الانوار، ج ۷۵، ص ٤، باب ۱۵، ح ٥٤.

۳- بحار الانوار، ج ۷۵، ص ٢٦، باب ۱۵، ح ۹۲. ٤- بحار الانوار، ج ۷٤، ص ۳۷۸، باب ۱۵، ح ۱.

٥- ميزان الحكمة، ج ٤، ص ۲۲، باب الرّياء، نقلاً من غرر الحكم.

٦- ميزان الحكمة، ج ٤، ص ۲۲، باب الرّياء، نقلاً من غرر الحكم.

۷- ميزان الحكمة، ج ٤، ص ۳٤، باب الرّياء، نقلاً من غرر الحكم.

۸- نهج البلاغة، صبحى الصّالح، ۸٦.

تقبّح فيما ابطن لك سريرتى محافظا على رئاء النّاس من نفسى بجميع ما أنت مطّلع عليه منّى فابدى للنّاس حسن ظاهرى و اقضى إليك بسوء عملى تقرّباً إلى عبادك و تباعداً من مرضاتك.[١]

* عن رجل عن معاذ بن جبل قال: قلت: حدّثنى بحديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم، حفظته و ذكرته في كلّ يومٍ من دقة ما حدّثك به، قال: نعم و بكى معاذ، فقلت: اسكت، فسكت ثم نادى بأبى و أُمّى حدّثنى و انا رديفه قال: فبينا نسير اذ يرفع بصره السماء فقال: الحمد لله الّذي يقضى في خلقه ما احبّ قال: يا معاذ قلت: لبّيك يا رسول الله امام الخير و نبيّ الرحمة، فقال: أُحدّثك ما حدّث نبيّ امّته، ان حفظته نفعك عيشك، و ان سمعته و لم تحفظه انقطعت حجّتك عندالله.

ثم قال: انّ الله خلق سبعة املاك قبل ان يخلق السماوات، فجعل في كلّ سماء ملكاً قد جلّلها بعظمته، و جعل على كلّ باب منها ملكاً بوّاباً، فتكتب الحفظة عمل العبد من حين يصبح إلى حين يمسى، ثمّ يرتفع الحفظة بعمله، له نور كنور الشمس حتّى إذا بلغ سماء الدّنيا، فيزكّيه و يكثّره فيقول له: قف فاضرب بهذا العمل وجه صاحبه انا ملك الغيبة فمن اغتاب لا ادع عمله يجاوزنى إلى غيرى امرنى بذلك ربّى.

قال: ثم يجيئ من الغد و معه عمل صالح فيمرّ به و يزكّيه و يكثّره حتّى يبلغ السماء الثانية فيقول الملك الّذي في السماء الثانية: قف فاضرب بهذا العمل وجه صاحبه انّما اراد بهذا العمل غرض الدّنيا انا صاحب الدّنيا لا ادع عمله يتجاوزنى إلى غيرى.

قال: ثمّ يصعد بعمل العبد مبتهجاً بصدقة و صلاة فتعجب الحفظة و يجاوزه إلى السماء الثالثة فيقول الملك: قف فاضرب بهذا العمل وجه صاحبه و ظهره، انا ملك صاحب الكبر، فيقول: انّه عمل و تكبّر فيه على النّاس في مجالسهم، امرنى ربّى ان لا ادع عمله يتجاوزنى

١- نهج البلاغة، صبحى الصّالح، قصار الحكم ٢٧٦.

إلى غيرى.

قال: و تصعد الحفظة بعمل العبد يزهر كالكوكب الدرّى في السماء له دوىّ بالتسبيح و الصوم و الحجّ فيمرّ به إلى ملك السماء الرابعة فيقول: قف فاضرب بهذا العمل وجه صاحبه و بطنه، انا ملك العجب فانّه كان يعجب بنفسه و انّه عمل و ادخل نفسه العجب، امرنى ربّى لا ادع عمله يتجاوزنى إلى غيرى و اضرب به وجه صاحبه.

قال: و تصعد الحفظة بعمل العبد كالعروس المزفوفة إلى اهلها فيمرّ به إلى ملك السماء الخامسة بالجهاد و الصلاة ما بين الصلاتين، و لذلك رنين كرنين الابل عليه ضوء كضوء الشمس، فيقول الملك: قف انا ملك الحسد، فاضرب بهذا العمل وجه صاحبه و تحمّله على عاتقه (انّه كان يحسد من يتعلّم و يعمل لله بطاعته، فاذا رأى لأحد فضلاً في العمل و العبادة حسده و وقع فيه فيحمله على عاتقه) و يلعنه عمله.

قال: و تصعد الحفظة فيمرّ بهم إلى ملك السماء السادسة فيقول الملك: قف انا صاحب الرحمة، اضرب بهذا العمل وجه صاحبه و اطمس عينيه لأنّ صاحبه لم يرحم شيئاً إذا اصاب عبداً من عبادالله ذنباً للآخرة أو ضرّاً في الدنيا يشمت به، امرنى ربّى ان لا ادع عمله يجاوزنى إلى غيرى.

و قال: و تصعد الحفظة بعمل العبد اعمالاً بفقه و اجتهاد و ورع، له صوت كالرعد وضوء كضوء البرق، و معه ثلاثة آلاف ملك فيمرّ بهم إلى ملك السماء السابعة فيقول الملك: قف و اضرب بهذا العمل وجه صاحبه، انا ملك الحجاب احجب كلّ عمل ليس لله، انّه اراد رفعة عند القواد و ذكراً في المجالس وصوتاً في المدائن، امرنى ربّى ان لا ادع عمله يجاوزنى إلى غيرى ما لم يكن خالصاً.

قال: و تصعد الحفظة بعمل العبد مبتهجاً به من خُلق حسن، وصمت و ذكر كثير، تشيّعه ملائكة السماوات السبعة بجماعتهم، فيطؤون الحجب كلّها حتّى يقوموا بين يديه

فيشهدوا له بعمل صالح و دعاء، فيقول الله: انتم حفظة عمل عبدى و انا رقيب على ما نفسه عليه، لم يردنى بهذا العمل، عليه لعنتى، فيقول الملائكة: عليه لعنتك و لعنتنا.

قال: ثم بكى معاذ و قال: قلت: يا رسول الله ما اعمل؟ قال: اقتد بنبيّك يا معاذ في اليقين، قال: قلت: انّك انت رسول الله و انا معاذبن جبل قال: و ان كان في عملك تقصير يا معاذ فاقطع لسانك عن اخوانك و عن حملة القرآن، و لتكن ذنوبك عليك لا تحملها على اخوانك، و لا تُزكّ نفسك بتذميم اخوانك، و لا ترفع نفسك بوضع اخوانك، و لا تراء بعملك، و لا تدخل من الدّنيا في الآخرة و لا تفحّش في مجلسك لكى يحذروك بسوء خلقك، و لا تناج مع رجل و عندك آخر، و لا تتعظّم على النّاس فيقطع عنك خيرات الدّنيا، و لا تمزّق النّاس فتمزّقك كلاب أهل النار، قال الله: ﴿و **الناشطات نشطاً**﴾ اتدرى ما الناشطات؟ كلاب أهل النار، تنشط اللّحم و العظم، قلت: من يطيق هذه الخصال؟ قال: يا معاذ اما انّه يسير على من يسر الله عليه قال: و ما رأيت معاذاً يكثر تلاوة القرآن كما يكثر تلاوة هذا الحديث.[1]

١- بحار الانوار، ج ٦٧، ص ٢٤٦، باب ٥٤.

الفصل السابع و العشرون

الفضيلة الثّامنة و العشرون: التّوبة و الإنابة

الرّذيلة الثّلاثون: العصيان على المولىٰ

الفضيلة الثّامنة و العشرون: التّوبة و الانابة

و هي الرّجوع من الطّغيان إلى العبوديّة و من طاعة النّفس إلى طاعة الرب و من الطّاغوت إلى الله و من طلب الماديات إلى الميل إلى الروحانيات و من الظّلمات إلى النّور و من المعصية إلى فعل الصواب و من الغفلة إلى التّوجّه و من البُعد إلى القرب و من الجفاءالوفاء و من الدّنس و الكدورة إلى طهارة النّفس و نزاهتها.

و ان شئت قلت: انّ التّوبة هي رفع الصّدود و الأغلال و خرق الحجب و رفع الظلمة و احراق الاصنام الّتي في بيت الله تعالى.

و ان شئت قلت: انّ التوبة هي التّجلية.

و لعلّ الجملة الاولى و هي انّ التوبة هي الرّجوع إلى العبوديّة، و الجملة الاخيرة و هي ان التّوبة هي التّجلية، أوفى بالمراد و أحسنها مع ايجازهما.

و على كلّ تقدير تلازم التّوبة النّدم و العزم على الاستقامة و عدم العود و جبران ما فات لو امكن للتائب كقضاء الصّلوات و اداء حقوق النّاس.

و للندم مراتب و من تلك المراتب الرّياضات الدّينيّة جبراً لما نال من اللذّات و الشّهوات المحرّمة و من تلك المراتب اذابة اللّحوم الّتي نبتت من الحرام، و بهذه المراتب اشار

أميرالمؤمنين عليه السلام في قوله لمن قال بحضرته استغفرالله: ثكلتك امّك، اتدرى ما الاستغفار؟ الاستغفار درجة العلّيّين و هو اسم واقع على ستّة معان: اوّلها النّدم على ما مضى، و الثّانى العزم على ترك العود إليه ابداً، و الثالث ان تؤدّى إلى المخلوقين حقوقهم حتّى تلقى الله و ليس عليك تبعة، و الرابع ان تعمد إلى كلّ فريضة عليك ضيّعتها فتؤدّى حقّها، والخامس ان تعمد إلى اللّحم الّذي نبت على السحت فتذيبه بالاحزان حتّى تلصق الجلد بالعظم و ينشأ بينهما لحم جديد، و السّادس ان تذيق الجسم الم الطّاعة كما اذقته حلاوة المعصية فعند ذلك تقول: استغفرالله.[١]

و لم يكن أميرالمؤمنين عليه السلام في هذا الكلام بصدد الحصر لانّ استقامة التائب و ثباته على الشّرع و العمل بالصّالحات من المراتب الّتي أصرّ عليها القرآن، أمّا شدّة البكاء و الحزن و الاستحياء و نحو ذلك فهى من مراتبها عند أهل القلوب لا من مراتبها الّتي لا توبة إلّا بها حتّى روى انّ آدم عليه السلام لم يرفع رأسه إلى السّماء استحياءً من الله تعالى منذ مأتى سنة.

كما انّ أميرالمؤمنين عليه السلام لم يكن بصدد بيان الشّرائط حتّى يقال ان الاخيرين من شروط الكمال و الباقى من شروط الصحّة.

و لعلّ قوله عليه السلام ﴿و هو اسم واقع على ستّة معان﴾ يفيد انّ التوبة هي النّدم فقط و لكن لها مراتب ضعفاً و شدّةً.

و جملة القول في هذا انّ التوبة أمر بسيط مقول بالتشكيك فاوّل مراتبها الّذي به يتحقّق التوبة هو الندم و هي نار إذا اوقدت في قلب عبدٍ و اطّلعت عليه تحرق الكدورات و تنوّر القلب و تخلصه من الظّلمات و يحصل الرّبط بينه و بين الله و لو غفل عن سائر المراتب، و يكون مصداقاً لقوله تعالى: **﴿يا عبادى الّذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله انّ الله يغفر الذّنوب جميعاً﴾**.[٢]

١- نهج البلاغة، كلمات القصار ٤١٧.
٢- الزّمر / ٥٣.

و أمّا العمل بالصّالحات و اداء حقوق النّاس و قضاء ما فاته من الفرائض و غيرها من المراتب الواجبة أو المستحبّة فهى من المراتب الوسطى أو الشّديدة الّتي لا ربط لها بحقيقة التوبة الّتي تحصل بمجرّد الندم.

عن أبي جعفر عليه السلام: كفى بالنّدم توبة.(١)

و قد دلّت روايات و قصص على انّ مجرّد النّدامة تغفر الذّنوب كلّها، و من تلك الرّوايات هي خطبة الرسول المشهورة بين الفريقين و هي آخر خطبه و فيها: من تاب قبل موته بسنة تاب الله عليه، ثمّ قال: و انّ السّنة لكثيرة، من تاب قبل موته بشهر تاب الله عليه، ثمّ قال: و انّ الشّهر لكثير، من تاب قبل موته بيوم تاب الله عليه، ثمّ قال: و انّ يوماً لكثير، من تاب قبل موته بساعة تاب الله عليه، ثمّ قال: و انّ السّاعة لكثيرة، من تاب قبل موته و قد بلغت نفسه هذه ـ و اهوى بيده إلى حلقه ـ تاب الله عليه.(٢)

و في الكافي رواها عن أبي عبدالله عليه السلام عنه صلى الله عليه و آله و سلم إلّا انّ فيها ﴿من تاب قبل ان يعاين قبل الله توبته﴾(٣) بدل قوله صلى الله عليه و آله و سلم ﴿من تاب قبل موته و قد بلغت نفسه هذا﴾.

حكى له ثقةٌ انّه كان بالنجف الاشرف رجلٌ ضخمٌ كان النّاس يستوحشونه لغلظه و دناءة خُلقه. و بينما كان يوماً في الصحن العلوى المطهّر، إذ بالآخوند ملّا حسينقلى الهمدانى، فنظر الآخوند إليه نظر القهر ـ طوبى لمن ينظر الله تعالى أو ولىّ من أوليائه إليه نظر القهر لتأديبه لا لتعذيبه ـ و سأله متحكّماً: ما اسمك؟ فأجابه معجباً بنفسه: ألا تعرفنى؟ انا عبد الفرّار، فقال له الآخوند: ممّن فررت؟ افررت من الله أو من رسوله؟! فاثّر ذلك الكلام على قلبه تأثير النّار في القطن فرجع إلى بيته مكرّراً قول الشّيخ الآخوند و بكى بكاءً شديداً حتّى فارق نفسه بدنه، فغداً جاء الآخوند إلى مدرسه و عطّل الدّرس و فال: انّ وليّاً من اولياء

١- الكافي، ج ٢، ص ٤٢٦، ذيل ح ١.

٢- بحار الانوار، ج ٦، ص ١٥، باب ٢٠.

٣- الكافي، ج ٢، ص ٤٤٠، ذيل ح ٢.

الله مات، فذهبوا كلّهم لتجهيز جسده و مشايعته.

و نظير هذه الحكاية ـ كحكاية قوم يونس و كحكاية الشابّ الّذي أمر الله تعالى موسى عليه السلام ان يخرجه من المدينة ـ كثير جدّاً.

نعم، النّدم يلازم السوق إلى الصلاح و العمل الصّالح و جبران ما فات بل يلازم البكاء و الحزن و الرّياضات المشروعة و لكنّه ليس من شرائط التّوبة بل كلٌّ واحدٍ منه مرتبة من مراتبها و كلٌّ يلازم النّدم.

و بعبارة أخرى، من ندم على ذنوبه و رجع عمّا كان عليه فعزم على عدم العود بل عزم على القيام بالصالحات و اصلاح الأمر، و إلّا فهو المستهزء و ان شئت قلت: أنّه لم يندم و إلّا فالنّدامة يلازم ذلك كلّها.

عن الامام أبي جعفر عليه السلام: التّائب من الذّنب كمن لا ذنب له و المقيم على الذّنب و هو مستغفر منه كالمستهزئ.[١]

و بذلك يظهر أنّه لا شرط للتّوبة اصلاً و هي حال الندم فقط فاذا حصلت يغفر الله ذنوبه كلّها، أمّا ما يظهر من الذكر الحكيم من تقييد التّوبة بالعمل الصّالح تارةً و بالاصلاح تارة أخرى فليس من باب الشرطيّة بل من باب الاشارة إلى أنّ التّوبة تلازم العزم على الاستقامة على الشّرع و إلى انّ التوبة و هي الندم لا تتحقّق بدون ذلك العزم و كانّها هو، فلا دلالة للقرآن الحكيم على انّ التوبة تتوقف على العمل الصالح بحيث أنه إذا تاب لا تُقبل توبته حتّى يصلح عمله، لانّ ذلك ممّا لم يقل به احد و كانّه ضروريّ البطلان.

و أمّا قوله تعالى: ﴿انّما التّوبة على الله للّذين يعملون السّوء بجهالة ثمّ يتوبون من قريب فاولئك يتوب الله عليهم و كان الله عليماً حكيماً * و ليست التّوبة للّذين يعملون السيّئات حتّى إذا حضر احدهم الموت قال انّى تبت الان و لا الّذين يموتون و هم كفّار

١- الكافي، ج ٢، ص ٤٣٥، باب التوبة، ح ١٠.

اولئك اعتدنا لهم عذاباً اليماً﴾.[١]

فهو في بيان امور هامّة و لا دلالة له على بيان الشرطيّة ايضاً.

توضيح ذلك، انّ الإنسان قد يذنب لغلبة الهوى و النّفس الأمّارة فحينئذٍ علمه بمضرّات الذّنب محجوب بالهوى و يطلق على هذا المذنب الجاهل لغةً و اصطلاحاً و عرفاً، و لعلّ السرّ فيه انّ العلم لا يؤثّر فيه حينئذ، بل بعد دفع الشّهوة و الهوى يحصل للمذنب حال الندم، فكأنّه ليس حينئذٍ له علمٌ بقبح عمله.

و أمّا لو كان ذنبه عن عناد و لجاج بل لعادةٍ أو للتّوجيهات و الوساوس الشّيطانيّة فحصول الندم بعد الذّنب مشكل جدّاً و قد اطلق الله تعالى عليه الضّلالة مع علمٍ.

قال: ﴿و اضلّه الله على علمٍ﴾.[٢]

و القرآن في هذه الشّريفة ينبّه الإنسان رحمةً و تفضّلاً على أن لا توبة للعالم بفعله، قال ﴿انّما التوبة على الله للّذين يعملون السّوء بجهالةٍ﴾.

فهي تحذّر العنيد اللاجّ عن اغتراف المعاصي، مشيرةً إلى أن لا توبة له.

و أمّا قوله تعالى: ﴿ثمّ يتوبون من قريب﴾ فهو لطف و تنبيه رحمانيّ آخر و هو تحذير عن تسويف التوبة لانّ تأخيرها و عدم الاهتمام بها ينسى الذنب شيئاً فشيئاً بل كثيراً ما تحصل له حالة الاستدراج و الانغمار في الذّنوب من غير التفات منه إليها فتسوّد الذنوب صحيفة قلبه و حينئذ لا فلاح له ابداً و الذكر الحكيم أخبر عن سوء حاله بما اطلق عليه من كلمة الويل:

قال تعالى: ﴿فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله﴾.[٣]

و أمّا قوله تعالى: ﴿و ليست التّوبة للّذين يعملون السيّئات حتّى إذا حضر احدهم الموت قال انّي تبت الآن﴾. فهو لطف ثالث و تحذير آخر و هو انّ الإنسان إذا رأى العذاب

١- النّساء / ١٧، ١٨. ٢- الجاثية / ٢٣. ٣- الزّمر / ٢٢.

دنيويّة أو أخرويّة يظهر له النّدامة و لكن تلك النّدامة ليست بتوبة بل هي لمشاهدة وبال ذنبه و آثاره السوء.

قال تعالى: ﴿و اسرّوا النّدامة لمّا رأوا العذاب﴾.[1]

و كثيرٌ من آي الذكر الحكيم يدلّ على انّ هذا الندم ليس بصادق، بل هو ندمٌ كاذبٌ لا واقع له.

قال تعالى: ﴿قال ربّ ارجعون لعلّي اعمل صالحاً فيما تركت كلّا انّها كلمة هو قائلها﴾.[2]

و قال تعالى: ﴿و لو ردّوا لعادوا لما نهوا عنه و انّهم لكاذبون﴾.[3]

و أمّا قوله تعالى: ﴿و لا الّذين يموتون و هم كفّار﴾ فضافاً إلى انّ التّوبة يوم القيامة كالتّوبة حين الموت ليست بتوبة لانّها و إن كانت حقيقيّة ولكنّها لا فائدة فيها، لانّ المقام مقام الجزاء، لا دار التكليف، فمن يعمل مثقال ذرّة خيراً أو شرّاً يرى ذلك الخير أو الشرّ إلّا ان يبدّل الشرّ بالخير بالعفو أو الشّفاعة، و الكفّار لا يليقون بهما اصلاً.

فجملة القول: انّا لم نجد آية و لارواية تدلّ على كون التوبة مشروطةً ـ و هي الندم الحقيق ـ بشيء و كذلك لم نجد آية و لا رواية تدلّ على أنّه لا يقبل توبة النادم ندامةً حقيقيّة.

نعم، في المرتدّ كلام آخر مذكورٌ في الفقه، و القول الحقّ فيه ايضاً ان الله سبحانه و تعالى يقبل توبته بصرف ندمه عمّا مضى عليه و ان لم يترتّب على تلك التّوبة بعض الأمور الوضعيّة الدّنيويّة.

حتّى انّ المعاند اللّجوج ان تاب حقّاً أو من سوّف و اخّر التّوبة و لم يتب بعد الذنب و لكنّه بعد زمان بعيدٍ تاب حقاً أو من رأى الموت ثمّ تاب فيقبل توبته بلا اشكلال عقلاً و

١- سبأ / ٣٣. ٢- المؤمنون / ٩٩، ١٠٠. ٣- الانعام / ٢٨.

شرعاً كما تدلّ عليه الرواية الآنف ذكرها، و نظيرها غيرها من روايات الباب.

فعلى ما قلنا يجوز لقائل ان يقول: انّ العفو و الشّفاعة يوم القيامة يختصّان بمن تاب توبةً حقيقيّة. و هذا قولٌ صادق ليس قائله بمجازفٍ فيه.

و في المقام امور لابدّ من ذكرها:

الف: التوبة بعد التوبة بفصل ذنبٍ بينهما مقبولةٌ عنده سبحانه، فلو تاب العبد ثم غلب عليه هواه فارتكب ذنباً ثم تاب و هكذا إلى مرّاةٍ عديدة، فانّ توبته في جميع المرّاة مقبولة و لا يجوز له ان يقنط من رحمة الله و ذلك القنوط يُعدّ من اكبر الكبائر و هو الّذي يوجب اليأس عن توبته و ورود العبد المذنب غير التائب إلى حضرته من غير توبةٍ مقبولة.

قال تعالى: ﴿و لا تيأسوا من روح الله انّه لا ييأس من روح الله إلّا القوم الكافرون﴾.[1]

يدلّ عليه اطلاق لفظة التّوّاب في كثير من مواضع القرآن على الله و على العبد في مقام المدح و التكريم، منها قوله تعالى: ﴿انّ الله يحبّ التّوّابين و يحبّ المتطهّرين﴾.[2]

و قوله تعالى: ﴿انّه هو التّوّاب الرّحيم﴾.[3]

و احتمال كون التّوّاب في الموردين صفة مشبهة ليس ببعيد، و لكن الأقرب منه المطابق للذّوق القرآنى كونه في الموردين من صيغ المبالغة و المعنى: كلّما عاد العبد إلى الله تعالى بالتوبة و لو ازيد من الف مرّة عاد الله تعالى إليه بالغفران، فالله يحبّ ان لا يقنط العبد من رحمته و كلّما اذنب يستغفره، فالله تعالى توّاب فكلّما رجع العبد إليه يقبله تعالى و يغفر له، و في هذا المعنى وردت روايات منها قول أبي جعفر عليه السلام: ... كلّما عاد المؤمن بالاستغفار و التّوبة عادالله عليه بالمغفرة و انّ الله غفور رحيم يقبل التّوبة و يعفو عن السيّئات فايّاك ان

١- يوسف / ٨٧. ٢- البقرة / ٢٢٢. ٣- البقرة / ٣٧.

تقنّط المؤمنين من رحمة الله.[١]

ولله درّ من قال بالفارسيّة:

بـــازا بـــازا هـــر آنـچه هسـتى بـازا گـر كـافر و گـبر و بت پـرستى بـازا
اين درگه مـا درگـه نـوميدى نـيست صـد بـار اگـر تـوبه شكسـتى بـازا

ب: انّ التّوبة باعتبار المتعلّق تنقسم إلى اقسام.

و ان شئت قلت: انّها مقولة بالتشكيك باعتبار ذاتها كما أنّها مقولة بالتشكيك باعتبار متعلّقها ايضاً. و لله درّ الحكيم النحرير السّبزوارى حيث قال في منظومته:

مراتب التّوب كمراتب التّـقى من حرمة أو حلّ أو غير اللّقا

و يطلق على تلك المراتب: توبة العوام و توبة الخواصّ و توبة اخصّ الخواصّ.

فعموم النّاس عليهم أن يتوبوا من ذنوبهم، و هي اغتراف السيّئات كبيرة أو صغيرة و ترك الواجبات ذات شأنها أو غير ذات شأنها.

و خصوص النّاس كالانبياء قد كانوا تائبين عن ذنوبهم و هي بالنسبة إليهم ارتكاب المكروهات الارشاديّة أو المولويّة و ترك المندوبات بمعنى مخالفتها لا مطلق التّرك. كعصيان آدم و يونس و يعقوب و يوسف عليهم السلام، فآدم عليه السلام ذاق من الشّجرة و يونس عليه السلام ترك قومه بلا إذنٍ من ربّه تعالى و يعقوب عليه السلام كان متوكّلاً على ابنائه و يوسف عليه السلام توكّل على آدميٍّ آخر في انجائه عن السّجن.

و اخصّ الخواصّ كاهل البيت عليهم السلام قد تابوا من ذنوبهم، و هي بالنسبة إليهم التّوجّه إلى المادّيات و المشتهيات الّتي توجب حدوث الغين على قلوبهم المقدّسة و الانصراف عن حضرة الله تعالى الّذي هو لهم ذنبٌ عظيم.

قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: انّه ليغان على قلبي فاستغفرالله سبعين مرّة.

١- الكافي، ج ٢، ص ٤٣٤، ذيل ح ٦.

ثمّ انّه لابدّ من التوجّه إلى انّ مراتب عموم النّاس أيضاً متفاوتة فمقام العلماء غير مقام عامّة النّاس و مقام المنسوبين إليهم كنسائهم و ابنائهم بل خدّامهم و مريديهم غير عامّة النّاس و هكذا.... و بالضّرورة ذنوبهم غير ذنوبهم و توبتهم ايضاً كذلك.

قال تعالى: ﴿يا ايّها النبيّ قل لازواجك ان كنتنّ تردن الحيوة الدّنيا و زينتها فتعالين امتّعكنّ و اسرّحكنّ سراحاً جميلاً * و ان كنتنّ تردن الله و رسوله و الدّار الآخرة فانّ الله اعدّ للمحسنات منكنّ اجراً عظيماً * يا نساء النبيّ من يأت منكنّ بفاحشة مبيّنة يضاعف لها العذاب ضعفين و كان ذلك على الله يسيراً * و من يقنت منكنّ لله و رسوله و تعمل صالحاً نؤتها اجرها مرّتين و اعتدنا لهارزقاً كريماً * يا نساء النبيّ لستنّ كاحدٍ من النّساء﴾.(١)

فترى انّ القرآن عدّ سعة العيش لنساء النّبي كالعيش الزخرفي لعموم النّاس، فنهى و بالغ في نهيهنّ عنها، كما قد بالغ في النهى عنه لهم، و لا فرق في ذلك بين حياتهم الفرديّة أو الجماعيّة.

قال تعالى: ﴿و اصحاب الشّمال ما اصحاب الشمال * في سموم و حميم * و ظلّ من يحموم * لا بارد و لا كريم * انّهم كانوا قبل ذلك مترفين * و كانوا يصرّون على الحنث العظيم﴾.(٢)

و قال تعالى: ﴿و إذا اردنا ان نهلك قريةً امرنا مترفيها ففسقوا فيها فحقّ عليها القول فدمّرناها تدميراً﴾.(٣)

و ليس هذا إلّا انّ شأن الخواصّ غير شأن عموم النّاس و ذنوبهم ايضاً غير ذنوبهم و شدّة الحساب عليهم غير ما يحاسب به عمومهم.

١- الاحزاب / ٢٨ - ٣٢. ٢- الواقعة / ٤١ - ٤٦. ٣- الأنبياء / ١٦.

قال الصادق عليه‌السلام: يغفر للجاهل سبعون ذنباً قبل ان يغفر للعالم ذنب واحد.[١]

و لعلّ من اسرار ذلك، كونهم اسوة للناس نموذجاً للاسلام عندهم فما يصدر عنهم من الافعال و الاقوال يوجب تقوية الشرع المبين أو تضعيفه.

و على كلّ تقدير لا شكّ في انّ للقسطين من الناس، شأنان عند الله تعالى به يعامل بهم و يحاسب عليهم.

ج: انّ التّوبة لابدّ من ان تكون لله تعالى فقط، بمعنى انّ الندم يجب ان لا يعرض على التائب إلّا لأنّه عصى الله تعالى فلذا قلنا في تعريفها انّها رجوع من الشّهوات إليه تعالى.

و أمّا لو تاب لا لكونه عاصٍ بل خوفاً من النّار أو لكون ما فعله كان قبيحاً عقلاً أو شرعاً، فندمه ليس بتوبة لله تعالى.

و بذلك اشار القرآن في عدّة من آيات الباب، منها:

قوله تعالى: ﴿قل هو ربّى لا اله إلّا هو عليه توكّلت و إليه متاب﴾.[٢]

و قوله تعالى: ﴿و من تاب و عمل صالحاً فانّه يتوب إلى الله متاباً﴾.[٣]

و بذلك اشار المحقّق نصير الملّة و الدّين في التجريد: و يندم على القبيح لقبحه و إلّا لانتفت التّوبة و خوف النّار ان كانت الغاية فكذلك و كذا الاخلال بالواجب[٤].

نعم، يرد على هذا المحقّق انّ الندم على القبيح قبيح فهو كالندم على القبيح لخوف النّار، فحكمها سيّان، ان صحّ الأوّل صحّ الثّانى و ان بطل الثّانى بطل الأوّل ايضاً.

فالتوبة هي الندم على مخالفة الله تعالى و انّ الاتيان بالسّيّئات و ترك الواجبات مخالفة لله فيندم على القبيح و على الاخلال بالواجب لكونها مخالفة لله تعالى.

و لكنّ الّذي يسهّل الخطب انّ التوبة و ان كانت معناها هو الندم على مخالفة الله تعالى

١- الكافي، ج ١، ص ٤٧، باب لزوم الحجّة، ح ١. ٢- الرّعد / ٣٠. ٣- الفرقان / ٧١.

٤- شرح التجريد للعلّامة، ص ٣٣١.

إلّا انّ الدّواعى لها مختلفة، فقد يتوب خوفاً من ناره و قد يتوب طمعاً في جنّته و لكن قد يتوب لانّ عبوديّة التائب و ربوبيّة المعاد إليه يقتضى ذلك، و قد يتوب خوفاً من البلايا و قد يتوب طمعاً في النّعم الدّنيويّة و قد يتوب لله تعالى فقط من غير داع من الدّواعى و قد يتوب لله و يندم لكونه عبداً فرّاراً، فذلك هي التّوبة حقّها و لكن قد يتوب و الدّاعى هو الاستحياء منه أو شكر نعمه أو حبّه له فذلك هو التّوبة على نحو الدّاعى على الدّاعى.

و قد مرّ في باب الاخلاص ما ينفع في المقام، فراجع.

و الحاصل، انّ التوبة حكمها حكم العبادات أى لابدّ من ان يؤتى بها لله تعالى فقط من غير أن يشوبها شيء من الغايات و الدّواعى و لكن لا يضرّ بها الغايات و الدّواعى المحرّكة إليها من الغايات و الدّواعى دنيويّة كانت كالخوف من العذاب الدّنيويّة و كالطّمع في النّيل إلى النّعم الدّنيويّة، أو أخرويّة كالخوف من نار جهنّم أو الطّمع في الجنّة.

فالاحسن ان يتوب التائب لا لتلك الدّواعى بل يتوب استحياءً منه تعالى أو حبّاً له أو نحو ذلك.

و الأحسن من الكلّ أن يتوب إليه لأنّه تعالى أهلٌ لذلك و لا يكون له نظر إلى غير هذا المقام الأسنى، و ان يتوب إلى الله لاقتضاء العبوديّة و الرّبوبيّة ذلك.

و هذا هو الطريق الوحيد للوصول إلى جنابه تعالى في طرفة عينٍ المعبّر عنه بمقام اللقاء الّذي لا يخطر مغزاه ببال أحدٍ سوى من أدركه و نال لذّته.

د: انّ التّبعّض في التّوبة جائز و ما اشتهر بين المتكلّمين من عدم جوازه لا وجه له لانّه لّما كانت الدّواعى مختلفة فيمكن للعاصى ان يدعوه داعٍ إلى التوبة عن معصية دون معصية أخرى.

و كذلك لّما كانت المعاصى من حيث الكبر و الصّغر مختلفة و كذلك من حيث المتعلّق، فيجوز للعاصى ان يتوب بحسب ادراكه من بعض دون بعض.

و كذلك لمّا كانت المعاصي بحسب عادة المذنب مختلفة حتّى صار بعضها سجيّةً له كالكذب أو الغيبة فلا حياء له بالنسبة إليه، أمّا غيره من الذنوب فله حياءٌ منه كالسّرقة و القتل، فيمكن للمذنب التائب التّبعيض في التّوبة ايضاً بتلك الجهة.

و لكن طوبى لمن يرى انّ كلّ ذنب و لو كان صغيراً، فهو مخالفة لله تعالى و بارتكابه يبطل رسم العبوديّة فبمجرّد اعترافه يتوب و يجدّد الإيمان، فحينئذٍ لا معنى لهذا التائب أن تبعّض في الندم على الذنب و التّوبة منه و لا معنى لان يتوب من معصية دون معصية.

ه: انّ السيّد الاستاذ في الميزان كرّر افادة لطيفة رحمانيّة استفادها من الذكر الحكيم و هي انّ توبة العبد محفوفة بتوبة الرّبّ مقدّماً عليها و مؤخّراً منها، و بعبارة اوضح انّ توبة العبد دائماً محفوفة بتوبتين من الله الرّحيم الغفور لانّ الله تعالى اوّلاً يرجع إلى عبده المذنب و ينبّهه و ينقلبه فيوفّقه لان يتوب إليه و يندم على ما فعل و ثانياً يقبل توبة العبد المذنب و رجوعه إلى الله تعالى.

ففي كلّ رجوع من العبد رجوعان من الله تعالى و هذا معنى قوله قدّس الله سرّه: لكلّ توبة من العبد توبتان من الرّبّ، و إلى هذه اللّطيفة اشار القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿ثمّ تاب عليهم ليتوبوا انّ الله هو التّواب الرّحيم﴾.[1]

فترى انّ هذه الآية الشريفة كيف حفّفت توبة العبد ـ ليتوبوا ـ بالتّوبتين من الله تعالى ـ ﴿ثمّ تاب عليهم.... انّ الله هو التوّاب الرّحيم﴾.

و نظيرها في القرآن كثير، كقوله تعالى: ﴿فتلقّى آدم من ربّه كلمات فتاب عليه انّه هو التوّاب الرّحيم﴾.[2]

و: انّ التّوبة فضله تعالى على العبد و قبول التّوبة فضل آخر منه عليه و لكن الفضل كلّ الفضل ما حكم الله سبحانه و تعالى به من ترتّب الخيرات كلّها دنيويّةً و أخروية عليها.

١- التّوبة / ١١٨. ٢- البقرة / ٣٧.

و لا اظنّ في الإسلام شيئاً افضل عندالله من توبة العبد و لو لا شيء في التّوبة إلّا كونها مطهّرة للقلوب تصيغ للتائب أن يخلّص نفسه عن الكدورات و الدنسات، فيتجاوز من منزل التّوبة و اليقظة إلى منزل التّخلية بل التّحلية بل التّجلية في أقلّ طرفة عين، ليكفيك ان تصدّق انّها افضل الاعمال نماءً و منفعةً و بذلك اشار الله تعالى في جملة آيات منها:

قوله تعالى: ﴿انّ الله يحبّ التّوّابين و يحبّ المتطهّرين﴾.[1]

و قوله تعالى: ﴿إلّا من تاب و آمن و عمل عملاً صالحاً فاولئك يبدّل الله سيّئاتهم حسنات﴾.[2]

و في رواية: انّ الله عزّوجلّ اعطى التائبين ثلاث خصال لو اعطى خصلة منها جميع أهل السّموات و الأرض لنجوا بها، قوله عزّوجلّ ﴿انّ الله يحبّ التّوّابين و يحبّ المتطهّرين﴾....[3] و قوله ﴿الّذين يحملون العرش و من حوله يسبّحون بحمد ربّهم..... فاغفر للّذين تابوا و اتّبعوا سبيلك و قهم عذاب الجحيم ربّنا و ادخلهم جنّات عدن الّتي وعدتهم و من صلح من آبائهم و ازواجهم و ذرّيّاتهم انّك انت العزيز الحكيم﴾....[4] و قوله عزّوجلّ: ﴿إلّا من تاب و آمن و عمل عملاً صالحاً فاولئك يبدّل الله سيّئاتهم حسنات﴾.[5]_[6]

و قال الصادق عليه السلام: انّ الله يفرح بتوبة عبده المؤمن كما يفرح احدكم بضالّته إذا وجدها.[7]

هذا كلّه من جهة عوائدها المعنويّة الاخرويّة.

و أمّا من جهة عوائدها الدّنيويّة فقد ورد في جملةٍ من الآيات و الأحاديث انّ التوبة

١- البقرة / ٢٢٢. ٢- الفرقان / ٧٠ ٣- البقرة / ٢٢٢. ٤- غافر / ٧، ٨.

٥- الفرقان / ٧٠. ٦- الكافي، ج ٢، ص ٤٣٢، ح ٥.

٧- الكافي، ج ٢، ص ٤٣٦، ح ١٣.

أنفع شيء لجلب البركات و المنافع و حتّى المادّية منها، و من تلك الآيات: قوله تعالى: ﴿و يا قوم استغفروا ربّكم ثمّ توبوا إليه يرسل السّماء عليكم مدراراً و يزدكم قوّةً قوّتكم﴾.[١]

هذا، ولكن لافخر للتائبين أعلى و أشرف ممّا توّجهم الله به من التسليم عليهم و الغفران لهم.

قال تعالى: ﴿و إذا جائك الّذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربّكم على نفسه الرّحمة انّه من عمل منكم سوءً بجهالة ثمّ تاب من بعده و اصلح فانّه غفور رحيم﴾.[٢]

ز: يظهر من القرآن الشريف توقّف قبول التّوبة على التوسّل إلى النّبي و أهل بيته عليهم السلام كما يظهر منه أيضاً توقّف مطلق اجابة الدّعاء عليه، و بدونه لا اجابة كما أنّه لا توبة، إذ أبى الله ان يجرى الأمور الّا بأسبابها، و هو تعالى أمر بابتغاء الوسيله سبباً إلى قبولها.

قال تعالى: ﴿و لو انّهم اذ ظلموا انفسهم جاءوك فاستغفروا الله و استغفرلهم الرّسول لوجدوا الله توّاباً رحيماً﴾.[٣]

و قال تعالى: ﴿يا ايّها الّذين آمنوا اتّقوا الله و ابتغوا إليه الوسيلة﴾.[٤]

فيا ايّها التّائبون و يا ايّها المضطرّون و يا ايّها المحتاجون إلى الله تعالى، عليكم ثمّ عليكم ثمّ عليكم بالتّوسّل إلى أهل البيت عليهم السلام لانّ التغافل عن هذا الفيض العظيم يوجب الخذلان و الحرمان في الدّنيا و لا يعقل النّيل إلى سعادة إلّا بواسطة الفيض المعبّر عنه في لسان الوحى و الحديث بالشفاعة.

اللّهمّ ارزقنا شفاعتهم في النّيل إلى السّعادات الدنيويّة و الاخرويّة بحقّهم صلوات الله عليهم اجمعين.

ح: قد فصّلنا القول سابقاً في كيفيّة التّخلية و التّحلية و بذلك التفصيل ظهر كيفيّة

١- هود / ٥٢. ٢- الانعام / ٥٤. ٣- النّساء / ٦٤. ٤- المائدة / ٣٥.

تحصيل التّوبة ايضاً إلّا أنّه نظراً إلى ما هذه الفضيلة من الأهميّة البالغة، لا بأس بافراد قولٍ موجز في كيفيّة تحصيلها و الاتّصاف بها فنقول:

الطريق إليها اوّلاً: ان يتفكّر في كلّ يوم و ليلة و لو لحظة حتّى يثاب مما لايقلّ عن ثواب عبادة سنة.

قال أبو عبدالله عليه‌السلام: تفكّر ساعة خير من عبادة سنة.[1]

و أن يتفكّر في عاقبة المذنبين و هو السّير الّذي أمر به الله في القرآن فيما يزيد عن عشرة موارد.

قال تعالى: ﴿فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذّبين﴾.[2]

و لقد اجاد في جامع السّعادات بقوله: اَما سمعت انّ أباك آدم قد أُخرج من الجنّة بتركه الاولى حتّى روى انّه لمّا اكل الشّجرة تطايرت الحلل عن جسده و بدت عورته و جاء جبرئيل عليه‌السلام و اخذ التّاج من رأسه و خلّى الاكليل عن جنبيه و نودى من فوق العرش: اهبطا من جوارى فانّه لا يجاورنى من عصانى، فالتفت آدم إلى حوّاء باكياً و قال: هذا اوّل شؤم المعصية أخرجنا من جوار الحبيب.... و قد روى انّ آدم بكى على ذنبه مأتى سنة حتّى قبل الله توبته و تجاوز عمّا ارتكبه من ترك الاولى فان كانت مؤاخذته في نهى تنزيه مع حبيبه و صفيّه هكذا فكيف معاملته مع الغير في ذنوب لا تحصى؟!.[3]

و ثانياً: ان يتفكّر في انّ الذّنب داء للنّفس عظيم فلو لم يداوه بالتّوبة لقسى قلبه و ويل لذلك القلب حينئذٍ.

قال تعالى: ﴿فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله﴾.[4]

و لو بقيت القساوة و رسخت في القلب لينجرّ إلى سلب الايمان منه.

١- بحار الانوار، ج ٦٨، ص ٣٢٧، باب ٨٠، ح ٢٢.
٢- النّحل / ٣٦.
٣- جامع السّعادات، ج ٣، ص ٤٨.
٤- الزّمر / ٢٢.

قال تعالى: ﴿ثمّ كان عاقبة الّذين اساؤوا السّوأىٰ ان كذّبوا بآيات الله﴾.[١]

و ثالثاً: ان يتفكّر في انّ كلّ ما يتلقّاه الإنسان في الدّنيا و الآخرة من المصائب و المشاكل لا سيّما المشاكل النفسيّة ليس إلّا من آثار ذنوبه.

قال تعالى: ﴿و لا يزال الّذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة أو تحلّ قريباً من دارهم﴾.[٢]

و قال تعالى: ﴿فايّ الفريقين احقّ بالامن ان كنتم تعلمون * الّذين آمنوا و لم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم الامن و هم مهتدون﴾.[٣]

و رابعاً: ان يتفكّر في أنّ السلوك إلى الله تعالى هو الغاية المتوخّاة من خلق الانسان، و هو يتوقّف على التّوبة الّتي هي اوّل منزلٍ من المنازل السبع الواقعة في مسيره إليه سبحانه، و لولا السلوك فلا فرق بين الآدميّ و الحيوانات، بل الضالّ من النّاس هو أضلّ من الحيوانات غير الناطقة.

قال تعالى: ﴿انّا جعلنا في اعناقهم اغلالاً فهى إلى الأذقان فهم مقمحون * و جعلنا من بين ايديهم سدّاً و من خلفهم سدّاً فاغشيناهم فهم لا يبصرون﴾.[٤]

فبهذه التفكّرات سيّما إذا دام عليه الإنسان في كلّ يوم تحصل الدّواعى للتوبة إلى الله و الرجوع من العصيان إلى العبوديّة.

و أهمّ من هذا كلّه، هو التفطّن إلى انّ العالم بشراشره و منها الإنسان لا يكون إلّا بمحضرٍ من الله تعالى، فلا شيء إلّا هو بمحضره تعالى و لا شيء في التوبة اهم من هذا التفطّن و لو كان لحظةً في كلّ يومٍ.

و التّوجّه ـ ايضاً ـ إلى أنّ النّعم الالهيّة لا تعدّ و لا تحصى ظاهرة و باطنة و استخدامها في معصية الله تعالى جفاء بل ظلم عظيم.

١- الرّوم / ١٠. ٢- الرّعد / ٣١. ٣- الانعام / ٨١، ٨٢. ٤- يس / ٨، ٩.

قال تعالى: ﴿و ان تعدّوا نعمة الله لا تحصوها﴾.[١]

و قال تعالى: ﴿و اسبغ عليكم نعمه ظاهرة و باطنة﴾.[٢]

و قال تعالى: ﴿يا بنيّ لا تشرك بالله انّ الشّرك لظلم عظيم﴾.[٣]

ط: انّ الذّنوب باعتبار المضاف إليه تنقسم إلى اقسام:

١ ـ حقّ الله الّذي لا تدارك له كالكذب و استماع الغناء و المزامير و الزّنا بغير ذات البعل و شرب الخمر و نحو ذلك، فالتوبة عنها هي الندم فقط و بعد الندم انّ الله تعالى يغفرها جميعاً.

٢ ـ حقّ الله تعالى الّذي يمكن تداركه كترك الصّلوة و الصّوم و الحجّ و نحو ذلك، فالتّوبة عنه و ان كانت صرف الندم كما مرّ الكلام فيه، إلّا انّه لو لم يتداركها فقد اغترف ذنباً عظيماً يجب التوبة عنه و توبتها تداركها، هذا لو لم نقل بأنّ عدم تداركها كاشف عن عدم توبته.

٣ ـ حقّ النّاس الّذي يجب تداركه كأكل اموال النّاس حتّى الخمس و الزّكوة و كاضلال الغير سيّما في اصول الدّين و كالقتل عمداً أو خطاءً و كالاضرار بالأبدان كالجرح و القطع و بالجملة كاتلاف المال أو النّفس أو الاطراف، فالتّوبة عن مثل ذلك و ان كانت صرف الندم إلّا انّ عدم تداركها، من الذّنوب الموبقة الّتي لابدّ من التّوبة عنها و توبتها تداركها.

نعم، لو لم يقدر على تداركها على وجهها فيجب عليه بما يقدر و لااقلّ من الدّعاء للمجنيّ عليه، و يوم القيامة انّ الله يُرضى من له الحقّ بدلاً و نيابةً عنه و أمّا لو لم يتب و مات على ذنبه، فيبدّل الله تعالى صالح أعماله بطالح أعمال ذي الحقّ، بدلاً عمّا جنى عليه.

و على ذلك دلالة جملةٍ من الآيات و الروايات، منها: قوله تعالى: ﴿و قدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثوراً﴾.[٤]

١- ابراهيم / ٣٤. ٢- لقمان / ٢٠. ٣- لقمان / ١٣. ٤- الفرقان / ٢٣.

و قد وردت روايات مذيّلاً على هذه الشريفة تدلّ على انّ الله تعالى يعطي المديون طاعات الدائن المقصّر حتّى نودى استهزاءً عليه: انّ هذا الّذي أكل أعماله عياله.

و قال تعالى: ﴿و ليحملنّ اثقالهم و اثقالاً مع اثقالهم﴾.[١]

٤ ـ حقّ النّاس الّذي لا تدارك له كالخيانة في الأهل و الاولاد أو في العرض كالغيبة و التّهمة و نحو ذلك. فالتّوبة عن مثل تلك الأمور هي الندم عليها فقط حيث انّه لا وجه للاستحلال اذ اظهارها طلباً للعفو منها يوجب غيظ ذي‌الحق و سخطه على المستغفي، فيترتّب عليه مفاسد عظيمة حتّى انّ الاستحلال في الغيبة غالباً ـ إلّا ماشذّ ـ يوجب الكدورة و هي اذيّة أخرى ذنبها عظيم، نعم لو سمع المغتاب غيبته فيجب الاستحلال منه لرفع غيظه و سخطه كما انّه لوامكن رفع التّهمة عن المتّهم ظلماً و عدواناً و رفع العيب عنه بذكر محاسنه على رؤوس الاشهاد و لو بتكذيب نفسه لوجب، نعم لو تاب و استحلّ من المغتاب و لكنه لم يرض عنه فتوبته مقبولة والله تعالى هو الحاكم الرئوف الّذي يقبل التّوبة عن عباده، فعليه ترضية المغتاب يوم القيامة.

فتلخّص من جميع ما ذكرنا انّه لا مورد في الإسلام إلّا ان يقبل فيه التّوبة. فصرف الندم من كلّ ذنبٍ، حقّ الله كان أو حقّ النّاس هي التّوبة، و الله تعالى يقبل التّوبة عن عباده إلّا انّ كلّ مورد يمكن جبره كقضاء بعض العبادات في حقّ الله و كردّ مظالم العباد في حقّ النّاس يجب أن يُجبر و كلّ مورد لايمكن جبره كالخيانة في الأهل و الاولاد فصرف الندم كافٍ فيه، و الله تعالى جابر العثرات فيقبل التّوبة و يجبر في الآخرة للمظلوم بما يرضى به من الظّالم.

هذا تلخيص الكلام في هذا المرام، و لمّا كان البحث فقهيّاً يطلب تفصيله هناك و بهذا المقدار نكتفى هنا و نختم البحث عنها بما نورده من كلمات المعصومين عليهم السلام الّتي هي أنوارٌ صادرة من أنوار الله تعالى.

١- العنكبوت / ١٣.

روايات في التّوبة

* عن أبي عبدالله عليه السلام: إذا تاب العبد توبة نصوحاً احبّه الله فستر عليه في الدّنيا و الآخرة، فقلت: و كيف يستر عليه؟ قال: ينسى ملكيه ما كتبا عليه من الذّنوب، و يوحى إلى جوارحه: اكتمي عليه ذنوبه، و يوحى إلى بقاع الأرض: اكتمي ما كان يعمل عليك من الذّنوب، فيلق الله حين يلقاه و ليس شيء يشهد عليه بشيء من الذّنوب.(١)

* عن محمّد بن مسلم، عن أحدهما عليه السلام في قول الله عزّوجلّ: ﴿**فمن جاءه موعظة من ربّه فانتهى فله ما سلف**﴾ قال: الموعظة التّوبة.(٢)

* عن أبي الصّباح الكنانى قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله عزّوجلّ ﴿**يا ايّها الّذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحاً**﴾ قال: يتوب العبد من الذّنب ثمّ لا يعود فيه، قال محمّد بن فضيل: سألت عنها أبا الحسن عليه السلام فقال: يتوب من الذّنب ثمّ لا يعود فيه، و احبّ العباد إلى الله تعالى المفتّنون التوّابون.(٣)

* عن أبي بصير قال: قلت لابى عبدالله عليه السلام: ﴿**يا ايّها الّذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحاً**﴾ قال: هو الذّنب الّذي لا يعود فيه أبداً، قلت: و أيّنا لم يعد؟ فقال: يا أبا محمّد انّ الله يحبّ من عباده المفتّن التوّاب.(٤)

* و في رواية: انّ الله عزّوجلّ أعطى التّائبين ثلاث خصال لو أعطى خصلة منها جميع

١- الكافي، ج ٢، ص ٤٣٠، ح ١.

٢- الكافي، ج ٢، ص ٤٣١، ح ٢.

٣- الكافي، ج ٢، ص ٤٣٢، ح ٣.

٤- الكافي، ج ٢، ص ٤٣٢، ح ٤.

أهل السّموات و الأرض لنجوا بها، قوله عزّوجلّ: ﴿انّ الله يحبّ التوّابين و يحبّ المتطهّرين﴾[١] فمن أحبّه الله لم يعذّبه، و قوله: ﴿الّذين يحملون العرش و من حوله يسبّحون بحمد ربّهم و يؤمنون به و يستغفرون للّذين آمنوا ربّنا وسعت كلّ شيء رحمة و علماً فاغفر للّذين تابوا و اتّبعوا سبيلك و قهم عذاب الجحيم * ربّنا و ادخلهم جنّات عدن الّتي وعدتهم و من صلح من ابائهم و ازواجهم و ذرّيّاتهم انّك انت العزيز الحكيم * و قهم السّيّئات و من تق السّيّئات يومئذ فقد رحمته و ذلك هو الفوز العظيم﴾[٢] و قوله عزّوجلّ: ﴿و الّذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر و لا يقتلون النّفس الّتي حرّم الله إلّا بالحقّ و لا يزنون و من يفعل ذلك يلق أثاماً * يضاعف له العذاب يوم القيامة و يخلد فيه مهاناً * إلّا من تاب و آمن و عمل عملاً صالحاً فاولئك يبدّل الله سيّئاتهم حسنات و كان الله غفوراً رحيماً﴾.[٣]_[٤]

* عن محمّد بن مسلم عن أبي جعفر عليه‌السلام قال: يا محمّد بن مسلم ذنوب المؤمن إذا تاب منها مغفورة له فليعمل المؤمن لما يستأنف بعد التّوبة و المغفرة، اما والله إنّها ليست إلّا لأهل الايمان، قلت: فان عاد بعد التّوبة و الاستغفار من الذّنوب و عاد في التّوبة؟! فقال: يا محمّد بن مسلم أترى العبد المؤمن يندم على ذنبه و يستغفر منه و يتوب ثمّ لا يقبل الله توبته؟ قلت: فانّه فعل ذلك مراراً، يذنب ثمّ يتوب و يستغفر (الله)، فقال: كلّما عاد المؤمن بالاستغفار و التّوبة عاد الله عليه بالمغفرة و انّ الله غفور رحيم، يقبل التوبة و يعفو عن السّيّئات، فايّاك ان تقنّط المؤمنين من رحمة الله.[٥]

* عن أبي بصير، عن أبي عبدالله عليه‌السلام قال: سألته عن قول الله عزّوجلّ: ﴿إذا مسّهم

١- البقره / ٢٢٢.   ٢- غافر / ٧ـ ٩.   ٣- الفرقان / ٦٨ ـ ٧٠.

٤- الكافي، ج ٢، ص ٤٣٢، ح ٥.   ٥- الكافي، ج ٢، ص ٤٣٤، ح ٦.

طائف من الشّيطان تذكّروا فاذا هم مبصرون»[١] قال: هو العبد يهمّ بـالذّنب ثمّ يـتذكّر فيمسك فذلك قوله: ﴿تذكّروا فاذا هم مبصرون﴾.[٢]

* عن أبي جعفر عليه السلام: انّ الله تعالى أشدّ فرحاً بتوبة عبده من رجل أضلّ راحلته و زاده في ليلة ظلماء فوجدها، فالله أشدّ فرحاً بتوبة عبده من ذلك الرّجل بـراحـلته حـين وجدها.[٣]

* قال أبو عبدالله عليه السلام: انّ الله يحبّ العبد المفتّن التوّاب و من لم يكن ذلك منه كـان افضل.[٤]

* عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال: سمعته يقول: التّائب من الذّنب كمن لاذنب له و المقيم على الذّنب و هو مستغفر منه كالمستهزئ.[٥]

* عن أبي جعفر عليه السلام: انّ الله عزّوجلّ أوحى إلى داود عليه السلام أن ائت عبدى دانيال فقل له: انّك عصيتنى فغفرت لك و عصيتنى فغفرت لك و عصيتنى فغفرت لك، فان انت عصيتنى الرّابعة لم أغفر لك، فاتاه داود عليه السلام فقال: يا دانيال إنّنى رسول الله إليك و هو يقول لك: انّك عصيتنى فغفرت لك و عصيتنى فغفرت لك و عصيتنى فغفرت لك فان انت عصيتنى الرّابعة لم اغفر لك، فقال له دانيال: قد أبلغت يا نبىّ الله، فلمّا كان في السّحر قام دانيال فناجى ربّه فقال: يا ربّ انّ داود نبيّك اخبرنى عنك انّنى قد عصيتك فغفرت لى و عصيتك فغفرت لى و عصيتك فغفرت لى و اخبرنى عنك انّنى ان عصيتك الرّابعة لم تـغفر لى، فـوعزّتك لئن لم تعصمنى لأعصينّك ثمّ لأعصينّك ثمّ لأعصينّك.[٦]

* عن معاوية بن وهب قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: إذا تاب العبد توبة نصوحاً

١- الاعراف / ٢٠١. ٢- الكافي، ج ٢، ص ٤٣٤، ح ٧.

٣- الكافي، ج ٢، ص ٤٣٥، ح ٨. ٤- الكافي، ج ٢، ص ٤٣٥، ح ٩.

٥- الكافي، ج ٢، ص ٤٣٥، ح ١٠. ٦- الكافي، ج ٢، ص ٤٣٥، ح ١١.

احبّه الله فستر عليه، فقلت:

و كيف يستر عليه؟ قال: ينسى ملكيه ماكانا يكتبان عليه و يوحى (الله) إلى جوارحه و إلى بقاع الأرض ان اكتمى عليه ذنوبه، فيلق الله عزّوجلّ حين يلقاه و ليس شيء يشهد عليه بشيء من الذّنوب.(١)

* عن أبي عبدالله عليه‌السلام قال: انّ الله عزّوجلّ يفرح بتوبة عبده المؤمن إذا تاب كما يفرح احدكم بضالّته إذا وجدها.(٢)

* عن زرارة قال: سمعت أبا عبدالله عليه‌السلام يقول: انّ العبد إذا اذنب ذنباً أُجّل من غدوة إلى اللّيل فان استغفرالله لم يكتب عليه.(٣)

* عن أبي عبدالله عليه‌السلام قال: من عمل سيّئةً أُجّل فيها سبع ساعات من النّهار فان قال: استغفرالله الّذي لا إله إلّا هوالحيّ القيّوم. ـ ثلاث مرّات ـ لم تكتب عليه.(٤)

* عن أبي عبدالله عليه‌السلام قال: العبد المؤمن إذا اذنب ذنباً أجّله الله سبع ساعات، فان استغفر الله لم يكتب عليه شيء و ان مضت السّاعات و لم يستغفر كتبت عليه سيّئة و انّ المؤمن ليذكر ذنبه بعد عشرين سنة حتّى يستغفر ربّه فيغفر له و انّ الكافر لينساه من ساعته.(٥)

* عن أبي عبدالله عليه‌السلام قال: ما من مؤمن يقارف في يومه و ليلته اربعين كبيرة، فيقول و هو نادم: أستغفرالله الّذي لا إله إلّا هو الحيّ القيّوم بديع السّموات و الأرض ذوالجلال و الإكرام و أسأله أن يصلّي على محمّد و آل محمّد و أن يتوب عليّ، إلّا غفرها الله عزّوجلّ له و لا خير فيمن يقارف في يوم أكثر من اربعين كبيرة.(٦)

١- الكافي، ج ٢، ص ٤٣٦، ح ١٢.

٢- الكافي، ج ٢، ص ٤٣٦، ح ١٣.

٣- الكافي، ج ٢، ص ٤٣٧، ح ١.

٤- الكافي، ج ٢، ص ٤٣٧، ح ٢.

٥- الكافي، ج ٢، ص ٤٣٧، ح ٣.

٦- الكافي، ج ٢، ص ٤٣٨، ح ٧.

* قال أبو عبدالله عليه السلام: ما من مؤمن يذنب ذنباً إلّا اجّله الله عزّوجلّ سبع ساعات من النّهار، فان هو تاب لم يكتب عليه شيء و ان هو لم يفعل كتب (الله) عليه سيّئة، فأتاه عباد البصرى فقال له: بلغنا انّك قلت: ما من عبد يذنب ذنباً إلّا اجّله الله عزّوجلّ سبع ساعات من النّهار، فقال: ليس هكذا قلت و لكنّي قلت: ما من مؤمن و كذلك كان قولى.[١]

* عن أبي عبدالله أو عن أبي جعفر عليه السلام قال: انّ آدم عليه السلام قال: يا ربّ سلّطت علىّ الشّيطان و أجريته منّي مجرى الدّم فاجعل لى شيئاً، فقال: يا آدم جعلت لك انّ من همّ من ذرّيتك بسيئة لم تكتب عليه، فان عملها كتبت عليه سيّئة، و من همّ منهم بحسنة فان لم يعملها كتبت له حسنة، فان هو عملها كتبت له عشراً، قال: يا ربّ زدنى، قال: جعلت لك انّ من عمل منهم سيّئة ثمّ استغفر له غفرت له، قال: يا ربّ زدنى، قال: جعلت لهم التّوبة (أو قال: بسطت لهم التّوبة) حتّى تبلغ النّفس هذه، قال: يا ربّ حسبى.[٢]

* عن معاوية بن وهب قال: خرجنا إلى مكّة و معنا شيخ متألّه متعبّد لا يعرف هذا الامر يتمّ الصّلوة في الطّريق و معه ابن أخ له مسلم، فمرض الشّيخ فقلت لابن أخيه: لو عرضت هذا الامر على عمّك لعلّ الله ان يخلّصه، فقال كلّهم: دعوا الشّيخ حتّى يموت على حاله فإنّه حسن الهيئة فلم يصبر ابن اخيه حتّى قال له: يا عمّ انّ النّاس ارتدّوا بعد رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم إلّا نفراً يسيراً و كان لعلىّ ابن ابيطالب عليه السلام من الطّاعة ما كان لرسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و كان بعد رسول الله الحقّ و الطّاعة له، قال: فتنفّس الشّيخ و شهق و قال: انا علىٰ هذا، و خرجت نفسه. فدخلنا على أبي عبدالله عليه السلام فعرض علىّ بن السّرى هذا الكلام على أبي عبدالله عليه السلام فقال: هو رجل من أهل الجنّة، قال له على بن السّرى: انّه لم يعرف شيئاً من هذا غير ساعته تلك، قال: فتريدون منه ماذا؟ قد دخل والله الجنّة.[٣]

١- الكافي، ج ٢، ص ٤٣٩، ح ٩.
٢- الكافي، ج ٢، ص ٤٤٠، ح ١.
٣- الكافي، ج ٢، ص ٤٤٠، ح ٤.

* عن محمّد بن مسلم عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قلت له: أرأيت قول الله عزّوجلّ: ﴿الّذين يجتنبون كبائر الاثم و الفواحش إلّا اللّمم﴾[1] قال: هو الذّنب يلمّ بـه الرّجـل فيمكث ماشاءالله ثمّ يلمّ به بعد.[2]

* عن محمّد بن مسلم عن احدهما عليه السلام قال: قلت له: «الّذين يجتنبون كبائر الاثم و الفواحش إلّا اللّمم» قال: الهنة بعد الهنة أي: الذّنب بعد الذّنب يلمّ به العبد.[3]

* قال أبو عبدالله عليه السلام: مامن مؤمن إلّا و له ذنب يهجره زماناً ثمّ يلمّ به و ذلك قول الله عزّوجلّ: ﴿إلّا اللّمم﴾ و سألته عن قول الله عزّوجلّ ﴿الّذين يجتنبون كـبائر الاثـم و الفواحش إلّا اللّمم﴾ قال: الفواحش الزّنىٰ و السّرقة، و اللّمم الرّجل يلمّ بالذّنب فيستغفر الله منه.[4]

* قال أبو عبدالله عليه السلام: من جاءنا يلتمس الفقه و القرآن و تفسيره فدعوه و من جاءنا يبدى عورة قدسترها الله فنحّوه، فقال له رجل من القوم: جعلت فداك والله انّنى لمقيم على ذنب منذ دهر، اريد ان اتحوّل عنه إلى غيره فما اقدر عليه، فقال له: ان كنت صادقاً فانّ الله يحبّك و ما يمنعه أن ينقلك منه إلى غيره إلّا لكى تخافه.[5]

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: مامن ذنب إلّا و قد طبع عليه عبد مؤمن يهجره الزّمان ثمّ يلمّ به و هو قول الله عزّوجلّ: ﴿الّذين يجتنبون كبائر الاثم و الفواحش إلّا اللّمم﴾، قال: اللّمّام، العبد الّذي يلمّ الذّنب بعد الذّنب ليس من سليقته، أى من طبيعته.[6]

* قال أبو عبدالله عليه السلام: انّ المؤمن لايكون سجيّته الكذب و البخل و الفجور و ربّما ألمّ

١- النّجم / ٣٣.
٢- الكافي، ج ٢، ص ٤٤١، ح ١.
٣- الكافي، ج ٢، ص ٤٤١، ح ٢.
٤- الكافي، ج ٢، ص ٤٤٢، ح ٣.
٥- الكافي، ج ٢، ص ٤٤٢، ح ٤.
٦- الكافي، ج ٢، ص ٤٤٢، ح ٥.

من ذلك شيئاً لا يدوم عليه، قيل: فيزنى؟ قال: نعم و لكن لا يولد له من تلك النّطفة.[١]

※ صعد أميرالمؤمنين عليه السلام بالكوفة المنبر فحمد الله و اثنى عليه ثمّ قال: ايها النّاس انّ الذّنوب ثلاثة، ثمّ أمسك فقال له حبّة العرنى: يا أميرالمؤمنين قلت: الذّنوب ثلاثة ثمّ أمسكت، فقال: ما ذكرتها إلّا و انا اريد ان افسّرها و لكن عرض لى بهر حال بينى و بين الكلام، نعم الذّنوب ثلاثة: فذنب مغفور و ذنب غير مغفور و ذنب نرجو لصاحبه و نخاف عليه، قال: يا أميرالمؤمنين فبيّنها لنا. قال: نعم، أمّا الذنب المغفور فعبد عاقبه الله على ذنبه في الدّنيا فالله احلم و اكرم من ان يعاقب عبده مرّتين، و أمّا الذّنب الّذي لا يغفر فظالم العباد بعضهم لبعض، انّ الله تبارك و تعالى إذا برز لخلقه اقسم قسماً على نفسه، فقال: و عزّتى و جلالى لا يجوزنى ظلم ظالم و لو كفّ بكف و لو مسحة بكفّ و لو نطحة ما بين القرنا إلى الجمّاء فيقتصّ للعباد بعضهم من بعض حتّى لا تبق لاحد على أحد مظلمة ثمّ يبعثهم للحساب، و أمّا الذّنب الثّالث فذنب ستره الله على خلقه و رزقه التّوبة منه، فاصبح خائفاً من ذنبه راجياً لربّه، فنحن له كما هو لنفسه، نرجو له الرّحمة و نخاف عليه العذاب.[٢]

※ عن أبي جعفر عليه السلام قال: انّ الله عزّوجلّ إذا كان من أمره ان يكرم عبداً و له ذنب ابتلاه بالسّقم، فان لم يفعل ذلك له ابتلاه بالحاجة فان لم يفعل به ذلك شدّد عليه الموت ليكافيه بذلك الذّنب، قال: و إذا كان من أمره أن يهين عبداً و له عنده حسنة صحّح بدنه، فان لم يفعل به ذلك وسّع عليه في رزقه، فان هو لم يفعل ذلك به هوّن عليه الموت ليكافيه بتلك الحسنه.[٣]

※ قال أبو عبدالله عليه السلام: انّ العبد إذا كثرت ذنوبه و لم يكن عنده من العمل ما يكفّرها ابتلاه بالحزن ليكفّرها.[٤]

١- الكافي، ج ٢، ص ٤٤٢، ح ٦.
٢- الكافي، ج ٢، ص ٤٤٣، ح ١.
٣- الكافي، ج ٢، ص ٤٤٤، ح ١.
٤- الكافي، ج ٢، ص ٤٤٤، ح ٢.

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال أميرالمؤمنين عليه السلام في قول الله عزّوجلّ: ﴿و ما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم و يعفوا عن كثير﴾[1] ليس من التواء عرق، و لا نكبة حجر، و لا عثرة قدم، و لا خدش عود إلّا بذنب و لما يعفوالله أكثر، فمن عجّل الله عقوبة ذنبه في الدّنيا فانّ الله عزّوجلّ اجلّ و اكرم و اعظم من ان يعود في عقوبته في الآخرة.[2]

* عن أبي جعفر عليه السلام قال: مرّ نبيّ من أنبياء بنى اسرائيل برجل بعضه تحت حائط و بعضه خارج منه قد شعثته الطّير و مزّقته الكلاب، ثمّ مضى فرفعت له مدينة فدخلها فاذا هو بعظيم من عظمائها ميّت على سرير مسجّاً بالدّيباج حوله المجمر، فقال: يا ربّ أشهد أنّك حكم عدل لا تجور، هذا عبدك لم يشرك بك طرفة عين أمتّه بتلك الميتة و هذا عبدك لم يؤمن بك طرفة عين أمتّه بهذه الميتة؟! فقال: عبدى انا كما قلت حكم عدل لا أجور، ذلك عبدى كانت له عندى سيّئة آو ذنب أمتّه بتلك الميتة لكى يلقانى و لم يبق عليه شيء و هذا عبدى كانت له (عندى) حسنة فأمتّه بهذه الميتة لكى يلقانى و ليس له عندى حسنة.[3]

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: انّ الله (ل) يدفع بمن يصلّى من شيعتنا عمّن لا يصلّى من شيعتنا و لو أجمعوا على ترك الصّلوة لهلكوا، و انّ الله ليدفع بمن يزكّى من شيعتنا عمّن لا يزكّى و لو أجمعوا على ترك الزّكاة لهلكوا، و انّ الله ليدفع بمن يحجّ من شيعتنا عمّن لا يحجّ و لو أجمعوا على ترك الحجّ لهلكوا و هو قول الله عزّوجلّ ﴿و لو لا دفع الله النّاس بعضهم ببعض لفسدت الأرض و لكنّ الله ذوفضل على العالمين﴾[4] فوالله ما نزلت إلّا فيكم و لا عنى بها غيركم.[5]

۱- الشّورى / ۳۰. ۲- الكافي، ج ۲، ص ٤٤٥، ح ٦.

۳- الكافي، ج ۲، ص ٤٤٦، ح ۱۱. ٤- القرة / ۲٥۲.

٥- الكافي، ج ۲، ص ٤٥۱، باب انّ الله يدفع بالعامل عن غير العامل، ح ۱.

* قال أبو عبدالله عليه السلام: قال الله عزّوجلّ: انّ العبد من عبيدى المؤمنين ليذنب الذّنب العظيم مما يستوجب به عفوبتى في الدّنيا و الآخرة فأنظر له فيما فيه صلاحه في آخرته فأُعجّل له العقوبة عليه في الدّنيا لأُجازيه بذلك الذّنب و اقدّر عقوبة ذلك الذّنب و أقضيه و أتركه عليه موقوفاً غير ممضىّ و لى في امضائه المشيئة و ما يعلم عبدى به فأتردّد في ذلك مراراً على امضائه ثمّ أُمسك عنه فلا أُمضيه كراهة لمساءته وحيداً عن ادخال المكروه عليه فاتطوّل عليه بالعفو عنه و الصّفح، محبّة لمكافاته لكثير نوافله الّتي يتقرّب بها الىّ في ليله و نهاره فأصرف ذلك البلاء عنه و قد قدّرته و قضيته و تركته موقوفاً و لى في امضائه المشيئة، ثمّ اكتب له عظيم اجر نزول ذلك البلاء و ادّخره و أُوفّر له أجره و لم يشعر به و لم يصل إليه اذاه و انا الله الكريم الرّؤوف الرّحيم.[١]

* قال أبو عبدالله عليه السلام: انّ الله إذا اراد بعبد خيراً فاذنب ذنباً اتبعه بنقمة و يذكّره الاستغفار، و إذا اراد بعبد شرّاً فاذنب ذنباً اتبعه بنعمة لينسيه الاستغفار، و يتمادى بها، و هو قول الله عزّوجلّ: ﴿**سنستدرجهم من حيث لا يعلمون**﴾[٢] بالنّعم عند المعاصى.[٣]

* سئل أبو عبدالله عليه السلام عن الاستدراج، فقال: هو العبد يذنب الذّنب فيملى له و يجدّد له عندها النّعم فتلهيه عن الاستغفار من الذّنوب فهو مستدرج من حيث لا يعلم.[٤]

* عن سماعة بن مهران قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله عزّوجلّ: ﴿**سنستدرجهم من حيث لا يعلمون**﴾ قال: هو العبد يذنب الذّنب فتجدّد له النّعمة معه تلهيه تلك النّعمة عن الاستغفار من ذلك الذّنب.[٥]

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: كم من مغرور بما قد أنعم الله عليه، و كم من مستدرج

١- الكافي، ج ٢، ص ٤٤٩، باب نادر، ح ١.
٢- الاعراف / ١٨٢.
٣- الكافي، ج ٢، ص ٤٥٢، ح ١.
٤- الكافي، ج ٢، ص ٤٥٢، ح ٢.
٥- الكافي، ج ٢، ص ٤٥٢، ح ٣.

بستر الله عليه، و كم من مفتون بثناء النّاس عليه.[١]

١- الكافي، ج ٢، ص ٤٥٢، ح ٤.

الرّذيلة الثّلاثون: العصيان و التجرّى على المولى

و هي ملكة التجرّى على المولى و بعد تجرّئه عليه يُسلب عن الإنسان النّفس اللّوّامة فيعصى و لا يندم عليه بل ربما يُعدّ تلك المعصية حُسناً.

و بعبارة أخرى، انّ الإنسان قد يعصى الله لغلبة الشّهوة عليه فبعد خمودها يندم عليها و لكن قد يعصى الله عن ملكة فبعد العصيان لا يحصل له الندم بل لو سئل عن لميّة مخالفته لله تعالى يذكر لها وجهاً ليخلّص نفسه عن ملامته إيّاها بل قد يعصى الله و يعدّه حسناً لجهله المركب أو لطغيانه أو لنحو ذلك.

أو فقل: الاستدامة على المعاصى تقتل اللوّامة و يقوّى في نفس العاصي ملكة العصيان، و لا ثمرة لهذه الملكة الّا ما هو أمرّ من الحنظل.

و بعبارة رابعة، انّ نفس المعصية هي من المصائب العظمى و يحرم العاصى بمعصيته من خير الدّنيا و الآخرة و لو كانت تلك المعصية صغيرة فضلاً عمّا إذا كانت كبيرة إلّا إذا رجع و تاب إليه سبحانه.

قال الله تعالى: ﴿و عصى آدم ربّه فغوىٰ»[1] أي: سقط من مقامه لانّه باغترافة تلك المعصية سُلب عن رأسه تاج الكرامة و اُخذت منه الحلل الّتي كان يستر بها و بدت سوأته

١- طه / ١٢١.

فرأى نفسه بخارج عن الجنّة بعيدةً عنها و هبط عن ذلك المقام و لو لم يرد تهديداً للعاصي إلّا هذه الآية الشّريفة ليكفيه ان يحذّر نفسه عنها أمّا لو حصلت حالة العصيان للانسان و استولت تلك الملكة على قلبه، فيهبط إلى مرتبةٍ تأبى عنها الحيوانات و هي مرتبة قتل الأنبياء عالماً بكونهم وسائط الهداية و بكونهم مقدّسين عن الشين و اليمن.

قال تعالى: ﴿و ضربت عليهم الذّلّة و المسكنة و باؤا بغضب من الله ذلك بانّهم كانوا يكفرون بايات الله و يقتلون النبيّين بغير الحقّ ذلك بما عصوا و كانوا يعتدون﴾.(١)

فملكة اغتراف المعاصى من الرّذائل الموبقة المهلكة و هي ضدّ التّوبة كما انّها ضدّ ملكة التّقوى و الورع ايضاً و تلك الملكة الرّذيلة ذات تشكيك كغيرها من الرّذائل.

و المرتبة الضّعيفة منها، ان تسلّط على القلب فتخرج ابّهة الذنب منه بقتل النّفس اللّوّامة فيغتاب مثلاً أو يكذب و لكن كأنّه لم يحم حول قبيحٍ!. بل يقتل المظلوم و كانّه لم يفعل امراً بل كانّه قتل حماماً و هذه المرتبة قد تكون للمعاصى كلّها و قد تكون في خصوص معصية كالكذب أو الغيبة أو نحو ذلك الّتي تكون شائعة في النّاس إلّا من عصمه الله تعالى منها.

و المرتبة الوسطى منها، أن يكون كذلك مع توجيه ما يفعله من المعصية أو المعاصى إلى أسباب واهيه يخيّلها الشيطان إليه، و هذه المرتبة اشهر في عامّة النّاس و خاصّيهم من المرتبة الاولىٰ.

قال تعالى: ﴿و قال الّذين لا يرجون لقائنا ائت بقران غير هذا أو بدّله﴾.(٢)

و التّحريفات كلّها، لفظيّة كانت أو معنويّة تنشأ من هذه المرتبة.

توضيح ذلك، انّ الشّياطين الانسيّة يوحي إليهم الشياطين الجنيّة ما يرضي شهواتهم فيتمسّكون بالبدع و ادخال ما ليس من الدّين في الدّين و الاديان الخرافيّة كلّها و اختلاف

١- البقرة / ٦١.　　　٢- يونس / ١٥.

المذاهب و الفرق و الخرافيّات الدينيّة كلّها تنشأ من هذا و يقال له التّحريف اللّفظى.

و من المؤسّف عليه ان العوامّ يعضدون الخواص في إثارة تلك الآراء و الاهواء في المجتمع.

قال تعالى: ﴿و منهم اميّون لا يعلمون الكتاب إلّا امانىّ و ان هم إلّا يظنّون * فويل للّذين يكتبون الكتاب بايديهم ثمّ يقولون هذا من عندالله ليشتروا به ثمناً قليلاً فويل لهم ممّا كتبت ايديهم و ويل لهم ممّا يكسبون﴾.[1]

و أبوهريرة و كعب‌الاحبار و من حاذىٰ حذوهما في كلّ زمان مصاديق بارزة لهذا الامر و قد يجيئون بأمر أشدّ قبحاً من ذلك و هو التحريف المعنوي و ارجاع اللّفظ عن المعنى الواقعى إلى المعنى المطابق لأهوائهم.

و قد نبهّ أميرالمؤمنين عليه السلام على هذا حيث قال إذا سمع قول الخوارج لعنهم الله ﴿لا حكم إلّا لله﴾ كلمة حقّ يراد بها باطل.[2]

و هذا القسم من التّحريف شائع بين العلماء السّوء في جميع الأزمنة كانّه حربة لهم لاضلال النّاس.

حكى أميرالمؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم انه قال: يا علىّ انّ القوم سيفتنون باموالهم و يمنّون بدينهم على ربّهم و يتمنّون رحمته و يأمنون سطوته و يستحلّون حرامه بالشّبهات الكاذبة و الاهواء السّاهية فيستحلّون الخمر بالنّبيذ و السّحت بالهديّة و الرّبا بالبيع، قلت يا رسول الله فبایّ المنازل انزلهم عند ذلك؟ أبمنزلة ردّة ام بمنزلة فتنة؟ فقال: بمنزلة فتنة.[3]

كما أنّ في زماننا هذا قد اشتهر تحليل الحرام بالتّوجيهات المنبعثة عن الشرع و لا انسى

١- البقرة / ٧٨ ـ ٧٩. ٢- نهج البلاغة، الخطبة ٤٠.

٣- نهج البلاغة، ذيل الخطبة ١٥٦.

انّ السيّد الاستاذ الامام الخميني قدّس سرّه كان يقول: وصل الامر إلى انّ العالم المتهتّك و الجاهل المتنسّك ينسبان الىّ تحليل القمار و الغناء و الموسيقى.

نعم ظهر الفاسد في البرّ و البحر لا سيّما في عاصمة الشيعة، فيُرى في البلاد و الشوارع، بل في التلفزه و الإذاعة الوطنيّة ما لا يجوز ذكره، من تبرّج النساء و سفورهنّ و من بيع ما لا يحلّ بيعه كآلات اللهو و اللعب و الأفلام الخليعة و من تحليل الربا في البنوك و نظائرها الكثيرة الجارية في بلاد الكفر منسوباً إلى الديمقراطيّة و في بلاد الإسلام منسوباً إليه، فياله من غريبٍ غير معمول به بين المسلمين.

نعتذر من خروجنا عن طور البحث فنختم الكلام هيهنا بهذا الدّعاء: اللّهمّ اصلح مفاسد امور آخرتنا و دنيانا.

و خلاصة القول: انّ المرتبة الوسطى من ملكة العصيان هي تسلّطه على القلب فيوجّه الذّنب إلى ما يرضى منه ليفعله من غير أن يلوم نفسه و قد هدّد الله تعالى في قصّة اصحاب السبت أصحاب هذه المرتبة حيث حكى مسخه إياهم بالقرود و الخنازير.

قال تعالى: ﴿فلمّا عتوا عن ما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين﴾.[1]

و أمّا المرتبة الأخيرة منها فهى تحسين الذّنب حيث يستولى العصيان على قلبه فيحسبه حسناً.

قال تعالى: ﴿قل هل ننبّئكم بالاخسرين اعمالاً * الّذين ضلّ سعيهم في الحيواة الدّنيا و هم يحسبون انّهم يحسنون صنعاً﴾.[2]

فيصل شقاؤه إلى انّه يقتل وليّ الله قربة إلى الله و يتصرّف في اموال النّاس قربةً إلى الله و في بيت المال كالابل و يستحقّ نفسه لذلك.

و المرتبة الاشدّ من المرتبة الأخيرة هي الطّغيان و هي تسلّط العصيان على الرّوح و

١- الاعراف / ١٦٦. ٢- الكهف / ١٠٤، ١٠٣.

النّفس و مسخها بما هو اقبح من الذّئب و الاسد.

قال تعالی: ﴿انّ شرّ الدّوابّ عندالله الصّمّ البكم الّذين لا يعقلون﴾.[١]

و لا تتوهّم انّ الآية الشّريفة نزلت لتقبيح العاصی و تشبيهه بالحيوان، بل الامر اهمّ من ذلك بل انّ الآية الشّريفة ليست إلّا بصدد عرض العاصي و حقيقته و انّ هويّته شرّ من الدّوابّ.

قال تعالی: ﴿فكشفنا عنك غطائك فبصرك اليوم حديد﴾.[٢]

فيری العاصی نفسه شرّ الدوابّ، كما يراه النّاس كذلك، نعوذ بالله من سخطه و من يوم تبلی السّرائر فيه.

و المتّصف بهذه المرتبة سمّی في الذكر الحكيم بالطاغوت، و تلك المرتبة خسارة عظمی له، إذ لا همّ له إلّا افساد المجتمع و اتلاف الحرث و النسل.

قال تعالی: ﴿انّ فرعون علا في الأرض و جعل اهلها شيعاً يستضعف طائفة منهم يذبّح ابنائهم و يستحيی نسائهم انّه كان من المفسدين﴾.[٣]

و في آيات سمّی هذا الرّجل المتّصف بها بالمفسد و الطّاغی.

قال تعالی: ﴿اذهب إلی فرعون انّه طغی﴾.[٤]

و يظهر من القرآن انّ الطّاغی لو تولّیٰ بلداً أو امراً لا سعي له إلّا الافساد فيه و افساده.

قال تعالی: ﴿و إذا تولّیٰ سعی في الأرض ليفسد فيها و يهلك الحرث و النّسل﴾.[٥]

و قال تعالی: ﴿كذّبت ثمود بطغويٰها * اذ انبعث اشقيٰها * فقال لهم رسول الله ناقة الله و سقيٰها * فكذّبوه فعقروها فدمدم عليهم ربّهم بذنبهم فسوّيٰها * و لا يخاف عقبٰها﴾.[٦]

١- الانفال / ٢٢. ٢- ق / ٢٢. ٣- القصص / ٤. ٤- طه / ٢٤.

٥- البقرة / ٢٠٥. ٦- الشّمس / ١١ـ ١٥.

بل الطّاغی یخاصم الله في الیوم الآخر کما قد نقل القرآن مخاصمة الشّیطان مع الله تعالی.

قال تعالی: ﴿فبعزّتك لاغوینّهم أجمعین * إلّا عبادك منهم المخلصین﴾.[١]

و قال تعالی: ﴿یوم یبعثهم الله جمیعاً فیحلفون له کما یحلفون لکم و یحسبون انّهم علی شيءٍ اَ لا انّهم هم الکاذبون﴾.[٢]

نعم، انّ الطاغی و الطاغوت له سجیّة کسجیّة العقرب، حیث یقتضي طبعه الاضرار بالناس، نعم لا شعور للعقرب في فعله و لکن الطاغی یضرّهم عن علمٍ و عمدٍ و اختیارٍ.

و لله درّ من أنشد بالفارسیة:

نیش عـقرب نـه از ره کـین است　　　اقـــتضاء طـــبیعتش ایـــن است

ثمّ انّ هذه الملکة الرّذیلة آثاراً للعاصی و لغیره سیّما لأقربائه و نحن نذکرها علی سبیل الاختصار:

الف: انّ الذّنب یوجب الهمّ و الغمّ و الخوف و الاضطراب و الذّلّة و المسکنة و المشاکل الفردیّة و الجماعیة، و بعبارة أخریٰ یوجب المعیشة الضنکی.

قال تعالی: ﴿من اعرض عن ذکری فانّ له معیشة ضنکاً﴾.[٣]

و قال تعالی: ﴿فایّ الفریقین احقّ بالامن ان کنتم تعلمون * الّذین آمنوا و لم یلبسوا ایمانهم بظلم اولئك لهم الامن و هم مهتدون﴾.[٤]

و نظیر الآیتین في القرآن کثیر جدّاً و یفهم من بعضها انّ الذّنب یوجب معیشةً ضنکی لمجتمعه و یسری من المذنب إلی غیره سیّما إلی أقربائه.

قال تعالی: ﴿و لا یزال الّذین کفروا تصیبهم بما صنعوا قارعة أو تحلّ قـریباً مـن دارهم﴾.[٥]

١- ص / ٨٢، ٨٣.　٢- المجادلة / ١٨.　٣- طه / ١٢٤.　٤- الانعام / ٨٢، ٨١.

٥- الرّعد / ٣١.

و قال تعالى: ﴿ظهر الفساد في البرّ و البحر بما كسبت ايدى النّاس﴾.[١]

و لا يتوهّم انّ حمل الغير وزر العاصى ليس في محلّه و لا معنى لسراية ظلم الظّالم و وزره إلى غيره من اقربائه أو مجتمعه، لانّ العاصى بعصيانه اشتعل النّار فبتلك النّار يحرق نفسه و غيره سيّما اقربائه و هذا اثر وضعيّ للنّار فعلى ذويه و أقربائه أن يمنعوه عن فعله، فلو قصروا في منعه عنه فهم شركاؤوه فيما يترتّب على فعله.

ثمّ انّ الله تعالى لا يضيع اجر المظلومين فما اثابهم من وزر العاصى فهو المثوبة لهم في الدّارين و لااقلّ في الآخرة و للعاصى عقوبتان فيهما سيّما في الآخرة، فهو يحمل وزره و وزر ما يصيب مجتمعه أو أقربائه من المصائب الدّنيويّة.

قال تعالى: ﴿و ليحملنّ اثقالهم و اثقالاً مع اثقالهم﴾.[٢]

ب: انّ الذّنب يوجب الهمّ و الغمّ و العذاب في الآخرة، تدلّ عليه آياتٌ كثيرة.

قال تعالى: ﴿فالّذين كفروا قطّعت لهم ثياب من نارٍ يصبّ من فوق رؤوسهم الحميم * يصهر به ما في بطونهم و الجلود* و لهم مقامع من حديد * كلّما ارادوا ان يخرجوا منها من غمّ اعيدوا فيها﴾.[٣]

و يظهر من غير واحد من الآيات انّ ذلك الثّياب و الحميم و تلك المقامع و الهموم و الغموم كلّه هو الّذي عمله في الدّنيا، ففي الدّنيا هي الذّنوب صورةً و فى الآخرة هي العذاب بأقسامه من ثياب النّار و نقمات النّار، و قد أخبر الله تعالى في كتابه انّه يُقال لأهل النّار يوم القيامة: ﴿ذلك بما قدّمت ايديكم و انّ الله ليس بظلّام للعبيد﴾.[٤]

بل يظهر من آيات كثيرة ايضاً انّ المصائب الدّنيويّة كالمصائب الاخرويّة لاتكـون على نحو الجزاء بل على نحو العينيّة، فذنوب العباد تتصوّر بصور المصائب الدنيويّة، و من تلك الآيات، قوله تعالى: ﴿و إذا اذقنا النّاس رحمة فرحوا بها و ان تصبهم سيّئةبما قدّمت

١- الرّوم / ٤١.　٢- العنكبوت / ١٣.　٣- الحجّ / ١٩ ـ ٢٢.　٤- آل عمران / ١٨٢.

ايديهم إذا هم يقنطون﴾.[1]

ج: انّ الذّنوب تتصوّر بصور مختلفة متناسبة لتلك الذّنوب و هي قرين صاحبها و مونسته في القبر و البرزخ و يوم القيامة، يدلّ على ذلك كثير من الآيات و الروايات المستفيضة.

قال تعالى: **﴿يوم تجد كلّ نفس ما عملت من خير محضراً و ما عملت من سوء تودّ لو انّ بينها و بينه امداً بعيداً و يحذّركم الله نفسه و الله رؤف بالعباد﴾**.[2]

و هل يرجع هذا القسم إلى القسم الثّاني ام لا، بل انّ هذا النّحو من التّجسّم غير التّجسّم في القسم الثّاني؟ ظاهر الآيات هو التغاير بينهما و انّ هذا القسم غير القسم الثّاني، فتأمّل.

د: انّ الذّنوب تحوّل جوهر الإنسان إلى صور تناسبها، فكما انّ الحسنات تحوّل جوهر ذاته إلى ما هو أعلى منه كمالاً و شرفاً و يتدرّج في المراتب بتلك الاعمال الصّالحة حتّى يصل إلى أعلى مراتب الانسانيّة فكذلك الذّنوب و الاعمال الطّالحة تحوّل جوهر ذات العاصى إلى ما هو أخسّ من السباع و أشباههم و في الآيات و الرّوايات اشعار إلى ذلك.

قال تعالى: **﴿و كلّ انسان الزمناه طائره في عنقه و نخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً * اقرء كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً﴾**.[3]

بناء على ان يكون المعنى انّ سعادة الإنسان و شقاءه يظهر له يوم القيامة من صميم ذاته، لانّه يوم ظهور السّرائر، فنفسه كتابه، فيه سعادته و شقاءه لأنّه لكلّ فعله اثرٌ راسخٌ في نفسه، فيقال له: كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً.

و بما فسّرنا الآية الشّريفة فسّرها الفيض رحمه الله في تفسيره و يختلج بالبال انّ الآية الشّريفة من الآيات الظّاهرة في تجسّم العمل في ذات الإنسان الدالّة عليه فبها يبرز يوم

۱- الرّوم / ۳۶. ۲- آل عمران / ۳۰. ۳- الأنبياء / ۱۳، ۱٤.

القيامة.

قال تعالى: ﴿و نحشرهم يوم القيامة على وجوههم عمياً و بكماً و صمّاً مأوٰيهم جهنّم﴾.[١]

و ان قبلتَ دلالة الآيتين على تجسّم العمل بهذا المعنى فيسهل لك ان تقبل انّ الآيات الّتي يُشبّه فيها بعض النّاس بالحمار و الكلب و سائر الحيوانات بل فيها قوبل بعض النّاس بشرّ الدّوابّ، ليست في مقام التّشبيه الصرف بل في مقام تبيين حقيقة من الحقائق الواقعة في نفس الأمر و انّ حقيقة بعض النّاس حمار أو كلب أو غيرهما من القردة و الخنازير بل بعضهم شرّ من تلك الحيوانات كلّها بحسب هويّته و حقيقته و ذاته.

قال تعالى: ﴿اولئك كالانعام بل هم اضلّ﴾.[٢]

و قال تعالى: ﴿فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث﴾.[٣]

و قال تعالى: ﴿مثل الّذين حمّلوا التّوريٰة ثمّ لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفاراً﴾.[٤]

و قال تعالى: ﴿انّ شرّ الدّوابّ عندالله الصمّ البكم الّذين لا يعقلون﴾.[٥]

ه: انّ الذّنب على الذّنب يوجب قساوة القلب و هي داء عظيم كما أخبر الله سبحانه عمّن ابتلى بهذا الداء بكلمة «ويل» الدالّة على البلاء و الشدّة في الأمر:

قال تعالى: ﴿فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله﴾.[٦]

و لهذه القساوة مراتب و لكلّ مرتبة بحسب الضّعف و الشّدّة آثار شؤم و هي:

١ ـ ان يذهب حلاوة العبادة عن قلبه فتكبر عليه الصلوة، و تشقّ عليه النفقات الواجبه و المستحبّة و قراءة القرآن و الاتيان بالأدعية و الأذكار، و عند أهل القلوب و ان

١- الأنبياء / ٩٧. ٢- اعراف / ١٧٩. ٣- الاعراف / ١٧٦. ٤- الجمعة / ٥.

٥- الانفال / ٢٢. ٦- الزّمر / ٢٢.

كانت هذه القساوة من أضعف مراتبها و لكن اثرها من البلايا العظيمة، كما عدّ ذلك منها في لسان المعصومين عليهم السلام.

عن أبي عبدالله عليه السلام: انّ الرّجل يذنب الذّنب فيحرم صلاة اللّيل و انّ العمل السيّئ اسرع في صاحبه من السكّين في اللّحم.[١]

و معنى حرمانه عن صلاة اللّيل يحتمل ان يكون ان لا يوفّقه الله لها و يحتمل قويّاً ان يكون انّها كبيرة عليه لا لذّة له فيها.

٢ ـ ان يذهب ابهة الذّنب عن قلبه فيصير له أمراً عاديّاً و هذا هو من اشدّ البلايا على الانسان.

قال تعالى: ﴿و من يشرك بالله فكانّما خرّ من السّماء فتخطفه الطّير أو تهوى به الرّيح في مكان سحيق﴾.[٢]

و عن أبي عبدالله عليه السلام: ما من شيء افسد للقلب من خطيئة، انّ القلب ليواقع الخطيئة فما تزال به حتّى تغلب عليه فيصيّر اعلاه اسفله.[٣]

٣ ـ ان يخلو قلبه عن الرحمة فيصير كالحجارة أو اشدّ قسوةً فلا ينشأ منه خير و ان نشأ منه خير فلدنياه لا لآخرته فلا خير في قلبه.

قال تعالى: ﴿ثمّ قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو اشدّ قسوة و انّ من الحجارة لما يتفجّر منه الانهار و انّ منها لما يشقّق فيخرج منه الماء و انّ منها لما يهبط من خشية الله و ما الله بغافل عمّا تعملون﴾.[٤]

و لا تتوهّم انّ ذلك أمر يسير لا خطر له لانّ الإنسان ان خرج عن قلبه العطف و الرّأفة و الرّحمة فهو شرّ الدّوابّ سيّما إذا حاز الاقتدار على أمور النّاس يشهد بذلك التأريخ العام،

١- الكافي، ج ٢، ص ٢٧٢، ح ١٦.
٢- الحجّ / ٣١.
٣- الكافي، ج ٢، ص ٢٦٨، باب الذنوب، ح ١.
٤- البقرة / ٧٤.

فنرى في بسيط الأرض و أرجائها ثلّةً من القاسية قلوبهم لا شيء لهم أحلى و ألذّ من سفك دماء النّاس و اهلاك الحرث و النسل، كما نرى اليوم في العالم من القتل و النهب و استرقاق النّاس بأيدي الدول العظمى ما يشهد لذلك، و كفى به شاهداً و شهيداً.

و ليس هذا كلّه إلّا لاستبدال الرحمة و الرأفة في قلوبهم بالعلم و المدنية غير المتّصفة بمبادیء الانسانية.

٤ ـ انّ اقتراف الذّنب على الذّنب يوجب تسلّط العصيان على القلب فيموت القلب به.

عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: اربع يمتن القلب: الذّنب على الذّنب، و محادثة النّساء، و مماراة الاحمق تقول و يقول و لا يرجع إلى خير، و مجالسة الموتى، فقيل له: يا رسول الله و ما الموتى؟ قال: كلّ غني مترف.[١]

و إذا مات القلب فلايمكن ان يتفقّه شيئاً ممّا يجب عليه أن يفقّهه.

قال تعالى: ﴿انّك لا تسمع الموتى و لا تسمع الصّمّ الدّعاء﴾.[٢]

و في الحقيقة، المراد بموت القلب هو تحوّل ذات الإنسان بما يناسب ذلك الذّنب و قد مرّ الكلام فيه، فالأخيران من مراتب القسوة و العصيان متّحدان.

و في الختام أوصى الجيل الشاب بالاحتراز عن اقتراف الذنوب، إذ به يحصل ملكة العصيان، و بحصولها و تسلّطها على القلب لا فلاح للانسان!.

قال تعالى: ﴿إذا تتلى عليه آياتنا قال اساطير الاوّلين * كلّا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون * كلّا انّهم عن ربّهم يومئذ لمحجوبون﴾.[٣]

و عن أبي عبدالله عليه السلام: إذا اذنب الرّجل خرج في قلبه نكتة سوداء فان تاب انمحت و ان زاد زادت حتّى تغلب على قلبه فلا يفلح بعدها ابداً.[٤]

١- بحار الانوار، ج ٧٠، ص ٣٤٩، باب ١٣٧، ح ٤٥.
٢- المزمل / ٨٠
٣- المطففين / ١٣ ـ ١٥.
٤- الكافي، ج ٢، ص ٢٧١، ح ١٣.

و شتّان بين هؤلاء و بين الّذين لا حجاب على قلوبهم فيرون في الدّنيا نور القرآن و في الآخرة نورالله تعالى.

قال تـعالى: ﴿و إذا سمعوا ما انزل إلى الرّسول ترى اعينهم تفيض من الدمع مـمّا عرفوا من الحقّ يقولون ربّنا امنّا فاكتبنا مع الشّاهدين * و ما لنا لا نؤمن بالله و ما جاءنا من الحقّ و نطمع ان يدخلنا ربّنا مع القوم الصّالحين﴾.(١)

و قال تعالى: ﴿وجوه يومئذ ناضرة إلى ربّها ناظرة﴾.(٢)

اللّهمّ ارزقنا توفيق الطّاعة و بعد المعصية، اللّهمّ ارزقنا رفع الحجب بالتّوبة و تهذيب النّفس، اللّهمّ ارزقنا حلاوة العبادة و الاجتناب عن المعصية بحقّ محمّد و آله الطّاهرين.

و نختم البحث بروايات أهل البيت عليهم السلام حتّى يكون ختامه مسكاً.

١- المائدة / ٨٣، ٨٤. ٢- القيامة / ٢٢، ٢٣.

روايات في العصيان و التجرّي

* عن أبي حمزة عن أبي جعفر عليه السلام قال: سمعته يقول: انّه ما من سنة أقل مطراً من سنة و لكنّ الله يضعه حيث يشاء، انّ الله عزّوجلّ إذا عمل قوم بالمعاصي صرف عنهم ما كان قدّر لهم من المطر في تلك السنة إلى غيرهم و إلى الفيافي و البحار و الجبال و انّ الله ليعذّب الجُعل في حُجرها بحبس المطر عن الأرض الّتي هي بمحلّها بخطايا من بحضرتها و قد جعل الله لها السبيل في مسلك سوى محلّة أهل المعاصي، قال: ثمّ قال أبوجعفر عليه السلام: فاعتبروا يا أُولى الابصار.(١)

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: انّ الرّجل يذنب الذّنب فيحرم صلاة اللّيل و انّ العمل السيّئ اسرع في صاحبه من السكّين في اللّحم.(٢)

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: من همّ بسيّئة فلا يعملها فانّه ربّما عمل العبد السيّئة فيراه الرّبّ تبارك و تعالى فيقول: و عزّتى و جلالى لا أغفر لك بعد ذلك ابداً.(٣)

* عن أبي الحسن عليه السلام قال: حقّ على الله ان لا يعصى في دار إلّا اضحاها للشمس حتّى تطهّرها.(٤)

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: انّ العبد ليحبس على ذنب من

١- الكافي، ج ٢، ص ٢٧٢، باب الذنوب، ح ١٥.

٢- الكافي، ج ٢، ص ٢٧٢، باب الذنوب، ح ١٦.

٣- الكافي، ج ٢، ص ٢٧٢، باب الذنوب، ح ١٧.

٤- الكافي، ج ٢، ص ٢٧٢، باب الذنوب، ح ١٨.

ذنوبه مائة عام و انّه لينظر إلى ازواجه في الجنّة يتنعّمن.[١]

* قال أميرالمؤمنين عليه السلام: لا وجع اوجع للقلوب من الذّنوب، و لا خوف أشدّ من الموت و كفى بما سلف تفكّراً، و كفى بالموت واعظاً.[٢]

* سمعت الرّضا عليه السلام يقول: كلّما احدث العباد من الذّنوب ما لم يكونوا يعملون، احدث الله لهم من البلاء ما لم يكونوا يعرفون.[٣]

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: يقول الله عزّوجلّ: إذا عصانى من عرفني سلّطت عليه من لا يعرفني.[٤]

* عن أبي الحسن عليه السلام قال: انّ لله عزّوجلّ في كلّ يوم و ليلة منادياً ينادى: مهلاً مهلاً عبادالله عن معاصى الله، فلو لا بهائم رُتّع، و صبيّة رُضّع، و شيوخ رُكّع، لصبّ عليكم العذاب صبّاً، ترضّون به رضّاً.[٥]

* قال أبو عبدالله عليه السلام: اتّقوا المحقّرات من الذّنوب فانّها لا تُغفر، قلت و ما المحقّرات؟ قال: الرّجل يذنب الذّنب فيقول: طوبى لى لو لم يكن لى غير ذلك.[٦]

* عن سماعة قال: سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول: لا تستكثروا كثير الخير و لا تستقلّوا قليل الذّنوب فانّ قليل الذّنوب يجتمع حتّى يكون كثيراً، و خافوا الله في السرّ حتّى تعطوا من انفسكم النصف.[٧]

* قال أبو عبدالله عليه السلام: انّ رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم نزل بارض قرعاء فقال لاصحابه: ائتو

١- الكافي، ج ٢، ص ٢٧٢، باب الذنوب، ح ١٩.

٢- الكافي، ج ٢، ص ٢٧٥، باب الذنوب، ح ٢٨.

٣- الكافي، ج ٢، ص ٢٧٥، باب الذنوب، ح ٢٩.

٤- الكافي، ج ٢، ص ٢٧٦، باب الذنوب، ح ٣٠.

٥- الكافي، ج ٢، ص ٢٧٦، باب الذنوب، ح ٣١.

٦- الكافي، ج ٢، ص ٢٨٧، باب استصغار الذنب، ح ١.

٧- الكافي، ج ٢، ص ٢٨٧، باب استصغار الذنب، ح ٢.

بحطب، فقالوا: يا رسول الله نحن بارض قرعاء ما بها من حطب قال: فليأت كلّ انسان بما قدر عليه، فجاؤوا به حتّى رموا بين يديه، بعضه على بعض، فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: هكذا تجتمع الذّنوب، ثم قال: ايّاكم و المحقّرات من الذنوب فانّ لكلّ شيء طالباً. اَ لا و انّ طالبها يكتب ما قدّموا و آثارهم و كلّ شيء احصيناه في امام مبين.[١]

❊ عن أبي عبدالله عليه السلام قال: لا صغيرة مع الاصرار و لا كبيرة مع الاستغفار.[٢]

❊ عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله عزّوجلّ: «و لم يصرّوا على ما فعلوا و هم يعلمون» قال: الاصرار هو ان يذنب الذّنب فلا يتسغفر الله و لا يحدّث نفسه بتوبة فذلك الاصرار.[٣]

❊ عن أبي بصير قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: لا و الله لا يقبل الله شيئاً من طاعته على الاصرار على شيء من معاصيه.[٤]

❊ عن الصادق، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: من علامات الشقاء جمود العين و قسوة القلب و شدّة الحرص في طلب الرزق و الاصرار على الذنب.[٥]

❊ عن الصادق عن ابيه عليه السلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: اربع يمتن القلب، الذنب على الذنب و كثرة مناقشة النساء يعنى محادثتهنّ و مماراة الاحمق تقول و يقول و لا يرجع إلى خير و مجالسة الموتى، فقيل له: يا رسول الله و ما الموتى، قال: كلّ غنى مترف.[٦]

❊ قال الصادق عليه السلام: تأخير التوبة اغترار، و طول التّسويف حيرة، و الائتلاء على الله عزّوجلّ هلكة، و الاصرار امن، و لا يأمن مكر الله إلّا القوم الخاسرون.[٧]

١- الكافي، ج ٢، ص ٢٨٧، باب استصغار الذنب، ح ٣.

٢- الكافي، ج ٢، ص ٢٨٨، ح ١.

٣- الكافي، ج ٢، ص ٢٨٨، ح ٢.

٤- الكافي، ج ٢، ص ٢٨٨، ح ٣.

٥- بحار الانوار، ج ٧٠، ص ٣٤٩، باب ١٣٧، ح ٤٤.

٦- بحار الانوار، ج ٧٠، ص ٣٤٩، باب ١٣٧، ح ٤٥.

٧- بحار الانوار، ج ٧٥، ص ٢٠٩، باب ٢٣، ح ٨٦.

* عن الرضا عليه السلام قال: مثل الاستغفار مثل ورق على شجرة تحرّك فيتناثر، و المستغفر من ذنب و يفعله كالمستهزئ بربّه.[۱]

* قال أميرالمؤمنين عليه السلام: الاستغفار مع الاصرار ذنوب مجدّدة.[۲]

* قال أميرالمؤمنين عليه السلام في الغرر:

الف: اعظم الذنوب عندالله ذنب اصرّ عليه عامله.

ب: عجبت لمن علم شدّة انتقام الله منه و هو مقيم على الاصرار.[۳]

* عن أبي عبدالله عليه السلام: المقيم على الذنب و هو منه مستغفر كالمستهزئ.[٤]

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: كان ابى عليه السلام يقول: ما من شيء أفسد للقلب من خطيئة، انّ القلب ليواقع الخطيئة فما تزال به حتّى تغلب عليه فيصيّر أعلاه اسفله.[٥]

* عن أبي جعفر عليه السلام قال: الذنوب كلّها شديدة و اشدّها ما نبت عليه اللّحم و الدّم، لانّه إمّا مرحوم و إمّا معذّب و الجنّة لا يدخلها إلّا طيّب.[٦]

* عن أبي بصير عن أبي جعفر عليه السلام قال: سمعته يقول: اتّقوا المحقّرات من الذنوب فانّ لها طالباً، يقول احدكم اذنب و استغفر، انّ الله عزّوجلّ يقول: «سنكتب ما قدّموا و آثارهم وكلّ شيء احصيناه في امام مبين» و قال عزّوجلّ: «انّها ان تك مثقال حبّة من خردل فتكن في صخرة أو في السماوات أو في الأرض يأت بها الله انّ الله لطيف خبير.[۷]

* عن أبي بصير قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: إذا اذنب الرّجل خرج في قلبه نكتة سوداء، فان تاب انمحت و ان زادت حتّى تغلب على قلبه فلا يفلح بعدها ابداً.[۸]

۱- الكافي، ج ۲، ص ٥٠٤، باب الاستغفار، ح ۳.
۲- بحار الانوار، ج ۷٥، ص ٦۳، باب ١٦، ح ١٥٠.
۳- ميزان الحكمة، ج ۳، ص ٤٦۳.
٤- بحار الانوار، ج ٦، ص ۳٦، باب ۲۰، ح ٥٤.
٥- الكافي، ج ۲، ص ۲٦٨، باب الذنوب، ح ۱.
٦- الكافي، ج ۲، ص ۲٦٨، باب الذنوب، ح ۷.
۷- الكافي، ج ۲، ص ۲۷۰، باب الذنوب، ح ۱۰.
۸- الكافي، ج ۲، ص ۲۷۱، باب الذنوب، ح ۱۳.

* عن أبي جعفر عليه السلام قال: انّ العبد يسأل الله الحاجة فيكون من شأنه قضاؤهاالى اجل قريب أو إلى وقت بطيء، فيذنب العبد ذنباً فيقول الله تبارك و تعالى للملك لا تقض حاجته و احرمه ايّاها، فانّه تعرّض لسخطي و استوجب الحرمان منّي.[۱]

۱- الكافي، ج ۲، ص ۲۷۱، باب الذنوب، ح ١٤.

الفصل الثامن و العشرون

الفضيلة التّاسعة و العشرون : التّقوىٰ و الورع

الفضيلة التّاسعة و العشرون: التّقوى و الورع

و هي ملكة رادعة عن مخالفة الله تعالى و هي ضدّ العصيان و هي ـ اعيني: التقوى ـ كلمة مقدّسة جيئت بها في القرآن مع مرادفاتها أكثر من مأتى و خمسين مرّة و قد كرّر الله تعالى وعده بأنّ الخير دنيويّاً كان أو أُخرويّاً منطوٍ فيه. وعد الله تعالى مكرّراً بانّ فيها خير الدّنيا و الآخرة.

قال تعالى: ﴿**و من يتّق الله يجعل له مخرجاً * و يرزقه من حيث لا يحتسب .... و من يتّق الله يجعل له من امره يسراً .... و من يتّق الله يكفّر عنه سيّئاته و يعظم له اجراً**﴾.(١)

و قال تعالى: ﴿**و لو انّ أهل القرىٰ آمنوا و اتّقوا لفتحنا عليهم بركات من السّماء و الارض**﴾.(٢)

و قال تعالى: ﴿**انّ المتّقين في جنّات و نهر * في مقعد صدق عند مليك مقتدر**﴾.(٣)

و قال تعالى: ﴿**ان تتّقوا الله يجعل لكم فرقاناً**﴾.(٤)

بل يظهر من آيات عديدة انّ المتّقين هم الّذين يرثون الأرض كما يرثون الفردوس.

قال تعالى: ﴿**و لقد كتبنا في الزّبور من بعد الذّكر انّ الأرض يرثها عبادى**

١- الطّلاق / ٢ ـ ٥.　　٢- الاعراف / ٩٦.　　٣- القمر / ٥٥، ٥٤.　　٤- الانفال / ٢٩.

الصّالحون﴾.[١]

و قال تعالى: ﴿انّ الأرض لله يورثها من يشاء من عباده و العاقبة للمتّقين﴾.[٢]

و قال تعالى: ﴿اولئك هم الوارثون الّذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون﴾.[٣]

و بالجملة، يظهر من القرآن انّه لا كرامة إلّا و هي لأهل التّقوى و لا قبول عمل إلّا من أهل التّقوى و انّ عالم الآخرة بما لها من النعم و المكارم خُلقت لأهل التّقوى كما انّ القرآن نزل لهم خاصّةً.

قال تعالى: ﴿انّ اكرمكم عندالله اتقيكم﴾.[٤]

و قال تعالى: ﴿انّما يتقبّل الله من المتّقين﴾.[٥]

و قال تعالى: ﴿اعدّت للمتّقين﴾.[٦]

و قال تعالى: ﴿هدىً للمتّقين﴾.[٧]

و هذه الكلمة ـ لغةً ـ من الوقاية، فمن وقى نفسه عن مخالفة الله تعالى فهو المتّق.

و في اصطلاح علم الفقه هي وقاية النّفس عن مخالفة الله تعالى عن ملكةٍ، فمن كانت له ملكة التّقوى أي: ملكة رادعة عن مخالفة الله تعالى فهو المتّق و يقال لصاحب هذه الملكة العادل ايضاً.

و في اصطلاح علم الأخلاق هي وقاية القلب من رذائل الصفات فمن حاز مقامى التّخلية و التّحلية فهو المتّق، و للمتقي علامة في القرآن اَلا و هي تعظيم شعائر الإسلام أى مظاهره و ما يتحقّق هو به.

قال تعالى: ﴿و من يعظّم شعائر الله فانّها من تقوى القلوب﴾.[٨]

١- الأنبياء / ١٠٥. ٢- الاعراف / ١٢٨. ٣- المؤمنون / ١٠، ١١.

٤- الحجرات / ١٣. ٥- المائدة / ٢٧. ٦- آل عمران / ١٣٣. ٧- البقرة / ٢.

٨- الحجّ / ٣٢.

و المراد من تعظيم الشّعائر هو الاهتمام بها كاقامة الصّلوة و الحجّ و كاقامة الولاية و ما اكدّ عليه الشرع كالستر و العفّة للمرئة و الغيرة للمرء و كاقامة قانون المواسات و إن شئت فقل في عبارةٍ موجزة هي تعظيم ما اهتمّ به الإسلام و تقيّد به، و لعلّ هذا قريب ممّا قال الفقهاء به من انّ العدالة هي الملكة و علامة تلك الملكة هي حسن الظّاهر أي: التقيّد بظواهر الشّرع.

و عند أهل القلوب هي الاقتدار على عرض ما له من الاعمال و الافكار و النيّات على غيره، بل على مولاه جلّ و علا. فمن يقتدر ان يجعل في مرأى النّاس اعماله و افكاره و نيّاته كلّها فهو المتّق و لعلّ أصل هذا الكلام مأخوذٌ من القرآن الشريف لأنّ الذكر الحكيم عرّف المتّق بعرضه أعماله يوم القيامة و عرّف الفاسق باخفائه ايّاها فيها.

قال تعالى: ﴿يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية * فامّا من اوتى كتابه بيمينه فيقول هآؤم اقرءوا كتابيه * .... و أمّا من اوتى كتابه بشماله فيقول يا ليتنى لم اوت كتابيه * و لم ادر ما حسابيه﴾.[١]

و قد جاء الوحى المنير في اوّل سورة البقرة بأوصافٍ لأهل التّق و هي الايمان بالغيب و اقامة الصّلوة و الانفاق ممّا آتاه الله تعالى و الايمان بالنبيّ و بما جاء به و اليقين بالآخرة فمن يؤمن بالله و باليوم الآخر و بالنبوّة و الامامة ـ لأنّها من اهمّ ما جاء به النبيّ ـ و يعمل الصالحات و يردع نفسه عن الطالحات فهو المتّق.

و حيث انّ الصّلوة و اقامتها و الانفاق ممّا آتاه الله ممّا جاء به النبيّ فافرادهما بالذكر يدلّ على اهتمام الشرع بهما، و في ذكر الايمان و اليقين للمتّقين دون العلم اشعارٌ على أنّه يشترط في صدق التّقوى مضافاً إلى تصديق العقل بالمبدأ و المعاد و النبوّة و الامامة و ما جاء به النبيّ، تصديق القلب بذلك ايضاً فالمتّق من وجهة نظر القرآن هو الّذي أيقن و أذعن

١- الحاقّة / ١٨ ـ ٢٦.

بقلبه بالمبدء و المعاد و النبوّة و الرّسالة و عمل بما جاء به النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم مضافاً إلى علمه بذلك و إدراكه ايّاها عقلاً.

فعلى النظرة القرآنيّة المتّقي هو الّذي رأى الله بالبصيرة لا بالبصر، فما يكون غيباً لعامّة النّاس يكون له شهوداً و يرى حقيقة الرّسالة و الامامة، فما يكون مختفياً عن عامّة النّاس و هم بحاجةٍ إلى الاستدلال عليه يكون له ظاهراً، واضحاً لا يحتاج إلى السّؤال و الاستدلال و يرى القيامة و ما فيها من القبر و البرزخ و الحساب و الكتاب و الجنّة و النّار كعلمه بنفسه لا خفاء فيها و لااقلّ من رؤيتها كرؤيته الأمور المحسوسة و بعد ذلك يعمل الصّالحات كعبدٍ يرى نفسه بمحضرٍ من مولاه العليم بل نظير عمل الجائع و العطشان عند الاديم لرفع جوعه و عطشه و يجتنب عن المحرّمات كهذا العبد بل نظير فرار النّاس عن النار المشتعلة.

فجملة القول، انّ التّقوى في نظر القرآن هو الاعتقاد القلبي و العمل عليه و على مقتضاه الّذي لا ينفكّ عن الاعتقاد عادة. فالاعتقاد و العمل فيه متلازمان لا ينفكّ أحدهما عن الآخر.

و تحصيل التّقوى يحتاج إلى رياضات دينيّة من التّوبة و اليقظة و التّخلية و التّحلية و التّجلية، و بهذا اشار تعالى بقوله: ﴿**ان تتّقوا الله يجعل لكم فرقاناً**﴾.[١]

و الفرقان هو التّجلية و تنوير القلب بنوره تعالى.

كما انّه بحاجةٍ إلى الاهتمام بالواجبات كلّها و الاجتناب عن المحرّمات كلّها و الاهتمام بالمندوبات بالميسّر له و الاجتناب عن المشتبهات بل المكروهات كذلك.

فالتقوى لا يحصل بالتعلّم لانّه ليس بعلميّ بل يحصل بالعمل لانّه وجدانيّ كشفيّ شهوديّ و الوجدان لا يحصل الّا بالعمل.

و في آيات كثيرة دلالة واضحة على أنّ الغاية المتوخّاة عن التشريع بل

١- الانفال / ٢٩.

التّكوين‌التّقوى و من المعلوم انّ ما يكون علّة غائيّة لشيء فذلك الشّيء موجد تلك العلّة فبالتّشريع يحصل التّقوى.

قال تعالى: ﴿الم * ذلك الكتاب لا ريب فيه هدىً للمتّقين﴾.[١]

و قال تعالى: ﴿انّني انا الله لا اله إلّا انا فاعبدني و اقم الصّلوة لذكرى﴾.[٢]

و قال تعالى: ﴿كتب عليكم الصّيام كما كتب على الّذين من قبلكم لعلّكم تتّقون﴾.[٣]

و قال تعالى: ﴿يا ايّها النّاس اعبدوا ربّكم الّذي خلقكم و الّذين من قبلكم لعلّكم تتّقون﴾.[٤]

و قال تعالى: ﴿و انّ هذا صراطي مستقيماً فاتّبعوه و لا تتّبعوا السّبل فتفرّق بكم عن سبيله ذٰلكم وصّيٰكم به لعلّكم تتّقون﴾.[٥]

فهذه الآيات الّتي تمثّل نموذجاً ممّا أشرنا اليه، تدلّ على انّ التّقوى هي العلّة الغائية للتّشريع بل قوله سبحانه ﴿يا ايّها النّاس اعبدوا...﴾ تدلّ على انّه علّة غائيّة للتّكوين ايضاً. تدلّ على شرف التقوى و فضلها كما تدلّ على أنّها لا تحصل إلّا بالّتمسّك بالقرآن و الأفعال العبادية كالصلوة و الصوم و غيرهما، و بعبارة موجزة تدلّ على وجوب متابعة الصراط المستقيم و السير فيه.

اضف إلى الآيات قوله تعالى: ﴿يا ايّها الّذين آمنوا اتّقوا الله و ابتغوا إليه الوسيلة﴾.[٦]

فتلك الآية الشّريفة تدلّ على انّ الّتمسّك بالولاية شرط آخر في تحصيلها.

فيمكن الجمع بين الآيات بأنّ التّقوى لا تحصل إلّا بالّتمسّك بالقرآن و العترة كما دلّ

١- البقرة / ١، ٢. ٢- طه / ١٤. ٣- البقرة / ١٨٣. ٤- البقرة / ٢١.

٥- الانعام / ١٥٣. ٦- المائدة / ٣٥.

عليه رواية الثّقلين المتواترة بين الفريقين.

قال رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم في موارد عدّة ذات خطرٍ كقبل حضور أجله صلوات الله و سلامه عليه بساعةٍ أو ساعتين، و وصّى أن يُكتب، لكن حال بينه و بين أمره أيدى السّائسين الّذين رأوا أنّ في كتابة الوصيّة مانعاً عن نيلهم إلى غاياتهم: «انّى تارك فيكم الثّقلين كتاب الله و عترتى أهل بيتى، فانهما لن يفترقا حتّى يردا علىّ الحوض»[١].

ثمّ ان موضوع البحث هيهنا هو الملكة، إلّا أنّ التقوى تستعمل في معان أخر أيضاً:

١ ـ الاهتمام بالواجبات و الاجتناب عن المحرّمات لاعن ملكة بل بتحميلها على النّفس و تكليفهما عليها و التّقوى هذه حسن عقلاً و شرعاً و موجبةٌ للمثوبات الدّنيويّة و الاخرويّة، بل من الفقهاء من ذهب إلى انّ التّقوى و العدالة التين تشترطان في امام الجماعة و القاضى و الحاكم و الشّاهد ليس إلّا هذا، و البحث فيه موكول إلى الفقه.

و لكن الّذي ينبغى ان نذكر هنا انّ هذه التّقوى هي الّتي تكون مقدّمة لحصول الملكة لانّ الملكات كلّها تحت لواء الافعال، فمن اهتمّ بالواجبات و دام عليه و اجتنب عن المحرّمات كذلك فباستدامته عليهما تحصل له الملكة و هذا كاف في تبيين شرفه و منزلته.

فالملكة ايّة ملكة كانت محفوفة بعملين: العمل الّذي يحصّلها و العمل الّذي ينشأ منها، فالاعمال بعد تحقّق الملكة تنشأ عن الملكة و الاعمال قبل تحقّقها محصّلة لها.

و لا يبعد ان يقال: انّ الاهتمام بالواجبات و الاجتناب عن المحرّمات قبل حصول الملكة افضل ثواباً من الاعمال النّاشئة عن الملكة، لقاعدة: افضل الاعمال احمزها.[٢]

نعم، ما لم تحصل الملكة تكون الاعمال بلا عرق و أصل نظير شجرة لا عرق لها و اجتثّت من فوق الأرض ما لها من قرار.

قال الله تعالى: ﴿و من النّاس من يعبد الله على حرف فان اصابه خير اطمأنّ به و ان

١- بحار الانوار، ج ٢٣، ص ١٣٢، باب ٧، ح ٦٩. ٢- المأخوذة عن السنّة.

اصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدّنيا و الآخرة ذلك هو الخسران المبين﴾.[1]

فلذا نرى كثيراً من النّاس الّذين لم تستقرّ ملكة التّقوى في قلوبهم يهتمّون بالواجبات و يجتنبون عن المحرّمات هذا كلّه ما لم تعرض لهم معصيةٌ، أمّا بعد عروضها فهم ولهون إليها، و إذا اصابتهم بليّة يتركون الواجبات انتقاماً من الله تعالى فيتركون الصّلوة فضلاً عن غيرها من الواجبات.

٢ ـ يأتون بالواجبات و يتركون المحرّمات باختيار الاعتزال عن المجتمع فيتركون النشاط الجماعى ذاهبين إلى المساجد و المعابد و الامكنة المقدّسة مجاورين في تلك الأمكنة تاركين أقربائهم و اصدقائهم فهم يعبدون الله لانّه لا عمل لهم إلّا ايّاها، و يتركون المحرّمات فهم لا يأكلون اموال النّاس و لا يغتابونهم و لا يكذبونهم و لا يظلمونهم لانّهم بعيدون عنهم فلا مخاطبة حتّى يحصل الاغتياب و الكذب، و هذا النّحو من التّقوى قد وصّى به بعض الشّعراء و الصّوفيّة و المقدّسين، كما يُرى في هذين البيتين بالفارسيّة:

ز دست ديده و دل هر دو فرياد — كه هر چه ديده بيند دل كند ياد

بسازم خنجرى نيشش ز فولاد — زنم بر ديده تا دل گردد آزاد

و هذا النّحو من التّقوى حسن لو لم يكن الانعزال بمذموم، بمعنى انّه فرّ عن مخالفة الله تعالى، لكنّه لم يكن له مثوبة كما أنّه ليس له عقوبة ايضاً.

إلّا انّه يرد عليه ما أوردناه على القسم الثانى من ولع المنعزل عن المجتمع على المحرّمات لو أقبلت عليه فيهلك من حيث يعلم و يضلّ على علم.

٣ ـ التّقوى النّخبيّة بمعنى انّه يتّقى بالنّسبة إلى بعض الواجبات عن ملكة كالصّلوة مثلاً و بالنّسبة إلى بعض المحرّمات كذلك كالاجتناب عن أكل أموال النّاس بالباطل و لكنّه لا تقوى و لا ورع له بالنّسبة إلى بعض آخر فهو يقيم الصّلوة و لكنّه بالنّسبة إلى الخمس و

١- الحج / ١١.

الزّكوة فاسق، أو يجتنب عن أكل اموال النّاس و لكنّه لا ورع له فيما يرجع إلى غـريزته الشّهويّة.

و هذا النّحو من التّقوى هو الشائع بين النّاس فكثيراً ما يُرى من النّاس من يتبعّض في تقواه فهم الّذين لا يخافون الله تعالى و مأواهم جهنّم إلّا ان يتوبوا و يرجعوا عن مخالفته إلى طاعته تعالى.

قال تعالى: ﴿و آخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً و أخر سيّئاً عسى الله ان يتوب عليهم انّ الله غفور رحيم﴾.[١]

و من المعلوم انّ آثار التّقوى في علمي الفقه و الأخلاق لا يترتّب على هذا القسم منها، و بعبارة أخرى انّ هذا المتّق ـ لوصّح اطلاق هذا اللفظ عليه ـ لا يُعدّ بعادلٍ في الفقه و لا بالسالك إلى الله تعالى السائر إليه في الاخلاق.

و بما ذكرناه يظهر حال من يتبعّض في تقواه لا عن ملكة و لكنّه يأتى ببعض الواجبات دائماً و يترك بعض المحرّمات كذلك و اسوء حالاً منه من يتبعّض فيها لا عن ملكة و لا عن دوام فهو قد يصلّي و قد يتركها و قد يزكّي ماله و قد يتركها و هكذا و قد يغتاب و قـد يتركها و قد يفعل ما يرجع إلى شهواته كالاجتناب عن النظر إلى الاجنبيّة و قد يتركه و هكذا...

هذا حال عموم النّاس إلّا قليلاً منهم، فهم مصاديق الآية الشّريفة ايضاً، فهم ان تابوا و إلّا فلهم عذاب جهنّم إلّا ان يرحم الله تعالى عليهم بالشفاعة أو عفوه تعالى.

و لا يخفى انّهم بالنّسبة إلى اعمالهم الصّالحة مأجورون مثابون.

قال تعالى: ﴿انّ الله لا يضيع اجر المحسنين﴾.[٢]

و قال تعالى: ﴿فمن يعمل مثقال ذرّة خيراً يره * و من يعمل مثقال ذرّة شرّاً يره﴾.[٣]

١- التوبة / ١٠٢. ٢- التوبة / ١٢٠. ٣- الزّلزلة / ٧، ٨.

بل يظهر من آيات كثيرة انّ يوم القيامة يوم الحساب و مقابلة كفّي الميزان فمن ثقلت موازينه فهو من أهل الجنّة.

فكما أنّه تعالى في هذه الدّنيا يعفو عن كثير بقوله: ﴿و ما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم و يعفوا عن كثير﴾.[١]

فكذلك يوم القيامة و قد أخبر عنه بقوله: ﴿و الوزن يومئذ الحقّ فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون﴾[٢] و بقوله: ﴿فامّا من ثقلت موازينه * فهو في عيشة راضية﴾.[٣]

و الظّاهر منها كون حسنات المرء أزيد من سيّئاته، فيعفو عنها و لو بشفاعة الشّافعين.

ثمّ انّ ملكة التقوى كسائر الملكات ذات مراتب شدّةً و ضعفاً.

الف: الاقتدار على الاتيان بالواجبات و الاجتناب عن المحرّمات كلّها بسهولة، بل من غير التفاتٍ منه يأتى بالأوّل و يجتنب عن الثانى.

ب: الاقتدار على ترك المشتبهات بل المكروهات بسهولة إلّا ان يمنعه مانع يرجّح له فعل المكروه أو المشتبه بحيث لولا هذا المرجّح لَتَرَكَ المشتبه أو المكروه، مثلاً انّ الإنسان لو اراد ان يأكل حلالاً بيّناً لا يحتاج إلى جريان اصالة الحلّ، أو ان يأكل طاهراً بيّناً لا يحتاج إلى اصالة الطّهارة ليختلّ نظام عيشه و ليس له بدّ من العزلة و التّعيّش في البرّ و الجبال و الصّحارى فباصالة الحلّ و الطّهارة يرجّح ان يأكل المشتبهات أو المكروهات، فبجريان الأصل و وجود هذا المرجّح يشرّع له جواز اكلها بل حسن اكلها.

روى انّ الله يحبّ ان يؤخذ برخصه كما يحبّ ان يؤخذ بعزائمه.[٤]

و استفادة الاستحباب عن الرّواية ليست بصعب بل سهلة يسيرة.

١- الشورى / ٣٠. ٢- الاعراف / ٨. ٣- القارعة / ٦، ٧.

٤- بحار الانوار، ج ٦٩، ص ٣٦٠، باب ٣٨.

فلذلك قد استقرّت سيرة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم و الائمة عليهم السلام و كبراء الشيعة على عدم الاجتناب عن المشتبهات سيّما في بابي الطّهارة و النّجاسة.

نعم، انّ الضّرورات تتقدّر بقدرها، ففيما لا حرج و لا عسر و لا اختلال في العيش يجتنب عنها و عن المكروهات لانّه لا ترجيح للفعل، بل التّقوى يقتضى التّرك فالفعل خلاف التّقوى و للخواصّ معصية و معصية الرّسل الّتي جيئت في القرآن كمعصية آدم و يونس و داود و يعقوب و يوسف عليهم السلام و امثالهم من هذا القبيل.

ج: يقتدر على ترك التّوغّل في المشتهيات النّفسانيّة و زوائد العيش، لانّ المادّيات و المعنويّات ضدّان، فكلّما ثقلت كفّة إحداهما خفّت كفّة الأخرى.

فالتّوغّل في المشتهيات حتّى غير المحرّمة منها يوجب الغفلة عن المعنويّات و هو ردمٌ مستحكمٌ يمنع عن سلوك الطريق إلى الله تعالى و عقالٌ يحجب عن النظر إلى الملكوت الاعلىٰ، فايّاكم ثمّ ايّاكم و التّوغّل في المشتهيات متمسّكاً بحلّيته لانّ كثيراً من المحلّلات مانعٌ عن التّرقّي و التّعالى، فمن شغل نفسه باغذية طيّبة و اشربة لذيذة و حسناء النساء و الدّور العاليات و الاصدقاء المتوغّلة في عالم الكثرة فلا محالة لا يقتدر على تحصيل العلم و غيره من الفضائل الانسانيّة فضلاً عن ان يطلب عالم الوحدة و يوفّق للسير إلى الله تعالى و التّوغّل في عالم المعنى، و يحرم بل يستحيل عليه الوصول إليه مع توغّله في المادّيات و الشّهوات و لو كان من حلالها، فمن كان سيره إلى المادّيات فبكلّ خطوة من خطواته يبعد عن المعنويّات، فكيف يمكن ان يصل اليها؟! هيهات هيهات، و ان توهّم امكان الجمع بينهما و خُيّل إليه ذلك فهو توهّم من الشّيطان الجنّي و الانسيّ سيّما شيطان النّفس الّذي هو أخبث الشياطين و اكبر الاصنام.

د: يقتدر على ترك المباحات و يكتفى بالعيش الضّرورى مجتنباً عن زوائد العيش كاجتنابه عن العيش التجمّلي و هذا القسم من التّقوى هو المشهور من الزهد.

و قد مرّ في باب الزّهد انّ الزّهد في الأخلاق هو عدم تعلّق القلب بشيء غير الله تعالى إلّا انّه عند النّاس هو الاجتناب عن المباحات و الكفاية بمقدار الضّرورة فهو و ان لم يكن مصداق الزّهد و لكنّه مصداق التّقوى و من مراتبها و هو أمر حسن سيّما لمن اراد السّير و السّلوك إلى جنابه تعالى، و لا شيء اجود و احسن زاداً و راحلةً لمن اراد لقاء الله تعالى إلّا التّقوى بمراتبها.

قال الله تعالى: ﴿تزوّدوا فانّ خير الزّاد التّقوى﴾.[1]

و هو عيش يترتّب عليه فوائد كثيرة كالاستغناء عن النّاس و الرّاحة عمّا في ايديهم و النّشاط و الحرّية و الفراغ و سعة الصّدر و التّهيّؤ للآخرة و امكان السير إلى الله و أعلى من ذلك كلّه فراغه عن المحاسبة في يوم الجزاء؛ إذ الحوائج و الهموم و الغموم كلّها مانعٌ عن السير إليه و الترفّه في العيش يوجب الحساب في الآخرة.

قال أميرالمؤمنين عليه السلام بناء على ما نسب اليه:

و قـد دقّت و رقّت و استرقّت فضول العيش اعناق الرّجال

أمّا المعاش على قدر الكفاف فواجبٌ على من نصب نفسه أسوةً للمجتمع كـالنبيّ و الائمّة عليهم السلام و العلماء سيّما المشهورين منهم كائمّة الجمعة و الجماعة و كـالمراجع الديـني و الحكّام الاسلامى.

و قد أُكدّ على ذلك في نصوصي الوحي و أهل العصمة، و من الآيات قوله تعالى: ﴿يا ايّها النبيّ قل لازواجك ان كنتنّ تردن الدّنيا و زينتها فتعالين امتّعكنّ و اسرّحكنّ سراحاً جميلاً * و ان كنتنّ تردن الله و رسوله و الدّار الآخرة فانّ الله اعدّ للمحسنات منكنّ اجراً عظيماً﴾.[2]

و من الرّوايات، رسالة أميرالمؤمنين عليه السلام إلى عامله بالبصرة، عثمان بن حنيف و فيها: اَ

١- البقرة / ١٩٧. ٢- الاحزاب / ٢٨، ٢٩.

لا و انّ لكلّ مأموم اماماً يقتدى به ويستضيئ بنور علمه، اَ لا و انّ امامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه و من طعمه بقرصيه، اَ لا و انّكم لا تقدرون على ذلك و لكن اعينونى بورع و اجتهاد و عفّة و سداد فوالله ما كنزت من دنياكم تبراً و لا ادّخرت من غنائمها وفراً و لا اعددت لبالى ثوبى طمراً.... و لو شئت لاهتديت الطّريق إلى مصفّى هذا العسل و لباب هذا القمح و نسائج هذا القزّ و لكن هيهات ان يغلبنى هواى و يقودنى جشعى إلى تخيّر الاطعمة و لعلّ بالحجاز أو اليمامة من لا طمع له في القرص و لا عهد له بالشّبع أو ابيت مبطاناً و حولى بطون غرثى و اكباد حرّى أو اكون كما قال القائل :

و حسبك داء ان تبيت ببطنة   و حولك اكباد تحنّ إلى القدّ

أ اقنع من نفسى بان يقال هذا أميرالمؤمنين و لا اشاركهم في مكاره الدّهر أو اكون اسوة لهم في جشوبة العيش.....[1]

و نظير هذا الكلام في خطبه و رسائله و كلمات غيره من المعصومين كثير.

و لكنّه مع الوصف قد يرجّح العيش الهنيء الزائد عن قدر الكفاف فضلاً عن جوازه بالعنوان الثانوىّ كجعل عياله الّذين لا يرضون بالضّرورىّ من المعاش في الترفّه لمن لا يكون اسوة للمجتمع و قد حصل ذلك من امواله الشّخصيّة و كدفع التّعيير عن العدوّ بل عن الصّديق و نحو ذلك الّذي يقتضيه الزّمان و المكان و الافراد، هذا كما ورد فيما يُحكى عن اعتراض بعض الزّهاد على أبي عبدالله الصادق عليه‌السلام في كيفيّة معاشه و ملبسه، فأجاب عنهم بما فيه أبواب من العلم و الأخلاق و يفتّح من كلّ بابه أبواب، فراجع.[2]

ه: يقتدر على دفع الوساوس النّفسانيّة و الخطورات الشّيطانيّة و التّخيّلات و التوهّمات و بهذه المرتبة من التّقوى تحصل له النّفس المطمئنّة الّتي تليق ان تخاطب بخطاب ﴿ارجعى إلى ربّك﴾.

١- نهج البلاغة، الرسالة ٤٥.

٢- الكافي، ج ٥، كتاب المعيشة، ص ٦٥، باب ١.

قال تعالى: ﴿يا ايّتها النّفس المطمئنّة * ارجعى إلى ربّك * راضية مرضيّة * فادخلى في عبادى * و ادخلى جنّتى﴾.(١)

و يظهر من غير واحد من الرّوايات انّ تلك الخطورات و الوساوس و التوهّمات و التّخيّلات ذنب مغفور عنه، فتلك الرّوايات تدلّ على مبغوضيّتها و لكن عناية الله و رحمته توجب عدم ترتّب عقاب عليها.

فمن شملته العناية الخاصّة الالهيّة و حصلت له هذه المرتبة من ملكة التّقوى فهى رادعة مانعة من تلك الخطورات و الوساوس فطوبى له.

و: يقتدر على ان لا يلهيه شيء من الدّنيا بل من الآخرة عن ذكر الله فهو دائم التّوجّه و ان كان في الدّنيا و مشتغلاً بها.

قال الله تعالى: ﴿في بيوت اذن الله ان ترفع و يذكر فيها اسمه يسبّح له بالغدوّ و الاصال * رجال لا تلهيهم تجارة و لابيع عن ذكر الله﴾.(٢)

و لكن من المعلوم الفرق الواضح بين من لم تشغله الدنيا و لو بحلالها، و من شغلته الدنيا بحرامها و حلالها، فشتّان بينهما!.

هذا كما في المعصومين عليهم السلام، فانّهم و إن لا خطر للدنيا عندهم حتّى تلهيهم عن حبيبهم، و لكن حالهم في آنات العيش ليست كحالهم في آنات الصلاة و مناجاة الحبيب، إذ الاولى حالة قطع و الثّانية حالة وصل و هل يمكن قياس احدهما بالآخر؟

فما يترائى في حالاتهم من التضرّع و البكاء حتّى تعرض عليهم الغشي و الاستغفار و الاقرار بالتقصير و المعصية ليس إلّا لهذا القطع و ان كان ذلك ممّا لابدّ منه و هل يمكن ان يجتاز احد بنهرٍ و لا يبلّ ثوبه و بدنه و بذلك اشار الله تعالى بقوله: ﴿و أن منكم إلّا واردها كان على ربّك حتماً مقضيّاً﴾.(٣)

١- الفجر / ٢٧ ـ ٣٠. ٢- النّور / ٣٦، ٣٧. ٣- مريم / ٧١.

فالعبور من جسر العالم و تأثيره في النّفس ممّا لابدّ منه فاهل الدّنيا يتأثّرون منها على حسب تأثّرهم من الدّنيا الدّنيّة و أهل الآخرة ايضاً يتأثّرون منها حسب تأثّرهم من الدّنيا الدّنيّة. فان شئت قلت :

انّ ذلك الجسر هو باطن هذه الدّنيا الدّنيّة فالورود فيه ممّا لابدّ منه و النّاس كلّهم يتأثّرون حسب تأثّرهم من الدّنيا. فهذا هو ميزان تقواهم. كما انّ استغفارهم و عودهم إلى ربّهم أيضاً على وزانه، ولله درّ من أنشد:

و درج التّوب كمراتب التّقى　　　من حرمة أو حلّ أو غير اللّقاء

و في الخاتمة نذكر بعض فوائد هذه الملكة النّورانيّة.

١ ـ درك حقيقة القرآن و نفوذ نوره في القلوب و اهتدائه إلى سبل السلام، و يستفاد من القرآن بوضوح تامّ انّ الخروج من الظلمة إلى النور المطلق و الوصول إلى المطلوب و المقصود و هو الله تعالى بحاجةٍ إلى التّقوى.

قال تعالى: ﴿قد جائكم من الله نور و كتاب مبين * يهدى به الله من اتّبع رضوانه سبل السلام و يخرجهم من الظّلمات إلى النّور باذنه و يهديهم إلى صراط مستقيم﴾.[١]

و قال تعالى: ﴿يا ايّها الّذين آمنوا اتّقوا الله و آمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته و يجعل لكم نوراً تمشون به و يغفر لكم والله غفور رحيم﴾.[٢]

بناء على كون المراد من «الكفلين» هما نور القرآن و نور الولاية، و كون قوله ﴿و يجعل لكم نوراً تمشون به﴾ عطفاً تفسيريّاً فيكون المعنى انّ التّقوى يوجب الوصول إلى نور القرآن و نور الولاية فمن اتّصل بهما فلن يضلّ ابداً بل يهدى غيره بالنّورين و ينفذ كلامه فيه لأنّ كلامه يخرج من قلب فيه نور الايمان.

و قال تعالى: ﴿انّه لقران كريم * في كتاب مكنون * لا يمسّه إلّا المطهّرون﴾.[٣]

١- المائدة / ١٥، ١٦.　　٢- الحديد / ٢٨.　　٣- الواقعة / ٧٧ ـ ٧٩.

بناء على ان يكون المعنى انّ القرآن الكريم كتاب له حقيقة وراء ظاهره المحسوس للناس و تلك الحقيقة لا يمسّها إلّا المطهّرون و هم المتّقون المتزيّنون نفوسهم بتقوى الظاهر و القلب.

توضيح ذلك، انّه يظهر من القرآن الكريم انّ لهذا الكتاب المبين مراتب و التّمسّك بايّ مرتبة من مراتبه مفيد للانسان بل واجب عليه، و المرتبة الاولى منه هي أن يستفيد الإنسان من ظاهره و هي قرائته.

قال تعالى: ﴿**فاقرؤا ما تيسّر من القران علم ان سيكون منكم مرضى و آخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله و آخرون يقاتلون في سبيل الله فاقرؤا ما تيسّر منه**﴾.[1]

و هذا التّأكيد البالغ لايوجد في غير الآية الشريفة من آى الذكر الحكيم.

و المرتبة الثّانية هي التّدبّر في القرآن ليدرك معناه و الاجتهاد و التدقيق فيه و الاستذكار منه.

قال تعالى: ﴿**افلا يتدبّرون القران ام على قلوب اقفالها**﴾.[2]

و قال تعالى: ﴿**و لقد يسّرنا القران للذّكر فهل من مدّكر**﴾.[3]

و المرتبة الثّالثة هي إدراك نور القرآن و الاستهداء بهدايته الخاصّة العنائيّة، أي: الوصول إلى الله تعالى باهتدائه. و تحصيل هذه المرتبة تحتاج إلى التّقوى فكلّما زاد في تقواه زاد في إدراكه و استهدائه و وصوله إلى مرامه.

٢ ـ انّ الإنسان بذاته يطلب عيشاً هنيئاً لا همّ و لا غمّ و لا اضطراب و لا نصب و لا لغوب فيه، و القرآن وعد أن يحصل ذلك في الدّنيا و الآخرة للمتّقين.

أمّا في الاخرة، فقال تعالى: ﴿**و قالوا الحمد لله الّذي أذهب عنّا الحزن انّ ربّنا لغفور**

١- المزمّل / ٢٠.   ٢- محمّد / ٢٤.   ٣- القمر / ١٧.

شكور * الّذي أحلّنا دار المقامة من فضله لا يمسّنا فيها نصب و لا يمسّنا فيها لغوب﴾.[١]

و قال تعالى: ﴿انّ اصحاب الجنّة اليوم في شغل فاكهون * هم و ازواجهم في ظلال على الارائك متّكئون * لهم فيها فاكهة و لهم ما يدّعون * سلام قولاً من ربّ رحيم﴾.[٢]

و الظّاهر انّ المراد منها فرح اصحاب الجنّة بما يشتغلون به فيها، و هو النّظر إلى وجه الله تعالى، و اشار بذلك قوله: ﴿وجوه يومئذ ناضرة * إلى ربّها ناظرة﴾.[٣]

فهم بذلك الاشتغال دائموا السّير من كمال إلى كمال و هو السّير من الحقّ في الحقّ الّذي لا يتناهى بل لا يتصوّر له نهاية، و هم في ظلّ الله تعالى على اريكة العظمة و لهم ما يدّعون بحسب الرّوح و الجسم و لهم سلام من الله تعالى، و لو لم يكن لهم شيء إلّا السّلام منه تعالى ليكفيهم ان يكونوا صعقين دائماً.

و أمّا في الدّنيا، فقال تعالى: ﴿من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى و هو مؤمن فلنحيينّه حيواة طيّبة و لنجزينّهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون﴾.[٤]

و قال تعالى: ﴿فايّ الفريقين احقّ بالامن ان كنتم تعلمون * الّذين آمنوا و لم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم الامن و هم مهتدون﴾.[٥]

و لا يخفى انّ الحيواة الطّيّبة الآمنة لا تحتاج إلى التّمكّن و التّجمّل و التّموّل و الرّئاسة بل هذا كلّه يوجب خروج العيش عن الطيب و الأمن.

و الحيواة الطيّبة الآمنة هي حيواة فرحون فيها بما آتاهم من فضله و يستغنون من النّاس و لا يحتاجون إلّا إلى الله تعالى و لا ينظرون إلّا إلى رحمة الله فهم قاصرون الطّرف محبّون لله تعالى فهم في شغل فاكهون فليس لهم سلطان إلّا الله و انّهم على ربّهم يتوكّلون و

١- فاطر / ٣٤، ٣٥.　　٢- يس / ٥٥ ـ ٥٨.　　٣- القيامة / ٢٣، ٢٢.　　٤- النحل / ٩٧.

٥- الانعام / ٨٢، ٨١.

هم في اللّيل لذّة من مناجاته تعالى لا يعلمها إلّا هو و هم في انفاقاتهم لله تعالى لذّة لا يدركها إلّا من وصل إلى ذلك المقام.

قال تعالى: ﴿تتجافي جنوبهم عن المضاجع يدعون ربّهم خوفاً و طمعاً و ممّا رزقناهم ينفقون * فلا تعلم نفس ما اخفى لهم من قرّة اعين جزاءً بما كانوا يعملون﴾.[١]

فهم في ظلّ الله تعالى و ليس لهم سلطان إلّا الله تعالى فهم في نور الله تعالى و ليس لهم ظلمة و لا وحشة.

قال تعالى: ﴿الله وليّ الّذين آمنوا يخرجهم من الظّلمات إلى النّور﴾.[٢]

٣ ـ افضل النّعم المتصوّرة لكلّ أحدٍ أو لكلّ مجتمعٍ هو حُسن العاقبة، فلذا حينما سُئل المعصوم عليه السلام: ايّ شيء نسئل الله تعالى ليلة القدر؟ اجاب: حسن العاقبة.

و الذكر الحكيم في كثيرٍ من آيه وعد للمتّقين حسن العاقبة و ذلك بمنطوق الآيات أو مفهومها. و معنى حسن العاقبة أن لا يخرج الإنسان في أواخر حياته الدنياويّة و معاشه عن طريق السداد و العافية و الحرمة بين الأقارب و الأباعد، و أن لا يحتاج إليهم و لا يفتضح بينهم.

قال الله تعالى: ﴿فاصبر انّ العاقبة للمتّقين﴾.[٣]

و قال تعالى: ﴿نحن نرزقك و العاقبة للتّقوى﴾.[٤]

و قال تعالى: ﴿انّ الأرض لله يورثها من يشاء من عباده و العاقبة للمتّقين﴾.[٥]

و تدلّ آيات على انّ العاقبة السّوء محتومةٌ للمجرمين، منها،

قوله تعالى: ﴿فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذّبين﴾.[٦]

و قوله تعالى: ﴿ثمّ كان عاقبة الّذين اساؤا السّوأى ان كذّبوا بآيات الله﴾.[٧]

١- السجدة / ١٦، ١٧. ٢- البقرة / ٢٥٧. ٣- هود / ٤٩. ٤- طه / ١٣٢.

٥- الاعراف / ١٢٨. ٦- آل عمران / ١٣٧. ٧- الرّوم / ١٠.

و المعنى الاخر لحسن العاقبة هو ان يرزق الله للمرء أن يموت و هو مؤمنٌ، فله روح و ريحان و جنّة نعيم.

و بهذا المعنى ايضاً انزل آيات كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿تلك الدّار الآخرة نجعلها للّذين لا يريدون علوّاً في الأرض و لا فساداً و العاقبة للمتّقين﴾.[1]

و قوله تعالى: ﴿و من يسلم وجهه إلى الله و هو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى و إلى الله عاقبة الامور﴾.[2]

٤ ـ الايمان ينقسم إلى اقسامٍ:

الف: الايمان المنبعث عن القول الواقع في طرف اللسان، و هو مفيد لعموم النّاس و لكنّه لا يحفظ الإنسان عن الأخطار في المهالك.

قال تعالى: ﴿و من النّاس من يعبد الله على حرف فان اصابه خير اطمأنّ به و ان اصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدّنيا و الآخرة ذلك هو الخسران المبين﴾.[3]

ب: الايمان العقلى و الاستدلالى و هو مفيد للخواصّ و له ان يحفظ الإنسان عند عروض الشبهات في المباحثات العلميّة و عند المهالك فى الجملة سيّما إذا صبغ القلب بلونه.

قال تعالى: ﴿سنريهم آياتنا في الافاق و في انفسهم حتّى يتبيّن لهم انّه الحقّ﴾.[4]

و يقال لهذا القسم من الايمان علم اليقين لانّه يحتاج إلى تعلّم مبادىء التوحيد و علومه و التوغّل في هذا العلم حتّى يرسخ في العقل و يصبغ القلب بلونه.

ج: الايمان القلبى و الوجدانى و الفطرى و هو مقول بالتشكيك و سمّى المرتبة الاولى منه بعين اليقين والمرتبة الشّديدة منه بحقّ اليقين و في الذكر الحكيم شُبّه المتّصف بالمرتبة الأولى بمن قرب من النار و لكنه لن يمسّها، و المتّصف بالثانية بمن دخل فيها.

قال الله تعالى: ﴿فلمّا جائها نودى ان بورك من في النّار و من حولها و سبحان الله

١- القصص / ٨٣. ٢- لقمان / ٢٢. ٣- الحجّ / ١١. ٤- فصّلت / ٥٣.

ربّ العالمين﴾.[١]

و هذه المرتبة هي الحافظة للنائل إليها من المهالك و المزالّ، و هي ردمٌ يمنع عن طغيان الغرائز، و هي لا تحصل إلّا بالتّقوى.

قال تعالى: ﴿و اعبد ربّك حتّى يأتيك اليقين﴾.[٢]

٥ ـ انّ الإنسان بفطرته يطلب العزّ و الأبهة في قلوب النّاس و هذا سرّ ما يُرى من كثيرٍ من النّاس من اعطائهم جزئل الأموال ليحصل لهم العزّ في المجتمع، بل لا قدر عندهم للمال إذا قوبل بها العزّ و الشرف، بل لا قدر لمذهبهم و شرعهم آنذاك.

ولكن لسان الوحي و اقوال أهل العصمة عليهم السلام يدلّان على انّ العزّة كلّها لله و هي لا تحصل إلّا بالتّقوى. و استجلابه من غير طريق التّقوى كسراب بقيعة يحسبه الظّمأن ماءً فهو وبال و وزر و لا عاقبة محمودة فيه، فالطّريق منحصر في التّقوى.

قال تعالى: ﴿افمن اسّس بنيانه على تقوى من الله و رضوان خير ام من اسّس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنّم والله لا يهدى القوم الظّالمين﴾.[٣]

و قال تعالى: ﴿انّ الّذين آمنوا و عملوا الصّالحات سيجعل لهم الرّحمن ودّاً﴾.[٤]

و قال سيدنا الإمام المجتبى الحسن عليه السلام: و إذا اردت عزّاً بلا عشيرة و هيبة بلا سلطان فاخرج من ذلّ معصية الله إلى عزّ طاعة الله عزّ وجلّ.[٥]

و قال الامام سيّد شهداء الأوّلين و الآخرين الحسين عليه السلام: من حاول امراً بمعصية الله كان افوت لما يرجو و اسرع لما يحذر.[٦]

٦ ـ قد اشتهر اشكال عند بعض من لا خبرة له من العلماء و المتعلّمين في العلوم غير

١- النمل / ٨. ٢- الحجر / ٩٩. ٣- التوبة / ١٠٩. ٤- مريم / ٩٦.

٥- بحار الانوار، ج ٤٤، ص ١٣٩، باب ٢٢، ذيل ح ٦.

٦- بحار الانوار، ج ٧٥، ص ١١٩، باب ٢٠، ح ٢.

الدّينيّة و هو انّه لماذا انقطع الوحى و الربط بين الله تعالى و بين النّاس في عصرنا مع حصول الربط بين الله تعالى و عباده في عصورٍ متقدّمة، و ذلك بألوفٍ من الرسل و الانبياء عليهم السلام و ليس هذا إلّا ظلم عظيم و امتياز ملّةٍ دون ملّة في الاهتداء مع انّ زماننا هذا بحسب الاستعداد لذلك و الاخذ و القبول من الله تعالى احسن بمراتب من العصور السالفة، اَ لاترى انّ رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و الائمّة الطّاهرين عليهم السلام كانوا في الأمّيّين من الناس.

قال تعالى: ﴿هو الّذي بعث في الامّيّين رسولاً منهم﴾.[١]

و القرآن الّذي لا يدانيه كتاب آخر في العلم و العمل نزل في قوم لااخلاق لهم من الانسانيّة، كما انّ بيئة نزوله آنذاك كان أشدّ البيئات انحطاطاً و سقوطاً في الاخلاق.

و هذا اشكال يجلب نظر من لا خبرة له بالمباحث العلميّة الاسلامية.

و الجواب: انّ الوحى بمعنى ارسال الرّسل و انزال الكتب بعد بعثة رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و انزال القرآن الكريم لغو لا فائدة فيه حيث ان انزال كتابٍ آخر بعد القرآن و ارسال رسولٍ بعد نبيّنا صلى الله عليه و آله و سلم ليس إمّا لنقصان ذلك الكتاب و هذا الرسول، أو لفقدانهما، و كلاهما منتفيان عنهما، حيث لا نقصان في الكتاب لا في معانيه و لا في حفظه عن ايدى الخونة و الاعداء، أو لنسيان ذكر الرسول و جعْل النّاس تعاليمه وراء ظهورهم، و ليس كذلك، فلا معنى لارسال رسول آخر أو كتاب آخر بعدهما.

هذا ما يدّعيه القرآن في آيات كثيرة منها:

قوله تعالى: ﴿و من يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه و هو في الآخرة من الخاسرين﴾.[٢]

و قوله تعالى: ﴿لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه﴾.[٣]

و أمّا الوحى بمعنى تلقّي القول من عالم الملكوت و بمعنى وجود الربط و الصّلة بين الله

١- الجمعة / ٢. ٢- آل عمران / ٨٥. ٣- فصّلت / ٤٢.

تعالى و بين عباده، و بين عالم الملكوت و بين عالم الملك فهو موجود لا انقطاع فيه و قد دلّت على ذلك آيات كثيرة و روايات جازت حدّ الاستفاضة.

قال تعالى: ﴿و الّذين جاهدوا فينا لنهدينّهم سبلنا و انّ الله لمع المحسنين﴾.[١]

و قال تعالى: ﴿ان تتّقوا الله يجعل لكم فرقاناً﴾.[٢]

و قال تعالى: ﴿انّ الّذين قالوا ربّنا الله ثمّ استقاموا تتنزّل عليهم الملائكة إلّا تخافوا و لا تحزنوا و ابشروا بالجنّة الّتي كنتم توعدون * نحن اولياؤكم في الحيواة الدّنيا و في الآخرة﴾.[٣]

و قال تعالى: ﴿فمن كان يرجوا لقاء ربّه فليعمل عملاً صالحاً و لا يشرك بعبادة ربّه أحداً﴾.[٤]

و قال رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم: من اخلص العبادة لله اربعين صباحاً ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه.[٥]

و قال أبو عبدالله عليه السلام في رواية: انّ الله تعالى قال: و انه (أي: العبد) يتقرّب الىّ بالنافلة حتّى احبّه فاذا احببته كنت اذاً سمعه الّذي يسمع به و بصره الّذي يبصر به و لسانه الّذي ينطق به ويده الّتي يبطش بها، ان دعاني اجبته و ان سألني اعطيته.[٦]

و لأهل الكشف و الشهود خلوات مع ربّهم لا تصل اليها يد الاغيار و لهم حكايات لا تليق ان تسمعها أُذن الخواصّ فضلاً عن العوام و لا يجوز لهم ان يتكلّموا بها لغير أهل الاسرار.

و البحث و الورود في هذا الوادي خارج عن هذا المقال، و الأليق بهذا الكتاب هو كتاب الله الكريم و روايات أهل العصمة عليهم السلام كما ذكرنا قسطاً منها كأنموذجٍ يحكي عنها.

١- العنكبوت / ٦٩. ٢- الانفال / ٢٩. ٣- فصّلت / ٣٠، ٣١. ٤- الكهف / ١١٠.

٥- بحار الانوار، ج ٥٣، ص ٣٢٦. ٦- الكافي، ج ٢، ص ٣٥٢، ح ٨.

فتلخّص من جميع ما ذكرناه انّ المتّقي يقتدر على ان يرتبط بالملكوت الاعلى و ان يتكلّم الملائكة المقرّبين و ان يرى ما لا يراه النّاس و ان يتلقّى الالهامات من الله تعالى و ان يصل إلى مقام اللّقاء و كلّما كان أتقى و ارتقى في مدارجها كان ربطه بذاك العالم أشدّ و اوثق.

رزقنا الله و ايّاكم تلك السّعادة و لله درّ الشاعر حيث قال تحسّراً على مقام عشّاق الله الّذين يتجرّعون ماء الحيوة جرعةً جرعةً في جوف اللّيل عند قيامهم و سجودهم و يترنّمون بقوله تعالى: **﴿الّذين يذكرون الله قياماً و قعوداً و على جنوبهم و يتفكّرون في خلق السّموات و الأرض ربّنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النّار ﴿ ..... فاستجاب لهم ربّهم﴾**:[1]

هنيئاً لارباب النّعيم نعيمهم و للعاشق المسكين ما يتجرّع

۱- آل عمران / ۱۹۱ ـ ۱۹۵.

روايات في الطّاعة و التقوى

* عن أبي جعفر عليه السلام قال: لا تذهب بكم المذاهب، فو الله ما شيعتنا إلّا من اطاع الله عزّ وجلّ.[1]

* عن أبي جعفر عليه السلام قال: خطب رسول الله صلى الله عليه و آله في حجّة الوداع فقال: يا ايّها النّاس والله ما من شيء يقرّبكم من الجنّة و يباعدكم من النّار إلّا و قد امرتكم به و ما من شيء يقرّبكم من النّار و يباعدكم من الجنّة إلّا و قد نهيتكم عنه، اَ لا و انّ الرّوح الامين نفث في روعى انّه لن تموت نفس حتّى تستكمل رزقها، فاتّقوا الله و اجملوا في الطلب و لا يحمل احدكم استبطاء شيء من الرزق ان يطلبه بغير حلّه، فانّه لا يدرك ما عند الله إلّا بطاعته.[2]

* عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال لى: يا جابر ايكتفى من ينتحل التشيّع ان يقول بحبّنا أهل البيت، فوالله ما شيعتنا إلّا من اتّقى الله و اطاعه و ما كانوا يعرفون يا جابر إلّا بالتواضع و التخشّع و الامانة و كثرة ذكرالله و الصّوم و الصّلاة و البرّ بالوالدين و التعاهد للجيران من الفقراء و أهل المسكنة و الغارمين و الايتام و صدق الحديث و تلاوة القرآن و كفّ الألسن عن النّاس إلّا من خير، و كانوا أُمناء عشائرهم في الاشياء، قال جابر: فقلت: يا ابن رسول الله ما نعرف اليوم احداً بهذه الصفة، فقال: يا جابر لا تذهبنّ بك المذاهب حسب الرّجل ان يقول: احبّ عليّاً و اتولّاه ثم لا يكون مع ذلك فعّالاً؟ فلو قال: انّى احبّ رسول

١- الكافي، ج ٢، ص ٧٣، باب الطاعة و التقوى، ح ١.

٢- الكافي، ج ٢، ص ٧٤، باب الطاعة و التقوى، ح ٢.

الله فرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خير من عليّ عليه السلام ثمّ لا يتّبع سيرته و لا يعمل بسنّته ما نفعه حبّه ايّاه شيئاً. فاتّقوا الله و اعملوا لما عندالله، ليس بين الله و بين احد قرابة، احبّ العباد إلى الله عزّوجلّ (و اكرمهم عليه) اتقاهم و اعملهم بطاعته، يا جابر والله ما يتقرّب إلى الله تبارك و تعالى إلّا بالطاعة و ما معنا براءة من النار و لا على الله لاحد من حجّة، من كان لله مطيعاً فهو لنا وليّ و من كان لله عاصياً فهو لنا عدوّ، و ما تنال ولايتنا إلّا بالعمل و الورع.[1]

* عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان أميرالمؤمنين صلوات الله عليه يقول: لا يقلّ عمل مع تقوى و كيف يقلّ ما يتقبّل.[2]

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إذا كان يوم القيامة يقوم عنق من النّاس فيأتون باب الجنّة فيضربونه، فيقال لهم: من أنتم؟ فيقولون: نحن أهل الصبر، فيقال لهم: عل ما صبرتم؟ فيقولون: كنّا نصبر على طاعة الله و نصبر عن معاصى الله، فيقول الله عزّوجلّ: صدقوا، ادخلوهم الجنّة و هو قول الله عزّوجلّ: ﴿انّما يوفّى الصابرون اجرهم بغير حساب﴾.[3]

* عن أبي جعفر عليه السلام قال: يا معاشر الشيعة ـ شيعة آل محمّد ـ كونوا النمرقة الوسطى يرجع إليكم الغالى و يلحق بكم التالى، فقال له رجل من الانصار يقال له سعد: جعلت فداك ما الغالى؟ قال: قوم يقولون فينا ما لا نقوله في انفسنا، فليس اولئك منّا و لسنا منهم، قال: فما التالى، قال: المرتاد يريد الخير، يبلّغه الخير يوجر عليه، ثم اقبل علينا فقال: والله ما معنا من الله براءة و لا بيننا و بين الله قرابة و لا لنا على الله حجّة و لا نتقرّب إلى الله إلّا بالطاعة، فمن كان منكم مطيعاً لله تنفعه ولايتنا، و من كان منكم عاصياً للّه لم تنفعه ولايتنا،

١- الكافي، ج ٢، ص ٧٤، باب الطاعة و التقوى، ح ٣.

٢- الكافي، ج ٢، ص ٧٥، باب الطاعة و التقوى، ح ٥.

٣- الكافي، ج ٢، ص ٧٥، باب الطاعة و التقوى، ح ٤.

ويحكم لا تغترّوا، ويحكم لا تغترّوا.[١]

❋ عن مفضّل بن عمر قال: كنت عند أبي عبدالله عليه‌السلام فذكرنا الاعمال فقلت انا: ما اضعف عملي، فقال، مه، استغفرالله، ثمّ قال لی انّ قليل العمل مع التقوى خير من كثير العمل بلا تقوى، قلت: كيف يكون كثيرٌ بلا تقوى؟ قال: نعم مثل الرّجل يطعم طعامه و يرفق جيرانه و يوطئ رحله فاذا ارتفع له الباب من الحرام دخل فيه، فهذا العمل بلا تقوى و يكون الآخر ليس عنده فاذا ارتفع له الباب من الحرام لم يدخل فيه.[٢]

❋ عن أبي عبدالله عليه‌السلام يقول: ما نقل الله عزّوجلّ عبداً من ذلّ المعاصی إلی عزّ التقوى إلّا اغناه من غير مال و اعزّه من غير عشيرة و آنسه من غير بشر.[٣]

❋ عن عمرو بن سعيد عن أبي عبدالله عليه‌السلام قال: قلت له: انّی لا القاك إلّا في السنين، فاخبرنی بشيء آخذ به، فقال: اوصيك بتقوى الله و الورع و الاجتهاد و اعلم انّه لا ينفع اجتهاد لا ورع فيه.[٤]

❋ عن أبي عبدالله عليه‌السلام يقول: اتّقوا الله و صونوا دينكم بالورع.[٥]

❋ عن يزيد بن خليفة قال: وعظنا أبو عبدالله عليه‌السلام فامر و زهّد، ثم قال: عليكم بالورع، فانّه لاينال ما عندالله إلّا بالورع.[٦]

❋ قال أبو الصباح الكنانی لابی عبدالله عليه‌السلام: ما نلقى من النّاس فيك؟! فقال أبو عبدالله عليه‌السلام: و ما الّذي تلقى من النّاس فیّ؟ فقال: لا يزال يكون بيننا و بين الرّجل الكلام

١- الكافي، ج ٢، ص ٧٥، باب الطاعة و التقوى، ح ٦.

٢- الكافي، ج ٢، ص ٧٦، باب الطاعة و التقوى، ح ٧.

٣- الكافي، ج ٢، ص ٧٦، باب الطاعة و التقوى، ح ٨.

٤- الكافي، ج ٢، ص ٧٦، باب الورع، ح ١.

٥- الكافي، ج ٢، ص ٧٦، باب الورع، ح ٢.

٦- الكافي، ج ٢، ص ٧٦، باب الورع، ح ٣.

فيقول: جعفرى خبيث، فقال: يعيّركم النّاس بى؟ فقال له أبو الصباح: نعم قال: فقال: ما اقلّ والله من يتّبع جعفراً منكم، انّما اصحابى من اشتدّ ورعه، و عمل لخالقه، و رجا ثوابه، فهؤلاء اصحابى.[۱]

❊ عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال الله عزّوجلّ: ابن آدم اجتنب ما حرّمت عليك، تكن من اورع النّاس.[۲]

❊ عن حفص بن غياث قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن الورع من الناس، فقال: الّذي يتورّع عن محارم الله عزّوجلّ.[۳]

❊ عن أبي أُسامة قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: عليك بتقوى الله و الورع و الاجتهاد و صدق الحديث و اداء الامانة و حسن الخلق و حسن الجوار و كونوا دعاةانفسكم بغير السنتكم و كونوا زيناً و لا تكونوا شيناً، و عليكم بطول الركوع و السجود فانّ احدكم إذا طال الركوع و السجود هتف ابليس من خلفه و قال: يا ويله اطاع و عصيت و سجد و ابيت.[٤]

❊ عن أبي جعفر عليه السلام قال: اعينونا بالورع، فانّه من لقى الله عزّوجلّ منكم بالورع كان له عندالله فرجاً، و انّ الله عزّوجلّ يقول: ﴿من يطع الله و رسوله فاولئك مع الّذين انعم الله عليهم من النبيّين و الصدّيقين و الشهداء و الصالحين و حسن اولئك رفيقاً﴾ فمنّا النبيّ و منّا الصديق و الشهداء و الصالحون.[٥]

❊ عن أبي الحسن الاوّل عليه السلام: قال: كثيراً ما كنت اسمع أبي يقول: ليس من شيعتنا من لا تتحدّث المخدّرات بورعه في خدورهنّ و ليس من اوليائنا من هو في قرية فيها عشرة

١- الكافي، ج ٢، ص ٧٧، باب الورع، ح ٦.
٢- الكافي، ج ٢، ص ٧٧، باب الورع، ح ٧.
٣- الكافي، ج ٢، ص ٧٦، باب الورع، ح ٨.
٤- الكافي، ج ٢، ص ٧٧، باب الورع، ح ٩.
٥- الكافي، ج ٢، ص ٧٨، باب الورع، ح ١٢.

آلاف رجل فيهم (من) خلق (ا) لله اورع منه.(١)

* عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان أميرالمؤمنين عليه السلام يقول: انّ لأهل التقوى علامات يعرفون بها: صدق الحديث، و اداء الامانة، و وفاء بالعهد، و قلّة العجز و البخل، و صلة الارحام، و رحمة الضعفاء و قلّة المؤاتاة للنساء، و بذل المعروف، و حسن الخلق، و سعة الحلم، و اتّباع العلم فيما يقرّب إلى الله، طوبى لهم و حسن مآب، و طوبى شجرة في الجنّة اصلها في دار رسول الله، فليس من مؤمن إلّا و في داره غصن من اغصانها لا ينوى في قلبه شيئاً إلّا اتاه ذلك الغصن، و لو انّ راكباً مجدّاً سار في ظلّها مائة عام ما خرج منها، و لو انّ غراباً طار من اصلها ما بلغ اعلاها حتّى يبياض هرماً اَ لا في هذا فارغبوا، انّ للمؤمن في نفسه شغلاً و النّاس منه في راحة، إذا جنّ عليه اللّيل فرش وجهه و سجد لله بمكارم بدنه، يناجى الّذي خلقه في فكاك رقبته، اَ لا فهكذا فكونوا.(٢)

* عن علىّ بن عبد العزيز قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: يا علىّ بن عبدالعزيز لا يغرّنّك بكاؤهم فانّ التقوى في القلب.(٣)

* عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انّه قال: خصلة من لزمها اطاعته الدنيا و الآخرة و ربح الفوز بالجنّة قيل: و ما هي يا رسول الله؟ قال: التقوى، من اراد ان يكون اعزّ النّاس فليتّق الله عزّوجلّ، ثم تلا ﴿**و من يتّق الله يجعل له مخرجاً و يرزقه من حيث لا يحتسب**﴾.(٤)

* و في مكاتبة أبي عبدالله عليه السلام إلى رجل من اصحابه: اما بعد فانّي اوصيك بتقوى الله عزّ و جلّ، فانّ الله قد ضمن لمن اتّقاه ان يحوّله عمّا يكره إلى ما يحبّ و يرزقه من حيث لا يحتسب، انّ الله عزّوجلّ لا يخدع عن جنتّة، و لا ينال ما عنده إلّا بطاعته انشاء الله

١- الكافي، ج ٢، ص ٧٩، باب الورع، ح ١٥.
٢- بحار الانوار، ج ٦٧، ص ٢٨٢، باب ٥٦، ح ٢.
٣- بحار الانوار، ج ٦٧، ص ٢٨٣، باب ٥٦، ح ٤.
٤- بحار الانوار، ج ٦٧، ص ٢٨٥، باب ٥٦، ح ٧.

تعالى.[١]

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: ايّما مؤمن اقبل قبل ما يحبّ الله، اقبل الله عليه قبل كلّ ما يحبّ، و من اعتصم بالله بتقواه، عصمه الله، و من اقبل الله عليه و عصمه لم يبال لو سقطت السّماء على الارض، و ان نزلت نازلة على أهل الأرض فشملهم بلية كان في حرز الله بالتقوى من كلّ بليّة، اليس الله تعالى يقول: ﴿انّ المتقين في مقام امين﴾.[٢]

* قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: لو انّ السموات و الأرض كانتا رتقاً على عبد ثمّ اتّقى الله لجعل الله له منهما فرجاً و مخرجاً.[٣]

* عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قال: ليجيئنّ اقوام يوم القيامة لهم من الحسنات كجبال تهامة، فيؤمر بهم إلى النار، فقيل: يا نبيّ الله امصلّون؟ قال: كانوا يصلّون و يصومون و يأخذون وهناً من الليل لكنّهم كانوا إذا لاح لهم شيء من الدّنيا وثبوا عليه.[٤]

* عن زيد بن أبي اسامة عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سألته عن قول الله: ﴿انّ الّذين اتّقوا إذا مسّهم طائف من الشيطان تذكّروا فاذا هم مبصرون﴾ قال: هو الذّنب يهمّ به العبد فيتذكّر فيدعه.[٥]

* عن أميرالمؤمنين عليه السلام عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قال: اتقى النّاس من قال الحقّ فيما له و عليه.[٦]

١- بحار الانوار، ج ٦٧، ص ٢٨٥، باب ٥٦، ح ٨.

٢- بحار الانوار، ج ٦٧، ص ٢٨٥، باب ٥٦، ذيل ح ٨.

٣- بحار الانوار، ج ٦٧، ص ٢٨٥، باب ٥٦، ذيل ح ٨.

٤- بحار الانوار، ج ٦٧، ص ٢٨٦، باب ٥٦، ذيل ح ٨.

٥- بحار الانوار، ج ٦٧، ص ٢٨٧، باب ٥٦، ح ١٣.

٦- بحار الانوار، ج ٦٧، ص ٢٨٨، باب ٥٦، ح ١٥.

* عن أميرالمؤمنين عليه السلام: لا كرم اعزّ من التقوى، و سئل عليه السلام ایُّ عمل افضل؟ قال: التقوى.(١)

* عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قال: اول ما يدخل النار من امّتي الاجوفان، قالوا: و ما الاجوفان؟ قال: الفرج و الفم، و أكثر ما يدخل به الجنّة تقوى الله و حسن الخلق.(٢)

* عن الصادق عليه السلام قال: من ؤخرجه الله من ذلّ المعصية إلى عزّ التقوى اغناه الله بلا مال، و اعزّه بلا عشيرة، و آنسه بلا بشر، و من خاف الله عزّوجلّ اخاف الله منه كلّ شيء، و من لم يخف الله عزّوجلّ اخافه من كلّ شيء.(٣)

* قال أميرالمؤمنين على عليه السلام: اتّق الله بعض التّقى و ان قلّ، و اجعل بينك و بين الله ستراً و ان رقّ.(٤)

* قال أميرالمؤمنين على عليه السلام: كم من صائم ليس له من صيامه إلّا الجوع و الظمأ، و كم من قائم ليس له من قيامه إلّا السّهر والعَناء، حبّذا نوم الأكياس و افطارهم.(٥)

* قال الصادق عليه السلام: التقوى على ثلاثة اوجه: تقوى بالله في الله و هو ترك الحلال فضلاً عن الشبهة و هو تقوى خاصّ الخاصّ، و تقوى من الله و هو ترك الشبهات فضلاً عن حرام، و هو تقوى الخاصّ، و تقوى من خوف النار و العقاب و هو ترك الحرام و هو تقوى العامّ، و مثل التقوى كماء يجرى في نهر و مثل هذه الطبقات الثلاث في معنى التقوى كاشجار مغروسة على حافة ذلك النهر، من كلّ لون و جنس و كلّ شجرة منها يستمصّ الماء من ذلك النهر

١- بحار الانوار، ج ٦٧، ص ٢٨٨، باب ٥٦، ح ١٦.

٢- بحار الانوار، ج ٦٧، ص ٢٨٨، باب ٥٦، ح ٢٠.

٣- بحار الانوار، ج ٧٦، ص ٢٨٩، باب ٥٦، ح ٢٢.

٤- نهج البلاغة، صبحى الصالح، قصار الحكم، ٢٤٢.

٥- نهج البلاغة، صبحى الصالح، قصار الحكم، ١٤٥.

على قدر جوهره و طعمه و لطافته و كثافته، ثم منافع الخلق من ذلك الاشجار و الثمار على قدرها و قيمتها قال الله تعالى :

﴿صنوان و غير صنوان يسقى بماء واحد و يفضّل بعضها على بعض في الأُكل﴾ الآية، فالتقوى للطاعات كالماء للأشجار، و مثل طبايع الأشجار و الثمار في لونها و طعمها مثل مقادير الايمان، فمن كان اعلا درجة في الايمان، و اصفا جوهراً بالروح كان أتقى، و من كان اتقى كانت عبادته اخلص و اطهر، و من كان كذلك كان من الله اقرب، و كلّ عبادة غير مؤسّسة على التقوى فهو هباء منثور، قال الله عزّوجلّ **﴿أ فمن اسّس بنيانه على تقوى من الله و رضوان خير ام من اسّس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنّم﴾** الآية، و تفسير التقوى ترك ما ليس بأخذه بأس حذراً عمّا به بأس، و هو في الحقيقة طاعة، و ذكر بلا نسيان، و علم بلا جهل مقبول غير مردود.(١)

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: اورع النّاس من وقف عند الشبهة، اعبد النّاس من اقام الفرائض، ازهد النّاس من ترك الحرام، اشدّ النّاس اجتهاداً من ترك الذنوب.(٢)

* عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: انّ لكلّ ملك حمى و انّ حمى الله حلاله و حرامه و المشتبهات بين ذلك كما لو انّ راعياً رعى إلى جانب الحمى لم تلبث غنمه ان تقع في وسطه فدعوا المشتبهات.(٣)

* عن أبي عبدالله عليه السلام انّه قال: اتّقوا الله اتّقوا الله، عليكم بالورع و صدق الحديث و اداء الامانة و عفّة البطن و الفرج تكونوا معنا في الرفيع الاعلى.(٤)

١- بحار الانوار، ج ٦٧، ص ٢٩٥، باب ٥٦، ح ٤١.

٢- بحار الانوار، ج ٦٧، ص ٣٠٥، باب ٥٧، ح ٢٥.

٣- بحار الانوار، ج ٦٧، ص ٣٠٦، باب ٥٧، ح ٢٦.

٤- بحار الانوار، ج ٦٧، ص ٣٠٦، باب ٥٧، ح ٢٨.

* عن أميرالمؤمنين عليه السلام قال: ايها النّاس لاخير في دين لا تفقّه فيه و لا خير في دنيا لا تدبير فيها، و لا خير في نسك لا ورع فيه.(١)

* قال الصادق عليه السلام: اغلق أبواب جوارحك عمّا يرجع ضرره إلى قلبك، و يذهب بوجاهتك عندالله، و تعقّب الحسرة و الندامة يوم القيامة، و الحياء عمّا اجترحت من السيّئات، و المتورّع يحتاج إلى ثلاثة اصول: الصفح عن عثرات الخلق اجمع، و ترك خوضه فيهم، و استواء المدح و الذّم، و اصل الورع دوام المحاسبة، و صدق المقاولة، و صفاء المعاملة، و الخروج من كلّ شبهة، و رفض كلّ (عيبة و) ريبة، و مفارقة جميع ما لا يعنيه، و ترك فتح أبواب لا يدرى كيف يغلقها، و لايجالس من يشكل عليه الواضح، ولايصاحب مستخفي الدّين، و لايعارض من العلم مالايحتمل قلبه، ولايتفهّمه من قائل، ويقطع من يقطعه عن الله.(٢)

* عن الفضيل، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال لى: يا فضيل ابلغ من لقيت من موالينا عنّا السلام، و قل لهم انّى لا أُغنى عنهم من الله شيئاً إلّا بالورع، فاحفظوا السنتكم و كفّوا ايديكم، و عليكم بالصبرو الصلاة انّ الله مع الصابرين.(٣)

* عن خيثمة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: دخلت عليه لاودّعه فقال: ابلغ موالينا السلام عنّا و اوصهم بتقوى الله العظيم، و اعلمهم يا خيثمة انّا لا نغنى عنهم من الله شيئاً إلّا بعمل، و لن ينالوا ولايتنا إلّا بورع، و انّ اشدّ النّاس حسرة يوم القيامة من وصف عدلاً ثمّ خالفه غيره.(٤)

١- بحار الانوار، ج ٦٧، ص ٣٠٧، باب ٥٧، ح ٣٤.

٢- بحار الانوار، ج ٦٧، ص ٣٠٧، باب ٥٧، ح ٣٥.

٣- بحار الانوار، ج ٦٧، ص ٣٠٨، باب ٥٧، ح ٣٦.

٤- بحار الانوار، ج ٦٧، ص ٣٠٩، باب ٥٧، ذيل ح ٣٦.

الفصل التّاسع و العشرون

الفضيلة الثّلاثون: حبُّ الله تعالى

الفضيلة الثّلاثون: حبّ الله تعالى

و هو حالة تنشأ من صميم ذات الإنسان فتسلّط على القلب، و بعبارة أخرى هو ما يخرج من القوّة إلى الفعل فيرسخ في القلب، و على حدّ تعبير القرآن هو نور يهدى الله به عباده و يقذفه في قلب من يشاء فيخرجهم به من الظّلمات.

قال الله تعالى: ﴿افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربّه﴾.[1]

و قال تعالى: ﴿أو من كان ميتا فاحييناه و جعلنا له نوراً يمشى به في النّاس﴾.[2]

و قال تعالى: ﴿الله وليّ الّذين آمنوا يخرجهم من الظّلمات إلى النّور﴾.[3]

و تلك الملكة كغيرها من الملكات مقولة بالتشكيك فان حصل المرتبة الاولى منها في قلب فهو تابع لله و لرسوله ولن يخالف الله تعالى أبداً.

قال تعالى: ﴿ان كنتم تحبّون الله فاتّبعونى﴾.[4]

و ان حصل المرتبة الوسطى منها في قلب فلا يلهيه شيء من ذكر الله تعالى.

قال تعالى: ﴿رجال لا تلهيهم تجارة و لا بيع عن ذكر الله﴾.[5]

١- الزّمر / ٢٢. ٢- الانعام / ١٢٢. ٣- البقرة / ٢٥٧. ٤- آل عمران / ٣١.

٥- النّور / ٣٧.

و ان حصل المرتبة الأخيرة منها في قلب فلايرى في الكون إلّا إيّاه تعالى، و لسان حاله دائماً يترنّم بقول القائل: ليس في الدّار غيره ديّار.

قال تعالى حكاية عن ابراهيم عليه السلام: ﴿انّى وجّهت وجهى للّذى فطر السّموات و الأرض حنيفاً و ما انا من المشركين﴾.[1]

و قال تعالى: ﴿فاينما تولّوا فثمّ وجه الله﴾.[2]

ولله درّ من أنشد بالفارسيّة:

به صحرا بنگرم صحرا تو بينم | به دريا بنگرم دريا تو بينم
به هر جا بنگرم كوه و در و دشت | نشان از قامت رعنا تو بينم

فذلك القلب هو الّذي يدرك و يفهم و يرى.

قال تعالى: ﴿هو الأوّل و الآخر و الظّاهر و الباطن و هو بكلّ شيء عليم﴾.[3]

فبتلك الحالات الثّلاث و المراتب الضّعيفة و الشّديدة قد يكون المرء مصداقاً لقوله تعالى: ﴿سنريهم آياتنا في الافاق و في انفسهم حتّى يتبيّن لهم انّه الحقّ﴾[4] (علم اليقين).

و قد يكون مصداقاً لقوله تعالى: ﴿أو لم يكف بربّك انّه على كلّ شيء شهيد﴾[5] (عين اليقين).

و قد يكون مصداقاً لقوله تعالى: ﴿اَ لا انّهم في مرية من لقاء ربّهم اَ لا انّه بكلّ شيء محيط﴾[6] (حقّ اليقين).

و تلك المراتب من اليقين الّتي تستفاد من الآيات الثلاث تحصل للمرء بحبّه تعالى و لا يمكن تحصيل هذه الانوار إلّا بأنوار اُخر، فبتلك المحبّة قد يرى الله تعالى رؤيةً عقليّة و هو

۱- الانعام / ۷۹. ۲- البقرة / ۱۱۵. ۳- الحديد / ۳. ٤- فصّلت / ۵۳.

۵- فصّلت / ۵۳. ٦- فصّلت / ۵٤.

قوله تعالى: ﴿سنريهم آياتنا في الافاق و في انفسهم حتّى يتبيّن لهم انّه الحقّ﴾ و قد يرى الله تعالى رؤيةً قلبيّة و هو قوله تعالى: ﴿أو لم يكف بربّك انّه على كلّ شيء شهيد﴾ و قد يرى الله تعالى رؤيةً فطريةً منبعثةً عن صميم روحه و هو اللّقاء و هو قوله تعالى: ﴿اَ لا انّهم في مرية من لقاء ربّهم اَ لا انّه بكلّ شيء محيط﴾ و هؤلاء الّذين بارك الله تعالى في رؤيتهم، بل في الّذين رءاه تعالى بقلوبهم.

قال تعالى: ﴿فلمّا جائها نودى ان بورك من في النّار و من حولها و سبحان الله ربّ العالمين﴾.[1]

فهم اصحاب التّسابق كما انّ من يرى الله تعالى بعين العقل فهو من اصحاب الميمنة.

قال تعالى: ﴿فاصحاب الميمنة ما اصحاب الميمنة..... و السّابقون السّابقون اولئك المقرّبون﴾.[2]

نعم، من كان في هذه اعمى فهو الآخرة اعمى و هم الّذين لم يرد ذلك النّور في قلوبهم فهم عميان في الدار الأولى تائهون في الظلمات في الدار الآخرة، و هم من أصحاب المشئمة.

قال تعالى: ﴿من كان في هذه اعمى فهو في الآخرة اعمى و اضلّ سبيلاً﴾.[3]

و قال تعالى: ﴿يوم يقول المنافقون و المنافقات للّذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا ورائكم فالتمسوا نوراً﴾.[4]

و قال تعالى: ﴿و اصحاب الشمال ما اصحاب الشمال * في سموم و حميم * و ظلّ من يحموم * لا بارد و لا كريم﴾.[5]

و بالجملة، يظهر من القرآن بوضوحٍ تام ان من أراد رؤية الله تعالى في الآخرة بعين العقل أو القلب أو الفطرة، فلا محالة ليرد ان يرى الله تعالى بنور العفل أو بنور القلب أو بنور

١- النمل / ٨. ٢- الواقعة / ٨ ـ ١١. ٣- الاسراء / ٧٢. ٤- الحديد / ١٣.

٥- الواقعة / ٤١ ـ ٤٤.

الفطرة في هذه الدّنيا و إلّا فمن غضّ عين قلبه في هذه الدّنيا فالله تعالى محجوب عنه يوم القيامة و ليس له ان يراه بعين العقل أو القلب أو الفطرة.

قال تعالى: ﴿وجوه يومئذ ناضرة * إلى ربّها ناظرة﴾.[١]

قال تعالى: ﴿كلّا انّهم عن ربّهم يومئذ لمحجوبون﴾.[٢]

و لهذه المحبّة لذّة لاهلها لايمكن دركها إلّا لمن التذّ بها،

قال تعالى: ﴿تتجافي جنوبهم عن المضاجع يدعون ربّهم خوفاً و طمعاً و ممّا رزقناهم ينفقون * فلا تعلم نفس ما اخفى لهم من قرّة اعين جزاءً بما كانوا يعملون﴾.[٣]

بناءً على كون المراد من قوله تعالى «ما اخفى لهم من قرّة اعين» اللذّات المقدّرة لهم في جوف الليل في هذه الدنيا، فلا تختصّ بالآخرة و ارادة العموم من الآية الشريفة قريب جدّاً.

و بالجملة، انّها لذّة لا يمكن دركها إلّا لمن كان له قلب ولله درّ من أنشد بالفارسيّة:

آنكس داند حال دل مسكينم

كو را هم از اين نمد كلاهى باشد

صفت بادهٔ عشق از من سرمست مپرس

ذوق اين مى نشناسى به خدا تا نچشى

فمن غلب عليه الصّعق في جوف اللّيل خوفاً من ستر الحجاب على قلبه قائلاً لسان حاله: يا الهى و سيّدى و مولاى صبرت على عذابك فكيف اصبر على فراقك و هبنى صبرت على حرّ نارك فكيف اصبر عن النّظر إلى كرامتك[٤]، لا يدرك حاله من لم يذقها.

فهو عليه السلام في الجزء الأخير من مناجاته هذه إذا انغمر في توحيده تعالى و استولى عليه الحب استدامها فقال: يا ربّ يا ربّ يا ربّ اسئلك بحقّك و قدسك و اعظم صفاتك و

١- القيامة / ٢٣، ٢٢. ٢- المطففين / ١٥. ٣- السّجدة / ١٦، ١٧.

٤- مفاتيح الجنان، دعاء كميل بن زياد عليه الرّحمة.

اسمائك ان تجعل اوقاتي من اللّيل و النّهار بذكرك معمورة و بخدمتك موصولة و اعمالي عندك مقبولة حتّى تكون اعمالي و اورادي كلّها ورداً واحداً و حالي في خدمتك سرمداً.[۱]

فلا عذاب و لا معصية لأميرالمؤمنين عليه السلام أشدّ من الفراق و الغفلة عن اللّقا فلذا يستدامها و يستغفر الله تعالى عن غيرها و يخرّ صعقاً و ليس التّضرّعات و الاستغفارات و الاقرارات بالذّنوب العظيمة الواردة في قسطٍ من الادعية إلّا بهذا المعنى، و هذه الحالات و هذه اللّذّات يختصّ باهلها و ليس لعامّة النّاس نصيب منها، فطوبى لهم و حسن مآب، اللّهمّ شرّكنا معهم في ادراك حلاوة ذلك.

ثمّ، انّه لمّا كان هذا الحبّ مساوقاً للوجود فلكلّ من الموجودات بمقدار وجوده نصيب منها يدلّ عليه تسبيح الموجودات بأسرها و صلوتها و تضرّعها و انابتها و سجودها.

قال تعالى: ﴿و ان من شيء إلّا يسبّح بحمده و لكن لا تفقهون تسبيحهم﴾.[۲]

و قال تعالى: ﴿الم تر انّ الله يسبّح له من في السّموات و الأرض و الطّير صافّات كلّ قد علم صلوته و تسبيحه والله عليم بما يفعلون﴾.[۳]

و قال تعالى: ﴿و سخّرنا مع داود الجبال يسبّحن و الطّير﴾.[٤]

و قال تعالى: ﴿الم تر انّ الله يسجد له من في السّموات و من في الأرض و الشّمس و القمر و النّجوم و الجبال و الشّجر و الدّوابّ و كثير من النّاس﴾.[٥]

و قال تعالى: ﴿و لقد آتينا داود منّا فضلاً يا جبال اوّبي معه و الطّير﴾.[٦]

و نظيرها كثير وارد في الذكر الحكيم. و لكن من المؤسّف عليه جدّاً انّه ليس لنا سمع حتّى نسمع تلك التّسبيحات و التّضرّعات و ليست لنا عين حتّى نرى تلك الصّلوات و تلك السّجدات، فلو كانت لنا العين الدّاوُدية و الأذن الدّاوُدية لكنّا نسمع و نرى. هذا من

۱- مفاتيح الجنان، دعاء كميل بن زياد عليه الرّحمة. ۲- الاسراء / ٤٤.
۳- النّور / ٤١. ٤- الأنبياء / ۷۹. ٥- الحجّ / ۱۸. ٦- سبأ / ۱۰.

الضروريّات عند أهل القلوب فمن غلب على قلبه محبّة الله تعالى و استنار قلبه بتلك المحبّة و اتّصل بنور الله تعالى فهذه الأمور و ما يشابهها ليس عليه إلّا سهلاً يسيراً و قد مضى في رواية معتبرة من الكافي انّ سمع المحبّ و بصره متّصل بنور الله تعالى فبعد ذلك لا يثقل عليه أن يسمع تسبيح الموجودات و أن يرى صلواتها و سجودها.

و قد اشتهر انّ تسبيح الموجودات كلّها غير الإنسان على سبيل الجبر و القسر، و الفرق بينها و بين تسبيح الإنسان يتمّ بهذا، فالإنسان في عبادته مختار و غيره في عبادته مجبور و قد استدلّ المشهور لهذا القول بقوله تعالى:

﴿ثمّ استوى إلى السّماء و هي دخان فقال لها و للارض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا اتينا طائعين﴾.[١]

و المعنى انّ الله تعالى خلق السّموات و الأرض و امرهما تكويناً بالمقدّر لهما بالامر المحتوم، فأجابا تكويناً: انّا طائعون، فيعملان بما قدّر لهما جبراً.

و استدلّوا أيضاً بقوله تعالى:

﴿ما من دابّة إلّا هو آخذ بناصيتها انّ ربّى على صراط مستقيم﴾.[٢]

و لكن المراد ـ و العلم عند الله تعالى! ـ من هاتين الآيتين و اضرابهما بيان الهداية التكوينيّة الالهيّة و اهتداء العوالم بها، فمثل الآيتين مَثل قوله تعالى:

﴿قال ربّنا الّذي أعطى كلّ شيء خلقه ثمّ هدى﴾.[٣]

فللموجودات كلّها و منها الإنسان هداية عامّة تسمّى بالهداية التّكوينيّة و بتلك الهداية يعلم كلّ موجودٍ بعلمه التكويني طرقَ اعاشته و الخروج عن عهدة وظيفته.

فهذه الآيات و أمثالها خارجةٌ عن محلّ الكلام.

فبهذا يتصحّح قول القائل: انّ عبادات الموجودات كلّها على سبيل الاختيار و تنشأ

١- فصّلت / ١١.　　٢- هود / ٥٦.　　٣- طه / ٥٠.

من حبٍّ نشأ من صميم ذاته المساوق لوجوده و لكن مثل هذه المطالب يحتاج إلى الشّهود، و هو خارج عن العلم و القيل و القال، فالأجدر ان نكله إلى أهله و نصرف عنه البيان مقال آخر، و هو انّ هذه المحبّة تضادّ محبّة الدّنيا و لا يمكن الجمع بينهما اصلاً

قال تعالى: ﴿ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه﴾.[1]

فمن اشتغل قلبه بالدّنيا بالمعنى العام فليس له ان يُنوَّرَ بنور محبّة الله فلذا نهى الله تعالى عن شغله في عدّةٍ من الآيات منها.

قال تعالى: ﴿لا تلهكم اموالكم و لا اولادكم عن ذكر الله﴾.[2]

و قال تعالى: ﴿ذرهم يأكلوا و يتمتّعوا و يلههم الامل فسوف يعلمون﴾.[3]

كما انّ من اشتغل قلبه بالله غير موجّهٍ وجهه إلى غيره فليس له أن يُكدّر بحبّ الدنيا الدنيئة.

قال تعالى: ﴿في بيوت اذن الله ان ترفع و يذكر فيها اسمه يسبّح له فيها بالغدوّ و الاصال * رجال لا تلهيهم تجارة و لا بيع عن ذكر الله﴾.[4]

حُكى عن بعض مسامرات أهل القلوب أنّ واحداً منهم قال: ليس بصادق في دعوى حب مولاه من لم يرض على بلائه، فقال الآخر: ليس بصادق في دعواه من لم يشكر على بلائه، فقال الآخر: ليس بصادق في دعواه من لم يتلذّذ من بلائه، و قال الآخر منهم: ليس بصادق في دعواه من شغله بلائه عن مشاهدة مولاه!.

نعم، انّ حبّ المولى لو رسخ في القلب فكثيراًما لا يرى إلّا المولى كما انّه ان رسخ و فيه حبّ الدّنيا لا يرى إلّا ايّاها. و فيما حكى الله تعالى في الذكر الحكيم من فعل النسوة حين ورود سيدنا يوسف عليه السلام إليهنّ حيث قطّعن ايديهنّ ناسيات القطع و الدم و الداء، اشارةٌ إلى ذلك.

١- الاحزاب / ٤. ٢- المنافقون / ٩. ٣- الحجر / ٣. ٤- النّور / ٣٧، ٣٦.

قال تعالى: ﴿و قال نسوة في المدينة امرأت العزيز تراود فتيٰها عن نفسه قد شغفها حبّاً انّا لنراها في ضلال مبين * فلمّا سمعت بمكرهنّ ارسلت اليهنّ و اعتدت لهنّ متّكاً و اتت كلّ واحدة منهنّ سكّيناً و قالت أخرج عليهنّ فلمّا رأينه اكبرنه و قطّعن ايديهنّ و قلن حاش لله ما هذا بشر ان هذا إلّا ملك كريم * .... قال ربّ السّجن احبّ الىّ ممّا يدعوننى إليه و إلّا تصرف عنّى كيدهنّ اصب اليهنّ و اكن من الجاهلين﴾.[١]

فترى الآيات الحاكية عمّا جرى على يوسف عليه‌السلام تطابق المأثور: حبّ الشّيء يعمى و يصم؛ فنسوة المدينة ما كان في قلوبهنّ إلّا حبّ يوسف المذموم، فأدّاهنّ ذلك إلى اعتراف الذنوب واحداً بعد آخر؛ كما انّ اخوة يوسف ـ و قد مضى ذكر جملةٍ من سيرتهم معه عليه‌السلام في صدر السورة المباركة ـ كانوا يعبدون أهواءَهم، فجنوا عليه ثمّ أجرموا بما اتّهموه به من كونه سارقاً؛ أمّا يوسف فما كان في قلبه شيءٌ غير حبّه تعالى، ففعل ما لا يفعله إلّا من عصمه سبحانه؛

قال تعالى: ﴿و لقد همّت به وهمّ بها لولا ان رأى برهان ربّه﴾.[٢]

و لمزيد التوضيح نقول: انّ اخوة يوسف غلب عليهم الهوى فارتكبوا ذنوباً كثيرة كتضليل أبيهم النبيّ وارادتهم قتل اخيهم النبي و تلك الهوى جعلتهم في عمى فسلّط عليهم هواهم و قضت عليهم ففعلوا ما فعلوا و بلغوا ما بلغوا من الدناءة و الخسّة.

و انّ امرئة العزيز غلبت عليها هواها و ارتكبت ذنوباً لا يجوّزها العقل و لا يقرب منها الأحرار كحنين المرءة إلى غير بعلها و الخلوة معه طالبةً منه الفسوق؛ ثمّ بعد الإياس من الظّفر به تطهير نفسها من الذنوب و اسنادها إليه ثمّ الأمر بسجنه و الظلم عليه بما ينفرّ منه الآذان و الأسماع.

أمّا النبي يوسف عليه‌السلام ففرّ من الذنب فرار الغنم من الذئب لتمكّن حبّه تعالى في قلبه

١- يوسف / ٣٠ ـ ٣٣. ٢- يوسف / ٢٤.

بحيث لم يكن في قلبه فراغاً يشغله غيره. هذا مع تمام المعدّات لاغترافه اشدّ المعاصى التذاذاً، حيث كان شابّاً و كانت جميلةً و كان مملوكاً و كانت مالكةً محبّةً ولهةً ايّاه، فأمرته بالفسوق مع خلوّ المجلس عن الأغيار، و لكن حبّه تعالى عصمه منها فتركها لئلّا يكون مع العاصين. فطوبى لمن يرى ذلك النّور و تلك الظّلمة و طوبى لمن تستشمّ ريح ذلك النّور الطيب و ريح تلك الظّلمة النتن و من كان له قلب و سمع و عين فلا ألذّ لقلبه من رؤية ذلك النور المشار إليه في جملةٍ من الآيات و الروايات.

قال تعالى حكاية عنه: ﴿**اذهبوا بقميصى هذا فالقوه على وجه أبي يأت بصيراً و أتونى باهلكم أجمعين * و لمّا فصلت العير قال أبوهم انّى لاجد ريح يوسف لو لا ان تفنّدون * قالوا تالله انّك لفى ضلالك القديم * فلمّا ان جاء البشير القيٰه على وجهه فارتدّ بصيراً قال الم اقل لكم انّى اعلم من الله ما لا تعلمون**﴾.[1]

و روى انّ اويس القرنى سافر إلى مدينة النبى ليلاقيه صلّى الله عليه وآله وسلّم فلم يكن الرسول فيها، فرجع، فاذا عاد اليها النبى قال: ارى نوراً و اشمّ ريحاً طيّباً؟ فقيل له: جاء اويس، فقال: و اشوقاه يا اويس.

و قال تعالى: ﴿و اطيعوا الله و رسوله و لا تنازعوا فتفشلوا و تذهب ريحكم﴾.[2]

فما هذا الرّيح الّذي تذهب بالمخالفة و تحصل بالمتابعة، فطوبى لمن يشمّها.

قال تعالى: ﴿**أو من كان ميتاً فاحييناه و جعلنا له نوراً يمشى به في النّاس كمن مثله في الظّلمات ليس بخارج منها**﴾.[3]

فما هذا النّور الّذي يَظهر للمؤمن فيُظهره و ما تلك الظّلمات الّتي يراها المؤمن و لا يدخلها.

و لله درّ من أنشد بالفارسيّة:

١- يوسف / ٩٣ ـ ٩٦. ٢- الانفال / ٤٦. ٣- الانعام / ١٢٢.

مـــردان رهش زنـده بـه جـان دگـرند　　　مـــرغان هـــواش ز آشـيان دگـــرند

منگر تو بدين چشـم بـايشان كـايشان　　　بـيرون ز دو كـون و در جـهان دگـرند

فتلخّص ممّا ذكرنا، انّ حبّ الله تعالى ينافي حبّ الدّنيا و هم ضدّان لا يجتمعان بتاتاً.

نعم، لو كان حبّ غير الله لأجله تعالى فهو يرجع إلى حبّ الله تعالى و هـو افـضل القربات و يجتمع مع حبّه بل لو لم يكن فيه حبّ في الله فليس فيه حبّ الله.

فالأمر الوارد بحبّنا الصالحين و على رأسهم أهل بيت الطهارة عليهم‌السلام ليس إلّا من حبّه تعالى، فلا تعارض بين الحبّين، بل الأوّل يمدّ الثاني و يضاعفه.

قال تعالى: ﴿قل لا اسئلكم عليه اجراً إلّا المودّة في القربى﴾.[١]

و قال تعالى: ﴿يا ايّها الّذين آمنوا من يرتدّ منكم عن دينه فسوف يأتي الله بـقوم يحبّهم و يحبّونه اذلّة على المؤمنين اعزّة على الكافرين يجاهدون في سـبيل الله و لا يخافون لومة لائم﴾.[٢]

و لله درّ القائل:

أمـــر عـلى الدّيـار ديـار ليـلى　　　اقـــبل ذا الجـدار و ذا الجـدارا

و مـا حبّ الدّيـار شـغفن قـلبي　　　و لكن حبّ مـن سكـن الدّيـارا

و هذا أمر فطريّ لا يحتاج إلى تطويل، كما انّ مضمون البيتين ورد في كثيرٍ من مناسك الإسلام المستحبّة، كاستحباب استلام الحجر الاسود و تقبيله و استحباب تقبيل ضرائح رسول الله و الائمّة عليهم‌السلام المطهّرة و تقبيل الابواب و العتبات و التّبرّك بـقبورهم، و هـذه الأمور كلها ليس الّا من هذا الباب الّذي يدركه ذوق العوام فضلاً عن الخواصّ و هذا هو الدليل على كونه فطريّاً.

بقي امر، و هو حبّ الإنسان ما لا يرجع ببادىء النظر إلى الحبّ في الله العائد إليه تعالى

١- الشورى / ٢٣.　　٢- المائدة / ٥٤.

كحبّ الازواج و الاولاد و الاقرباء و كحّب العلم و الفضائل و المتّصف بهما و كحبّ الوجه الحسن و كحّب ما يرضى غرائز الإنسان كالمأكولات و المشروبات و الملبوسات، و هذا الحبّ ايضاً فطرىّ غريزىّ لكلّ انسان بل كثيرٌ منها لكثيرٍ من الحيوانات هذا بحسب العرف و إن امكن بالدقّة العلميّة بالتدقيق العلمي ارجاع الحبّ هذا إلى الحبّ لله و فيه تعالى.

و الجواب عن الاشكال، انّ هذ الحبّ ليس منافياً لحبّه تعالى بل بينهما كمال الاجتماع و الملائمة.

فحبّ الدّنيا الّذي يضادّ حبّه تعالى هو الحبّ المشتغِل الإنسان عن حبّه تعالى، و الذكر الحكيم أعاد الاشارة إلى هذا المطلب السامي مرّةً بعد أخرى.

قال تعالى: ﴿لا تلهكم اموالكم و لا اولادكم عن ذكر الله﴾.[١]

و قال تعالى: ﴿رجال لا تلهيهم تجارة و لا بيع عن ذكر الله﴾.[٢]

و أمّا الحبّ المخالف لحبّ الله الّذي يمكن ان يُجمع بينه و بينه، فليس بمذمومٍ، بل لايعبد ان يُقال: انّ بقاء النسل و الحرث موقوفٌ عليه، كما قد جعله سبحانه فضلاً و رحمة و عناية منه بل نهى عن تحريم طيّبات الدّنيا معلّلاً بانّها خلقت للمؤمنين.

قال تعالى: ﴿ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلاً من ربّكم﴾.[٣]

و قال تعالى: ﴿قل من حرّم زينة الله الّتي أخرج لعباده و الطيّبات من الرّزق﴾.[٤]

و نظير الآيتين في القرآن كثير و قد مرّ الكلام في ذلك مفصّلاً في البحث عن رذيلتي الشّرة و حبّ الدّنيا، فراجع.

ثمّ اعلم انّ محبّة الله تعالى عناية خاصّة منه لا يؤتيها إلّا لمن كان أهلاً لها و تشبيهها بالدّرّ و تثمينها و تقويمها بما هو أغلى من الدّنيا و ما فيها تشبيه غير جدير لانّ الدّرّ ليس إلّا حجراً قلّ وجوده في المعادن و انّ الدّنيا و ما فيها عند أهل القلوب لا يقابلها، بل ليس إلّا

١- المنافقون / ٩. ٢- النّور / ٣٧. ٣- البقرة / ١٩٨. ٤- الاعراف / ٣٢.

كالنمّ و اليم فما هي حتّى تُقابل بها؟، فمن رسخت محبّة الله في قلبه لم ير إلّا الله فليس للآخرة عنده قدرٌ فضلاً عن الدّنيا و ما فيها و يعجبنى في هذا المقام قول القائل:

نيست بر لوح دلم جز الف قامت دوست   چه كنم حرف دگر ياد نداد استادم

و لكنّ النّاس إلّا الاوحدىّ منهم محرومون عن هذه العطيّة فضلاً عن درك قيمتها و السرّ في ذلك انّهم بدّلوا محبّة الله بمحبّة الدّنيا و باعوها بثمنٍ قليل و اعرضوا عنها و اشتروا بها معيشةً ضنكاً.

قال تعالى: **﴿و من اعرض عن ذكرى فانّ له معيشة ضنكاً﴾**.[١]

فحصل لهم بإعراضهم هذا هبوطُ آخر و هو منزلة المحجوبين.

قال تعالى: **﴿كلّا انّهم عن ربّهم يومئذ لمحجوبون﴾**.[٢]

و من المعلوم انّه بعد ذلك الهبوط، هبطوا إلى مهوىً آخر و هو منزلة المطرودين فزيد في ظلالتهم الأولىٰ.

قال تعالى: **﴿فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام و من يرد ان يضلّه يجعل صدره ضيّقاً حرجاً كانّما يصّعّد في السماء كذلك يجعل الله الرّجس على الّذين لا يؤمنون﴾**.[٣]

و بعد ذلك يتساقطون إلى ما هو اسفل منه و هو منزل المبغوضين و قد اشار القرآن الكريم إلى ذلك المنزل بقوله **﴿صراط الّذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم و لا الضّالّين﴾**.[٤]

بل اشار بجملة **﴿لا يحبّ الله﴾** إلى ذلك السّقوط

قال تعالى: **﴿والله لا يحبّ الظّالمين﴾**.[٥]

١- طه ١٢٤.   ٢- المطففين / ١٥.   ٣- الانعام / ١٢٥.   ٤- الحمد / ٧.

٥- آل عمران / ١٤٠.

و قال تعالى: ﴿انّ الله لا يحبّ المعتدين﴾.[١]

و من اراد الخلاص منه فليس له بدّ إلّا العود إليه تعالى بالتّوبة الحقيقيّة و اليقظة الواقعيّة حتّى يخرج من تيه الظلمة و يصعد إليه خطوةً فخطوة و اوّل الخطوات هو التّقوى لانّ الهداية الخاصّة العنائيّة موقوفةٌ عليها.

قال تعالى: ﴿ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتّقين﴾.[٢]

و المنزل الثانى هو منزل الموقنين.

قال تعالى: ﴿و بالاخرة هم يوقنون * اولئك على هدىً من ربّهم و اولئك هم المفلحون﴾.[٣]

و بعده منزل المحسنين الّذين وعد الله ان يستظلّوا بظلّ رحمته الخاصّة.

قال تعالى: ﴿و الّذين جاهدوا فينا لنهدينّهم سبلنا و انّ الله لمع المحسنين﴾.[٤]

و بعد ذلك يتوّجه الله تعالى بتيجان البرّ، فيكون منهم.

قال تعالى: ﴿و ما عندالله خير للابرار﴾.[٥]

فاذاً يصل إلى الفوز الأكبر و هو مقام المحبّين المتذوّقين من ماء الحيوة و هم الفائزون بأعلى درجات الحبّ.

قال تعالى: ﴿رضى الله عنهم و رضوا عنه ذلك الفوز العظيم﴾.[٦]

فهو اوّل منازل المحبّين، فتحرق تلك المحبّة الاغيار كلّها و تتهيّأ القلب لمصاحبة صاحبه و هو الله تعالى و قد روى انّه عرش الرّحمن و انّ الله تعالى مع تنزّهه عن المكان و لكنّه ينظر إليه نظر الرّحمة و التّلطّف، و ورد في القدسيّات: قلب المؤمن عرش الرّحمن.[٧]

و ورد ايضاً فيها انّه تعالى قال: لم يسعنى سمائى و لا ارضى و لكن وسعنى قلب عبدى

١- البقرة / ١٩٠.　٢- البقرة / ٢.　٣- البقرة / ٤، ٥.　٤- العنكبوت / ٦٩.

٥- آل عمران / ١٩٨.　٦- المائدة / ١١٩.　٧- بحار الانوار، ج ٥٥، ص ٣٩، سطر ٣.

المؤمن.[١]

فاذاً يلتذّ بالعبادات البدنيّة و الماليّة و القلبيّة، بل لا شيء ألذّ له منها، فيسرّ بالايثار اليسير عليه.

قال تعالى: ﴿و يطعمون الطّعام على حبّه مسكيناً و يتيماً و اسيراً انّما نطعمكم لوجه الله﴾.[٢]

و قال تعالى: ﴿تتجافي جنوبهم عن المضاجع يدعون ربّهم خوفاً و طمعاً و ممّا رزقناهم ينفقون﴾.[٣]

و قال تعالى: ﴿انّما المؤمنون الّذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم و إذا تليت عليهم آياته زادتهم ايماناً﴾.[٤]

فبذلك البراق يعرج إلى ما لا نهاية له فالاتيان بالعبادات البدنيّة و الماليّة و القلبيّة و لو كانت بالغةً حدّ النّهاية كعبادات أهل البيت عليهم السلام ليست عليه عسيراً، بل لا قدر لها عنده.

قال تعالى: ﴿و الّذين يؤتون ما اتوا و قلوبهم وجلة﴾.[٥]

و بعد ذلك يحصل لهم مقام الفناء فلايرون طاعاتهم، بل لا يرون في الوجود غيره تعالى و هو الانقطاع، نعم قد يحصل لهم الفناء بعد الفناء أو فناء الفناء و هو ان لا يرى الانقطاع ايضاً و هو كمال الانقطاع الّذي عبرّ عنها في المناجات الشعبانيّة، بقوله عليه السلام: الهى هب لى كمال الانقطاع إليك و انر ابصار قلوبنا بضياء نظرها إليك حتّى تخرق ابصار القلوب حجب النّور فتصل إلى معدن العظمة و تصير ارواحنا معلّقة بعزّ قدسك، الهى و اجعلنى ممّن ناديته فاجابك و لاحظته فصعق لجلالك فناجيته سرّاً و عمل لك جهراً.[٦]

فلهم بعد الفناء السير من الحقّ في الحقّ فيغنمون كمالاً بعد كمال و ليس لسيرهم هذا

١- بحار الانوار، ج ٥٥، ص ٣٩، سطر ٤. ٢- الإنسان / ٨، ٩. ٣- السّجدة / ١٦.

٤- الانفال / ٢. ٥- المؤمنون / ٦٠. ٦- مفاتيح الجنان / مناجات الشعبانيّة.

نهايةٌ ابداً، بل بعد الموت سيّما بعد القيامة يكون سيرهم و استكمالهم احسن و اجود و اعلى و اظهر، فله صعق و محو و صحو في هذه الدّنيا كما انّ لهم كمالاً في الآخرة أشدّ و أعلى منها بل لا يكون الّا في استكمالٍ أبداً و من ظنّ انّ السّير ينقطع بالموت فلا نصيب له من الواقع.

قال تعالى: ﴿انّ اصحاب الجنّة اليوم في شغل فاكهون * هم و ازواجهم في ظلال على الارائك متّكئون * لهم فيها فاكهة و لهم ما يدّعون * سلام قولاً من ربّ رحيم﴾.[1]

فيأتى السؤال عن شغل أهل الجنة ما هي؟ و ما هذه الظّلال و الارائك؟ و ما تلك الفاكهة؟ و ما هو الّذي يدّعونه أهل الجنّة؟ و ما سلام الرّحمن لهم؟

و انحصار ذلك كلّه في المشتهيات النّفسانيّة لا يُعدّ كمالاً لهم، بل هو كمال قصورهم و نحن لا نفهم من الشغل في الآية الشّريفة إلّا سيرهم و فنائهم في الله تعالى و انقطاعهم إليه تعالى و فراغهم عمّا سواه تعالى، و لا نرى الظلال إلّا ظلال رحمته تعالى و لا نرى الارائك إلّا اتّكائهم على اريكة عظمته تعالى.

و ان ابيت عن اختصاص الآية بهذا المعنى فلا اقلّ من القول بعمومها للمعنيين و عدم اختصاصها باشتغال أهل الجنّة بالأكل و الشّرب و الحور و القصور لانّ ذلك لا يلائم قول الله تعالى: ﴿سلام قولاً من ربّ رحيم﴾ لانّ ذلك السلام من مناجاته الّتي أشير إليها في المناجات الشّعبانيّة: و اجعلني ممّن ناديته فاجابك و لاحظته فصعق لجلالك فناجيته سرّاً.

و لا يمكن للمشتغل بنعم الجنّة ان يصعق فيناجيه الله تعالى بل ذلك يختصّ بمن لا يرى إلّا الله تعالى، و ليس ذلك كلّه إلّا للفناء في الدّنيا و الآخرة.

قد طغى القلم فخرجنا عن طور البحث و وردنا فيما يختصّ باهله، رزقنا الله و ايّاكم حلاوة ذلك و جعلنا من اهله.

ثمّ، انّ للمحبّة فوائد لا تحصى و ليس شيء يضاهي هذه العطيّة الالهيّة في كثرة

۱- يس / ۵۵ ـ ۵۸.

فوائدها.

منها تحصيل مقام الرّضا و التسليم الّذي هو من العطايا الخاصّة الالهيّة ايضاً فرضاه تابع لرضا المولى بل يندكّ رضاه في رضاه.

قال مولانا سيّد شهداء الأوّلين و الآخرين الحسين عليه السلام لمّا عزم على الخروج العراق: رضى الله رضانا أهل البيت.[١]

أ لاترى انّ القرآن الحكيم كيف يحكى فعل الخليل عليه السلام من اسكان طفله الوحيد و امّه بوادٍ غير ذرع اعتماداً فيه إلى الرّب الجليل، ليحيي تعالى به البيت و الصلاة. و لم يكن له داعٍ إلّا الله كما لم يكن له ولد إلّا هذا الرضيع؟

قال تعالى: ﴿ربّنا انّى اسكنت من ذريّتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرّم ربنّا ليقيموا الصّلوة ... ربّنا انّك تعلم ما نخفى و ما نعلن﴾.[٢]

ثمّ بعد نيله عليه السلام بما كان يتمنّاه من عمارة البيت، لمّا بلغ اسماعيل رشداً رضى بان يذبحه طاعةً لأمره سبحانه و تعالى.

قال تعالى: ﴿فلمّا بلغ معه السّعى قال يا بنىّ انّى ارىٰ في المنام انّى اذبحك فانظر ماذا ترى قال يا ابت افعل ما تؤمر ستجدنى انشاءالله من الصّابرين﴾.[٣]

و الامر من هذا الخليل مهمّ و لكنّ الاهمّ هو أمر الخليل العاشور الّذي أفدى مع علم و يقين ما له حتّى الرّضيع لدين المحبوب، قال: أَ لا ترون إلى الحقّ لا يعمل به و إلى الباطل لا يتناهى عنه ليرغب المؤمن في لقاء ربّه حقّاً حقّاً.[٤]

و بالجملة، انّ المحبّ لله تعالى تابع له، تسليم لامره، راض برضاه.

حُكى ان الملك العظيم الغزنوي محمود نظر إلى درٍّ يتلألؤ كأنّه الشمس، ثمّ أعطاه إلى

١- بحار الانوار، ج ٤٤، ص ٣٦٦، باب ٣٧، ح ٢. ٢- ابراهيم / ٣٧، ٣٨. ٣- الصّافات / ١٠٢.

٤- بحار الانوار، ج ٤٤، ص ٣٨١، باب ٣٧، ذيل ح ٢.

بعض ذوي اختصاصه و أمره بكسره فأبى عن ذلك، فأعطاه إلى آخر مكرّراً أمره، فأبى منه أيضاً، و هكذا إلى ان اتّصل النوبة بأياز، فانكسر الدرّ من غير ان يتأمّل فيه و لو لحظةً، فلامه أهل المجلس مؤسّفين على الدرّ الضائع، فأجاب عنهم أياز: انّ الدر هو كلام السلطان الّذي ضيّعتموه، لا هذا الجوهر!، و لله درّ من أنشد بالفارسيّة:

گوهر امر شه بود ای ناکسان جمله بشکستید گوهر را عیان

و من فوائد الحبّ أنّ المحبّ لا يرى في الوجود مصيبةً و بلاءً، بل ما يوجد في دار الوجوه إمّا أن يكون من الطافه الجليّة و إمّا من الطافه الخفيّة ففسّر قوله صلى الله عليه وآله وسلم البلاء للولاء ثمّ الاولى فالاولى، هذا سرّ قول السيّدة زينب عليها السلام في مجلس ابن زياد حين خاطبها بما لا يليق بها: ما رأيت إلّا جميلاً[1]، كما اشار جلال الدين إلى حال المحبّين بالفارسيّة :

عاشقم بر لطف و بر قهرش بجدّ ای عجب من عاشق این هر دو ضدّ

و هو مع كونه من أهل هذه المعانى و لكن أخطأ في تسمية البلاء بالقهر ثم في ابداء العجب من الهيمان بهما، ثمّ في جعلها مضاداً للّطف و بهذا يظهر الفرق بين الكلامين، و انّهما على قدر صاحبيهما، و قد قرب من كلام السيدة بنت أمير المؤمنين عليه السلام ما قيل بالفارسيّة:

ای روی دل آرایت مجموعه زیبائی مجموعه ز غم دارد از من که پریشانم

با وصل نمی‌پیچم و ز هجر نمی‌نالم حکم آنچه تو فرمائی من بندهٔ فرمانم

در ذوق تو مدهوشم در وصف تو حیرانم دردام تو محبوسم، در دست تو مغلولم

و نظير هذه الاشعار كثير، كقول بعضهم:

به جهان خرّم از آنم که جهان خرّم از اوست

عاشقم بر همه عالم که همه عالم از اوست

١- بحار الانوار، ج ٤٥، ص ١١٦ ـ ١١٥، باب ٣٩، ح ١.

به ارادت بـخورم زهـر كـه شـاهد سـاقى است

به ارادت بـچشم درد كـه درمـان هـم از اوست

و لكن مع الوصف انّ تلك الكلمات لا تصل أيدي بلاغتها و فصاحتها إلى قولهاعليها السلام: ما رأيت إلّا جميلاً.

و من فوائد تلك العطيّة، دفع الغمّ و الهمّ و الاضطراب و الخوف و انّ القلب الذّى ذاق حلاوتها تطمئنّ فلا غمّ فيه و لا خوف، لافي الدّنيا و لا في الاخرة.

قال تعالى: ﴿اَ لا بذكر الله تطمئنّ القلوب﴾.[1]

و قال تعالى: ﴿اَ لا انّ اولياء الله لا خوف عليهم و لا هم يحزنون﴾.[2]

و قال تعالى: ﴿يا عباد لا خوف عليكم اليوم و لا انتم تحزنون﴾.[3]

و يظهر من الآية الاولى حصر اطمئنان القلب في ذكره تعالى، و ذلك لتقدّم المتعلّق على متعلّقه.

و أنّ الحبّ يوجب رفع الهموم و الاضطرابات لانّ المحبّ إذا كان مع الله فهو يمشى في النّاس أو يرد المحشر مصاحباً نوره تعالى فليس بوحيد و لا في ظلمة حتّى يستوحش فيغلب عليه الهمّ و الاضطراب و الخوف على خلاف قلبٍ لم يحم حول محبّته، فهو في ظلمةٍ، فيضطرب و يخاف و يغتمّ من كلّ شيءٍ صغير و كبير.

قال تعالى: ﴿و الّذين كفروا اوليائهم الطّاغوت يخرجونهم من النّور إلى الظّلمات﴾.[4]

و من فوائد حبّ الله تعالى الاجتناب عن المعاصى كما اشرنا إليه في اوّل البحث لانّ المحبّ يرى الله تعالى بنور العقل أو بنور القلب أو بنور الفطرة فيرى انّه في حضرة الرّب فيجد انّ العالم بمحضرٍ من الله تعالى فبعد ذلك كيف يرتكب ما نهى الله عنه ؟

١- الرّعد / ٢٨. ٢- يونس / ٦٢. ٣- الزّخرف / ٦٨. ٤- البقرة / ٢٥٧.

و كلّما اشتدّت المحبّة استحكم ذلك حتّى يعصم من الأخطاء و قد اشتهر انّ العصمة من مراتب العلم و مرادهم منه انّها من مراتب حقّ اليقين و ان قيل: انّ العصمة هي الأعلى من مراتب المحبّة فهو عبارة أخرى عن القولة الشهيرة.

و بالجملة، انّ حبّ الله تعالى و ان كان في مرتبة ضعيفةٍ، يمنع عن المعصية، و قد نسب إلى مولانا الصّادق عليه السلام بيتان نختم الكلام بهما.

تعصى الاله و انت تظهر حبّه　　هذا محال في الفعال بديع

لو كان حبّك صادقاً لاطعته　　انّ المحبّ لمن يحبّ مطيع[1]

و هذا البحث طويل الذّيل و لهذه العطيّة فوائد شتّى وجهات شتية من البحث و يكفيك تصديقاً لذلك ملىء صحف العرفاء و صحائف الشعراء المتألّهين عن مصطلح الحبّ و ما يشتقّ منه.

و نحن نكتفي بهذا المقدار معتذرين عن أهل القلوب لو هام طائر الروح حول ساحتهم.

و اظنّ انّ احسن الحديث في هذا المجال هو ما صدر عن أهل البيت عليهم السلام سيّما ادعيتهم، فلو قلنا انّ مفاتيح الجنان كتاب الحبّ و دعاء كميل بن زياد و دعاء عرفة و المناجات الشّعبانيّة يكفي السائر إلى الله من كلّ كتاب إذ هي زبدة المعرفة الالهية و معارفها لا نُنسب إلى الجزاف في القول، فعليك ثمّ عليك بمداومة الأدعية المأثورة إن أردت تحصيل المعارف لانّها منهل لكلّ الظّمأن و مشرب لكلّ عطشان.

و نحن نذكر في ختام هذا الفصل بعض الرّوايات الواردة في الحبّ ليكون ختامه ما يتنافس فيه المتنافسون.

١- بحار الانوار، ج ٦٧، ص ١٥، باب ٤٣، ح ٣.

روايات في حبّ الله تعالى

* قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: احبّوا الله لما يغذوكم به من نعمة، و احبّونى لحبّ الله عزّ و جلّ، و احبّوا أهل بيتى لحبّى.[1]

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: كان فيما ناجى الله عزّوجلّ به موسى بن عمران عليه السلام ان قال له: يا اين عمران!كذب من زعم انّه يحبّنى فاذا جنّه اللّيل نام عنّى اليس كلّ محبّ يحبّ خلوة حبيبه؟ها انا ذا يا ابن عمران مطّلع على احبّائى إذا جنّهم اللّيل حوّلت ابصارهم من قلوبهم، و مثلت عقوبتى بين اعينهم، يخاطبونى عن المشاهدة و يكلّمونى عن الحضور، يا ابن عمران هب لى من قلبك الخشوع، و من بدنك الخضوع، و من عينك الدّموع في ظلم اللّيل، و ادعنى فانّك تجدنى قريباً مجيباً.[2]

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: خمسة لا ينامون: الهام بدم يسفكه، و ذو مال كثير لا امين له، و القائل في النّاس الزّور و البهتان عن عرض من الدّنيا يناله، و المأخوذ بالمال الكثير و لا مال له، و المحبّ حبيباً يتوقّع فراقه.[3]

* قال أبو عبدالله عليه السلام: ما احبّ الله عزّوجلّ من عصاه ثمّ تمثّل فقال:

تـعصى الاله و انت تـظهر حـبّه	هــذا محــال في الفـعال بــديع
لو كــان حــبّك صـادقاً لأطـعته	ان المحبّ لمــن يحبّ مــطيع[4].

١- بحار الانوار، ج ٦٧، ص ١٤، باب ٤٣، ح ١.
٢- بحار الانوار، ج ٦٧، ص ١٤، باب ٤٣، ح ٢.
٣- بحار الانوار، ج ٦٧، ص ١٥، باب ٤٣، ح ٥.
٤- بحار الانوار، ج ٦٧، ص ١٥، باب ٤٣، ح ٣.

*في الزّبور: يا داود اسمع منّي ما أقول:... من أتاني وهو يحبّني أدخلته الجنّة.[١]

* عن النبيّ صلّی الله علیه و آله و سلّم عن جبرئيل قال: قال الله تبارك و تعالى:... ما يتقرّب الىّ عبدى بمثل اداء ما افترضت عليه، و لا يزال عبدى يبتهل الىّ حتّى اُحبّه و من احببته كنت له سمعاً و بصراً و يداً و موئلاً، ان دعانى اجبته و ان سألنى اعطيته.[٢]

* عن أبي عبدالله علیه السلام قال: من احبّ ان يعلم ما له عند الله فليعلم ما لله عنده.[٣]

* قال الصّادق علیه السلام: انّ النّاس يعبدون الله عزّوجلّ على ثلاثة اوجه: فطبقة يعبدونه رغبة إلى ثوابه فتلك عبادة الحرصاء، و هو الطّمع، و آخرون يعبدونه خوفاً من النّار فتلك عبادة العبيد، و هي الرّهبة، و لكنّي اعبده حبّاً له فتلك عبادة الكرام، و هو الامن لقوله تعالى: ﴿و هم من فزع يومئذٍ آمنون﴾، ﴿قل ان كنتم تحبّون الله فاتّبعونى يحببكم الله و يغفرلكم ذنولكم﴾ فمن احبّ الله عزّوجلّ احبّه الله و من احبّه الله عزّوجلّ كان من الآمنين.[٤]

* عن الرّضا عن آبائه علیهم السلام قال: قال رسول الله صلّی الله علیه و آله و سلّم: اوحى الله عزّوجلّ إلى نجبّه موسى: احببنى و حبّبنى إلى خلقى، قال: يا ربّ هذا اُحبّك فكيف اُحبّبك إلى خلقك؟ قال: اذكر لهم نعماى عليهم، و بلاى عندهم، فانّهم لا يذكرون أو لا يعرفون منّى إلّا كلّ الخير.[٥]

* قال النبيّ صلّی الله علیه و آله و سلّم: قال الله عزّوجلّ لداود علیه السلام: احببنى و حبّبنى إلى خلقى! قال: يا ربّ نعم انا اُحبّك فكيف اُحبّبك إلى خلقك؟ قال: اذكر اياديّ عندهم، فانّك إذا ذكرت ذلك لهم احبّونى.[٦]

* قال الصادق علیه السلام: نجوى العارفين تدور على ثلاثة اصول: الخوف و الرّجاء و الحبّ،

١- بحار الانوار، ج ٦٧، ص ١٦، باب ٤٣، ح ٦.
٢- بحار الانوار، ج ٦٧، ص ١٦، باب ٤٣، ح ٨.
٣- بحار الانوار، ج ٦٧، ص ١٨، باب ٤٣، ح ١٠.
٤- بحار الانوار، ج ٦٧، ص ١٧، باب ٤٣، ح ٩.
٥- بحار الانوار، ج ٦٧، ص ١٨، باب ٤٣، ح ١٢.
٦- بحار الانوار، ج ٦٧، ص ٢٢، باب ٤٣، ح ١٩.

فالخوف فرع العلم، و الرّجاء فرع اليقين، و الحبّ فرع المعرفة، فدليل الخوف الهرب، و دليل الرّجاء الطّلب، و دليل الحبّ ايثار المحبوب على ما سواه، فاذا تحقّق العلم في الصّدر خاف (فاذا كثر المراء في المعرفة خاف) و إذا صحّ الخوف هرب، و إذا هرب نجا، و إذا اشرق نور اليقين في القلب شاهد الفضل، و إذا تمكّن من رؤية الفضل رجا، و إذا وجد حلاوة الرّجاء طلب، و إذا وفّق للطّلب وجد، و إذا تجلّى ضياء المعرفة في الفؤاد هاج ريح المحبّة، و إذا هاج ريح المحبّة استأنس ظلال المحبوب، و آثر المحبوب على ما سواه، و با شر أوامره و اجتنب نواهيه و اختارهما على كلّ شيء غيرهما، و إذا استقام على بساط الانس بالمحبوب مع اداء اوامره و اجتناب نواهيه وصل إلى روح المناجاة و القرب، و مثال هذه الاصول الثّلاثة كالحرم و المسجد و الكعبة، فمن دخل الحرم امن من الخلق، و من دخل المسجد امنت جوارحه ان يستعملها في المعصية، و من دخل الكعبة امن قلبه من ان يشغله بغير ذكرالله، فانظر ايّها المؤمن فان كانت حالتك حالة ترضاها لحلول الموت، فاشكر الله على توفيقه و عصمته، و ان تكن الاخرى فانتقل عنها بصحّة العزيمة، و اندم على ما سلف من عمرك في الغفلة، و استعن بالله على تطهير الظّاهر من الذّنوب، و تنظيف الباطن من العيوب، و اقطع زيادة الغفلة عن نفسك، و اطف نار الشّهوة من نفسك.(١)

* قال الصادق عليه السلام: حبّ الله إذا اضاء على سرّ عبد اخلاه عن كلّ شاغل و كلّ ذكر سوى الله عند ظلمة، و المحبّ اخلص النّاس سرّاً لله، و اصدقهم قولاً، و اوفاهم عهداً، و ازكاهم عملاً، و اصفاهم ذكراً، و اعبدهم نفساً، تتباهى الملائكة عند مناجاته و تفتخر برؤيته، و به يعمر الله تعالى بلاده، و بكرامته يكرم عباده، يعطيهم إذا سألوا بحقّه، و يدفع عنهم البلايا برحمته، فلو علم الخلق ما محلّه عندالله و منزلته لديه ما تقرّبوا إلى الله إلّا بتراب قدميه، قال أميرالمؤمنين عليه السلام: حبّ الله نار لا يمرّ على شيء إلّا احترق، و نور الله لا يطّلع

١- بحار الانوار، ج ٦٧، ص ٢٢، باب ٤٣، ح ٢٢.

على شيء إلّا اضاء، و سحاب الله ما يظهر من تحته شيء إلّا غطّاه، و ريح الله ما تهبّ في شيء إلّا حرّكته، و ماء الله يحيى به كلّ شيء، و ارض الله ينبت منها كلّ شيء، فمن احبّ الله اعطاه كلّ شيء من المال و الملك، قال النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم: إذا احبّ الله عبداً من امّتى قذف في قلوب اصفيائه و ارواح ملائكته و سكّان عرشه محبّته ليحبّوه فذلك المحبّ حقّاً، طوبى له ثمّ طوبى له، و له عندالله شفاعة يوم القيامة.[1]

* قال الصادق عليه السلام: المشتاق لا يشتهى طعاماً، و لا يلتذّ بشراب، و لا يستطيب رقاداً، و لا يأنس حميماً، و لا ياورى داراً، و لا يسكن عمراناً، ولا يلبس ليناً، و لا يقرّ قراراً، و يعبد الله ليلاً و نهاراً، راجياً ان يصير إلى ما اشتاق اليه، و يناجيه بلسان شوقه معبّراً عمّا في سريرته، كما اخبر الله عزّوجلّ عن موسى عليه السلام في ميعاد ربّه بقوله: ﴿و عجلت إليك ربّ لترضى﴾ و فسّر النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم عن حاله انّه لا اكل و لا شرب و لا نام و لا اشتهى شيئاً من ذلك في ذهابه و مجيئه اربعين يوماً، شوقاً إلى الله عزّ و جلّ، فاذا دخلت ميدان الشّوق فكبّر على نفسك و مرادك من الدّنيا، و ودّع جميع المألوفات، و احرم عن سوى معشوقك، قد ولت بين حياتك و موتك لبّيك اللّهمّ لبّيك، اعظم الله اجرك، و مثل المشتاق مثل الغريق ليس له همّة إلّا خلاصه و قد نسى كلّ شيء دونه.[2]

* قال الصادق عليه السلام: لا يمحض رجل الايمان بالله حتّى يكون الله احبّ إليه من نفسه و ابيه و امّه و ولده و اهله و ماله و من النّاس كلّهم.[3]

* قال عليّ أميرالمؤمنين عليه السلام: من احبّ ان يعلم كيف منزلته عند الله؟ فلينظر كيف منزلة الله عنده فانّ كلّ من خيّر له امران أمر الدّنيا و أمر الآخرة فاختار أمر الآخرة على الدّنيا، فذلك الّذي يحبّ الله، و من اختار أمر الدّنيا فذلك الّذي لا منزلة لله عنده، و قال

١- بحار الانوار، ج ٦٧، ص ٢٣، باب ٤٣، ح ٢٣. ٢- بحار الانوار، ج ٦٧، ص ٢٤، باب ٤٣، ح ٢٤.
٣- بحار الانوار، ج ٦٧، ص ٢٤، باب ٤٣، ح ٢٥.

الصّادق عليه السلام: القلب حرم الله فلا تسكن حرم الله غير الله.(١)

* للشّهيد الثّانى رفع الله مقامه في اخبار داود عليه السلام: يا داود ابلغ أهل ارضى انّى حبيب من احبّنى، و جليس من جالسنى، و مونس لمن انس بذكرى، و صاحب لمن صاحبنى، و مختار لمن اختارنى، و مطيع لمن اطاعنى، ما احبّنى احد اعلم ذلك يقيناً من قلبه إلّا قبلته لنفسى، و احببته حبّاً لا يتقدّمه احد من خلق، من طلبنى بالحقّ وجدنى، و من طلب غيرى لم يجدنى، فارفضوا يا أهل الأرض ما انتم عليه من غرورها، و هلمّوا إلى كرامتى و مصاحبتى و مجالستى و مؤانستى، و انسونى أؤنسكم، و أُسارع إلى محبّتكم، و اوحى الله بعض الصّدّيقين: انّ لى عباداً من عبيدى يحبّونى و احبّهم و يشتاقون الىّ و اشتاق اليهم، و يذكرونى و اذكرهم، فان اخذت طريقهم احببتك، و ان عدلت عنهم مقتّك، قال: يا ربّ و ما علامتهم؟ قال: يراعون الظّلال بالنّهار كما يراعى الشفيق غنمه، و يحنّون إلى غروب الشّمس كما تحنّ الطّير إلى اوكارها عند الغروب، فاذا جنّهم اللّيل، و اختلط الظّلام، و فرشت الفرش، و نصبت الاسرّة، و خلا كلّ حبيب بحبيبه، نصبوا الىّ اقدامهم، و افترشوا الىّ وجوهم، و ناجونى بكلامى، و تملّقونى بانعامى، ما بين صارخ و باك، و بين متاوّه و شاك، و بين قائم و قاعد، و بين راكع و ساجد، بعينى ما يتحمّلون من اجلى، و بسمعى ما يشكون من حبّى، اوّل ما اعطيهم ثلاثاً: الأوّل اقذف من نورى في قلوبهم، فيخبرون عنّى كما أُخبر عنهم، و الثّانى لو كانت السّماوات و الارضون و فيها من مواريثهم لاستقللتها لهم، و الثّالث اقبل بوجهى عليهم، افترى من اقبلت عليه بوجهى يعلم احد ما أُريد ان أُعطيه.(٢)

* روى انّ موسى عليه السلام قال: يا ربّ اخبرنى عن آية رضاك عن عبدك، فاوحى الله تعالى اليه: إذا رأيت نفسك تحبّ المساكين و تبغض الجبّارين فذلك آية رضاى.(٣)

١- بحار الانوار، ج ٦٧، ص ٢٥، باب ٤٣، ح ٢٧. ٢- بحار الانوار، ج ٦٧، ص ٢٦، باب ٤٣، ح ٢٨.

٣- بحار الانوار، ج ٦٧، ص ٢٦، باب ٤٣، ح ٢٩.

الفصل الثلاثون

الفضيلــة الثلاثــون : الوفــاء

الرّذيلة الواحدة و الثّلاثون: الكفران

الفضيلة الثّانية والثّلاثون: الحمد

الفضيلة الواحدة و الثّلاثون: الوفاء

و هي ملكة يذكّر صاحبها بما انعم الله تعالى عليه أو غيره من ذوي الأيدي و الحقوق و أن لا ينساه ابداً، و لها مصاديق و قبل الورود في صلب البحث نشير إلى انّ تكرار هذا المبحث هيهنا بعد الفراغ عنه في المجلّد الثاني لعلوّه، و لفوائد جمّة نأتي بها الآن. و أمّا المصاديق:

الف: ان يتذكّر النّعم السّابقة و يحمد صاحبها عليها، و ان كانت من غير الله تعالى فيجزيه بالقدر الميسور حتّى بعد موت المنعم عليه، له و لاعقابه و لمن يتعلّق به و هذا المصداق هو المشهور من مصاديقه و يضادّه الجفاء و هو نسيان النّعم فلا يحمده عليها و لا يجزيه به حتّى حين حياته. و هذا الجفاء كثيراً ما يترائى في النّاس سيّما فيمن حصل رئاسةً أو مالاً أو علماً أو غيرها من أقسام المرجّحات.

قال الله تعالى: ﴿انّ الإنسان ليطغى * ان رآه استغنى﴾.[1]

و الشّاهد عليه سيرة عموم النّاس إلّا الاوحدى منهم حتّى بالنّسبة إلى اقربائهم و ذويهم كالابوين و حتّى الزّوج و الزّوجة، فقد نقل لى بعض الثقات: انّ كبيراً من العلماء قال

١- العلق / ٦، ٧.

لشريك بحثه: انّي ارى في وجهك سمات المرجعيّة فاكتب لی انّك إذا نلتَ بها و أردتَ أن أزورك، لا يمنعني بوّابك عنك. فقال له أيها الفلان اكتب الوثيقة حتّى أختمها لك ولكن استيقن بعدم جواز اللقاء، و لو اتّفقت لكانت ملاقاة المرئوس و الرئيس، لا شريك البحث و الشريك. و من الغريب أن وافق تدبيرَهما تقدُيره تعالى، فوقع بينهما ما تكلّما فيه!، رحمة الله عليهما.

كما يُرى في بعض الأسرات من تقلّب أحوال الزوجين حتّى ينسيا ما كان لأحدهما من النعم على الآخر فيأمّل الزوج موت الزوجة، أو على العكس من ذلك. كما يرتكبونه في حق الله تعالى.

قال تعالى: ﴿و ما قدروا الله حقّ قدره﴾.[1]

و قال تعالى: ﴿قتل الإنسان ما اكفره﴾.[2]

ب: ان يذكّر بالنّعم فلا ينساها و يحمد صاحبها عليها و يشكره لها، و ان كانت من غير الله تعالى يجزيه بالقدر الميسور مثلها أو احسن منها و هو المسمّى بالشكر و سيأتی البحث عنه فباعتبار التحميد هو الشكر و باعتبار التّقدير هو الوفاء فهذا المصداق من مصاديق الوفاء يجمع بين فضيلتين كبيرتين، و ضدّه هو الكفران ان لم يحمده و لا يجزيه عليه، و الغدر ان اساء إليه ايضاً، و رذيلة الكفران كما يكون ضدّ الوفاء يضادّ الشكر و سيأتی انشاء الله تفصيل ذلك.

و الوفاء بهذا المعنى ايضاً قليل و ان لم يكن كالأوّل لانّ الإنسان كفور بل كفور ظلّام غدر.

قال تعالى: ﴿فابى أكثر النّاس إلّاكفوراً﴾.[3]

١- الانعام / ٩١ و الزّمر / ٦٧.　　٢- عبس / ١٧.　　٣- الاسراء / ٨٩.

و قال تعالى: ﴿و ان تعدّوا نعمة الله لا تحصوها انّ الإنسان لظلوم كفّار﴾.[١]

و كثيراًما نرى انّ عموم النّاس يستفيدون من النّعم و لا يحمدون صاحبها عليها فضلاً من ان يجزونه بها بل يسيئون إلى المنعم و هم عند أهل القلوب ادون مرتبةً من الكلب.

و لله درّ من قال:

آنكس كه نمك خورد و نمكدان بشكست

نزد رندان حقيقت سگ به از اوست

ج: ان يذكّر نفسه بالنعم فيفي بالعهود و لا ينسيها و يعمل بمقتضاها و ضدّ هذا المصداق هو نقض العهد و البيعة.

قال تعالى: ﴿و اوفوا بالعهد انّ العهد كان مسئولاً﴾.[٢]

و انّ هذا المصداق ايضاً قليل الوجود سيّما من النّاس معه تعالى.

قال تعالى: ﴿الم اعهد إليكم يا بني آدم ان لا تعبدوا الشيطان انّه لكم عدوّ مبين﴾.[٣]

و النّاس عموماً إلّا المتّصفين بالفضائل ينقضون عهودهم،اَ لا ترى انّ النّاس بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كيف نقضوا عهد الله و بيعة رسوله مع تلك النّعم الّتي أنعم الله و رسوله عليهم؟!

و لقد اجادت الزّهراء عليها السلام في خطبتها: ايها النّاس..... لقد جائكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتّم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم..... وكنتم على شفا حفرة من النّار فانقذكم منها مذقّة الشارب و نهزة الطّامع و قبسة العجلان و موطئ الاقدام تشربون الطّرق و تقتانون القد اذلّة خاشعين تخافون ان يتخطّفكم النّاس من حولكم فانقذكم الله بنبيّه صلى الله عليه وآله وسلم .... فلمّا اختار الله لنبيّه صلى الله عليه وآله وسلم دار انبيائه و اتمّ عليه ما وعده ظهرت حسيكة

١- ابراهيم / ٣٤. ٢- الاسراء / ٣٤. ٣- يس / ٦٠

النّفاق و سمل جلباب الإسلام.....اَ لا في الفتنة سقطوا و انّ جهنّم لمحيطة بالكافرين....[١]

و هذه الفضيلة العظمى بمصاديقها و مراتبها سرٌّ من اسرار الله و عطيّة من أعطياته الّتي لاينالها إلّا الاوحدى من خواصّه إذ هي تلازم فضائل شتّى و لا تنفكّ عنها فهى تـلازم الحبّ و الرّأفة و الرّحمة و الرّضا و التّسليم و الحبّ في الله و البغض في الله و الصّـبر لله و الاخلاص و التّواضع و نحو ذلك و تمنع عن كثير من الرّذائل كغلظ القلب و السّخط و الجزع و الكبر و نحو ذلك.

و لكن عند أهل القلوب و الذّوق و الأخلاق هذه الفضيلة نفسها اشرف و اعلى من تلك الفضائل كلّها و يرون انّ السيرة الانسانيّة مرهونة لهذه الفضيلة، فمن لا وفاء له، لا صلة له بها و هو بالسّبعيّة اشبه من الانسانيّة.

و انّها كلمة نورانيّة و كأنّ النّور و اللّطافة محيط بها حتّى أنّ سماعها يثير في القلب بهجةً فضلاً عن العمل على مقتضاها. و أنا احبّ الهدهد و الكلب اذ سمعت انّ هذه الفضيلة قد تمكّنت في نفسها.

قال الجاحظ: انّ الهدهد وفّاء حفوظ ودود و ذلك أنّه إذا غابت انـثاه لم يأكـل و لم يشرب و لم يشتغل بطلب طعم و لا غيره و لا يقطع الصّياح حتّى تعود اليه، فان حدث حادث اعدمه ايّاها لم يسفد بعدها أنثى ابداً و لم يزل صائحاً عليها ما عاش و لم يشبع ابداً من طعم بل يناله منه ما يمسك رمقه إلى ان يشرف بالموت فعند ذلك ينال منه يسيراً.[٢]

و قيل في تفسير قوله تعالى: «ما لى لا ارى الهدهد ام كان من الغائبين * لاعذّبنّه عذاباً شديداً أو لأذبحنّه أو ليأتينّى بسلطان مبين»[٣] المراد من شديد عذابه انّـه اراد ان يفرّق بينه و بين انثاه.

١- كشف الغمّة، ج ٢، ص ١١١.

٢- بحار الانوار، ج ٦١، ص ٢٨٨.

٣- النّمل / ٢٠، ٢١.

و أمّا الكلب فوفائه مشهورٌ فصار من الامثلة عند العرب و العجم في المنثور من المتون و المنظوم منها. ولله درّ من أنشد:

سگی را لقمهای هرگز فرامـوش نگردد گر زنی صد نوبتش سنگ
و گر عمری نـوازی سـفلهای را به کمتر چیزی آید با تو در جنگ

و فيه ورد حكايات قديماً و حديثاً، بالغتين العربية و الفارسية، منظوماً و منثوراً، و من تلك الحكايات ما أورده الدميري في حيات الحيوان:

انّ ملكاً له كلب فخرج يوماً إلى التفرّج فحضر الطبّاخ الطّعام فرأى الكلب انّ حيّة شربت من ذلك الطّعام، فجاء الملك و أمر بالطّعام فوضع بين يديه فاراد الملك ان يشربه فنعه الكلب، فاذا رأى الكلب انّ الملك لا يردع من منعه فهو ولع من ذلك الطّعام فلم يمض مدّة إلّا مات ففهم الملك انّه فدى نفسه للملك.[١]

و من تلك الحكايات، انّه كان لبعض رؤساء العرب ندماء و كان شديد الحبّ لهم فخرج من منزله يوماً و معه ندماؤه فتخلّف واحد منهم عنه، ثمّ خلّى بزوجته فأكلا و شربا ثمّ اضطجعا فوثب الكلب عليهما و قتلهما فلمّا رجع و عرف الامر أنشأ:

فيا عجباً للخلّ يـهتك حـرمتي و يا عجباً لكلب كيف يصون[٢]

هذا تحرير الحكايتين ملخّصاً.

و نظير هذه القضايا كثيرٌ، لأنّ المتخلّق بهذه الفضيلة يكون عبرةً لاولى الابـصار و اسوة لأهل الوفاء.

حُكي ان رجلاً أدبرت عنه الدنيا بعد أن كان في سعةٍ، و كانت تحته امرأة حسناء جميلة و كانت صابرةً وفيّةً و كان آنذاك مروان بن الحكم والياً من قبل معاوية على الكوفة، فسمع ما جرى على المرأ و بحسن زوجته، فأشخص الرجل إلى السجن طمعاً فيها، ثمّ تصرّفها و

---

١ - بحار الانوار، ج ٦٢، ص ٥٨.
٢ - بحار الانوار، ج ٦٢، ص ٥٨، نقلاً عن الدّميرى.

أطلق زوجها، فشكى الرجل منه عند معاوية، فطلبها و صار مفتوناً بها، فاحتال حيلةً في تصرّفها، فخيّرها في الزواج به أو بمروان أو ببعلها، فصرفت نظرها عن حشمة الملك و جلال الوالى و اختارت بعلها قائلةً: شعرةٌ من بعلى المعدم خيرٌ عندى منكما و ممّا في أيديكما، فبهتا عن وفائها ثمّ أعادها معاوية إلى بيتها غفر الله لها و لزوجها، ما كانت وفيّةً!، و هي تليق أن تكون اسوةً حسنةً للنساء لا سيّما للجميلات منهنّ.

و حُكى أن إحدى بنات السلطان فتحعلى القاجارى أرادت أن تهاجر فتسكن المشاهد المشرّفة بالعراق فارسلت إلى بعض السادة و هو الامام العلامة السيد ابراهيم القزوينى طالبةً منه أن يزوّج بها، فردّها مستدلاًّ بأنّه ليس كفواً لها، فأصرّت عليه و ضمّنت له قيامها بأمور بيته من غير أن تطلب منه شيئاً، فكلّما زادت في اصرارها زاد السيد في انكاره قائلاً انّ زوجتى رافقتنى في العسر و اليسر حين تحصيلى للعلوم و كانت تساعدنى سفراً و حضراً مع ما كان بى من الفقر و العدم و الفاقة، فلستُ أوجرها بضرّةٍ لا تهنىء لها الحياة معها أبداً، إذ ليس هذا من الوفاء في شيءٍ. فرضى الله تعالى عنه و أرضاه، حيث كان خير أسوةٍ للرجال في وفائهم بعهودهم.

و قد مضت هاتان الحكايتان في بعض المباحث، و التّكرار لا يخلو من لطف.

و الانصاف انّ الحكايتين تصلحان أن تكونا اسوة لمن كان يرجو الفضائل سيّما الفضائل الراجعة إلى تدبير المنزل من أجزاء الحكمة العمليّة و عليهذا يكون الزواج مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**و من آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجاً لتسكنوا اليها و جعل بينكم مودّة و رحمة**﴾.[1]

و اعلم انّ لهذه الفضيلة العظمى مراتب ضعفاً و شدّة، فاوّل مراتبها هي متابعة المنعم عليه و عدم خلافها و استرضاءه و خدمته بالميسور و هذه المرتبة الّتي هي اضعف المراتب

١- الرّوم / ٢١.

عزيزة في النّاس جدّاً كما اشار سبحانه و تعالى إلى قلّته في جملةٍ من الآيات:

قال تعالى: ﴿و قليل من عبادى الشّكور﴾.[١]

و قال تعالى: ﴿و ما قدروا الله حقّ قدره﴾.[٢]

و قال تعالى: ﴿و ما وجدنا لاكثرهم من عهد و ان وجدنا اكثرهم لفاسقين﴾.[٣]

و المرتبة الثانية، هي الاجتناب عمّا يكرهه المولى بل كفّ النّفس عن محتمل الكراهة له و الاهتمام بما يرضيه و الفرار عن سخطه.

هذا ما أمر الله تعالى عباده به، لا سيّما الخواصّ منهم، و هذا سرّ ملامة سيّدنا آدم عليه السلام في الذكر الحكيم.

قال تعالى: ﴿و لقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسى و لم نجد له عزماً﴾.[٤]

و المرتبة الشّديدة منها، هي استفداء نفسه لمولاه و الفخر به، كما يُحكى في ذلك عن سيّد شهداء الأوّلين و الآخرين أبي عبدالله الحسين و أخته السّتّة السّيدة عليها السلام ما تبهر منه العقول.

قال سيّد الأحرار الحسين عليه السلام: اَ لا ترون إلى الحقّ لا يعمل به و إلى الباطل لا يتناهى عنه ليرغب المؤمن في لقاء ربّه حقّاً حقّاً.[٥]

و قال عليه السلام ايضاً: من كان فينا باذلاً مهجته موطّناً على لقاء الله نفسه فليرحل معنا فانى راحل مصبحاً انشاء الله.[٦]

و قالت زينب عليها السلام (حين سألها ابن زياد لا يغفر الله له شماتةً عليها: كيف رأيت صنع الله باخيك و أهل بيتك؟): ما رأيت إلّا جميلاً.[٧]

١- سباء / ١٣. ٢- الانعام / ٩١ و الزّمر / ٦٧. ٣- الاعراف / ١٠٢.

٤- طه / ١١٥. ٥- بحار الانوار، ج ٤٤، ص ٣٨١، باب ٣٧، ذيل ح ٢.

٦- بحار الانوار، ج ٤٤، ص ٣٦٧. ٧- بحار الانوار، ج ٤٥، ص ١١٦ ـ ١١٥.

و إلى هذه المرتبة اشار القرآن الكريم في آيات كثيرة منها: قوله تعالى: ﴿يا ايّها الّذين آمنوا من يرتدّ منكم عن دينه فسوف يأتى الله بقوم يحبّهم و يحبّونه اذلّة على المؤمنين اعزّة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله و لا يخافون لومة لائم﴾.[1]

١- المائدة / ٥٤.

روايات في الوفاء

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: المؤمن مؤمنان، فمؤمن صدق بعهد الله و وفي بشرطه و ذلك قول الله عزّوجلّ: ﴿رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه﴾ فذلك الّذي لا تصيبه اهوال الدّنيا و لا اهوال الآخرة، و ذلك ممّن يشفع و لا يُشفع له، و مؤمن كخامة الزرع تعوج احياناً و تقوم احياناً، فذلك ممّن تصيبه اهوال الدّنيا و اهوال الآخرة و ذلك ممّن يُشفع له و لا يشفع.[1]

* خضر بن عمرو عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سمعته يقول: المؤمن مؤمنان، مؤمن وفي لله بشروطه الّتي شرطها عليه، فذلك مع النبيّين و الصدّيقين و الشهداء و الصالحين و حسن اولئك رفيقاً و ذلك مع من يشفع و لا يُشفع له و ذلك ممّن لا تصيبه اهوال الدّنيا و لا اهوال الآخرة و مؤمن زلّت به قدم فذلك كخامة الزّرع كيفما كفئته الرّيح انكفأ و ذلك ممّن تصيبه اهوال الدّنيا و الآخرة و يشفع له و هو على خير.[2]

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال أميرالمؤمنين عليه السلام: انّ لأهل الدّين علامات يعرفون بها، صدق الحديث و اداء الامانة و وفاء بالعهد وصلة الارحام....[3]

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: انّكم لا تكونون صالحين حتّى تعرفوا، و لا تعرفوا حتّى

١- الكافي، ج ٢، ص ٢٤٨، باب في انّ المؤمن صنفان، ح ١.

٢- الكافي، ج ٢، ص ٢٤٨، باب في ان المؤمن صنفان، ح ٢.

٣- الكافي، ج ٢، ص ٢٣٩، باب في انّ المؤمن و علاماته و صفاته، ح ٣٠.

تصدّقوا، و لا تصدّقوا حتّى تسلموا أبواباً اربعة لا يصلح اوّلها إلّا بآخرها، ضلّ اصحاب الثلاثة و تاهوا تيهاً بعيداً، انّ الله تبارك و تعالى لا يقبل إلّا العمل الصالح، و لا يقبل الله إلّا الوفاء بالشروط و العهود، فمن وفي لله عزّوجلّ بشرطه و استعمل ما وصف في عهده نال ما عنده و استكمل ما وعده، انّ الله تبارك و تعالى اخبر العباد بطرق الهدى و شرع لهم فيها المنار و اخبرهم كيف يسلكون، فقال: ﴿و انّي لغفّار لمن تاب و آمن و عمل صالحاً ثم اهتدى﴾ و قال: ﴿انّما يتقبّل الله من المتّقين﴾ فمن اتّقى الله فيما أمره لقي الله مؤمناً بما جاء به محمّد صلّى الله عليه و آله و سلّم ، هيهات هيهات فات قوم و ماتوا قبل ان يهتدوا و ظنّوا انّهم آمنوا، و اشركوا من حيث لا يعلمون....[١]

* عن أبي عبدالله عليه السلام: ثلاثة لا عذر لاحد فيها: اداء الامانة إلى البرّ و الفاجر، و الوفاء بالعهد إلى البرّ و الفاجر، و برّ الوالدين برّين كانا أو فاجرين.[٢]

١- الكافي، ج ١، ص ١٨١، باب معرفة الامام و الردّ اليه، ح ٦.

٢- الكافي، ج ٥، ص ١٣٢، باب اداء الامانة، ح ١.

الرّذيلة الواحدة و الثّلاثون: الكفران

و هي ملكة نسيان النعم، بحيث لا يتذكّر الكافر بالنعمة إيّاها و لا صاحبها، كانت من الله تعالى أو غيره من ذوي الأيدي و النّعم.

قال الرّاغب في المفردات: و كفر النعم و كفرانها سترها بترك اداء شكرها.

و هي رذيلة موبقة توجب خسران الدارين.

قال الله تعالى: ﴿و اذ قال ابراهيم ربّ اجعل هذا بلداً آمناً و ارزق اهله من الّثمرات من آمن منهم بالله و اليوم الاخر قال و من كفر فامتّعه قليلاً ثمّ اضطرّه إلى عذاب النّار و بئس المصير﴾. (۱)

و قال تعالى: ﴿و ضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنّة يأتيها رزقها رغداً من كلّ مكان فكفرت بانعم الله فاذاقها الله لباس الجوع و الخوف بما كانوا يصنعون﴾. (۲)

و قال تعالى: ﴿لئن شكرتم لازيدنّكم و لئن كفرتم انّ عذابى لشديد﴾. (۳)

و قال تعالى: ﴿قال هذا من فضل ربّى ليبلونى اشكر ام اكفر و من شكر فانّما يشكر لنفسه و من كفر فانّ ربّى غنىّ كريم﴾. (٤)

---

۱ - البقرة / ۱۲٦. ۲- النّحل / ۱۱۲. ۳- ابراهيم / ۷. ٤- النّمل / ٤٠

و قال تعالى: ﴿و لا يخفّف عنهم من عذابها كذلك نجزى كلّ كفور﴾.[١]

و قال تعالى: ﴿و ان تصبهم سيّئة بما قدّمت ايديهم فانّ الإنسان كفور﴾.[٢]

و قد كثرت تلك الآيات و الروايات الآمرة بهذه الفضيلة و لكن من المؤسّف عليه جدّاً انّ الإنسان بطبعه كفور إلّا ان يعصمه الله تعالى.

قال تعالى: ﴿قتل الإنسان ما اكفره﴾.[٣]

و قال تعالى: ﴿فابى أكثر النّاس إلّا كفوراً﴾.[٤]

و قال تعالى: ﴿انّ الإنسان لكفور﴾.[٥]

و قال تعالى: ﴿انّ الإنسان لكفور مبين﴾.[٦]

و قال تعالى: ﴿انّ الإنسان لظلوم كفّار﴾.[٧]

اعلم أنّ الكفر كضدّيه ـ الوفاء و الشّكر ـ ينقسم إلى اقسام:

الف: ستر النّعم بترك شكرها و هذا هو الّذي ذكره الرّاغب في المفردات تفسيراً له، و هو ضدّ الشّكر لانّ الشّكر ـ كما يأتي تفصيله ـ هو اظهار النّعم باداء شكرها بمراتبه القلبى و القولى و العملى و كما قد دلّ غير واحد من الآيات و الروايات انّه يوجب زوال النـعم و تبديلها بالنغم، حتّى أشدّها عذاباً و هو الجحيم.

ب: نسيان النّعم المسمّى بالجفاء و هو وبال على الإنسان في هذه الدنيا و عذابٌ عليه في الآخرة و لا خلاق للمتّصف به عن الانسانية عند أهل القلوب، بل هو أضلّ من الأنعام عندهم ولله درّهم في تسميتهم هذا القسم بالجفاء لانّ الجفاء (بالفتح و الضمّ) هو الباطل الّذي لا بقاء و لا عرق له كالغثاء و الزّبد فكما انّ الزّبد في الماء هو خبثه، و هكذا في الحديد و الذّهب و الفضّة و نحوها، فلا نفع له و لا قدر و لا بقاء فهكذا الإنسان الّذي اتّصف بهذه

١- فاطر / ٣٦. ٢- الشّورى / ٤٨. ٣- عبس / ١٧. ٤- الاسراء / ٨٩.

٥- الحجّ / ٦٦. ٦- الزّخرف / ١٥. ٧- ابراهيم / ٣٤.

الرّذيلة.

قال تعالى: ﴿و لا تكونوا كالّذين نسوا الله فانسيٰهم انفسهم اولئك هم الفاسقون﴾.[١]

و قال تعالى: ﴿نسوا الله فنسيهم انّ المنافقين هم الفاسقون﴾.[٢]

و قال تعالى: ﴿و من اعرض عن ذكرى فانّ له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة اعمى قال: ربّ لِمَ حشرتنى اعمى و قد كنت بصيراً قال كذلك اتتك آياتنا فنسيتها و كذلك اليوم تنسى﴾.[٣]

و قال تعالى: ﴿للّذين استجابوا لربّهم الحسنى و الّذين لم يستجيبوا له لو انّ لهم ما في الأرض جميعاً و مثله معه لافتدوا به اولئك لهم سوء الحساب و مأواهم جهنّم و بئس المهاد﴾.[٤]

و تلك الآيات الدّالّة على انّ الجفاء و نسيان النّعم يجعل الإنسان كالغثاء و انّ الله تعالى ينسيه و يكله على نفسه كثيرةٌ، و معلومٌ انّه يسقط من مرتبته آناً فآناً، بل هو في هبوط دائم حتّى انّه لو افتدى به ما في الأرض و مثله لا يقدر على الجبران. نعوذ بالله منه!.

و لهذا الجفاء مراتب، المرتبة الاولى منه شدّة تختصّ بعامّة النّاس و ان شئت قلت انّها المرتبة المتداولة الدارجة و هي مخالفة الله تعالى في اوامره و نواهيه و نسيان نعمه و آلائه و أنّه بحضرته فيعصيه في حضرته تعالى و يعرض عن اوامره في مرءاه و منظره تعالى.

و الآيات المذكورة هيهنا ناظرة إلى هذه المرتبة.

و المرتبة الوسطى منه هو ترك آداب حضرة الله تعالى و عدم رعاية الأدب معه تعالى و ان شئت قلت انّ هذه المرتبة تختصّ بالخواصّ من عباده.

قال النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم: يقول الله تعالى: من احدث و لم يتوضّأ فقد جفانى و من احدث و

١- الحشر / ١٩. ٢- التّوبة / ٦٧. ٣- طه / ١٢٤ ـ ١٢٦. ٤- الرّعد / ١٨.

توضّأ و لم يصلّ ركعتين فقد جفانى و من احدث و توضّأ و صلّى ركعتين و دعانى و لم اجبه فيما سألنى من أمر دينه و دنياه فقد جفوته و لست بربّ جاف.[١]

و روى انّ آدم عليه السلام لم يكن يرفع رأسه إلى السّماء حياءً من الله لما فعله من ذنبه.

و قال على بن الحسين عليه السلام: وضع الرّجل احدى يديه على الاخرى في الصّلوة عمل و ليس في الصّلوة عمل.[٢]

و قال السيد الاستاذ البروجردى رحمه الله حكى لي بعض مؤدّبي الأطفال أنّـه كـان لي تلميذاً و كان ممتازاً بين أقرانه أدباً و درايةً، حتّى طغى عليه طفوليّته في بعض الوقائع فشكى إلىَّ امّه من سيرته فيها، فلُمتُه على ما فعل ثمّ أمرت أن يرفع يديه لأضربهما تأديباً، فخجل منى و استحيا حتّى سلبتْ عنه القدرة فلم يقدر على رفع يديه، فحينئذٍ تُنبهت على معنى قول علىّ بن الحسين عليه السلام حيث قال: انّ التّكتّف عمل و ليس في الصّلوة عمل.

و عن أبي عبدالله عليه السلام: إذا كنت في صلوتك فعليك بالخشوع و الاقبال على صلوتك فانّ الله تعالى يقول: الّذين هم في صلوتهم خاشعون.[٣]

و عن أبان بن تغلب قال: قلت لابى عبدالله عليه السلام: انّى رأيت على بن الحسين عليه السلام اذ قام في الصّلوة غشى لونه لون آخر، فقال: والله انّ علىّ بن الحسين كان يعرف الّذي يقوم بين يديه.[٤]

و نظير الرّوايتين في ذلك الباب كثير.

و المرتبة الأخيرة الضّعيفة منه تختصّ باهل البيت عليهم السلام، هي التوجّه إلى غير الله تعالى

١- وسائل الشيعة، ج ١، ص ٢٦٨، باب ١١، أبواب الوضوء، ح ٢.

٢- وسائل الشيعة، ج ٤، ص ١٢٦٤، باب ١٥، من أبواب القواطع، ح ٤.

٣- وسائل الشيعة، ج ٤، ص ٦٨٤، باب ٢ من أبواب افعال الصّلوة، ح ١.

٤- وسائل الشيعة، ج ٤، ص ٦٨٥، باب ٢ من أبواب افعال الصّلوة، ح ٤.

آناً مّا و قد مرّ الكلام في ذلك في باب التّوبة و قلنا هناك انّ توجّهم إلى غير الله تعالى يعدّ لهم ذنباً عظيماً و تضرّعاتهم إليه و خشيتهم منهم و توبتهم إليه و بكائهم كلّ ذلك لم يكن إلّا لذلك.

نعم، خشيتهم من عظمة الله تعالى يوجب لهم ذلك، كما يوجب أن يصعقوا في عباداتهم، كما حكى الله تعالى عن حال موسى عليه السلام.

قال تعالى: ﴿و خرّ موسى صعقاً﴾.[1]

و تلك الحالة تشبه الغشيان الطارىء على النّاس عند حدوث بعض الأحوال و لم تكن لأهل القلوب سيّما لأهل البيت عليهم السلام الغشوة و لكن لهم الصعق الّذي يطرىء عليهم عند غلبات الشّوق أو الخشية و لا تنال ايدى الاغيار اليها، فطوبى لهم و حسن مآب.

ج: المعادات لصاحب النّعم و الطّغيان عليه و نقض عهده و قطع الصّلة به، و هذه المرتبة من الرّذائل العظمى و الذكر الحكيم لعن المتّصف به و ذكره شرّاً من الدّوابّ و مفسداً في الأرض و جعله من الخاسرين و قاسية القلوب و عند أهل القلوب ليس حقيقته إلّا كالمرئة الّتي نقضت غزلها كما شبّه بها في بعض الآيات.

قال تعالى: ﴿الّذين ينقضون عهدالله من بعد ميثاقه و يقطعون ما امرالله به ان يوصل و يفسدون في الأرض اولئك هم الخاسرون﴾.[2]

و قال تعالى: ﴿فبما نقضهم ميثاقهم لعنّاهم و جعلنا قلوبهم قاسية﴾.[3]

و قال تعالى: ﴿انّ شرّ الدّوابّ عندالله الّذين كفروا فهم لا يؤمنون * الّذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم﴾.[4]

و قال تعالى: ﴿و الّذين ينقضون عهدالله من بعد ميثاقه و يقطعون ما أمر الله به ان

١- الاعراف / ١٤٣. ٢- البقرة / ٢٧. ٣- المائدة / ١٣. ٤- الانفال / ٥٥، ٥٦.

يوصل و يفسدون في الأرض اولئك لهم اللّعنة و لهم سوء الدّار﴾.[۱]

و قال تعالى: ﴿و اوفوا بعهد الله إذا عاهدتم و لا تنقضوا الايمان بعد توكيدها و قد جعلتم الله عليكم كفيلاً انّ الله يعلم ما تفعلون * و لا تكونوا كالّتى نقضت غزلها من بعد قوّة انكاثاً﴾.[۲]

۱- الرّعد / ۲۵.　　　۲- النّحل / ۹۱، ۹۲.

روايات في كفران النّعمة

* عن أبي عبدالله الصادق عليه السلام قال: انّ الله عزّوجلّ انعم على قوم بـالمواهب فـلم يشكروا فصارت عليهم وبالا، و ابتلى قوماً بالمصائب فصبروا فصارت عليهم نعمة.(١)

* قال أبو عبدالله عليه السلام: من لم ينكر الجفوة لم يشكر النعمة.(٢)

* عن أبي عبدالله عليه السلام: من لم تغضبه الجفوة لم يشكر النعمة.(٣)

* عن الرضا عليه السلام قال: من لم يشكر من المخلوقين لم يشكر الله عزّوجلّ.(٤)

* في حديث عن أبي جعفر الثانى عن آبائه عليهم السلام قال: و دعا سلمان أباذر رحمة الله عليهما ذات يوم إلى ضيافة فقدّم إليه من جرابه كسراً يابسة و بلّها من ركوته فقال أبوذر: ما اطيب هذا الخبز لو كان معه ملح، فقام سلمان و خرج فرهن ركوته بملح و حمله إليه فجعل أبوذر يأكل ذلك الخبز و يذرّ عليه ذلك الملح، و يقول: الحمد لله الّذي رزقنا هذه القناعة، فقال سلمان: لو كانت قناعة لم تكن ركوتى مرهونة.(٥)

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: طوبى لمن لم يبدّل نعمة الله كفراً، طـوبى للـمتحابّين في الله.(٦)

١- بحار الانوار، ج ٦٨، ص ٤١، باب ٦١، ح ٣١.
٢- بحار الانوار، ج ٦٨، ص ٤٢، باب ٦١، ح ٣٥.
٣- بحار الانوار، ج ٦٨، ص ٤٢، باب ٦١، ح ٣٨.
٤- بحار الانوار، ج ٦٨، ص ٤٤، باب ٦١، ح ٤٧.
٥- بحار الانوار، ج ٦٨، ص ٤٥، باب ٦١، ذيل ح ٥١.
٦- بحار الانوار، ج ٦٨، ص ٤٦، باب ٦١، ح ٥٤.

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: ما من عبد إلّا و لله عليه حجّة إمّا في ذنب اقترفه و إمّا في نعمة قصر عن شكرها.(١)

* عن الصادق عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ضغطة القبر للمؤمن كفّارة لما كان منه من تضييع النعم.(٢)

* قال أبو عبدالله عليه السلام: كفر بالنّعم ان يقول الرّجل: اكلت كذا و كذا فضرّنى.(٣)

* قال الجواد عليه السلام: نعمة لا تشكر كسيّئة لا تغفر.(٤)

* قال على أميرالمؤمنين عليه السلام في الغرر:

ألْجَزاء على الاحسان بالاسائة كفران.

انّ كفر النعمة لؤم و مصاحبة الجاهل شوم.

آفة النعم الكفران.

شرّ النّاس من لا يشكر النعمة و لا يرعى الحرمة.

كافر النعمة كافر فضل الله.

كفر النعم مجلبة لحلول النّقم.

كافر النعمة مذموم عند الخالق و الخلائق.

ليس من التوفيق كفران النّعم.

من استعان بالنعمة على المعصية فهو الكفور.

من كفر حُسن الصّنيعة استوجب قبح القطيعة.

من انعم على الكفور طال غيظه.

من كَفَرَ النّعم حَلّت به النّقم.

١- بحار الانوار، ج ٦٨، ص ٤٦، باب ٦١، ح ٥٥.
٢- بحار الانوار، ج ٦٨، ص ٥٠، باب ٦١، ح ٦٨.
٣- بحار الانوار، ج ٦٨، ص ٥٠، باب ٦١، ح ٧٠.
٤- بحار الانوار، ج ٦٨، ص ٥٣، باب ٦١، ح ٨٤.

لا تضع نعمة من نعم الله سبحانه عندك، و لير عليك اثر ما انعم الله به عليك.

لا نعمة مع كفر.

النعم يسلبها الكفران.

ربّ كلمة سلبت نعمة.

سبب زوال النعم الكفران.

سبب تحوّل النعم الكفر.

في كُفر النعم زوالها.

كفر النعمة مزيلها و شكرها مستديمها.

كفران النعم يزلّ القدم و يسلب النّعم.

كفران الاحسان يوجب الحرمان.

من لم يشكر النعمة عوقب بزوالها.

ما انعم الله على عبد نعمة فظلم فيها إلّا كان حقيقاً يزيلها عنه.

ما لا تُعن على من انعم عليك، فمن اعان من انعم عليه سلب الامكان.[١]

١- تصنيف غرر الحكم، ص ٣٢٢، ٣٢٣.

الفضيلة الثّانية و الثّلاثون: الشّكر و الحمد

و هي ملكة تقتضي تذكّر النّعم و الشكّر عليها و طلب الجزاء لمن أنعم على الشاكر و إلى هذا المعنى اشار الله تعالى بقوله: ﴿فاذكروني اذكركم و اشكروا لي و لا تكفرون﴾.[1]

و هي من الفضائل المؤكّد عليها في التنزيل العزيز، و في آيات كثيرة ورد قوله تعالى ﴿لعلّكم تشكرون﴾ تنويهاً إلى أنّ الشّكر من العلل الغائية لنعم الله تعالى على عباده و هذا يُظهر أنّ الشكر على النعم محبوبٌ له تعالى و في آيات كثيرة أشار بل صرّح على انّ الشكر موجب لخير الدّنيا و الآخرة و يوجب ازدياد النعم، نأتي هيهنا بثلّةٍ منها تبرّكاً بها:

قال تعالى: ﴿و من شكر فانّما يشكر لنفسه﴾.[2]

و قال تعالى: ﴿ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم﴾.[3]

و قال تعالى: ﴿لئن شكرتم لازيدنّكم﴾.[4]

و قال تعالى: ﴿و ان تشكروا يرضه لكم﴾.[5]

و قال تعالى: ﴿يا ايّها الّذين آمنوا كلوا من طيّبات مارزقناكم و اشكروا لله﴾.[6]

و قال تعالى: ﴿بل الله فاعبد و كن من الشّاكرين﴾.[7]

١- البقرة / ١٥٢. ٢- النمل / ٤٠. ٣- النساء / ١٤٧. ٤- ابراهيم / ٧.

٥- الزّمر / ٧. ٦- البقرة / ١٧٢. ٧- الزّمر / ٦٦.

و قال تعالى: ﴿اعملوا آل داود شكراً﴾.[١]

لكن أسفاً على انّ العباد كلّهم كافرون إلّا الاوحدى منهم و قد أشار الله تعالى في كثيرٍ من آي الذكر الحكيم إلى ذلك، مؤسّفاً عليه محذّراً العباد عنه، منها:

قال تعالى: ﴿و لكن أكثر النّاس لا يشكرون﴾.[٢]

و قال تعالى: ﴿انّ الله لذو فضل على النّاس و لكنّ اكثرهم لا يشكرون﴾.[٣]

و قال تعالى: ﴿و قليل من عبادى الشكور﴾.[٤]

و قال تعالى: ﴿و لا تجد اكثرهم شاكرين﴾.[٥]

ثمّ اعلم انّ الشكر كسائر الفضائل مقولٌ بالتشكيك.

فالمرتبة الضّعيفة منها هو الشكر على ما انعم الله عليه من النعم الظاهرة و الباطنة.

قال تعالى: ﴿و اسبغ عليكم نعمه ظاهرة و باطنة﴾.[٦]

و لا يمكن لأحدٍ أن يشكرها حقّ شكرها، لأنّ احصاءها ليس في قدرة أحدٍ.

قال تعالى: ﴿و ان تعدّوا نعمة الله لا تحصوها﴾.[٧]

فهل يمكن لشاكرٍ شكر نعمة الاعضاء الموهوبة له كالعين و السّمع و نعمة الجوانح كالفؤاد و العقل و النّعم الظاهرة كالصحّة و الأمن و النّعم الباطنة كالاسلام و الولاية و الهداية بمراتبها كلّا ليس لأحدٍ أن يقوم بشكرها و لو بجزءٍ منها.

قال تعالى: ﴿و جعل لكم السّمع و الابصار و الافئدة لعلّكم تشكرون﴾.[٨]

و قال تعالى حكاية عن ابراهيم: ﴿الّذي خلقنى فهو يهدين * و الّذي هو يطعمنى و يسقين * و إذا مرضت فهو يشفين * و الّذي يميتنى ثمّ يحيين * و الّذي أطمع ان يغفر لى

١- سباء / ١٣. ٢- البقرة / ٢٤٣. ٣- يونس / ٦٠ ٤- سباء / ١٣.

٥- الاعراف / ١٧. ٦- لقمان / ٢٠. ٧- ابراهيم / ٣٤. ٨- النّحل / ٧٨.

خطيئتي يوم الدّين﴾.[۱]

و قال تعالی: ﴿و رزقكم من الطيّبات لعلّكم تشكرون﴾.[۲]

و لله درّ الشّيخ الأجل حيث أفاض بالدرّر الفارسيّة فقال:

«هر نفسی که فرو می‌رود ممدّ حيات است و چون برمی‌آيد مفرّح ذات پس در هر نفسی دو نعمت موجود است و بر هر نعمتی شکری واجب.

از دست و زبان که بـرآيـد | کز عهدهٔ شکرش به در آيد

قال الله تعالی: ﴿اعملوا آل داود شكراً و قليل من عبادی الشكور﴾.[۳]

و من الواضح أنّ أهمّ النّعم كلّها هو نعمة الولاية و الاهتداء بالقرآن الحكيم.

قال الله تعالی: ﴿اليوم اكملت لكم دينكم و اتممت عليكم نعمتی و رضـيت لكـم الإسلام ديناً﴾.[٤]

و قال تعالی: ﴿قد جائكم من الله نور و كتاب مبين * يهدی به الله من اتّبع رضوانه سبل السلام و يخرجهم من الظّلمات إلی النّور باذنه و يهديهم إلی صراط مستقيم﴾.[٥]

و لكنّ الويل للمسلمين حيث استقرّت سيرتهم علی هجر الثقلين و التباعد عـنهما، فنالوا بهذا لعن الرسول صلی الله علیه و آله، و لا مصيبة في الدارين اعظم منه.

قال تعالی: ﴿يا ربّ انّ قومی اتّخذوا هذا القران مهجوراً﴾.[٦]

و قال تـعالی: ﴿و لو ردّوه إلی الرسـول و إلی اولی الامـر مـنهم لعـلمه الّـذين يستنبطونه منهم و لو لا فضل الله عليكم و رحمته لاتّبعتم الشّيطان إلّا قليلاً﴾.[۷]

و ممّا استقرّت سيرتهم عليه، التّعامل مع الذكر المبارك عضةً عضة، فيأخذون منه ما هو الموافق لأمیالهم، و يتركون من أوامرها و نواهيها المخالف لها.

۱- الشّعراء / ۷۸ ـ ۸۲. ۲- الانفال / ۲٦. ۳- سبأ / ۱۳. ٤- المائدة / ۳.

٥- المائدة / ۱٥، ۱٦. ٦- الفرقان / ۳۰. ۷- النّساء / ۸۳.

قال تعالى: ﴿قال الّذين لا يرجون لقائنا ائت بقران غير هذا أو بدّله﴾.[١]

و قال تعالى: ﴿كما انزلنا ـ أي: العذاب ـ على المقتسمين * الّذين جعلوا القران عضين * فو ربّك لنسئلنّهم أجمعين * عمّا كانوا يعملون﴾.[٢]

فهم الّذين تركوا و هجروا قوله تعالى: ﴿يا ايّها الرسول بلّغ ما انزل إليك من ربّك و ان لم تفعل فما بلّغت رسالته﴾.[٣]

و قوله تعالى: ﴿اليوم اكملت لكم دينكم و اتممت عليكم نعمتي و رضيت لكم الإسلام ديناً﴾.[٤]

و ما يشبههما، ثمّ اخذوا بمثل الصلوة و الصوم و الزكوة و الحجّ و الجهاد، و لكن في اخذهم بمثل هذا ايضاً تأمّل لقوله تعالى: ﴿و ان لم تفعل فما بلّغت رسالته﴾ و قوله تعالى: ﴿و رضيت لكم الإسلام ديناً﴾.

و هذه السيرة هي الحاكمة اليوم عليهم و على مجاري أفعالهم و أعمالهم، بلا استحياء منهم فيها.

و اخبر النبيّ و الائمّة عليهم‌السلام بذلك في جملةٍ من روايات الملاحم.

و بالجملة، انّ الشاكر المداوم عليه في غاية القلّة، و ما نلنا المصائب و المشاكل و ما أصبنا بها إلّا لذلك.

قال تعالى: ﴿لئن شكرتم لازيدنّكم و لئن كفرتم انّ عذابى لشديد﴾.[٥]

و قال تعالى: ﴿فكفرت بانعم الله فاذاقها الله لباس الجوع و الخوف بما كانوا يصنعون﴾.[٦]

و أمّا المرتبة الوسطى من الشكر، هو الشكر على البلايا و النّقم و هي صعب مستصعب

١- يونس / ١٥. ٢- الحجر / ٩٠ـ ٩٣. ٣- المائدة / ٦٧. ٤- المائدة / ٣.

٥- ابراهيم / ٧. ٦- النّحل / ١١٢.

لايمكن ان يتحمّلها إلّا الخواصّ من اوليائه تعالىٰ، لانّ درك أنّ البلايا و النّقم ليست إلّا من الالطاف الخفيّة مشكل جدّاً، و على فرض إدراكه الشكر عليها أصعب و الاوحدىّ من النّاس يمكن ان يدركوا هذا، فيفهمون ما أشار إليه القائل بالفارسيّة:

اگر با ديگرانش بود ميلى   چرا ظرف مرا بشكست ليلى

و هل هو شعر أو شعور محلّ تأمّل.

توضيح ذلك، انّ عامّة النّاس لا يجاوز ايمانهم من كلماتٍ تصدر عن ألسنتهم، فهم خارجون عن هذه الدائرة..

قال تعالى: ﴿و من النّاس من يعبد الله على حرف فان اصابه خير اطمأنّ به وان اصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدّنيا و الآخرة ذلك هو الخسران المبين﴾.[1]

و أمّا الخواصّ من النّاس الّذين استسلموا لربّ العالمين عقلاً و ايماناً بعد أن رسخ الايمان في قلوبهم فيعلمون انّ البلايا و النقم ممّا كسبت ايدى النّاس و انّ الله تعالى ابتلى عباده بها لان يرجعوا و يتضرّعوا إليه.

قال تعالى: ﴿و ما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم و يعفو عن كثير﴾.[2]

و قال تعالى: ﴿ظهر الفساد في البرّ و البحر بما كسبت ايدى النّاس ليذيقهم بعض الّذي عملوا لعلّهم يرجعون﴾.[3]

و قال تعالى: ﴿و ما ارسلنا في قرية من نبىّ إلّا اخذنا اهلها بالبأساء و الضرّاء لعلّهم يضّرّعون﴾.[4]

فبعد ذلك يعلمون انّ البلايا و النّقم من الالطاف الخفيّة فيجب شكرها.

و قد وردت في الرّوايات انّه إذا اصابتكم المصيبة فقولوا: الحمد لله على كلّ حال، و إذا انعم الله عليكم بنعمة فقولوا: الحمد لله على كلّ نعمة.

١- الحجّ / ١١.   ٢- الشورى / ٣٠.   ٣- الروم / ٤١.   ٤- الاعراف / ٩٤.

و لكن الوصول إلى هذا المقام لهؤلاء الخواصّ غير مفيد بحسب العمل، و لله درّه من قال:

پای استدلالیان چوبین بود   پای چوبین سخت بی تمکین بود

و بهذا المقدار من الايمان العقلى لايمكن الوصول إلى هذه المرتبة من الشكر بل الوصول إليها يحتاج إلى الايمان القلبى و ذلك يختصّ باخصّ الخواصّ و هم الّذين دخل الايمان في قلوبهم فلهم ايمانٌ لايشوبه شيءٌ كما لهم العلم بان البلايا و النّقم من الالطاف الخفيّة وانّها اشرف و اعلى من النّعم الظّاهرة لاستكمال السائرين و لرفع الكدورات عن قلوبهم، كما يُخلّص الذهب و الفضة بالنار.

و حصول هذه الحالة يحتاج إلى رياضات دينيّة و تحصيل رضى الله تعالى و رضى الوسائط في فيضه و عنايته الخاصّة حتّى يصل إلى اليقين بمراتبه و بعبارة أخرى حتّى يتجاوز من مرتبة العلم إلى مرتبة الايمان.

و المرتبة الشّديدة منها هو الشكر لكون المشكور له اهلاً لذلك و حينئذٍ لا نظر للشاكر إلى نعمائه الظّاهرة و الباطنة و لا إلى الطافه الجليّة و الخفيّة بل إلى نفس المنعم عليه، و هذا الشكر يسمّى بالحمد، لانّ الفرق بين الشكر و الحمد عند أهل اللّغة هو انّ الشكر للمنعم و الحمد للكامل، فمن شكر الله تعالى لنعمه على عباده فقد شكره و من شكر الله تعالى لكونه ذا كمال فقد حمده.

و هذه المرتبة من الشكر من افضل العبادات و هي من اعلى مراتب العبوديّة و ليس شيء عند أهل الله افضل و اعلى من الحمد و الدليل على ذلك ابتداء الله تعالى ذكره الحكيم بعد البسملة بالتحميد بقوله: ﴿الحمد لله ربّ العالمين﴾.[1]

و اوّل كلام أهل الجنّة فيها هو حمده تعالى.

١- الفاتحة / ٢.

قال تعالى: ﴿و آخر دعواهم ان الحمد لله ربّ العالمين﴾.[١]

ثمّ انّ الشكر إلى ينقسم إلى أقسام:

الف: الشكر بحسب الاعتقاد، و هذالمن يعرف أنّ الوفاء بالعبوديّة يقتضى شكر المنعم عليه، و من لم يشكره فقد كفر بنعمه؛ هذا هو الشكر العقلى؛ ثم من عرج من هذا المدرج فاستيقن بذلك، فهو الشاكر بالشكر القلبى و الوصول إلى الأوّل سهل يسير و لكن الوصول إلى الثّانى يحتاج إلى عباداتٍ حتّى يصل إليه.

ب: الشكر اللّسانى، و هو ان يقول معتقداً أنّ الله قد أنعم عليه بالنعم الظاهرة و الباطنة: الحمد لله ربّ العالمين.

و بعبارة أخرى، هو اظهار ما في الضمير باللسان و هذا القسم هو المتيقّن من المأمور به في لسانى الوحي و الحديث.

و هذا هو الّذي يترتّب عليه المثوبة في القرآن و الرّوايات و لااقلّ من كونه من مصاديقه البارزة، و ما اشتهر بين أهل القلوب من الاوراد و الاذكار و التّحميد و التّقديس هو نفس هذا القسم، و كذلك المراد من الختومات المجرّبة لقضاء الحوائج و رفع البلايا.

ج: الشكر العملى و هو صرف العبد ما انعم الله عليه فيما يرضاه.

و هذا القسم هو الشكر الحقيقي، و الوصول إليه في كمال الصّعوبة سيّما إلى بعض مراتبه.

فعلى سبيل المثال انّ الله تعالى خلق القلب محلّاً لانواره، فمن ملاء قلبه منها و لم يُدخل فيه غيرها فقد شكره تعالى، و أمّا من سلّط على قلبه هواه أو رذيلة من الرّذائل فقد كفر بأنعمه، و من صرف عمره في غير رضى الله فقد كفر به في نعمة عظيمة لانّ العمر من اشرف النّعم، و الشكور هو الّذي يصرفه فيما خلق لاجله و هو تحصيل المراتب العالية حتّى الوصول إلى اللّقاء، و من صرف اعضائه في تحصيل الكمالات فقد شكره تعالى، و من

١- يونس / ١٠.

صرف ماله في رضى الله تعالى فقد شكره، فالكافر هو الّذي يعصى الله تعالى بماله أو بعضو من اعضائه.

فطوبى لمن كان شكره مركّباً من الاعتقاد العقلى و القلبى و من اللّسان و العمل فيقرّ بأنعمه و يعمل بمقتضاها و يعقتد بها و لا يمكن الوصول إلى مثوبة الشكر و آثاره إلّا بهذا التّركيب.

نعم، قوله «الحمد لله أو شكراً لله» له المثوبة كما مرّ الكلام فيه سيّما إذا تابع القلب اللّسان حين الذّكر، و أمّا الوصول إلى مقام الشّاكرين فيحتاج إلى تلك التركيب، رزقنا الله و ايّاكم ذلك انشاء الله تعالى.

روايات في الشّكر

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: الطاعم الشّاكر له من الاجر كاجر الصائم المحتسب، و المعافي الشاكر له من الاجر كاجر المبتلى الصابر، و المعطى الشّاكر له من الاجر كاجر المحروم القانع.(١)

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: مكتوب في التوراة اشكر من انعم عليك و انعم على من شكرك، فانّه لا زوال للنعماء إذا شكرت و لا بقاء لها إذا كفرت، الشكر زيادة في النعم و امان من الغير.(٢)

* سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله عزّوجلّ: ﴿و أمّا بنعمة ربّك فحدّث﴾ قال: الّذي أنعم عليك بما فضّلك و اعطاك و احسن اليك، ثم قال: فحدّث بدينه و ما اعطاء الله و ما انعم به عليه.(٣)

* عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عند عائشة ليلتها، فقالت: يا رسول الله لِمَ تتعب نفسك و قد غفر الله لك ما تقدّم من ذنبك و ما تأخّر؟ فقال: يا عائشهَ لا اكون عبداً شكوراً. قال: و كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقوم على اطراف اصابع رجليه فانزل الله سبحانه و تعالى: ﴿طه ما انزلنا عليك القران لتشقى﴾.(٤)

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: ثلاث لا يضرّ معهنّ شيء: الدّعاء عند الكرب و

١- الكافي، ج ٢، ص ٩٤، باب الشكر، ح ١.
٢- الكافي، ج ٢، ص ٩٤، باب الشكر، ح ٣.
٣- الكافي، ج ٢، ص ٩٤، باب الشكر، ح ٥.
٤- الكافي، ج ٢، ص ٩٥، باب الشكر، ح ٦.

الاستغفار عند الذّنب و الشكر عند النّعمة.[۱]

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: ما انعم الله على عبد من نعمة فعرفها بقلبه و حمد الله ظاهراً بلسانه فتمّ كلامه حتّى يؤمر له بالمزيد.[۲]

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: شكر النعمة اجتناب المحارم و تمام الشكر قول الرجل: الحمد لله ربّ العالمين.[۳]

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: شكر كلّ نعمة و ان عظمت ان تحمد الله عزّوجلّ عليها.[٤]

* قال أبو عبدالله عليه السلام: انّ الرّجل منكم ليشرب الشّربة من الماء فيوجب الله له بها الجنّة، ثم قال: انّه ليأخذ الاناء فيضعه على فيه فيسمّى ثمّ يشرب فينحّيه و هو يشتهيه فيحمد الله، ثمّ يعود فيشرب، ثمّ ينحّيه فيحمد الله ثمّ يعود فيشرب، ثمّ ينحّيه فيحمد الله، فيوجب الله عزّوجلّ بها له الجنّة.[٥]

* عن عمر بن يزيد قال: قلت لابى عبدالله عليه السلام: انّى سألت الله عزّوجلّ ان يرزقنى مالاً فرزقنى، و انّى سألت الله ان يرزقنى ولداً فرزقنى ولداً، و سألته ان يرزقنى داراً فرزقنى و قد خفت ان يكون ذلك استدراجاً، فقال: أمّا ـ و الله ـ مع الحمد فلا.[٦]

* خرج أبو عبدالله عليه السلام من المسجد، و قد ضاعت دابّته، فقال: لئن ردّها الله علىّ لاشكرنّ الله حقّ شكره، قال: فما لبث ان أُتى بها، فقال: الحمد لله، فقال له قائل: جعلت فداك اليس قلت: لاشكرنّ الله حقّ شكره؟ فقال أبو عبدالله عليه السلام الم تسمعنى قلت: الحمد لله؟.[۷]

۱- الكافي، ج ۲، ص ۹۵، باب الشكر، ح ۷.

۲- الكافي، ج ۲، ص ۹۵، باب الشكر، ح ۹.

۳- الكافي، ج ۲، ص ۹۵، باب الشكر، ح ۱۰.

٤- الكافي، ج ۲، ص ۹۵، باب الشكر، ح ۱۱.

٥- الكافي، ج ۲، ص ۹٦، باب الشكر، ح ۱٦.

٦- الكافي، ج ۲، ص ۹۷، باب الشكر، ح ۱۷.

۷- الكافي، ج ۲، ص ۹۷، باب الشكر، ح ۱۸.

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا ورد عليه امرٌ يسرّه قال: الحمد لله على هذه النعمة، و إذا ورد عليه أمر يغتمّ به قال: الحمد لله على كلّ حال.[١]

* عن أبي جعفر عليه السلام قال: تقول ثلاث مرّات إذا نظرت إلى المبتلى من غير ان تُسمعه: الحمد لله الّذي عافانى ممّا ابتلاك به، و لو شاء فعل، قال: من قال ذلك لم يصبه ذلك البلاء ابداً.[٢]

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: انّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان في سفر يسير على ناقة له، إذا نزل فسجد خمس سجدات فلمّا ان ركب قالوا: يا رسول الله انّا رأيناك صنعت شيئاً لم تصنعه؟ فقال نعم استقبلني جبرئيل عليه السلام فبشّرنى ببشارات من الله عزّوجلّ، فسجدت لله شكراً لكلّ بشرى سجدة.[٣]

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إذا ذكر احدكم نعمة الله عزّوجلّ فليضع خدّه على التراب شكراً لله، فان كان راكباً فلينزل فليضع خدّه على التراب و ان لم يكن يقدر على النزول للشهرة فليضع خدّه على قربوسه و ان لم يقدر فليضع خدّه على كفّه ثم ليحمد الله على ما انعم الله عليه.[٤]

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: فيما اوحى الله عزّوجلّ إلى موسى عليه السلام يا موسى اشكرنى حقّ شكرى، فقال: يا ربّ و كيف اشكرك حقّ شكرك و ليس من شكر اشكرك به إلّا و انت انعمت به علىّ؟ قال: يا موسى الآن شكرتنى حين علمت انّ ذلك منّى.[٥]

* قال على بن الحسين عليه السلام: انّ الله يحبّ كلّ قلب حزين و يحبّ كلّ عبد شكور، يقول الله تبارك و تعالى لعبد من عبيده يوم القيامة: اشكرت فلاناً؟ فيقول: بل شكرتك يا ربّ

١- الكافي، ج ٢، ص ٩٧، باب الشكر، ح ١٩.
٢- الكافي، ج ٢، ص ٩٧، باب الشكر، ح ٢٠.
٣- الكافي، ج ٢، ص ٩٨، باب الشكر، ح ٢٤.
٤- الكافي، ج ٢، ص ٩٨، باب الشكر، ح ٢٥.
٥- الكافي، ج ٢، ص ٩٨، باب الشكر، ح ٢٧.

فيقول: لم تشكرني اذ لم تشكره، ثم قال: اشكركم لله اشكركم للناس.[١]

❊ عن أبي جعفر عليه‌السلام قال: العبد بين ثلاثة، بلاء و قضاء و نعمة، فعليه في البلاء من الله الصّبر فريضة، و عليه في القضاء من الله التسليم فريضة و عليه في النعمة من الله عزّوجلّ الشكر فريضة.[٢]

❊ عن أبي عبدالله عليه‌السلام قال: قال رجل لاميرالمؤمنين عليه‌السلام بماذا شكرت نعماء ربّك؟ قال: نظرت إلى بلاء قد صرفه عنّي و ابلا به غيرى، فعلمت انّه قد انعم عليّ فشكرته.[٣]

❊ عن داود بن سرحان قال: كنّا عند أبي عبدالله عليه‌السلام إذا دخل عليه سدير الصيرفي فسلّم و جلس، فقال له: يا سدير ما كثر مال رجل قطّ إلّا عظمت الحجّة لله عليه، فان قدرتم تدفعونها على انفسكم فافعلوا، فقال له: يا ابن رسول الله بماذا؟ قال: بقضاء حوائج اخوانكم من اموالكم، ثمّ قال: تلقّوا النعم يا سدير بحسن مجاورتها، و اشكروا من انعم عليكم و انعموا على من شكركم، فانكم إذا كنتم كذلك استوجبتم من الله الزيادة، و من اخوانكم المناصحة، ثمّ تلا ﴿لئن شكرتم لازيدنّكم﴾.[٤]

❊ اوصى عليّ بن الحسين عليه‌السلام بعض ولده فقال: يا بنيّ اشكر الله لمن انعم عليك، و انعم على من شكرك، فانّه لازوال للنعمة إذا شكرت، و لا بقاء لها إذا كفرت و الشاكر بشكره اسعد منه بالنعمة الّتي وجب عليه الشكر بها، و تلا يعنى عليّ بن الحسين عليه‌السلام قول الله تعالى: ﴿و اذ تأذّن ربّكم لئن شكرتم لازيدنّكم﴾ إلى آخر الآية.[٥]

❊ قال الرضا عليه‌السلام: اتّقوا الله و عليكم بالتواضع و الشكر و الحمد، انّه كان في بنى اسرائيل رجل فأتاه في منامه من قال له: انّ لك نصف عمرك سعة، فاختر ایّ النصفين

١- الكافي، ج ٢، ص ٩٩، باب الشكر، ح ٣٠.
٢- بحار الانوار، ج ٦٨، ص ٤٣، باب ٦١، ح ٤١.
٣- بحار الانوار، ج ٦٨، ص ٤٣، باب ٦١، ح ٤٢.
٤- بحار الانوار، ج ٦٨، ص ٤٧، باب ٦١، ح ٦٠.
٥- بحار الانوار، ج ٦٨، ص ٤٩، باب ٦١، ح ٦٦.

شئت، فقال: انّ لی شریکاً فلمّا اصبح الرجل قال لزوجته: قد اتانی في هذه الليلة رجـل فاخبرنی انّ نصف عمری لی سعة فاختر ایّ النّصفين شئت، فقالت له زوجته: اختر النصف الاوّل، فقال: لك ذاك. فاقبلت عليه الدّنيا فكان كلّما كانت نعمة قالت زوجته: جارك فلان محتاج فصلّه، وتقول: قرابتك فلان فتعطيه، و كانوا كذلك كلّما جاءتهم نعمة اعطوا و تصدّقوا و شكروا، فلمّا كان ليلة من اللّيالی أتاه الرجل فقال: يا هذا انّ النصف قد انقضى فما رأيك؟ قال: لی شريك فلمّا اصبح قال لزوجته: أتانی الرجل فاعلمنی انّ النصف قد انقضى، فقالت له زوجته: قد انعم الله علينا فشكرنا، و الله اولى بالوفاء، قال: فانّ لك تمام عمرك.[۱]

۱- بحار الانوار، ج ٦٨، ص ٥٤، باب ٦١، ذیل ح ٨٦.

الفصل الحادي و الثّلاثون

الفضيلـــة الثّانيـــة و الثّلاثون: الرّضا و التّسليم

الرّذيلة الثّانية و الثّلاثون: الكراهة من قضاء الله تعالى

الفضيلة الثّالثة و الثّلاثون: الرّضا و التّسليم

و هو ضدّ السخط و الكراهة و هي ملكة لصاحبها أن يكون قلبه تابعاً لمشيّة المولى فيحبّ ما يحبّه و يكره ما يكرهه و رضاه هو رضاه و سخطه هو سخطه.

قال الحسين عليه السلام إذا عزم على الخروج إلى العراق: رضى الله رضانا أهل البيت.[1]

و قالت اخته زينب عليها السلام في مجلس ابن زياد لعنة الله عليه: ما رأيت إلّا جميلاً.[2]

و قال الصّادق عليه السلام على ما نسب إليه في تعريفها: صفة الرّضا ان يرضى المحبوبَ و المكروه، و الرّضا شعاع نور المعرفة و الراضى فانٍ عن جميع اختياره و الراضى حقيقة هو المرضىّ عنه، و الرّضا اسم يجتمع فيه معانى العبوديّة، و تفسير الرّضا سرور القلب، سمعت ابى، محمد الباقر عليه السلام يقول: تعلّق القلب بالموجود شرك و بالمفقود كفر و هما خارجان عن سنّة الرّضا و اعجب ممّن يدّعى العبوديّة لله كيف ينازعه في مقدوراته؟! حاشا الرّاضين العارفين عن ذلك.[3]

و يترتّب على هذه الفضيلة في القرآن الكريم آثارٌ لم يترتّب على شيء من الفضائل.

١- بحار الانوار، ج ٤٤، ص ٣٦٦، باب ٣٧، ح ٢.   ٢- بحار الانوار، ج ٤٥، ص ١١٥، ١١٦.

٣- مصباح الشريعة، باب ٨٩، صحيفة الرّضا، ص ١٨٢.

حيث ان الذكر المبارك ذكرهم، فذكر أوّلاً أنّهم مرضيّون عنهم،

قال تعالى: ﴿رضى الله عنهم و رضوا عنه﴾.(١)

و في كثيرٍ من آيه جُعل الرضا هذا اكبر من الجنّة حتّى جنّة عدن، منها: قوله تعالى: ﴿وعد الله المؤمنين و المؤمنات جنّات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها و مساكن طيّبة في جنّات عدن و رضوان من الله اكبر ذلك هو الفوز العظيم﴾.(٢)

ثمّ ثانياً ذكر لهم ما ليس في الكتاب أشرف منزلةً منه، و هو كونهم عند الله في جنّته.

قال الله تعالى: ﴿يا ايّتها النّفس المطمئنّة * ارجعى إلى ربّك راضية مرضيّة * فادخلى في عبادى * و ادخلى جنّتى﴾.(٣)

و ثالثاً: ذكرهم في عداد حزبه تعالى، فائزين بالفلاح.

قال تعالى: ﴿رضى الله عنهم و رضوا عنه اولئك حزب الله اَ لا انّ حزب الله هم المفلحون﴾.(٤)

و رابعاً: ذكر لهم مقام الخشية و هو من كرائم المقامات و هو شهود عظمة الله تعالى ثمّ الخضوع لها.

قال تعالى: ﴿رضى الله عنهم و رضوا عنه ذلك لمن خشى ربّه﴾.(٥)

و خامساً: ذكرهم من عباده الصّالحين من الأنبياء و الصّدّيقين و الشّهداء و حسن اولئك رفيقاً.

قال تعالى: ﴿و ان اعمل صالحاً ترضيه و ادخلنى برحمتك في عبادك الصّالحين﴾.(٦)

و سادساً: ذكر ذرّيّتهم من الصّالحين.

١- المائدة / ١٩٠ و التوبة / ١٠٠ و المجادلة / ٢٢ و البيّنة / ٨.

٢- التوبة / ٧٢.

٣- الفجر / ٢٧ ـ ٣٠.

٤- المجادلة / ٢٢.

٥- البيّنة / ٨.

٦- النمل / ١٩.

قال تعالى: ﴿و ان اعمل صالحاً ترضيٰه و اصلح لى في ذرّيّتى﴾.[١]

و سابعاً: ذكرهم فيمن اعطاه مقام الشفاعة يوم القيامة.

قال تعالى: ﴿و لا يشفعون إلّا لمن ارتضى و هم من خشيته مشفقون﴾.[٢]

و ثامناً: اظهر الله لهم غيب السّموات و الارض.

قال تعالى: ﴿عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احداً * إلّا من ارتضى﴾.[٣]

و تاسعاً: ذكر لهم في عدّةً من آي الذكر مقاماتٍ عديدة، منها ما ذكره لعليّ بن أبي طالب أميرالمؤمنين عليه السلام اذ نام على فراش رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فهاجر الرسول إلى المدينة و كفاهم هذا المقام الكريم.

قال تعالى: ﴿و من النّاس من يشرى نفسه ابتغاء مرضات الله﴾.[٤]

و عاشراً: وعدالله ان يهديهم سبل السلام و يخرجهم من الظّلمات إلى النّور و يهديهم إلى صراط مستقيم و لو لا فضيلة لأهل الرضا الّذين يتّبعون رضوان الله إلّا هذا ليكفيك ان تقول: أنّها من أعلى درجات الفضائل! و ليست فضيلة اشرف و اعظم منها.

قال تعالى: ﴿قد جائكم من الله نور و كتاب مبين * يهدى به الله من اتّبع رضوانه سبل السلام و يخرجهم من الظّلمات إلى النّور باذنه و يهديهم إلى صراط مستقيم﴾.[٥]

و هذه الآية الشريفة و ما قبلها إلى الخامس و ان كانت واردةً في المرضيّين دون الرّاضين بحسب الظاهر إلّا أنّ التلازم الواقع بينهما، يرفع البينونة، و لذلك قد ورد ذكرهما في الكتاب المبارك متلازمين.

قال تعالى مكرّراً: ﴿رضى الله عنهم و رضوا عنه﴾.[٦]

مراتب الرّضا و التّسليم

١- الاحقاف / ١٥. ٢- الأنبياء / ٢٨. ٣- الجنّ / ٢٦، ٢٧. ٤- البقرة / ٢٠٧.

٥- المائدة / ١٥، ١٦. ٦- المائدة / ١١٩ و التوبة / ١٠٠ و المجادلة / ٢٢ و البيّنة / ٨.

انّ هٰذه الفضيلة مراتب ضعفاً و شدّة:

الف: ان يرضى من الحوادث الواقعة في البأساء لما يرى انّ المصلحة التّامّة الكائنة في عوالم الإمكان تقتضي ذلك و ان لم يقدر على درك تلك المصلحة تفصيلاً.

قال تعالى: ﴿ما اصاب من مصيبة في الأرض و لا في انفسكم إلّا في كتاب من قبل ان نبرأها انّ ذلك على الله يسير * لكيلا تأسوا على ما فاتكم و لا تفرحوا بما آتاكم﴾.(١)

و بعبارة أخرى، يرضى بقضاء الله و قدره لاستيقانه بأنّ النّظام الاتمّ يقتضي ذلك.

ب: ان يرضى من المصائب و البلايا لما يرى انّها من الله تعالى فهى الجميلة لانّها بإرادةٍ من الجميل، و هي المحبوبة لانّها من المحبوب.

قال تعالى: ﴿قل اللّهمّ مالك الملك تؤتى الملك من تشاء و تنزع الملك ممّن تشاء و تعزّ من تشاء و تذلّ من تشاء بيدك الخير انّك على كلّ شيء قدير﴾.(٢)

فهذه المرتبة تنشأ من الحبّ كما انّ المرتبة الاولى تنشأ من المعرفة.

ولله درّ من أنشد بالفارسيّة:

به جهان خرّم از آنم كه جهان خرّم از اوست
عاشقم بر همه عالم كه همه عالم از اوست
به ارادت بخورم زهر كه شاهد ساقى است
به ارادت بچشم درد كه درمان هم از اوست

ج: ان يرضى عن البلايا لما يرى انّ ذلك رسم العبوديّة. فالعبوديّة تقتضي الرّضا و قد عُبّر عن هذه المرتبة في لسان لوحي بالتسّليم.

قال تعالى: ﴿و من يرغب عن ملّة ابراهيم إلّا من سفه نفسه و لقد اصطفيناه في الدّنيا و انّه في الآخرة لمن الصّالحين * اذ قال له ربّه اسلم قال اسلمت لربّ العالمين﴾.(٣)

١- الحديد / ٢٢، ٢٣.   ٢- آل عمران / ٢٦.   ٣- البقرة / ١٣٠، ١٣١.

و يترتّب على هذا القسم من الرّضا مثوبات و آثار عظيمة كما أخبر الله عنها في الذكر الحكيم كما ترى أنّه تعالى نسب السّفاهة إلى من لا يتّصف بها.

قال تعالى: ﴿بلى من اسلم وجهه لله و هو محسن فله اجره عند ربّه و لا خوف عليهم و لا هم يحزنون﴾.[١]

و قال تعالى: ﴿و من احسن ديناً ممّن اسلم وجهه لله و هو محسن﴾.[٢]

و قال تعالى: ﴿و من يسلم وجهه إلى الله و هو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى﴾.[٣]

و الاتّصاف بهذه المرتبة من الرّضا مشكل جدّاً و من أراد أن يحصّلها فيحتاج رياضات دينيّة و التخطّي من منزل من منازل الرضا إلى منزل آخر و الصّبر على الابتلائات الصعبة و الاختبارات العديدة.

و بوضوحٍ يفهم من القرآن انّ ابراهيم لم ينل مقام الامامة إلّا بالتّسليم و لم ينل مقام التّسليم إلّا بعد التخطّي عن كبار المصائب و الابتلائات.

و مع الوصف فمن وجهة نظر القرآن يجب على جميع المؤمنين أن يتّصفوا بها.

قال تعالى: ﴿فلا و ربّك لا يؤمنون حتّى يحكّموك فيما شجر بينهم ثمّ لا يجدوا في انفسهم حرجاً ممّا قضيت و يسلّموا تسليماً﴾.[٤]

ثمّ، انّ هذه الفضيلة العظمى تلازم فضائل شتّى و تطرد رذائل شتّى، منها حبّ الله تعالى و التّوكّل عليه و الثقة به و شكره و تحميده و الخضوع و الخشوع له تعالى، و من تلك الفضائل ايضاً الزّهد و القناعة و السّخاوة، بل ان حصل له المراتب العليا من الرّضا فيصاحبه فضائل أُخر بل المرتبة الاولى منها ان اشتدّت تكون كذلك، و لو لم تطرد هذه الفضيلة إلّا رذيلةً واحدة و هو حبّ الدّنيا بالمعنى العامّ ليكفيك ان تعدّها من افضل

١- البقرة / ١١٢.　　٢- النساء / ١٢٥.　　٣- لقمان / ٢٢.　　٤- النساء / ٦٥.

الفضائل و أغلاها مع انّها سيّما التّسليم تطرد جميع الرّذائل من أقبحها الحسد و الحقد و الرّياء و الدّنائة في الطّبع.

و من اللافت للنظر انّ الرّضا و التّسليم ردمان مانعان عن اغتراف المحرّمات سيّما حقّ النّاس و هو من هذه الجهة ايضاً يُعدّ من كبار الفضائل!

و في الختام نأتى بأمورٍ هامّة:

الأمر الاوّل: انّ الرضا و التّسليم باعتبار المتعلّق ينقسم إلى تعبّدىّ و تكوينى.

١) و المراد بالتعبّدى هو التّسليم لأوامر المولى و نواهيه و ان لا يجد في نفسه حرجاً و مشقّة و من تلك الأوامر و النّواهي بل تكون امتثال أوامر المولى و الاجتناب عن مكروهاته من الذّ اللّذّات له و التنزيل العزيز أوّلاً يؤكّد على ذلك حتّى كأنّه يعدّه من شرائط الإيمان، فلا ايمان لمن لايتّصف به.

قال تعالى: **﴿فلا و ربّك لا يؤمنون حتّى يحكّموك فيما شجر بينهم ثمّ لا يجدوا في انفسهم حرجاً ممّا قضيت و يسلّموا تسليماً﴾**.(١)

و قال تعالى: **﴿و ما كان لمؤمن و لا مؤمنة إذا قضى الله و رسوله امراً ان يكون لهم الخيرة من امرهم﴾**.(٢)

و ثانياً: يشوّق العباد إلى ذلك، كما يُشاهد في جملةٍ من القصص القرآنيّة، سيما فى حكاية ابراهيم عليه السلام الّذي أُمرنا أن نأخذ الملّة عنه، منها: **﴿ربّنا انّى اسكنت من ذرّيّتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرّم ربّنا ليقيموا الصّلاة﴾**.(٣)

و قوله تعالى: **﴿فلمّا بلغ معه السّعى قال يا بنىّ انّى ارى في المنام انّى اذبحك فانظر ماذا ترى قال يا ابت افعل ما تؤمر ستجدنى انشاء الله من الصّابرين﴾**.(٤)

و لايحتاج إلى البيان ان هذا القسم من الرّضا و التسليم مشكل جدّاً و يختصّ في كلّ

١- النّساء / ٦٥. ٢- الاحزاب / ٣٦. ٣- ابراهيم / ٣٧. ٤- الصّافات / ١٠٢.

دهرٍ بالاوحدىّ من النّاس.

نقل لى بعض الثقات انّ غلاماً ادّعى انّه يعرف رسم العبوديّة، فمولاه ـ امتحاناً ـ أمر ان يُضرب و هو مغلولٌ، لكنّه مع تلك الضربات المؤلمة لم يشك و لم يظهر أنيناً فامر المولى باحضاره و سأله عن لميّة سكوته و عدم سؤاله النجاة؟ فاجاب: انّى عبدك فصلاحى و فلاحى بيدك فان اكرمتنى فهو الصّلاح و ان أدّبتني و آذيتنى فهو الصّلاح فبعد ذلك فلا معنى للجزع و الفزع، لانّ الجزع و الفزع عند المولى الكريم العادل ليس إلّا من سوء الادب بل ليس إلّا موبقة كبيرة.

و الآيات و الرّوايات سيّما الّتي نقلناها تدلّ على ذلك و عند أهل القلوب انّ الفزع في الشدائد ليس إلّا من سوء الادب و من مهانة النّفس.

قال تعالى: **﴿انّ الإنسان خلق هلوعاً * إذا مسّه الشّرّ جزوعاً * و إذا مسّه الخير منوعاً * إلّا المصلّين﴾**.[1]

و المراد بالتكوينىّ منه هو الّرضا و التسليم بقضاء الله و قدره و قد مرّ الكلام فيه اجمالاً و تحصيل ذلك ايضاً مشكل يحتاج إلى ايمان قلبى راسخٍ في اعماق القلب، رزقنا الله إيّاه.

الأمر الثّانى: قد شاع أن يُذكر في كتب علم الأخلاق اشكال حول أنّ الدّعاء و التّوسل ينافيان الرّضا و التسليم لانّ الدّعاء لرفع البلايا و المكروهات فالراضي بقضاء الله ليس له أن يدعو لرفع المكروه، حيث أنْ لامعنى لهذا إلّا كون المكروه مكروهاً عنده، و هذا ينافي مقام رضاه و تسليمه ثم يجيبوا عن هذا الاشكال بما لايرضى به النفس.

و التحقيق في الجواب: انّ الدّعاء و التوسل من اهمّ العبادات و تركهما يُعدّ في الذكر الحكيم من مراتب الكفر العملى.

قال تعالى: **﴿ادعونى استجب لكم انّ الّذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنّم**

١- المعارج / ١٩ ـ ٢٢.

داخرين﴾.[۱]

فالدّعاء هو الكلام الصّاعد كما انّ القرآن الكريم هو الكلام النّازل، فبتلاوة القرآن يتكلّم الله تعالى مع هذا التالى، و بالدّعاء و المناجاة يتكلّم الدّاعى مع الله، و كلاهما بلسان التالي و الدّاعي.

و لفت النّظر إلى هذه النكتة السّامية ينصرف العبد من كلّ شيء إلى الله تعالى ووسائط فيضه و مع ذلك يتضمّن آثاراً عديدة و كلّ اثر منها بمفرده افضل من الدنيا و ما فيها بل بعض تلك الآثار افضل من الجنّة و ما فيها.

فوائد الدّعاء و آثاره

الف: عدّ في الرّوايات انه من افضل الاعمال و انّه مخّ العبادات و انّه سلاح المؤمن و ترسه.[۲]

أضف إلى ذلك ما ورد في التنزيل العزيز من آيتينِ لاتجد لهما فيه نظيراً بحسب التأكيد الوارد فيهما أولاهما في التّرغيب و التحريص على الدّعاء و الأخرىٰ في التهديد و التخويف على ترك الدّعاء.

قال تعالى: ﴿و إذا سألك عبادى عنّى فانّى قريب اجيب دعوة الدّاع إذا دعان فليستجيوا لى و ليؤمنوا بى لعلّهم يرشدون﴾.[۳]

فترى انّه مع قطع النظر عن التأكيدات الأخر، جيء فيها بالضمير المتكلم ثمان مرّات، دلالة على التّرغيب و التّلطيف.

ثمّ رتّب الرشد و الفلاح و الصّلاح على الدّعاء فكأنّه ينحصر الفلاح و الصّلاح و الرّشد في الدّعاء و التضّرع.

۱- المؤمن / ٦٠.
۲- الكافي، ج ۲، ص ٤٦٦، ح ۱، و ص ٤٦٨، ح ۱، و ص ٤٦٨، ح ٤.
۳- البقرة / ۱۸٦.

قال تعالى: ﴿قل ما يعبأ بكم ربّى لو لا دعاؤكم﴾.[١]

فترى انّ الله تعالى اوعد لمن لايدعوه أن يكله إلى نفسه، فلايشمله العناية الالهيّة، و ليس لهذا المحروم إلّا الهلاك في ورطات الحرمان.

و ورد في الرّوايات انّ من دعاء رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قوله: اللّهمّ و لا تكلنى إلى نفسى طرفة عين ابداً.[٢]

ب: انّ الدعاء هو الطريق إلى المقصود و وجدان المطلوب و من وجده خير له من الدّارين و من المعلوم انّ مقصود الإنسان و مطلوبه هو الله تعالى و للانسان ان يجده بالدّعاء.

توضيح ذلك، انّ للإنسان مطلوباً مفقوداً، و كثيرٌ منهم يستجدونه في الدنيا، ولكن كلّما يقربوا منها يبعدوا عنه، فكأنّهم حيارى في تيه العالم، أمّا الدعاء و التضرع فيقرّب الإنسان إلى حضرته تعالى، فيطمئنّ به، فلاحيرة له.

قال تعالى: ﴿أَ لا بذكر الله تطمئنّ القلوب﴾.[٣]

للآية دلالة واضحة على أنّ مقصود الإنسان و مطلوبه هو الله تعالى فقط، و ذلك لتقديم الجار و المجرور على متعلّقة و تقديم حرف التنبيه على الكّل.

ج: انّ الحياة الماديّة تجعل الإنسان في معرض السقوط فيحتاج آناً فآناً إلى العناية الالهيّة و لو لا تلك العناية يسقط و يهلك كما كرّر الله تعالى حكاية ذلك عن كبار الأنبياء في الذكر الحكيم تعليماً لنا.

فحكى عن يوسف عليه السلام: ﴿و إلّا تصرف عنّى كيدهنّ اصب اليهنّ و اكن من الجاهلين﴾.[٤]

١- الفرقان / ٧٧. ٢- بحار الانوار، ج ١٤، ص ٣٨٤، باب ٣٦، ذيل ح ٢.

٣- الرّعد / ٢٨. ٤- يوسف / ٣٣.

و شمول تلك العناية الإنسان يحتاج إلى الدّعاء و الذّكر و الصّلوة.

قال تعالى: ﴿انّ الصّلوة تنهى عن الفحشاء و المنكر و لذكر الله اكبر﴾.(١)

د: الصّلة بين العبد و الرب، يجعل العبد في نورٍ يرى به الاشياء، و لولاه ليكون أعمى في الدارين، و لانور إلّا نور الله تعالى،

قال تعالى: ﴿و من لم يجعل الله له نوراً فما له من نور﴾.(٢)

هذا مضافاً إلى ان تلك الصّلة من ألذّ الاشياء لأهل القلوب و لاصلة إلّا بالدعاء بمعناه العام الشامل للصلوة و التضرع و التوبه.

قال تعالى: ﴿تتجافي جنوبهم عن المضاجع يدعون ربّهم خوفاً و طمعاً و ممّارزقناهم ينفقون * فلا تعلم نفس ما اخفى لهم من قرّة اعين جزاءً بما كانوا يعملون﴾.(٣)

هـ: إدراك أن لاحقيقة لنفسه إلّا الفقر، و لاغنى إلّا للمولىٰ و عنده.

قال تعالى: ﴿يا ايّها النّاس انتم الفقراء إلى الله و الله هو الغنى الحميد﴾.(٤)

و ادراك هذا هو تمام مقام العبوديّة و هو افضل و اعلى المقامات، فلذا ورد أنّه كان من دعاء رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم:

اللّهمّ ارنى الاشياء كما هي.

و للدعاء أن يوصل الإنسان الداعى إلى هذا المقام المحمود.

و: الدعاء هو مغراس الفضائل و مقراض الرذائل و لو لم يكن الدّاعي ملتفتاً إلى هذا المقام السامى و إلى هذا اشارالله تعالى حيث قال:

﴿و إذا سئلك عبادى عنّى فانّى قريب اجيب دعوة الدّاع إذا دعان فليستجيبوا لى و ليؤمنوا بى لعلّهم يرشدون﴾.(٥)

١- العنكبوت / ٤٥. ٢- النّور / ٤٠. ٣- السّجدة / ١٦، ١٧. ٤- فاطر / ١٥.

٥- البقرة / ١٨٦

و الرشد المطلوب لله تعالى في هذه الآية الشريفة ليس إلّا تزكية النّفس و تهذيبها.

ز: من فوائد الدّعاء بمعناه العام، سلطان حكم الله على القلب، فيخرج الشيطان منه و يدخل صاحبه فيه.

قال تعالى: ﴿الله وليّ الّذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النّور﴾.(١)

و افضل ما يخلص القلب و ينوّره بنور الله هو الصلّة القائمة بينه و بين الله، المتضمّنة لجميع انحاءه.

ح: من العطايا الإلهيّة لعباده المخلصين هو الانقطاع عن النّاس و الابتهال إليه تعالى و هو و ان احتاج إلى طيّ المنازل الخمس و لايصل العبد إلى حضرة مولاه إلّا بتخطّيه هذه المنازل من التوبة و اليقظة و التخلية و التحلية و التجلية،

و الصّلة بين العبد و الربّ هو المنزل الثانى اعنى اليقظة و هي [illegible]مد [illegible]ليّ الطريق و المعين فيه، و ليس لأحدٍ أن يتخطّى خطوةً واحدةً في هذا الطريق إلّا بتلك الصلّة، و كلّما كانت أقوى كان السير أسرع.

قال تعالى: ﴿و لو لا فضل الله عليكم و رحمته ما زكى منكم من احد ابداً و لكن يزكّي من يشاء﴾.(٢)

و بالجملة، انّ الانقطاع عن النّاس و الابتهال و الاتّصال إلى الله تعالى هو التّوحيد الافعالى و هذا يختصّ بخواصّ عباده.

قال تعالى: ﴿و مايؤمن اكثرهم بالله و هم مشركون﴾.(٣)

و الوصول إلى هذه العطية يحتاج إلى الدّعاء و التوسّل.

ط: الاستدامة على الدعاء، يوجب الاستدامة على الذكر، و هي ممّا يؤكّد الذكر الحكيم عليه، و معناها الالتفات إلى أنّه بحضرته تعالى.

١- البقرة / ٢٥٧. ٢- النّور / ٢١. ٣- يوسف / ١٠٦.

قال تعالى: ﴿يا ايّها الّذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً * و سبّحوه بكرة و اصيلاً﴾.[١]

و هذا يختص بخاصّة أوليائه.

قال تعالى: ﴿في بيوت اذن الله ان ترفع و يذكر فيها اسمه يسبّح له فيها بالغدوّ و الآصال * رجال لا تلهيهم تجارة و لا بيع عن ذكر الله﴾.[٢]

ى: الهمّ والغمّ و الاضطراب، تلك المسألة الموهشة الّتي غرق سفينة الإنسان و لا سيّما الغربي منه فيها، و لا خلاص له منها، لا دواء لها إلّا تلك الصلّة بين الإنسان و بين ربّه، و لا صلة إلّا بالدعاء، حيث إنّ العلم قد أرقى إلى أعلى مدارجه في أوساطهم العلميّة و لكنّه بيد من لا يعرف الله و لا يخضع له تعالى، فأدّاهم العلم إلى الضلالة و الحرمان و لله درّ من قال:

تيغ دادن در كف زنگى مست　　　　به كه آرد علم را ناكس به دست

و لكنّ الإسلام قلع مادّة الفساد اوّلاً، ثمّ داوى هذا المرض بما ينجي الإنسان من هذه الورطة المظلمة.

توضيح ذلك على نحو الاجمال، انّ هذه المصيبة تنشأ من فضول العيش و توغلّ الإنسان فيه و من اتصافه ببعض رذائل الصفات كالحسد و الحقد و الكبر و حبّ الدّنيا بالمعنى العامّ و نحوها و من اغترافه الذّنب على الذنب، و الإسلام يكافح تلك المظاهر كلّها، كفاحاً لايُتصوّر أشدّ منه.

قال تعالى: ﴿و إذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها فحقّ عليها القول فدمّرناها تدميراً﴾.[٣]

و قال تعالى: ﴿يوم لا ينفع مال و لا بنون * إلّا من اتى الله بقلب سليم﴾.[٤]

١- الاحزاب / ٤١، ٤٢.　　٢- النّور / ٣٦، ٣٧.　　٣- الاسراء / ١٦.

٤- الشّعراء / ٨٩، ٨٨.

و قال تعالى: ﴿و اصحاب الشّمال ما اصحاب الشّمال * في سموم و حميم * و ظلّ من يحموم * لا بارد و لا كريم * انّهم كانوا قبل ذلك مترفين * و كانوا يصرّون على الحنث العظيم﴾.(١)

ثمّ يدعوا النّاس و يشجّعهم على إنشاد الصّلة بينهم و بين مصوّرهم في الأرحام و خالقهم في الأكوان.

قال تعالى: ﴿اَ لا انّ اولياء الله لا خوف عليهم و لا هم يحزنون﴾.(٢)

و قال تعالى: ﴿فايّ الفريقين احقّ بالامن ان كنتم تعلمون * الّذين آمنوا و لم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم الامن و هم مهتدون﴾.(٣)

و لا صلة بينهما في الإسلام أوثق من الدعاء المتضمّن للذكر و التوسّل و الانابة إليه تعالىٰ.

قال تعالى: ﴿اَلا بذكر الله تطمئنّ القلوب﴾.(٤)

هذا شطر من فوائد الدّعاء، فمن التفت إلى ما ذكرناه من فوائد الدّعاء لم ير تهافتاً و تعارضاً بين الدّعاء و فضيلة الرّضا بل يرى كلّ واحدٍ منهما يؤكّد الآخر بل يلازمه.

نعم في بادىء النظر يظهر التعارض بين طلب شيء خاصّ من الله تعالى أو طلب رفع بلاءٍ خاصٍّ منه، بتقريب ان الدّعاء يخالف الرّضا، لانّ الرّاضي هو الّذي يرضى بالبلاء و بالموجود، فطلب غير الموجود كطلب الغنى و الصحّة و الأمن، بدل الفقر و المرض و الخوف ينافي فضيلة الرّضا.

و لكنّ الكلام مغالطة واضحة لانّ المؤمن لا يرضى بالفقر و المرض و الخوف بل يرضى بقضاء الله و قدره، فرضى الله تعالى رضاه، والله تعالى لا يرضى لعباده الفقر و المرض و الخوف بل أمر الله تعالى ان يزيل العبد تلك البلايا بالاسباب، و من الاسباب الدّعاء و

١- الواقعة / ٤١ـ ٤٦. ٢- يونس / ٦٢. ٣- الانعام / ٨٢، ٨١. ٤- الرّعد / ٢٨.

التوسّل و التوبة و الانابة.

فرضى الله تعالى لعبده هو ان يدعو لرفع البلايا و لجلب النّعم كما يرضى الله تعالى ان يعمل العبد عملاً صالحاً ليكون غنيّاً و ان يداوى حتّى يشفى و ان يحارب العدوّ حتّى يحصل له الأمن، فمن لا يدعو الله لرفع تلك البلايا و لا يعمل عملاً يرفع تلك البلايا فقد ذهب سخط الله والله تعالى ماقت عليه و غير راض عنه.

قال تعالى: ﴿قل ما يعبأ بكم ربّى لو لا دعاؤكم﴾.(١)

و قال تعالى: ﴿و العصر * انّ الإنسان لفى خسر * إلّا الّذين آمنوا و عملوا الصّالحات﴾.(٢)

و لا يختصّ العمل الصّالح بالعبادات المعهودة بل السّعى و الجدّ لرفع الفقر و المرض و الخوف من افضل العبادات و من اظهر مصاديق العمل الصّالح.

هذا خلاصة من مباحث مفصّلة، و التّفصيل يحتاج إلى افراد كتاب ارجو من الله تعالى ان يوفّقنا له.

الامر الثالث من الخاتمة: قد مرّ الكلام في البحث عن هذه الفضيلة عن طريق تحصيلها إجمالاً و لكنّ الاتيان بتفصيله لا يخلو عن فائدة، فنقول:

انّ التوجّه و التنبّه بانّ لله تعالى نظاماً أتمّ لا يمكن تحوّله عمّا هو عليه و هو احسن نظامٍ مفروضٍ لايمكن اجود منه، يحصل للإنسان الرضا بقضائه تعالى، و يرفع عنه الخوف.

قال تعالى: ﴿ما اصاب من مصيبة في الأرض و لا في انفسكم إلّا في كتاب﴾.(٣)

و قال تعالى: ﴿ الّذي أحسن كلّ شيء خلقه ﴾.(٤)

و قال تعالى: ﴿قال ربّنا الّذي أعطى كلّ شيء خلقه ثمّ هدى﴾.(٥)

١- الفرقان / ٧٧. ٢- العصر / ١ ـ ٣. ٣- الحديد / ٢٢. ٤- السّجدة / ٧.

٥- طه / ٥٠.

أمّا المحبّون و هم الّذين ذاقوا حلاوة العبوديّة، فضلاً عن عشّاقه الّذين غرقوا في هذا البحر، فلا يرون إلّا الحسن المستحسن، و لسان حالهم يتفوّه دائماً بقولهم: ما رأينا في دار الوجود إلّا جميلاً.

قال تعالى: ﴿الّذين يذكرون الله قياماً و قعوداً و على جنوبهم و يتفكّرون في خلق السّموات و الأرض ربّنا ما خلقت هذا باطلاً﴾.[1]

و لاخصّ الخواصّ الّذين لا يعبدون الله إلّا له تعالى، و لا مقصد لهم في عباداتهم إلّا إيّاه، أو فقل: الّذين يعرفون رسم العبوديّة فوصلوا إلى مقام العبوديّة فهم يقولون:

یکی درد و یکی درمان پسندد   یکی وصل و یکی هجران پسندد

من از درمان و درد و وصل و هجران   پسندم آنچه را جانان پسندد

فهم الرّاضوان المرضيّون و لا نظر لهم إلّا إلى الله تعالى، فهم عند الله في هذه الدّنيا فضلاً عن الآخرة.

قال تعالى: ﴿يا ايّتها النّفس المطمئنّة * ارجعى إلى ربّك راضية مرضيّة * فادخلى في عبادى * و ادخلى جنّتى﴾.[2]

الامر الرّابع من الخاتمة: انّ لهذه الفضيلة فوائد شتّى و لو لم تكن لها فائدة إلّا قلع مادّة الخوف و الحزن عن القلب و غرس شجرة الاطمئنان و السكينة الطّيبة فيه، لكفاك فائدةً.

قال تعالى: ﴿ما اصاب من مصيبة في الأرض و لا في انفسكم إلّا في كتاب من قبل ان نبرأها انّ ذلك على الله يسير * لكيلا تأسوا على ما فاتكم و لا تفرحوا بما آتاكم﴾.[3]

و قال تعالى: ﴿اَ لا انّ اولياء الله لا خوف عليهم و لا هم يحزنون﴾.[4]

بل الّذين غرقوا في بحر المحبّة لا نظر لهم إلّا إلى الله و لا ينظرون إلى حلاوة الدّنيا بل و لا إلى حلاوة الآخرة فضلاً عن مرّها، فترى انّ امرئة فرعون قالت و هي في السلاسل و

١- آل عمران / ١٩١.   ٢- الفجر / ٢٧ ـ ٣٠.   ٣- الحديد / ٢٣، ٢٢.   ٤- يونس / ٦٢.

الاغلال: ﴿ربّ ابن لی عندك بيتاً في الجنّة و نجّني من القوم الظّالمين﴾.[١]

و ترى انّ القرآن الكريم يبيّن أحوال هؤلاء العشّاق الغرقا في وجه الله تعالى، انّهم لا نظر لهم إلّا إلى الله تعالى فهم الحيارى الّذين شكت الحوراء إلى الله تعالى من عدم التفاتهم إليهنّ.

قال تعالى: ﴿وجوه يومئذ ناضرة * إلى ربّها ناظرة﴾.[٢]

فهذا حالهم في آخرتهم و ذاك في دنياهم، فطوبى لهم و حسن مآب.

١- التحريم / ١١. ٢- القيامة / ٢٣، ٢٢.

روايات في الرّضا و التّسليم

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: رأس طاعة الله الصّبرو الرّضا عن الله فيما احبّ العبد اوكره و لا يرضى عبد عن الله فيما احبّ اوكره إلّا خيراً له فيما احبّ اوكره.[١]

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: انّ اعلم النّاس بالله ارضاهم بقضاء الله عزّوجلّ.[٢]

* عن عليّ بن الحسين عليه السلام قال: الصّبرو الرّضا عن الله رأس طاعة الله، و من صبرو رضى عن الله فيما قضى عليه فيما احبّ اوكره لم يقض الله عزّوجلّ له فيما احبّ أو كره إلّا ما هو خير له.[٣]

* عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: قال الله عزّوجلّ: انّ من عبادى المؤمنين عباداً لا يصلح لهم أمر دينهم إلّا بالغنى و السّعة و الصّحّة في البدن فابلوهم بالغنى و السّعة و صحة البدن فيصلح عليهم أمر دينهم، و انّ من عبادى المؤمنين نعباداً لا يصلح لهم أمر دينهم إلّا بالفاقة و المسكنة و السّقم في ابدانهم فابلوهم بالفاقة و المسكنة و السّقم، فيصلح عليهم أمر دينهم و انا اعلم بما يصلح عليه أمر دين عبادى المؤمنين، و انّ من عبادى المؤمنين لمن يجتهد في عبادتى فيقوم من رقاده و لذيذ وساده فيتهجّد لى اللّيالى فيتعب نفسه في عبادتى فأضربه بالنّعاس اللّيلة و اللّيلتين نظراً منّى له و ابقاء عليه. فينام حتّى يصبح فيقوم و هو ماقت لنفسه زارئ عليها و لو أُخلّي بينه و بين ما يريد من عبادتى

١- الكافي، ج ٢، ص ٦٠، ح ١.
٢- الكافي، ج ٢، ص ٦٠، ح ٢.
٣- الكافي، ج ٢، ص ٦٠، ح ٣.

لدخله العجب من ذلك فيصيّره العجب إلى الفتنة باعماله فيأتيه من ذلك ما فيه هلاكه لعجبه باعماله و رضاه عن نفسه، حتّى يظنّ انّه قد فاق العابدين و جاز في عبادته حدّ التّقصير، فيتباعد منّي عند ذلك و هو يظنّ انّه يتقرّب الىّ، فلا يتّكل العاملون على اعمالهم الّتي يعملونها لثوابي فانّهم لو اجتهدوا و اتعبوا انفسهم و افنوا اعمارهم في عبادتي كانوا مقصرين غير بالغين في عبادتهم كنه عبادتي فيما يطلبون عندي من كرامتي و النّعيم في جنّاتي و رفيع درجاتي العلى في جواري و لكن فبرحمتي فليثقوا و بفضلي فليفرحوا و إلى حسن الظّنّ بي فليطمئنّوا، فانّ رحمتي عند ذلك تداركهم، و منّي يبلّغهم رضواني، و مغفرتي تلبسهم عفوي، فانّي انا الله الرّحمن الرّحيم و بذلك تسمّيت.[١]

* قال أبو عبدالله عليه السلام: قال الله عزّوجلّ: عبدي المؤمن لا اصرفه في شيء إلّا جعلته خيراً له، فليرض بقضائي وليصبر على بلائي و ليشكر نعمائي اكتبه يا محمّد من الصّدّيقين عندي.[٢]

* عن أبي عبدالله عليه السلام: انّ فيما اوحى الله عزّوجلّ إلى موسى بن عمران عليه السلام: يا موسى بن عمران، ما خلقت خلقاً احبّ الىّ من عبدي المؤمن فانّي انّما ابتليه لما هو خير له و أُعافيه لما هو خير له و أزوي عنه ما هو شرّ له لما هو خير له، و انا اعلم بما يصلح عليه عبدي، فليصبر على بلائي و ليشكر نعمائي و ليرض بقضائي، اكتبه في الصّدّيقين عندي، إذا عمل برضائي و اطاع امري.[٣]

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: عجبت للمرء المسلم لا يقضي الله عزّوجلّ له قضاء إلّا كان خيراً له، و ان قرض بالمقاريض كان خيراً له، و ان ملك مشارق الأرض و مغاربها كان خيراً له.[٤]

١- الكافي، ج ٢، ص ٦٠، ح ٤.
٢- الكافي، ج ٢، ص ٦١، ح ٦.
٣- الكافي، ج ٢، ص ٦١، ح ٧.
٤- الكافي، ج ٢، ص ٦٢، ح ٨.

* عن أبي جعفر عليه السلام قال: احقّ خلق الله ان يسلّم لما قضى الله عزّوجلّ، من عرف الله عزّوجلّ، و من رضى بالقضاء اتى عليه القضاء و عظّم الله اجره، و من سخط القضاء مضى عليه القضاء و احبط الله اجره.[١]

* قال عليّ بن الحسين صلوات الله عليهما: الزّهد عشرة اجزاء، اعلى درجة الزّهد ادنى درجة الورع، و اعلى درجة الورع ادنى درجة اليقين، و اعلى درجة اليقين ادنى درجة الرّضا.[٢]

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: لقي الحسن بن عليّ عليه السلام عبدالله بن جعفر فقال: يا عبدالله كيف يكون المؤمن مؤمناً و هو يسخط قسمه و يحقّر منزلته و الحاكم عليه الله و انا الضّامن لمن لم يهجس في قلبه إلّا الرّضا ان يدعوالله فيستجاب له.[٣]

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قلت له: بايّ شيء يعلم المؤمن بانّه مؤمن؟ قال: بالتّسليم لله و الرّضا فيما ورد عليه من سرور أو سخط.[٤]

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: لم يكن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول لشيء قد مضى: لو كان غيره.[٥]

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال أميرالمؤمنين صلوات الله عليه: الايمان اربعة اركان: الرّضا بقضاء الله و التّوكّل على الله و تفويض الامر إلى الله و التّسليم لامرالله.[٦]

* قال أميرالمؤمنين عليه السلام: إذا لم يكن ما تريد فلا تبل ما كنت.[٧]

* قال أميرالمؤمنين عليه السلام: أغض على القذى و إلّا لم ترض أبداً.[٨]

١- الكافي، ج ٢، ص ٦٢، ح ٩.

٢- الكافي، ج ٢، ص ٦٢، ح ١٠.

٣- الكافي، ج ٢، ص ٦٢، ح ١١.

٤- الكافي، ج ٢، ص ٦٢، ح ١٢.

٥- الكافي، ج ٢، ص ٦٣، ح ١٣.

٦- الكافي، ج ٢، ص ٥٦، ح ٥.

٧- نهج البلاغة، صبحى الصالح، قصار الحكم ٦٩.

٨- نهج البلاغة، صبحى الصالح، قصار الحكم ٢١٣.

❊ قال أميرالمؤمنين عليه السلام: نعم القرين الرّضا.[١]

❊ قال أميرالمؤمنين عليه السلام: من رضى برزق الله لم يحزن على ما فاته.[٢]

❊ قال أبو عبدالله عليه السلام: رأس طاعة الله الرّضا بما صنع الله فيما أحبّ العبد و فيما كره، و لم يصنع الله بعبد شيئاً إلّا و هو خير له.[٣]

❊ عن أبي عبدالله عليه السلام قال: رأس طاعة الله الصّبر و الرّضا عن الله فيما أحبّ العبد أو كره، و لا يرضى عبد عن الله فيما أحبّ أو كره إلّا خيراً له فيما أحبّ أو كره.[٤]

❊ عن أبي عبدالله عليه السلام قال: الرّضا بمكروه القضاء من أعلى درجات اليقين.[٥]

❊ قال أميرالمؤمنين عليه السلام: من رضى من الله بما قسّم له استراح بدنه.[٦]

❊ عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله جلّ ثناؤه: ﴿فلا و ربّك لا يؤمنون حتّى يحكّموك﴾ قال: التّسليم و الرّضا و القنوع بقضائه.[٧]

❊ عن أبي عبدالله عليه السلام قال: الرّوح و الرّاحة في الرّضا و اليقين، و الهمّ و الحزن في الشّكّ و السّخط.[٨]

❊ قال الحسن بن علىّ عليه السلام: من اتّكل على حسن الاختيار من الله لم يتمنّ أنّه في غير

١- نهج البلاغة، صبحى الصالح، قصار الحكم ٤.
٢- نهج البلاغة، صبحى الصالح، قصار الحكم ٣٤٩.
٣- بحار الانوار، ج ٦٨، ص ١٣٩، باب ٦٣، ح ٢٨.
٤- بحار الانوار، ج ٦٨، ص ١٥٨، باب ٦٣، ح ٧٥.
٥- بحار الانوار، ج ٦٨، ص ١٥٢، باب ٦٣، ح ٦٠.
٦- بحار الانوار، ج ٦٨، ص ١٣٩، باب ٦٣، ح ٢٧.
٧- بحار الانوار، ج ٦٨، ص ١٥٧، باب ٦٣، ح ٧٥.
٨- بحار الانوار، ج ٦٨، ص ١٥٨، باب ٦٣، ح ٧٥.

الحال الّتي اختارها الله له.[١]

* قال الصادق عليه السلام: اعلموا انّه لن يؤمن عبد من عبيده حتّى يرضى عن الله فيما صنع الله إليه و صنع به على ما احبّ و كره و لن يصنع الله بمن صبر و رضى عن الله إلّا ما هو اهله و هو خير له ممّا احبّ وكره.[٢]

* قال الصادق عليه السلام: انّا قوم نسأل الله ما نحبّ فيمن نحبّ فيعطينا، فاذا احبّ ما نكره فيمن نحبّ رضينا.[٣]

* قال زين العابدين عليه السلام: الرّضا بالمكروه أرفع درجات المتّقين.[٤]

* انّ موسى عليه السلام قال: يا ربّ دلّني على عمل إذا انا عملته نلت به رضاك، فاوحى الله اليه: يا ابن عمران انّ رضاى في كرهك، و لن تطيق ذلك، قال: فخرّ موسى عليه السلام ساجداً باكياً فقال: يا ربّ خصصتنى بالكلام، و لم تكلّم بشراً قبلى، و لم تدلّنى على عمل انال به رضاك؟ فاوحى الله إليه انّ رضاى في رضاك بقضائى.[٥]

* عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم قال:.... قلت: يا جبرئيل ... فما تفسير الرّضا؟ قال: الرّاضى لا يسخط على سيّده اصاب الدّنيا ام لا، و لا يرضى لنفسه باليسير من العمل.[٦]

* قال أبو عبدالله عليه السلام: العبد بين ثلاث: بين بلاء و قضاء و نعمة، فعليه للبلاء من الله الصّبر فريضة، و عليه للقضاء من الله التّسليم فريضة، و عليه للنّعمة من الله الشّكر فريضة.[٧]

* عن علىّ بن موسى الرّضا عن ابيه عليه السلام قال: امرنى أبي يعنى أبا عبدالله عليه السلام ان آتى

١- بحار الانوار، ج ٧٥، ص ١٠٦، باب ١٩، ح ٤.
٢- بحار الانوار، ج ٧٥، ص ٢١٧، باب ٢٣، ح ٩٣.
٣- بحار الانوار، ج ٧٩، ص ١٣٣، باب ١٨، ح ١٦.
٤- بحار الانوار، ج ٧٩، ص ١٣٤،باب ١٨، ح ١٧.
٥- بحار الانوار، ج ٧٩، ص ١٣٤، باب ١٨، ح ١٧.
٦- بحار الانوار، ج ٧٤، ص ٢٠، باب ٢، ح ٤.
٧- بحار الانوار، ج ٧٩، ص ١٢٩، باب ١٨، ح ٧.

المفضّل بن عمر فاعزّيه باسماعيل، و قال: اقرأ المفضّل السلام و قل له: اصبنا باسماعيل فصبرنا فاصبر كما صبرنا، إذا اردنا امراً و اراد الله امراً سلّمنا لامر الله.(۱)

* قال أبو عبدالله عليه السلام: كلّ من تمسّك بالعروة الوثق فهو ناج، قلت: ماهى؟ قال: التّسليم.(۲)

* سئل أبو عبدالله عليه السلام: باى شيء علم المؤمن انّه مؤمن؟ قال: بالتّسليم لله و الرّضا بما ورد عليه من سرور و سخط.(۳)

* قال الباقر عليه السلام: انّا لنحبّ ان نعافي فيمن نحبّ فاذا جاء أمر الله سلّمنا فيما يحبّ.(٤)

* قال أبو عبدالله عليه السلام: إذا قال العبد لا حول و لا قوّة إلّا بالله، قال الله عزّوجلّ للملائكة: استسلم عبدى اقضوا حاجته.(٥)

* قال أبو عبدالله عليه السلام: إذا قال العبد ما شاء الله لا حول و لا قوّة إلّا بالله، قال الله: ملائكتى استسلم عبدى، اعينوه، أدركوه، اقضوا حاجته.(٦)

* قال أميرالمؤمنين عليه السلام في غرر الحكم:

اعلم النّاس بالله ارضاهم بقضائه.(۷)

من لم يرض بالقضاء دخل الكفر دينه.(۸)

ما دفع الله سبحانه عن المؤمن شيئاً من بلاء الدّنيا و عذاب الآخرة إلّا برضاه

۱- بحار الانوار، ج ۷۹، ص ۱۰۳، باب ۱٦، ح ٥۱.

۲- بحار الانوار، ج ۲، ص ۲۰٤، باب ۲٦، ح ۸۷.
۳- بحار الانوار، ج ۲، ص ۲۰۵، باب ۲٦، ح ۹۱.

٤- بحار الانوار، ج ٤٦، ص ۳۰۱، باب ٦، ح ٤٤.
٥- بحار الانوار، ج ۹۳، ص ۱۸۹، باب ٤، ح ۲۳.

٦- بحار الانوار، ج ۹۳، ص ۱۹۰، باب ٤، ح ۲٥.

۷- تصنيف غرر الحكم، طبع مكتب الاعلام الاسلامى، ص ۱۰۳، ح ۱۸۱۱.

۸- تصنيف غرر الحكم، طبع مكتب الاعلام الاسلامى، ص ۱۰۳، ح ۱۸۱٤.

بقضائه.[١]

الرّضا ينفى الحزن.[٢]

الرّضا ثمرة اليقين.[٣]

الدّين شجرة اصلها التّسليم و الرّضا.[٤]

اجدر الاشياء بصدق الايمان الرّضا و التّسليم.[٥]

كن راضياً تكن مرضيّاً.[٦]

الرّضا بقضاء الله يهوّن عظيم الرّزايا.[٧]

انّكم ان رضيتم بالقضاء طابت عيشتكم و فزتم بالغناء.[٨]

علامة رضا الله سبحانه عن العبد رضاه بما قضى به سبحانه له و عليه.[٩]

من رضى بالقضاء استراح.[١٠]

من حسن رضاه بالقضاء حسن صبره على البلاء.[١١]

١- تصنيف غرر الحكم، طبع مكتب الاعلام الاسلامى، ص ١٠٣، ح ١٨١٥.

٢- تصنيف غرر الحكم، طبع مكتب الاعلام الاسلامى، ص ١٠٣، ح ١٨٢٢.

٣- تصنيف غرر الحكم، طبع مكتب الاعلام الاسلامى، ص ١٠٣، ح ١٨٢٣.

٤- تصنيف غرر الحكم، طبع مكتب الاعلام الاسلامى، ص ١٠٣، ح ١٨٢٤.

٥- تصنيف غرر الحكم، طبع مكتب الاعلام الاسلامى، ص ١٠٣، ح ١٨٢٥.

٦- تصنيف غرر الحكم، طبع مكتب الاعلام الاسلامى، ص ١٠٣، ح ١٨٣٠.

٧- تصنيف غرر الحكم، طبع مكتب الاعلام الاسلامى، ص ١٠٣، ح ١٨٣٥.

٨- تصنيف غرر الحكم، طبع مكتب الاعلام الاسلامى، ص ١٠٣، ح ١٨٣٦.

٩- تصنيف غرر الحكم، طبع مكتب الاعلام الاسلامى، ص ١٠٤، ح ١٨٣٨.

١٠- تصنيف غرر الحكم، طبع مكتب الاعلام الاسلامى، ص ١٠٤، ح ١٨٣٩.

١١- تصنيف غرر الحكم، طبع مكتب الاعلام الاسلامى، ص ١٠٤، ح ١٨٤٢.

نعم الطّارد للهمّ الرّضا بالقضاء.(١)

ارض تسترح.(٢)

انّ الله سبحانه يجرى الأمور على ما يقتضيه لا على ما ترتضيه.(٣)

إذا لم يكن ما تريد فارد ما يكون.(٤)

انّ اهنأ النّاس عيشاً من كان بما قسّم الله له راضياً.(٥)

١- تصنيف غرر الحكم، طبع مكتب الاعلام الاسلامى، ص ١٠٤، ح ١٨٤٣.

٢- تصنيف غرر الحكم، طبع مكتب الاعلام الاسلامى، ص ١٠٤، ح ١٨٥١.

٣- تصنيف غرر الحكم، طبع مكتب الاعلام الاسلامى، ص ١٠٢، ح ١٧٨٧.

٤- غرر الحكم، طبع بيروت، ج ١، ص ٢٧٩، ح ٨٤.

٥- غرر الحكم، طبع بيروت، ج ١، ص ٢٨٤، ح ٢٢.

الرّذيلة الثّانية و الثّلاثون: الكراهة من قضاء الله تعالى

و هي ملكة تسلّط على القلب الكراهة من كلّ شيءٍ و السخط منه، فلا يرضى من قضاء الله تعالى كما لا يرى في افعال النّاس حَسَناً بل لايرى نفسه و اعماله إلّا قبيحةً غير مرضيٍّ منها، فلا يرضى من النّاس كما لا يرضى من نفسه و اعماله، فله قلب مكدّر و عين ساخطةٌ لاترى إلّا المساوى.

و لله درّه:

و عين الرّضا عن كلّ عيب كليلة   و لكنّ عين السّخط تبدى المساويا

و له لسان لا يتكلّم إلّا بالبذيّ من القول سخطاً على العالَم و مافيه بل له سمع لا يسمع به إلّا السلبيّات فكأنّ في الوجود ليس إلّا الشرور و الأعدام و كانّ قضاء الله تعالى و قدره الّذي لا يمكن فيه إلّا الحسن ليس إلّا القبيح هذه سيرة السّاخط، و هي كادت أن تكون كفراً بل عند أهل القلوب هي من مصاديق الكفر البارزة و هؤلاء الافراد كاهل الجحيم كلّما يخرجوا من غمّ يعودوا إلى غمّ آخر.

قال تعالى: ﴿كلّما ارادوا ان يخرجوا منها من غمّ اعيدوا فيها﴾.[1]

و قال تعالى: ﴿لا يزال الّذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة أو تحلّ قريباً من

١- الحج / ٢٢.

دارهم﴾.[١]

فهذه دنياهم و تلك هي أخراهم، لأن أخراهم باطن دنياهم، فدنياهم لا يـزال لهـم القارعة و أخراهم لا يزال تزيد لهم غمّاً على غمٍّ و قارعة على قارعة و ناراً بعد نار، اعاذنا الله من هذه الرّذيلة الموبقة.

و مع بالغ الأسف انّ أكثر النّاس متّصفون بهذه الرّذيلة و هي آخر ما يخرج عن قلوب المهذّبين و هي تلازم الكفران بنعم المنعمين عليه و البغضاء و الجزع و الفزع و سوء الادب بالنسبة إلى النّاس و سوء الظنّ بهم و الوسوسة و الحسد و نحو ذلك، كما تلازم معاصي موبقةٍ أخرى كالغيبة و النميمة و الشماتة بل التهمة بل الشرك في العمل و الكفر فيه و في القول و ترك اعانة المؤمنين وصلة الرّحم و نحو ذلك.

و بالجملة: أنّها من امّهات الرّذائل، و هذا هو سرّ جهد التنزيل العزيز لقلع هذه الشجرة الخبيثة عن نفوس أهل الايمان.

فقول الله تعالى: ﴿ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها﴾[٢] يشير إلى أنّه لو رُفع نعمةٌ أو أُخّرت إلى حين آخر، تُجبر بخيرٍ منها أو لااقلّ بمثلها، كما انّ الله تعالى لو نسخ حكماً من أحكامه أو أخّره لكانت المصلحة في ذلك و هو يجبره بأحسن منه.

فحكاية النبي موسى والعبد الصالح عليهما السلام في الذكر الحكيم تشير إلى نكاتٍ، منها: انّ وراء خرق السفينة الّتي كانت لقومٍ مساكين، لمصلحةٍ هي خير لهم من ابقاءها لهم.

قال تعالى: ﴿أمّا السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فاردت ان اعيبها و كان ورائهم ملك يأخذ كلّ سفينة غصباً﴾.[٣]

ومنها: انّ قتل الغلام كان خيراً لأبويه و ان لم يكونا عالمين به،

قال تعالى: ﴿و أمّا الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا ان يرهقهما طغياناً و كفراً *

١- الرّعد / ٣١. ٢- البقرة / ١٠٦. ٣- الكهف / ٧٩.

فاردنا ان يبدلهما ربّهما خيراً منه زكوة و أقرب رحماً﴾.[١]

و منها: انّ اقامتها الجدار و تحمّلهما مشقّته لم يكن بلعب و لغو بل فيه مصلحة مبرزةٌ له.

قال تعالى: ﴿و أمّا الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة و كان تحته كنز لهما و كان أبوهما صالحاً فاراد ربّك ان يبلغا اشدّهما و يستخرجا كنزهما رحمة من ربّك﴾.[٢]

و في هذه الحكاية لطائف أخرى، منها مراعاة أدب الحضرة في نسبة الفعل إليه تعالى و إلى نفسه، فنسب خرق السفينة إلى نفسه: «فاردت ان اعيبها» لانّه شرّ على الظاهر. و أمّا في اقامة الجدار فقد نسب الفعل إلى الله: «فاراد ربّك ان يبلغا اشدّهما» لانّه خير على الظاهر.

و أمّا في قتل الغلام فقد نسب الفعل إلى نفسه و إلى الله تعالى معاً: ﴿فخشينا ان يرهقهما طغياناً و كفراً﴾ لانّه شرّ من جهة و خير من جهة أخرىٰ، و هذه النكتة اللطيفة تشير إلى أنّ الخير كلّه بيده تعالى و لا مدخليّة لغيره فيه.

قال تعالى: ﴿قل اللّهمّ مالك الملك تؤتى الملك من تشاء و تنزع الملك ممّن تشاء و تعزّ من تشاء و تذلّ من تشاء بيدك الخير﴾.[٣]

و نظير الآيات في القرآن كثير حتّى يمكن أن يستفاد منها بوضوحٍ انّ البلايا لو لم تكن حصيلة أعمال النّاس و أفعالهم، فليست إلّا من ألطافه الخفيّة.

قال تعالى: ﴿و لنبلونّكم بشيء من الخوف و الجوع و نقص من الاموال و الانفس و الثمرات فبشّر الصّابرين * الّذين إذا اصابتهم مصيبة قالوا انّا لله و انّا إليه راجعون * اولئك عليهم صلوات من ربّهم و رحمة و اولئك هم المهتدون﴾.[٤]

فيجب على جميع المؤمنين مؤكّداً الجهد في رفع هذه الرذيلة، و هو بالتأمّل في هذه الآيات و نظائرها الكثيرة ليرسخ اليقين في القلب، فيصير الإنسان راضياً بقضائه تعالى و

١- الكهف / ٨٠، ٨١. ٢- الكهف / ٨٢. ٣- آل عمران / ٢٦. ٤- البقرة / ١٥٥ ـ ١٥٧.

قدره غير ساخطٍ عليه.

و أحسن من هذا الطّريق، هو طريق تحصيل حبّ الله تعالى الّذي يحرق كلّ رذيلة و يزيلها و يعدمها و يقلع عرقها عن النّفس و قد مرّ الكلام فيه.

و احسن من هذا الطريق الحسن أيضاً تحصيل العبوديّة بـالرّياضات الدّيـنيّة سيّما المستحبّات حتّى يرسخ في القلب مضافاً إلى رسوخه في العقل بالبرهان اللّمى و تلخيص البرهان:

انّ الله تعالى جواد كريم و انّه ارأف بعباده من انفسهم و انّه عليم بحال العباد و انّه اعلم بحالهم من انفسهم و انه قدير على كلّ شيء و انّه اقدر منهم لاعطاء الخيرات و رفع الشرور عنهم و انّه حكيم و ليس في صنعه نقصٌ بوجهٍ و انّه اشدّ حكمةً لعباده من انفسهم، فبعد ذلك يكون سيره في معاشه و حياته بلا اختيارٍ منه.

مقدّرى كه به گُل نكهت و به گِل جان داد   به هر كه هر چه سزا بود حكمتش آن داد

قال تعالى: ﴿الّذي أحسن كلّ شيء خلقه﴾.[١]

و هذه الرّذيلة مراتب شتّى ضعفاً و شدّة، فالمرتبة الضعيفة منها سخط القلب أو كراهته من قضائه تعالى التشريعيّة أو التكوينيّة، فمن كبرت عليه التكاليف و كرهها فهو في نظر أهل القلوب جحد بالربوبيّة التشريعيّة و ذنب هذا الجحد عندهم عظيم و من المؤسّف عليه شهادة الذكر العزيز بكونها كبيرة على النّاس إلّا على خواصّهم.

قال تعالى: ﴿و استعينوا بالصّبر و الصّلاة و انّها لكبيرة إلّا على الخاشعين﴾.[٢]

و من كبر عليه ما قدّر الله تعالى له و قضى جحد بالرّبوبية التكوينيّة و ذنب جحده عظيم ايضاً عند أهل القلوب لانّه يرجع بحسب الواقع إلى انكار حكمته البالغة و إلى انّه أراد غير ما أراد الله، أمّا المؤمن حقّاً فهو الّذي يشاء ما يشاءالله تعالى و بهذا يكون من اخصّ

١- السجدة / ٧.   ٢- البقرة / ٤٥.

الخواصّ.

قال تعالى: ﴿و ما تشاؤن إلّا ان يشاء الله﴾.[١]

و المرتبة الوسطى منها اظهار ما في قلبه من الكراهة أو السخط باللّسان و اقلّ ذلك التفوّه بلفظتي «ليت و لعلّ» فلذا حُكي عن أحوال الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم انّه لم يتكلّم بهاتين اللفظتين و من المؤسّف عليه وفور اللفظتين و أشباههما في أقوال النّاس حتّى الخواصّ منهم، و قد بالغ في استعمالهما الشعراء اظهاراً لسخطهم على ما قدّر لهم فيقصّرون الفلك تارةً و الدّنيا أخرى و النّاس ثالثة، خوفاً عن ابداء سخطهم على قضائه تعالى و من المعلوم كون هذا كلّه كفراً عند أهل القلوب و لكن أكثر النّاس حتّى الخواصّ منهم يتلبّسون به من غير ارادةٍ منهم. و بهذا اشار تعالى بقوله: ﴿و ما يؤمن اكثرهم بالله إلّا و هم مشركون﴾.[٢]

و هذا يدلّ على استحقاقنا للعقاب في الدارين، و إن لم نكن ملتفتين إليه.

قال تعالى: ﴿و لو يؤاخذ الله النّاس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابّة﴾.[٣]

فعلينا الاقرار بالتقصير و علينا التوبة و الانابة راجين منه تعالى أن يقبلها و علينا الاقرار بانّ عباداتنا و لو بلغت ما بلغت لا قيمة لها، لانّا عند أهل القلوب كافرون مشركون و قد عاهد الله تعالى ان لا يقبل عمل فاسق فضلاً عن كافر و مشرك.

قال تعالى: ﴿انّما يتقبّل الله من المتّقين﴾.[٤]

و قال تعالى: ﴿و من يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه﴾.[٥]

مضافاً إلى انّها قبال نعم الله تعالى و عفوه و رأفته و فضله ليست إلّا كالنمّ في اليم.

و أمّا المرتبة الأخيرة منها فهي السخط العملي، و المراد منه ترك المستحبّات بل الواجبات و الاتيان بالمكروهات بل المحرّمات.

١- الإنسان / ٣٠ و التكوير / ٢٩. ٢- يوسف / ١٠٦. ٣- فاطر / ٤٥.

٤- المائدة / ٢٧. ٥- آل عمران / ٨٥.

توضيح ذلك، انّ من ترك الصّلوة متعمّداً فقد كفر بها عملاً و ليس معناه إلّا السخط عليها و الكراهة منها بل من ضيّع الصّلوة و اخّرها من اوّل وقتها بلا عذر فهو أيضاً كافرٌ بها عملاً، فلذا نرى انّ القرآن نفى الايمان عن تارك الصلاة أو مؤخّرها إلى آخر وقتها و جعلها في كثيرٍ من الآيات من علائم الإيمان.

قال تعالى: ﴿ارأيت الّذي يكذّب بالدّين.... فويل للمصلّين الّذين هم عن صلاتهم ساهون﴾.[١]

و قال تعالى: ﴿فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم.... فان تابوا و اقاموا الصّلاة و آتوا الزكاة فخلّوا سبيلهم﴾.[٢]

و قال تعالى: ﴿و المؤمنون و المؤمنات بعضهم اولياء بعض يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر و يقيمون الصّلوة يؤتون الزكوة﴾.[٣]

و قال تعالى: ﴿و ويل للمشركين * الّذين لا يؤتون الزكوة و هم بالاخرة هم كافرون﴾.[٤]

و قال تعالى: ﴿انّما المؤمنون الّذين آمنوا بالله و رسوله ثمّ لم يرتابوا و جاهدوا باموالهم و انفسهم في سبيل الله اولئك هم الصّادقون﴾.[٥]

من اراد ان يحصل له المال و العزّ و الرئاسة و نحوها، من غير الحلال بل من الحرام فقد كفر بالله تعالى عملاً و جحد بربوبيّته و لااقلّ من أنه اشرك و اتّخذ ربّاً سواه كما أنّه تعالى في آيات كثيرة اطلق الكفر و الشرك على الفسق و هذا من أظهر مصاديقه.

قال تعالى: ﴿و من لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون﴾.[٦]

و قال تعالى: ﴿لا يزال الّذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة أو تحلّ قريباً من

١- الماعون / ٥ ـ ١.　　٢- التوبة / ٥.　　٣- التوبة / ٧١.　　٤- فصّلت / ٦، ٧.

٥- الحجرات / ١٥.　　٦- المائدة / ٤٤.

دارهم﴾.[١]

و قال تعالى: ﴿و ماكفر سليمان و لكنّ الشياطين كفروا يعلّمون النّاس السّحر﴾.[٢]

و قال تعالى: ﴿فمن يكفر بالطّاغوت و يؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى﴾.[٣]

و قال تعالى: ﴿يا بنيّ لا تشرك بالله انّ الشرك لظلم عظيم﴾.[٤]

و قال تعالى: ﴿و ما يؤمن اكثرهم بالله إلّا و هم مشركون﴾.[٥]

و قال تعالى: ﴿انّه ليس له سلطان على الّذين آمنوا و على ربّهم يتوكّلون * انّما سلطانه على الّذين يتولّونه و الّذين هم به مشركون﴾.[٦]

و نظير تلك الآيات في القرآن كثير جدّاً و قس على ذلك أنحاء المندوبات و المكروهات و المشتبهات لان من كبر عليه صلوة الليل فليس إلّا لتقدّم النوم عليها عنده و انّه عليها ساخط و من يقدّم النوم بين الطلوعين على قراءة القرآن و الدعاء و الاذكار و الاوراد فيه، فهل يكون معناه إلّا انّ النوم الذّ له منها نعوذ بالله من دقيق الحساب يوم الجزاء، فنرجو من الله تعالى ان يسامحنا في الحساب و الكتاب و يعاملنا كما آمله الشاعر في قوله:

خداوندا بحقّ هشت و چارت   زما بگذر شتر ديدى نديدى

و لكن اعلم انّ القرآن نزل لتهذيب الأخلاق حتّى نطيعه حقّ الطّاعة، فنكون مع النبيّ و أهل بيته عليهم السلام.

قال تعالى: ﴿و من يطع الله و الرسول فاولئك مع الّذين انعم الله عليهم من النبيّين و الصدّيقين و الشهداء و الصّالحين و حسن اولئك رفيقاً﴾.[٧]

لا مصداقاً للشعر المارّ ذكره آنفاً و في الختام نأتى بطائفةٍ من روايات الباب تتميماً للكلام، ليكون ختامه مسكاً.

١- الرّعد / ٣١.   ٢- البقرة / ١٠٢.   ٣- البقرة / ٢٥٦.   ٤- لقمان / ١٣.

٥- يوسف / ١٠٦.   ٦- النّحل / ٩٩، ١٠٠.   ٧- النّساء / ٦٩.

روايات في السّخط

❊ قال على بن الحسين عليه السلام: من عتب على الزّمان طال معتبته.[1]

❊ قال أميرالمؤمنين عليه السلام: ما اعجب هذا الإنسان مسرور بدرك ما لم يكن ليـفوته، محزون على فوت ما لم يكن ليدركه، و لو انّه فكّر لابصر، و علم انّه مدبّر، و انّ الرّزق عليه مقدّر، و لاقتصر على ما تيسّر، و لم يتعرّض لما تعسّر.[2]

❊ قال الصادق عليه السلام: من لم يرض بما قسّم الله عزّوجلّ اتّهم الله تعالى في قضائه.[3]

❊ عن أبي عبدالله عليه السلام قال: من رضى القضاء اتى عليه القضاء و هو مأجور، و من سخط القضاء اتى عليه القضاء و أحبط الله أجره.[4]

❊ قال أميرالمؤمنين عليه السلام في غرر الحكم:

أشدّ النّاس عذاباً يوم القيامة المستخطّ لقضاء الله.[5]

شرّ الأمور السّخط (التّسخّط) للقضاء.[6]

١- بحار الانوار، ج ٦٨، ص ١٥٥، باب ٦٣، ح ٦٩.

٢- بحار الانوار، ج ٧٥، ص ٥٤، باب ١٦، ح ٩٩.

٣- بحار الانوار، ج ٧٥، ص ٢٠٢، باب ٢٣، ح ٣٣.

٤- بحار الانوار، ج ٦٨، ص ١٣٩، باب ٦٣، ح ٢٦.

٥- تصنيف غرر الحكم، طبع مكتب الاعلام الاسلامى، ص ١٠٢، ح ١٧٨٨.

٦- تصنيف غرر الحكم، طبع مكتب الاعلام الاسلامى، ص ١٠٣، ح ١٨١٣.

من تسخّط بالمقدور حلّ به المحذور.[١]

من لم يصلح على اختيار الله (له) لم يصلح على اختياره لنفسه.[٢]

* قال أميرالمؤمنين عليه‌السلام في نهج البلاغة:

و لا يردّ امرك من سخط قضائك.[٣]

انّ الله سبحانه يقول: ﴿و اعلموا انّما اموالكم و اولادكم فتنة﴾، و معنى ذلك انّه يختبرهم بالاموال و الاولاد ليتبيّن السّاخط لرزقه، و الرّاضي بقسمه.[٤]

من اصبح على الدّنيا حزيناً فقد اصبح لقضاء الله ساخطاً.[٥]

* قال رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم: اَ لا فلا تفعلوا كما فعلت بنو اسرائيل، و لا تسخطوا نعم الله، و لا تقترحوا على الله، و إذا ابتلى احدكم في رزقه أو معيشته بما لا يحبّ فلا ينجذنّ شيئاً يسأله لعلّ في ذلك حتفه و هلاكه، و لكن ليقل: اللّهمّ بجاه محمّد و آله الطيّبين ان كان ما كرهته من امرى هذا خيراً لى و افضل في دينى فصبّرنى عليه و قوّنى على احتماله و نشّطنى للنّهوض بثقل اعبائه، و ان كان خلاف ذلك خيراً فجد علىّ به و رضّنى بقضائك على كلّ حال، فلك الحمد، فانّك إذا قلت ذلك، قدّر الله و يسرّ لك ما هو خير.[٦]

* عن أبي جعفر عليه‌السلام قال: احقّ من خلق الله بالتّسليم لما قضى الله، من عرف الله، و من رضى بالقضاء أتى عليه القضاء و عظّم عليه أجره، و من سخط القضاء مضى عليه

١- تصنيف غرر الحكم، طبع مكتب الاعلام الاسلامى، ص ١٠٣، ح ١٨١٨.

٢- تصنيف غرر الحكم، طبع مكتب الاعلام الاسلامى، ص ١٠٣، ح ١٨٣١.

٣- نهج البللاغة، صبحى الصالح، الخطبة ١٠٩.

٤- نهج البلاغة، صبحى الصالح، قصار الحكم ٩٣.

٥- نهج البلاغة، صبحى الصالح، قصار الحكم ٢٢٨.

٦- بحار الانوار، ج ٦٨، ص ١٤٩، باب ٦٣، ح ٤٦.

القضاء و أحبط الله أجره.[1]

* عن أبي الحسن الاوّل عليه السلام قال: ينبغى لمن عقل عن الله ان لا يستبطئه في رزقه و لا يتّهمه في قضائه.[2]

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: لقى الحسن بن علىّ عليه السلام عبدالله بن جعفر فقال: يا عبدالله كيف يكون المؤمن مؤمناً و هو يسخط قسمه و يحقّر منزلته و الحاكم عليه الله، فأنا الضّامن لمن لا يهجس في قلبه إلّا الرّضا ان يدعو الله فيستجاب له.

* و عنه عليه السلام قال: الرّوح و الرّاحة في الرّضا و اليقين، و الهمّ و الحزن في الشّكّ و السّخط، و قال عليه السلام: أُجرى القلم في محبّة الله فمن اصفاه الله بالرّضا فقد اكرمه، و من ابتلاه بالسّخط فقد أهانه، و الرّضا و السّخط خلقان من خلق الله و الله يزيد في الخلق ما يشاء.[3]

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: من صحّة يقين المرء المسلم ان لا يرضى النّاس بسخط الله و لا يلومهم على ما لم يؤته الله، فانّ الرّزق لا يسوقه حرص حريص و لا يردّه كراهية كاره، و لو انّ احدكم فرّ من رزقه كما يفرّ من الموت لادركه رزقه كما يدركه الموت، ثمّ قال: انّ الله بعدله و قسطه جعل الرّوح و الرّاحة في اليقين و الرّضا و جعل الهمّ و الحزن في الشّك و السّخط.[4]

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال أميرالمؤمنين صلوات الله عليه على المنبر: لا يجد احدكم طعم الايمان حتّى يعلم انّ ما اصابه لم يكن ليخطئه و ما اخطأه لم يكن ليصيبه.[5]

* عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام قال: كان في الكنز الّذي قال الله عزّوجلّ: ﴿و كان تحته

١- بحار الانوار، ج ٦٨، ص ١٥٣، باب ٦٣، ح ٦٣.

٢- بحار الانوار، ج ٦٨، ص ١٥٤، باب ٦٣، ح ٦٤.

٣- بحار الانوار، ج ٦٨، ص ١٥٩، باب ٦٣، ح ٧٥.

٤- الكافي، ج ٢، ص ٥٧، باب فضل اليقين، ح ٢.   ٥- الكافي، ج ٢، ص ٥٨، باب فضل اليقين، ح ٤.

كنز لهما﴾ كان فيه بسم الله الرّحمن الرّحيم عجبت لمن أيقن بالموت كيف يفرح و عجبت لمن أيقن بالقدر كيف يحزن و عجبت لمن رأى الدّنيا و تقلّبها بأهلها كيف يـركن اليهـا و ينبغى لمن عقل عن الله ان لا يتّهم الله في قضائه و لا يستبطئه في رزقه، فقلت: جعلت فداك أُريد أن أكتبه، قال: فضرب و الله يده إلى الدّواة ليضعها بين يدى، فتناولت يده، فقبّلتها و أخذت الدّواة فكتبته.[١]

١- الكافي، ج ٢، ص ٥٩، باب فضل اليقين، ح ٩.

الفصل الثّاني و الثلاثون

الفضيلة الرّابعة و الثلاثون: التوكّل و الاعتماد على الله تعالى

الرّذيلة الثّالثة و الثّلاثون: الاعتماد على غير اللّه تعالى

الفضيلة الرّابعة و الثلاثون: التوكّل و الاعتماد على الله

التوكّل هو الاعتماد على الله و الثقة به تعالى بعد تهيئة الاسباب بالمقدور و قد أمر الله تعالى به في ما يزيد على ثلاثين آية.

قال تعالى: ﴿ربّ المشرق و المغرب لا اله إلّا هو فاتّخذه وكيلاً﴾.[1]

و قال تعالى: ﴿و على الله فيتوكّل المتوكّلون﴾.[2]

و قال تعالى: ﴿حسبنا الله و نعم الوكيل﴾.[3]

و له مراتب:

الف: ان يهيّىء الاسباب معتمداً على الله لا على تلك الاسباب نظير من يعبد الله معتمداً على فضله و كرمه تعالى لاعلى عباداته، فيكتسب و يحرث و يتعلّم من غير اعتماد على ذلك و ليس يرجو إلّا إيّاه تعالى، و إلى هذا أشير في آياتٍ؛

منها قوله تعالى: ﴿و شاورهم في الامر فاذا عزمت فتوكّل على الله﴾.[4]

و قال تعالى: ﴿و ان جنحوا للسلم فاجنح لها و توكّل على الله﴾.[5]

١- المزمّل / ٩. ٢- ابراهيم / ١٢. ٣- آل عمران / ١٧٣. ٤- آل عمران / ١٥٩.

٥- الانفال / ٦١.

و قال تعالى: ﴿اذ تستغيثون ربّكم فاستجاب لكم انّى ممدّكم بالف من الملائكة مردفين * و ما جعله الله إلّا بشرى و لتطمئنّ به قلوبكم و ما النصر إلّا من عند الله انّ الله عزيز حكيم﴾.[۱]

ب: أن يهيىء الأسباب مستيقناً انّه لا حول و لا قوّة إلّا بالله تعالى فتوجيه الاسباب نحو المطلوب و فعليّتها و رفع الموانع ليس إلّا منه تعالى، فهو مسبّب الاسباب و موجّهها و هو الموفّق للامور كلّها كما هو رافع الموانع و دافعها، و لقد اشار تعالى إلى ذلك في آيات كثيرة،

قال تعالى: ﴿و ان يمسسك الله بضرّ فلا كاشف له إلّا هو و ان يمسسك بخير فهو على كلّ شيء قدير﴾.[۲]

و قال تعالى: ﴿و ان يمسسك الله بضرّ فلا كاشف له إلّا هو و ان يردك بخير فلا رادّ لفضله يصيب به من يشاء من عباده و هو الغفور الرّحيم﴾.[۳]

و قال تعالى: ﴿قل اللّهمّ مالك الملك تؤتى الملك من تشاء و تنزع الملك ممّن تشاء و تعزّ من تشاء و تذلّ من تشاء بيدك الخير انك على كلّ شيء قدير﴾.[٤]

ج: ان يهيّيء الاسباب و لكنّها ليست عنده إلّا كسراب بقيعة يحسبه الظمأن ماءً بل وجودها و وجود ما سواه تعالى يكون عنده كذلك فيرى دنوّها و دنوّ عالم الامكان بأسره من الناسوت إلى الجبروت.

و بعبارة أخرى، يرى قيّوميّة الحقّ تعالى على الاسباب بأجمعها، فلا شيء إلّا و هو قائمٌ به تعالى، و إلى هذه المرتبة العُليا أشير في آيات كثيرة:

قال تعالى: ﴿يا ايّها النّاس انتم الفقراء إلى الله و الله هو الغنىّ الحميد﴾.[٥]

۱- الانفال / ۹، ۱۰. ۲- الانعام / ۱۷. ۳- يونس / ۱۰۷. ٤- آل عمران / ۲٦.

٥- فاطر / ۱٥.

و قال تعالی: ﴿قل ا غير الله اتّخذ وليّاً فاطر السموات و الارض﴾.[١]

و قال تعالی: ﴿و إليه يرجع الامر كلّه فاعبده و توكّل عليه﴾.[٢]

و قال تعالی: ﴿فان تولّوا فقل حسبی الله لا اله إلّا هو عليه توكّلت و هو ربّ العرش العظيم﴾.[٣]

ثمّ لا يخفى ان التوكّل حصيلة التوحيد الافعالی و مراتبه كما اشار إليه الآيـات المـارّ ذكرها.

فما قيل: «اوّل العلم معرفة الجبّار و آخر العلم تفويض الامر اليه»، كلام صحيح مطابقٌ للنصّ و الاعتبار و يدلّ عليه رواياتٌ كثيرة سيأتی ذكر بعضها.

فمن استيقن بالبراهين القطعيّة انّه لا مؤثّر في الوجود إلّا الله تعالی و هو الحقّ و غيره باطل، و هو الغنیّ و غيره الفقير بل ليس إلّا الفقر المحض فليس في الدّار غيره ديّار، حصل له المرتبة الاولی من التوكّل المصطلح عليه بعلم اليقين.

قال تعالی: ﴿سنريهم آياتنا في الافاق و في انفسهم حتّی يتبيّن لهم انّه الحقّ﴾.[٤]

و من شهد بالشهود القلبی و الحضوری تلك اللطيفة العظمی أي: كونه تعالی حقّاً مبيناً و كون غيره باطلاً محضاً كما انّه الغنیّ المطلق و غيره فقر محض، حصل له المرتبة الثانية من التوكّل المصطلح عليه بعين اليقين.

قال تعالی: ﴿أَو لم يكف بربّك انّه على كلّ شيء شهيد﴾.[٥]

و من ذاق حلاوة هذه و وجدها، كالعطشان وجد ماءً، و الهائم وجد طريقاً إلى محبوبه، و كمن وجد معنی قوله تعالی: «انّ الله يحول بين المرء و قلبه»،[٦] حصل له المرتبة الثالثة من التوكّل المصطلح عليه بحقّ اليقين.

١- الانعام / ١٤. ٢- هو د / ١٢٣. ٣- التوبة / ١٢٩. ٤- فصّلت / ٥٣.

٥- فصّلت / ٥٣. ٦- الانفال / ٢٤.

قال تعالى: ﴿اَ لا انّهم في مرية من لقاء ربّهم اَ لا انّه بكلّ شيء محيط﴾.[١]

فطوبى له و حسن مآب بل طوبى لمن حصّل المرتبة الثانية منه أيضاً.

قال تعالى: ﴿فلمّا جائها نودى ان بورك من في النّار و من حولها و سبحان الله ربّ العالمين﴾.[٢]

ثمّ انّ علماء الأخلاق لمّا لم يهتمّوا بتهيئة الاسباب نظراً إلى التّوحيد المحض فوقعوا في توجيهاتٍ عجيبة، حيث لايقع أمرٌ في العالَم إلّا بأسبابه، كما قد جرت عليه السّنة الإلهيّة، و هذا غلطٌ آخر بعد غلط، لانّ توجيه الغلط غلط آخر و وقوعهم فيه ليس إلّا لحذفهم ما يكون بمنزلة الرّسم في التعريف و هو تهيئة الاسباب، فابقائها في مراتب التوكّل ضروری لابد منه.

فقول رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم للاعرأبي الّذي سأله عن العقال و التوكّل أو الاطلاق والتوكّل: اعقلها و توكّل[٣] هو تعريف التوكّل فالعقال في المثال بمنزلة الرسم و لا معنى للتعريف من دون فصل أو من دون رسم.

نعم، نُقل عن بعض حالات الكمّلين ما ينافي ذلك، فهو على فرض صحّته إمّا من باب الاستثناء في القانون أو من باب الانقطاع إلى الله تعالى أو عن الاسباب.

توضيح ذلك، انّ الله تعالى قد يوجد شيئاً بلا سبب ظاهرٍ خرقاً للعادة، ليعلّمنا ان الله بكلّ شيء قدير و انّه بكلّ شيء محيط، كما ذُكر في المعاجز و خوارق العادات و هذا القسم من الايجاد استثناء في القانون لانّ الله تعالى يأبى ان يجرى الأمور إلّا باسبابها و قد ادّعى سيّدنا الاستاذ في الميزان انّ لهذه الأمور اسباباً خفيّة فلا شيء إلّا بما يناسبه من الأسباب و هذا كلامٌ تحقيقه يحتاج إلى مقالٍ آخر.

كما و قد يوجد شيءٌ بانقطاعه إلى الله تعالى انقطاعاً كاملاً فالانقطاع هذا هو السبب

١- فصّلت / ٥٤. ٢- النّمل / ٨. ٣- سنن الترمذى، كتاب صفة القيامة، ح ٢٤٤١.

لوجوده بينما يُخيّل إلينا انّه وجد بلا سبب و ذلك لان الاسباب لا تنحصر بالاسباب الظاهرة كما سيأتي توضيح ذلك بتفصيلٍ لائقٍ انشاءالله، بل الدعاء و الابتهال إليه تعالى و الصدقات و نحوها تعدّ من الاسباب و النسبة بين السّببين ليس إلّا كواحدٍ بالنسبة إلى الآلاف و من تلك الاسباب المعنويّة كمال الانقطاع إلى الله تعالى و لعلّ ما روى من ان ابراهيم عليه‌السلام كان اوابّاً منيباً فحين ارادوا ان يحرقوه نزل عليه جبرئيل عليه‌السلام و قال له: هل لك من حاجة؟ قال: أمّا إليك فلا، حسبي الله و نعم الوكيل، فاستقبله ميكائيل فقال: ان اردت اخمدت النار فانّ خزائن الامطار و المياه بيدي، فقال لا اريد، و اتاه ملك الريح فقال: لو شئت طيرت النار، فقال: لا اريد، فقال جبرئيل: فاسئل الله، فقال: حسبي من سؤالي علمه بحالي[1] يكون من هذا القبيل، و لقد اشار الله إليه بقوله: ﴿و من يتّق الله يجعل له مخرجاً * و يرزقه من حيث لا يحتسب و من يتوكّل على الله فهو حسبه انّ الله بالغ امره قد جعل لكلّ شيء قدراً﴾.[2]

و قد يوجد شيءٌ بالاسباب الخفيّة منها انقطاع العبد إلى الله لما يرى عجزه من تهيئة الأسباب، و لعلّ الانقطاع هذا يُعدّ أيضاً من الأسباب.

و بهذا القسم اشار تعالى ايضاً بقوله: ﴿فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلمّا نجّاهم إلى البرّ إذا هم يشركون﴾.[3]

فتلخّص من جميع ما ذكرناه ان تهيئة الأسباب بالمقدور لا ينافي التوكّل، بل يلازمه فمن لا يهيّء الاسباب فليس بمتوكّل بل هو ملومٌ في روايات أهل البيت عليهم‌السلام و سيأتي ذكر بعضها، منها ما روى عن النبيّ و الوليّ عليه‌السلام.

عن رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم: انّه رأى قوماً لا يزرعون، قال ما انتم؟ قالوا: نحن المتوكّلون،

١- بحار الانوار، ج ٦٨، ص ١٥٥، باب ٦٣، ح ٧٠.

٢- الطلاق / ٢، ٣.

٣- العنكبوت / ٦٥.

قال: لا بل انتم المتّكلون.[۱]

و عن أميرالمؤمنين عليه السلام انّه مرّ يوماً على قوم فرآهم اصحّاء جالسين في زاوية المسجد، فقال عليه السلام: من انتم؟ قالوا: نحن المتوكّلون، قال عليه السلام: لا بل انتم المتأكّلة.[۲]

ثمّ انّ الاسباب و ان كانت طرّاً بيد الله تعالى إلّا انّ الله تعالى أمر ان نوسّط في سببيّة بعض الأسباب و لكن المقدور منها لنا نذرٌ يسيرٌ بالنسبة إلى غير المقدور منها، هذا كما تُشاهد في زرع حبّةٍ، حيث لنا ان نمهّد الظروف لزرعها، ولكن لنموّها اسباباً أُخر ليست بأيدينا ولله درّ من قال:

ابر و باد و مه و خورشيد و فلك دركارند   تا تو نانى به كف آرى و به غفلت نخورى

همه از بهر تو سر گشته و فرمان بردار   شرط انصاف نباشد كه تو فرمان نبرى

فالزارع هو الله، كما أنّه هو الخالق فقط، و المحيي و الموجد، هذا على سبيل الحصر، و ليس لأحد أن يدّعى مشاركته فيها.

و خلاصة الكلام انّه الربّ و غيره كلّهم مربوبون، و آخر دعوانا ان الحمد لله ربّ العالمين.

تهيئة العبد الاسباب لا تنحصر في تهيئته الظاهريّة منها فحسب، بل الظاهر من نصوص الوحى و كلمات أهل العصمة عليهم السلام انّ التّقوى و الانفاق و قضاء حوائج المؤمنين و ادخال السرور في قلوبهم و الدعاء و التوبة و الشكر و الانابة و التوسّل و العبادة سيّما الصّلوة و اداء الحقوق الواجبة و الصّدقات و نحوها تُعدّ منها بل نفس التوكّل على الله سبب و هو من أعظم الاسباب! و نحن نذكر هنا بعض تلك الآيات و الرّوايات.

۱- مستدرك الوسائل، ج ۱۱، باب ۱۱ من أبواب جهاد النّفس، ص ۲۱۷، ح ۱۱.

۲- مستدرك الوسائل، ج ۱۱، باب ۱۱ من أبواب جهاد النّفس، ص ۲۲۰، ح ۲۰.

قال تعالى: ﴿و من يتّق الله يجعل له مخرجاً * و يرزقه من حيث لا يحتسب﴾.[١]

و قال تعالى: ﴿و لو انّ أهل القرى آمنوا و اتّقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء الارض﴾.[٢]

و قال تعالى: ﴿و مثل الّذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات الله و تثبيتاً من انفسهم كمثل جنّة بربوة اصابها وابل فآتت اكلها ضعفين فان لم يصبها وابل فطلّ و الله بما تعملون بصير﴾.[٣]

و قال تعالى: ﴿ادعونى استجب لكم﴾.[٤]

و قال تعالى: ﴿استغفروا ربّكم انّه كان غفّاراً * يرسل السّماء عليكم مدراراً * و يمددكم باموال و بنين و يجعل لكم جنّات و يجعل لكم انهاراً﴾.[٥]

و قال تعالى: ﴿لئن شكرتم لازيدنّكم و لئن كفرتم انّ عذابى لشديد﴾.[٦]

و قال تعالى: ﴿يا ايّها الّذين آمنوا اتّقوا الله و ابتغوا إليه الوسيلة﴾.[٧]

و قال تعالى: ﴿و استعينوا بالصّبر و الصّلاة﴾.[٨]

و قال الله تعالى: ﴿من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى و هو مؤمن فلنحيينّه حيٰوة طيّبة و لنجزينّهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون﴾.[٩]

و قال تعالى: ﴿يا ايّها الّذين آمنوا استجيبوا لله و للرّسول إذا دعاكم لما يحييكم﴾.[١٠]

و قال تعالى: ﴿و من يتوكّل على الله فهو حسبه﴾.[١١]

و قال تعالى: ﴿فعلى الله توكّلت فاجمعوا امركم و شركاؤكم ثم لا يكن امركم عليكم

١- الطلاق / ٢، ٣. ٢- الاعراف / ٩٦. ٣- البقرة / ٢٦٥. ٤- غافر / ٦٠.
٥- نوح / ١٠ـ ١٢. ٦- ابراهيم / ٧. ٧- المائدة / ٣٥. ٨- نحل / ٩٧.
٩- نحل / ٩٧. ١٠- الانفال / ٢٤. ١١- الطلاق / ٣.

غمّة﴾.[١]

و قال تعالى: ﴿ان تتّقوا الله يجعل لكم فرقاناً﴾.[٢]

و قال تعالى: ﴿و من يتّق الله يجعل له مخرجاً * و يرزقه من حيث لا يحتسب﴾.[٣]

و قال تعالى: ﴿و من يتّق الله يجعل له من امره يسراً.... سيجعل الله بعد عسر يسراً﴾.[٤]

فمعنى التوكّل في هذه الأمور المعنويّة ايضاً هو الاعتماد على الله تعالى بحيث لا يرى تلك الأمور الهامّة إلّا اسباباً بمراتبها الثلاثة الّتي مرّ ذكرها، فلذا ترى ان الله تعالى في تلك الآيات نسب الفعل إلى نفسه و جعل التقوى و الاستغفار كوسيلةٍ، لا غيرها بل صرّح بذلك في قوله: ﴿يا ايّها الّذين آمنوا اتّقوا الله و ابتغوا إليه الوسيلة﴾.[٥]

ثمّ ان هذه الفضيلة العظمى تلازم فضائل أخرى كقوّة الإرادة و الشهامة و الشجاعة و طمئنينة النّفس و الرّضا بقضاء الله و قدره تعالى و السكينة و الوقار و عفّة النّفس و القناعة و السّخاء و النّصح و الوفاء و غيرها من الفضائل.

فلا محالة يزيل كثير من الرذائل من المتوكّلين فانّ المتوكّل كما يُهذّب عن الاعتماد على غير الله الّذي هو ضدّ التوكّل يُهذّب عن ضعف الإرادة و عن الجبن و الخوف و الاضطراب و الهمّ و الغمّ و عن السخط على و غيره السفاهة و الدنائة و الحرص و الطمع و الحسد و نحو ذلك من الرّذائل كما قد اشير إلى تهذيبه عنها و تزيّنه بها في عدّة من النصوص، كقوله تعالى: ﴿انّه ليس له سلطان على الّذين آمنوا و على ربّهم يتوكّلون * انّما سلطانه على الّذين يتولّونه﴾.[٦]

١- يونس / ٧١. ٢- الانفال / ٢٩. ٣- الطلاق / ٢، ٣. ٤- الطلاق / ٤ و ٧.

٥- المائدة / ٣٥. ٦- النّحل / ٩٩، ١٠٠.

و من الرّوايات قول الجواد عليه السلام: الثّقة بالله ثمن لكلّ غال و سلّم إلى كلّ عال.[١]

هذا بحسب الكلّيّة، و أمّا بالنسبة إلى أجزاء الفضائل فنكتفي هنا بذكر روايات حتّى ترى صدق مقالنا:

١ ـ سأل النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم عن جبرئيل، ما التوكّل على الله عزّوجلّ؟ فقال: العلم بانّ المخلوق لا يضرّ و لا ينفع و لا يعطى و لا يمنع و استعمال اليأس من الخلق فاذا كان العبد كذلك لم يعمل لاحد سوى الله و لم يرج و لم يخف سوى الله و لم يطمع في احد سوى الله فهذا هو التوكّل.[٢]

٢ ـ عن أمير المؤمنين عليه السلام في الغرر: من توكّل على الله ذلّت له الصّعاب و تسهّلت عليه الاسباب و تبوّء خفض و الكرامة.

٣ ـ و عنه ايضاً: من توكّل على الله سبحانه اضائت له الشبهات و كفي المؤنات و امن التبعات.

٤ ـ قال الباقر عليه السلام: من توكّل على الله لا يغلب و من اعتصم بالله لا يهزم.[٣]

٥ ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: من احبّ ان يكون اقوى النّاس فليتوكّل على الله.[٤]

و نظير هذه الرّوايات كثير و نحن نذكر بعضها في ختام هذا المبحث انشاء الله تعالى.

نتيجة البحث عن هذه الفضيلة

انّه لو لم يكن للتّوكّل جدوىً إلّا نصرة الحقّ سيّما في الابتلائات و الفتن لكفى به نتاجاً و قد وعد الله تعالى بتلك النّصرة في آيات، منها:

١- بحار الانوار، ج ٧٥، ص ٣٦٤، باب ٢٧، ذيل حديث ٥.

٢- بحار الانوار، ج ٦٨، ص ١٣٨، باب ٦٣، ح ٢٣.

٣- بحار الانوار، ج ٦٨، ص ١٥١، باب ٦٣، ذيل حديث ٥١.

٤- بحار الانوار، ج ٦٨، ص ١٥١، باب ٦٣، ذيل حديث ٥١.

قوله تعالى: ﴿و من يتوكّل على الله فهو حسبه﴾.[١]

بل جميع الآيات النازلة في التوكّل و فضله و الأمر به يتضمّن ذلك الوعد بتلازم جليّ لا يُنكر، و بعبارة أخرى انّها تدلّ على تضمّن الهداية العنائيّة الالهيّة للمتوكّلين و تفضّله الخاصّ عليهم.

و تلك الهداية العنائيّة توجب ان لا يخذله الشّياطين الانسيّة و الجنّيّة فلو أجمعوا عليه ما هم من العُدّة و العِدّة لا سلطان هم عليه.

قال الله تعالى: ﴿فعلى الله توكّلت فاجمعوا امركم و شركائكم ثمّ لا يكن امركم عليكم غمّة ثم اقضوا اليّ و لا تنظرون﴾[٢]

و قال تعالى: ﴿أَ لا انّ اولياء الله لا خوف عليهم و لا هم يحزنون﴾.[٣]

و قال تعالى: ﴿انّه ليس له سلطان على الّذين آمنوا و على ربّهم يتوكّلون﴾.[٤]

فلذا يترائى من آيات كثيرة يأس الشيطان من بدأ الأمر عن السلطة عليهم.

قال تعالى: ﴿قال فبعزّتك لأغوينّهم أجمعين إلّا عبادك منهم المخلصين﴾.[٥]

هذا من نتائج هذه الفضيلة اللامعة، و لها غيرها يلازمها و لا ينفكّ عنها.

تتميم للبحث و توضيح له

الانقطاع إلى الله تعالى حالة لطيفة عنائية فطريّة و هي موجودة في عمق نفس الإنسان تظهر جليّاً عند اليأس عن الاسباب الظاهرة فحينئذٍ يغفل عن الاسباب الظاهرة و ينقطع عن غير الله تعالى فلا يرى سبباً إلّا إيّاه تعالى.

قال تعالى: ﴿فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدّين فلمّا نجّيٰهم إلى البرّ إذا هم يشركون﴾.[٦]

١- الطلاق / ٣. ٢- يونس / ٧١. ٣- يونس / ٦٢. ٤- النحل / ٩٩.

٥- ص / ٨٢. ٦- العنكبوت / ٦٥.

و هي تظهر جليّاً أيضاً عند الدّعاء و الانابة إليه تعالى و يقال لها: التبتّل و يُجاب من قبله تعالى لو كان من صميم نيّته.

قال تعالى: ﴿و اذكر اسم ربّك و تبتّل إليه تبتيلاً﴾.(١)

و هي تظهر جليّاً أيضاً بكثرةٍ لعباد الله الصالحين و يقال لها التفويض و الاعتصام.

قال تعالى: ﴿و افوّض امرى إلى الله انّ الله بصير بالعباد﴾.(٢)

و للآيات و الروايات ظهورٌ تامٌّ في أنْ لا ضرر لما سوى الله على المفوّض أمره إليه تعالى و لو أجمعوا عليه،

قال تعالى: ﴿فوقاه الله سيّئات ما مكروا و حاق بآل فرعون سوء العذاب﴾.(٣)

و قال تعالى: ﴿و ينجّى الله الّذين اتّقوا بمفازتهم لا يمسّهم السّوء و لا هم يحزنون * الله خالق كلّ شيء و هو على كلّ شيء وكيل * له مقاليد السموات و الارض﴾.(٤)

و من الرّوايات قول أبي عبدالله عليه السلام: اوحى الله عزّوجلّ إلى داود عليه السلام: ما اعتصم بى عبد من عبادى دون احد من خلقى عرفت ذلك من نيّته ثم تكيده السّموات و الأرض و من فيهنّ إلّا جعلت له المخرج من بينهنّ، و ما اعتصم عبد من عبادى باحد من خلق عرفت ذلك من نيّته إلّا قطعت اسباب السموات و الأرض من يديه و اسخت الأرض من تحته و لم أبال بايّ واد هلك.(٥) و بالجملة، حالة التفويض إلى الله و الاعتصام به حالة فريدةٌ شاذّة فطرية قد تظهر للانسان و هي من اكمل مراتب التوحيد الافعالى فحينئذ ان شئت قلت: انّ تلك الحالة مرتبة رابعة من مراتب التوكّل تختصّ في بعض الأحيان ببعض المتوكّلين البالغين أعلى مراتبه. فحين ظهورها لها أثرٌ تامٌ فيهم، فيكونون في حصن الله الحصين و لا يضرّهم شيءٌ من الجنّ و الانس كما قد جرّبناه مراراً و لا حاجة إلى التفصيل، و كما قد أخبر به علم

١- المزمّل / ٨.　　٢- غافر / ٤٤.　　٣- غافر / ٤٥.　　٤- الزّمر / ٦١ـ ٦٣.

٥- الكافي، ج ٢، ص ٦٣، باب تفويض إلى الله و التوكّل عليه، ح ١.

السير و التواريخ من سيرة الأنبياء و المعصومين عليهم السلام، و قد شاهده الثائرون في الثورة الاسلامية الايرانية عند تبتّلهم و انقطاعهم إليه تعالى.

و الحاصل، انّه يظهر من الآيات و الرّوايات انّ سنّة الله تعالى الّتي لا تتبدّل و لا تتغيّر قد جرت على انّه إذا انقطع المرء إلى الله تعالى كمال الانقطاع و فوّض امره إليه يجعل له الفرج و المخرج و يجعل له من بعد عسر يسراً و يفرّج عنه من حيث لا يحتسب.

قال تعالى: ﴿اذ تستغيثون ربّكم فاستجاب لكم انّى ممدّكم بالف من الملائكة مردفين * و ما جعله الله إلّا بشرى و لتطمئنّ به قلوبكم و ما النّصر إلّا من عندالله انّ الله عزيز حكيم * اذ يغشّيكم النعاس امنة منه و ينزّل عليكم من السّماء ماءً ليطهّركم به و يذهب عنكم رجز الشيطان و ليربط على قلوبكم و يثبّت به الاقدام * اذ يوحى ربّك الملائكة انّى معكم فثبّتوا الّذين امنو سالقى في قلوب الّذين كفروا الرّغب فاضربوا فوق الاعناق و اضربوا منهم كلّ بنان﴾.[١]

و نظائرها الكثيرة تدلّ على انه بحصول الانقطاع يترتّب الأثر قطعاً، و ان شئت قلت: انّ تلك الحالة ايضاً من الاسباب و لا ينافي قول الصادق عليه السلام: أبى الله ان يجرى الاشياء إلّا باسباب.[٢]

لانّ الاسباب كما مرّ الكلام فيه قد تكون من الاسباب الظاهرة و قد تكون من الاسباب الباطنة و الانقطاع إلى الله تعالى و الاعتصام به و التوكّل عليه بمراتبه من الاسباب الباطنة المعنويّة بل هذه كلّها من أعلى الأسباب! رزقنا الله و اياكم مقام التفويض و معلوم انه من العنايات الخاصّة الّتي لا يهبها الله تعالى إلّا لخواصّ مؤمنيه، فطوبى لآخذين تلك الانوار، و المستفدين منها.

و هيهنا نذكر جملة من روايات الباب تنويراً للبحث بها.

١- الانفال / ٩ ـ ١٢.　　٢- الكافي، ج ١، ص ١٨٣، باب معرفة الامام، ح ٧.

روايات في التوكّل على الله

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: اوحى الله عزّوجلّ إلى داود عليه السلام: ما اعتصم بى عبد من عبادى دون احد من خلقى، عرفت ذلك من نيّته، ثمّ تكيده السماوات و الأرض و من فيهنّ إلّا جعلت له المخرج من بينهنّ و ما اعتصم عبد من عبادى باحد من خلقى، عرفت ذلك من نيّته إلّا قطعت اسباب السّماوات و الأرض من يديه و اسخت الأرض من تحته و لم أبال باىّ واد هلك.[1]

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: انّ الغنى و العزّ يجولان، فاذا ظفرا بموضع التوكل اوطنا.[2]

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: أيّما عبد اقبل قبل ما يحبّ الله عزّوجلّ اقبل الله قبل ما يحبّ و من اعتصم بالله عصمه الله و من اقبل الله قبله و عصمه لم يبال لو سقطت السّماء على الأرض أو كانت نازلة نزلت على أهل الأرض فشملتهم بليّة كان في حزب الله بالتقوى من كل بليّة، اليس الله عزّوجلّ يقول: ﴿انّ المتّقين في مقام امين﴾.[3]

* عن على بن سويد عن أبي الحسن الأوّل عليه السلام قال: سألته عن قول الله عزّوجلّ ﴿و من يتوكّل على الله فهو حسبه﴾ فقال: التوكّل على الله درجات منها ان تتوكّل على الله في أُمورك كلّها، فما فعل بك كنت عنه راضياً، تعلم انّه لا يألوك خيراً و فضلاً و تعلم انّ الحكم

١- الكافي، ج ٢، ص ٦٣، باب التفويض إلى الله و التوكل عليه، ح ١.

٢- الكافي، ج ٢، ص ٦٤، باب التفويض إلى الله و التوكل عليه، ح ٣.

٣- الكافي، ج ٢، ص ٦٥، باب التفويض إلى الله و التوكل عليه، ح ٤.

في ذلك له، فتوكّل على الله بتفويض ذلك إليه و ثق به فيها و في غيرها.[۱]

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: من أُعطى ثلاثاً لم يمنع ثلاثاً، من أُعطى الدّعاء أُعطى الاجابة و من أُعطى الشكر أُعطى الزّيادة و من أُعطى التوكّل أُعطى الكفاية، ثمّ قال: اتلوت كتاب الله عزّوجلّ: ﴿و من يتوكّل على الله فهو حسبه﴾؟ و قال: ﴿لئن شكرتم لازيدنّكم﴾؟ و قال: ﴿أُدعونى استجب لكم﴾؟[۲]

* عن الصادق عن آبائه عن عليّ عليهم السلام قال: كن لما لا ترجوا ارجى منك لما ترجو، فانّ موسى بن عمران عليه السلام خرج يقتبس لاهله ناراً فكلّمه الله عزّوجلّ فرجع نبيّاً، و خرج ملكة سبا فاسلمت مع سليمان عليه السلام، و خرج سحرة فرعون يطلبون العزّة لفرعون فرجعوا مؤمنين.[۳]

* عن الباقر عليه السلام قال: انّ موسى بن عمران عليه السلام قال: يا ربّ رضيت بما قضيت، تُميتُ الكبير و تبق الطفل الصغير، فقال الله جلّ جلاله: يا موسى اما ترضانى لهم رازقاً و كفيلاً؟ قال: بلى يا ربّ فنعم الوكيل انت و نعم الكفيل.[٤]

* عن الحسن بن الجهم قال: سألت الرضا عليه السلام فقلت له: جعلت فداك ما حدّ التوكّل؟ فقال لى: ان لا تخاف مع الله احداً.[٥]

* عن البزنطى قال: سمعت الرضا عليه السلام يقول: الايمان اربعة اركان: التوكّل على الله عزّوجلّ، و الرضا بقضائه، و التسليم لامرالله و التفويض إلى الله، قال عبد صالح: و أُفوّض

۱- الكافي، ج ۲، ص ٦٥، باب التفويض إلى الله و التوكل عليه، ح ٥.

۲- الكافي، ج ۲، ص ٦٥، باب التفويض إلى الله و التوكل عليه، ح ٦.

۳- بحار الانوار، ج ٦٨، ص ١٣٤، باب ٦٣، ح ٩. ٤- بحار الانوار، ج ٦٨، ص ١٣٤، باب ٦٣، ح ١٠.

٥- بحار الانوار، ج ٦٨، ص ١٣٤، باب ٦٣، ح ١١.

امرى إلى الله، فوقاه الله سيّئات ما مكروا.[١]

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال أميرالمؤمنين عليه السلام: كان فيما وعظ به لقمان ابنه ان قال له: يا بنيّ ليعتبر من قصر يقينه وضعفت نيّته في طلب الرزق، انّ الله تبارك و تعالى خلقه في ثلاثة احوال من امره و آتاه رزقه، و لم يكن له في واحدة منها كسب و لا حيلة، انّ الله تبارك و تعالى سيرزقه في الحال الرابعة، أمّا اوّل ذلك فانّه كان في رحم امّه يرزقه هناك في قرار مكين، حيث لا يؤذيه حرّ و لا برد، ثم أخرجه من ذلك و اجرى رزقاً من لبن امّه يكفيه به و يربّيه و ينعشه من غير حول و لا قوّة، ثم فطم من ذلك فاجرى له رزقاً من كسب أبويه برأفة و رحمة له من قلوبهما لا يملكان غير ذلك حتّى انّهما يؤثرانه على انفسهما في احوال كثيرة حتّى إذا كبر و عقل و اكتسب لنفسه ضاق به امره و ظنّ الظّنون بربّه و جحد الحقوق في ماله و قتّر على نفسه و عياله، مخافة اقتار رزقه و سوء يقين بالخلف من الله تبارك و تعالى في العاجل و الاجل، فبئس العبد هذا يا بنيّ.[٢]

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: لا تدع طلب الرزق من حلّه، فانّه عون لك على دينك و اعقل راحلتك و توكّل.[٣]

* سأل النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم عن جبرئيل: ما التوكّل على الله عزّوجلّ؟ فقال: العلم بانّ المخلوق لا يضرّ و لا ينفع و لا يعطى و لا يمنع، و استعمال اليأس من الخلق فاذا كان العبد كذلك لم يعمل لاحد سوى الله و لم يرج و لم يخف سوى الله و لم يطمع في احد سوى الله، فهذا هو التوكّل.[٤]

١- بحار الانوار، ج ٦٨، ص ١٣٤، باب ٦٣، ح ١٣.

٢- بحار الانوار، ج ٦٨، ص ١٣٦، باب ٦٣، ح ١٧.

٣- بحار الانوار، ج ٦٨، ص ١٣٧، باب ٦٣، ح ٢٠.

٤- بحار الانوار، ج ٦٨، ص ١٣٨، باب ٦٣، ح ٢٣.

* قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: لو أنّكم تتوكّلون على الله حقّ توكّله لرزقكم كما يـرزق الطير تغدو خماصاً و تروح بطاناً.[۱]

* قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: من احبّ ان يكون اقوى النّاس فليتوكّل على الله.[۲]

* قال أميرالمؤمنين عليه السلام: من وثق بالله اراه السرور و من توكّل عليه كفاه الامور.[۳]

* قال النّبي صلى الله عليه وآله وسلم: من احبّ ان يكون اتقى النّاس فليتوكّل على الله.[٤]

* قال الباقر عليه السلام: من توكّل على الله لا يغلب و من اعتصم بالله لا يهزم.[٥]

* قال علي بن الحسين عليه السلام: ما استغنى احد بالله إلّا افتقر النّاس اليه.[٦]

۱- بحار الانوار، ج ٦٨، ص ١٥١، باب ٦٣، ح ٥١.

۲- بحار الانوار، ج ٦٨، ص ١٥١، باب ٦٣، ذيل ح ٥١.

۳- بحار الانوار، ج ٦٨، ص ١٥١، باب ٦٣، ذيل ح ٥١.

٤- بحار الانوار، ج ٦٨، ص ١٥١، باب ٦٣، ذيل ح ٥١.

٥ - بحار الانوار، ج ٦٨، ص ١٥١، باب ٦٣، ذيل ح ٥١.

٦- بحار الانوار، ج ٦٨، ص ١٥٥، باب ٦٣، ح ٦٩.

الرّذيلة الثّالثة و الثّلاثون: الاعتماد على غير الله تعالى

و هو ضدّ التوكّل و هو عبارةٌ عن الاعتماد على الاسباب غير الظاهرة كالعقل و الذكاء و السياسة أو الظاهرة كاعتماد الكاسب على كسبه و الحارث على ارضه و زرعه و نسيان انه لا زارع إلّا الله و لا مؤثر إلّا إيّاه و لا حول و لا قوّة إلّا بالله تعالى و بذلك اشار الله تعالى في بعض ما حكى في التنزيل العزيز:

قال تعالى: ﴿و اضرب لهم مثلاً رجلين جعلنا لاحدهما جنّتين من اعناب و حففناهما بنخل و جعلنا بينهمازرعاً * كلتا الجنّتين آتت اكلها و لم تظلم منه شيئاً و فجّرنا خلالهما نهراً * و كان له ثمر فقال لصاحبه و هو يحاوره اناأكثر منك مالاً و اعزّ نفراً * و دخل جنّته و هو ظالم لنفسه قال ما اظنّ ان تبيد هذه ابداً * و ما اظنّ السّاعة قائمة و لئن رددت ربّى لاجدنّ خيراً منها منقلبا * قال له صاحبه و هو يحاوره اكفرت بالّذى خلقك من تراب ثمّ من نطفة ثم سوّاك رجلاً * لٰكنّا هو الله ربّى و لا اشرك بربّى احداً * و لو لا جنّتك قلت ماشاء الله لا قوّة إلّا بالله ان ترن انا اقلّ منك مالاً و ولداً * فعسى ربّى ان يؤتين خيراً من جنّتك و يرسل عليها حسباناً من السّماء فتصبح صعيداً زلقاً * أو يصبح ماؤها غوراً فلن تستطيع له طلباً * و احيط بثمره فاصبح يقلّب كفّيه على ما انفق فيها و هي خاوية على

عروشها و يقول يا ليتنى لم اشرك بربّى احداً * و لم تكن له فئة ينصرونه من دون الله و ما كان منتصراً * هنالك الولاية لله الحقّ هو خير ثواباً و خير عقباً﴾.[١]

ما احسن الآيات للمتوكّل على الله و للمعتمد على غيره تعالى من زرعه و ماله و اولاده، لو تذكّرا انّ التوحيد الخالص للمتوكّل و انّ الشرك و الكفر لضدّه و انّ البركة له و انّ الوبال و الفساد و الشوم لضدّه و هو تحت ظلّ كلمة ﴿لا حول و لا قوّة إلّا بالله العلىّ العظيم﴾ و ضدّه نسى انه ﴿لا حول و لا قوّة إلّا بالله﴾.

و لو لم ينزل في هذه الرّذيلة إلّا هذه الآيات الشريفة ليكفى بها شؤماً فما لها و قد نزل فيها ما يزيد على مأة آية و هي في ذمّها و في اطلاق الكفر و الشرك على صاحبها و في ترتّب المفاسد العظيمة عليها و نحن نأتي ببعض تلك الآيات تذكرةً للنفوس، حتّى تجتنبن عنها:

قال تعالى: ﴿يا ايّها النّاس ضرب مثل فاستمعوا له انّ الّذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً و لو اجتمعوا له و ان يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ضعف الطّالب و المطلوب * ما قدروا الله حقّ قدره انّ الله لقوىّ عزيز﴾.[٢]

ما احسن المثال للمشرك الّذي يعتمد على غير الله تعالى حتّى يتنبّه لأنّ ما سوى الله تعالى ليس إلّا كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماءً.

و قال تعالى: ﴿مثل الّذين اتّخذوا من دون الله اولياء كمثل العنكبوت اتّخذت بيتاً و انّ اوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون﴾.[٣]

و قال تعالى: ﴿قل اغير الله اتّخذ وليّاً فاطر السموات و الأرض و هو يطعم و لا يطعم ... و ان يمسسك الله بضرّ فلا كاشف له إلّا هو و ان يمسسك بخير فهو على كلّ شيء قدير * و هو القاهر فوق عباده﴾.[٤]

١- الكهف / ٣٢ـ ٤٤. ٢- الحجّ / ٧٣، ٧٤. ٣- العنكبوت / ٤١.

٤- الانعام / ١٤ و ١٧، ١٨.

و قال تعالى: ﴿و ان يريدوا ان يخدعوك فانّ حسبك الله هو الّذي أيّدك بـنصره و بالمؤمنين * و الّف بين قلوبهم لو انفقت ما في الأرض جميعاً ما الّفت بين قلوبهم و لكنّ الله الّف بينهم انّه عزيز حكيم * يا ايّها النّبيّ حسبك الله و من اتّبعك من المؤمنين﴾.[١]

و قال تعالى: ﴿و لا تدع من دون الله ما لا ينفعك و لا يضرّك فان فعلت فانّك اذاً من الظّالمين * و ان يمسسك الله بضرّ فلا كاشف له إلّا هو و ان يردك بخير فلا رادّ لفضله يصيب به من يشاء من عباده و هو الغفور الرّحيم﴾.[٢]

و قال تعالى: ﴿انّي توكّلت على الله ربّى و ربّكم ما من دابّة إلّا هو آخذ بناصيتها انّ ربّى على صراط مستقيم﴾.[٣]

و قال تعالى: ﴿و قال للّذى ظنّ انّه ناج منهما اذكرنى عند ربّك فانسيٰه الشيطان ذكر ربّه فلبث في السّجن بضع سنين﴾.[٤]

و قال تعالى: ﴿و قال يا بنيّ لا تدخلوا من باب واحد و ادخلوا من أبواب متفرّقة و ما اغنى عنكم من الله من شيء ان الحكم إلّا لله عليه توكّلت و عليه فليتوكّل المتوكّلون * و لمّا دخلوا من حيث امرهم أبوهم ما كان يغنى عنهم من الله من شيء﴾.[٥]

يُستفاد من هذه الآية الكريمة نكتة هامّة، و هي دخول عبادالله المخلصين بعد تفويضهم أمرهم إلى الله تعالى في حصنه الحصين فلا سلطان لأحد عليهم، فهو تعالى يحافظهم عن كلّ سوءٍ لّما رأوا أن لا سبب في العوالم كلّها إلّا إيّاه.

وأمّا عند التنزل عن هذا المقام السّامى، فيحيط بهم المصائب و المشاقّ الكبرى، و هذا من ألطاف الحقّ عليهم الخفيّة، لأنّ حسنات الابرار سيّئات المقرّبين و لا يتوقّع عنهم التنزّل من مرتبة التفويض إلى مرتبة التوكّل.

١- الانفال / ٦٢ ـ ٦٤. ٢- يونس / ١٠٧، ١٠٦. ٣- هود / ٥٦.

٤- يوسف / ٤٢. ٥- يوسف / ٦٨، ٦٧.

فهذه الآية الشريفة تشير إلى ما نال أبناء يعقوب من المحن و المصائب حيث تنزّل عليه السلام عن مرتبته العليا إلى مرتبة المتوكّلين فوصّاهم بما هو دون مرتبته، و هو القائل: **﴿ان الحكم إلّا لله عليه توكّلت و عليه فليتوكّل المتوكّلون﴾**.[1]

و لكن نالوا من المصائب كتهمة السرقة عليهم و اخذ بنيامين عنهم و غيرهما من المصائب، و بذلك اشار الله تعالى **﴿و لمّا دخلوا من حيث امرهم أبوهم ما كان يغني عنهم من الله من شيء﴾**.

و نظير ذلك في هذه السّورة و في جميع الذكر العزيز كثير جدّاً.

و من تلك الآيات قوله تعالى: **﴿و قال للّذى ظنّ انّه ناج منهما اذكرنى عند ربّك فانسيه الشيطان ذكر ربّه فلبث في السّجن بضع سنين﴾**.[2]

عن الصادق عليه السلام: فاوحى الله تعالى إلى يوسف في ساعته تلك: يا يوسف! من اراك الرؤيا الّتي رأيتها؟ فقال: انت يا ربّى، قال: فمن حبّبك إلى ابيك؟ قال: انت يا ربّى، قال: فمن وجّه السيارة اليك؟ فقال: انت يا ربّى، قال: فمن علّمك الدّعاء الّذي دعوت به حتّى جعل لك من الجبّ فرجاً؟ قال: انت يا ربّى، قال: فمن جعل لك من كيد المرأة مخرجاً؟ قال: انت يا ربّى، قال: فمن انطق لسان الصبى بعذرك؟ قال: انت يا ربّى، قال: فمن صرف كيد امرئة العزيز و النّسوة؟ قال: انت يا ربّى، قال: فمن الهمك تأويل الرّؤيا؟ قال: انت يا ربّى، قال: فكيف استعنت بغيرى و لم تستعن بى و تسألني أن أخرجك من السجن و استعنت و امّلت عبداً من عبادى ليذكر إلى مخلوق من خلق في قبضتى و لم تفزع الىّ؟ البث في السجن بذنبك بضع سنين بارسالك عبداً إلى عبد.[3]

نعم!، للخواصّ محاسبة غير ما للعوام، و لهم ديوان غير ديوانهم، فيُحاسبون بالترفيع و التنزيل غير ما يُحاسب به عامّة النّاس و قد ورد عن أبي عبدالله عليه السلام انّه قال: يغفر للجاهل

١- يوسف / ٦٨. ٢- يوسف / ٤٢. ٣- بحار الانوار، ج ٦٨، ص ١١٣، باب ٦٣.

سبعون ذنباً قبل ان يغفر للعالم ذنب واحد.[١]

فلنرجع إلى الآيات الذامّة لرذيلة الاعتماد على غير الله تعالى.

قال تعالى: ﴿له دعوة الحق و الّذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء إلّا كباسط كفّيه إلى الماء ليبلغ فاه و ما هو ببالغه و ما دعاء الكافرين إلّا في ضلال﴾.[٢]

و قال تعالى: ﴿و اتّخذوا من دون الله آلهةً ليكونوا لهم عزّاً * كلّا سيكفرون بعبادتهم و يكونون عليهم ضدّاً﴾.[٣]

و قال تعالى: ﴿يدعون من دون الله ما لا يضرّه و ما لا ينفعه ذلك هو الضلال البعيد﴾.[٤]

و قال تعالى: ﴿قل من بيده ملكوت كلّ شيء و هو يجير و لا يجار عليه ان كنتم تعلمون * سيقولون لله قل فانّى تسحرون﴾.[٥]

و قال تعالى: ﴿و من لم يجعل الله له نوراً فما له من نور﴾.[٦]

و قال تعالى: ﴿امّن يجيب المضطرّ إذا دعاه و يكشف السّوء﴾.[٧]

و قال تعالى: ﴿ما لكم من دونه من وليّ و لا شفيع افلا تتذكّرون﴾.[٨]

و قال تعالى: ﴿قل من ذا الّذي يعصمكم من الله ان اراد بكم سوءً أو اراد بكم رحمة و لا يجدون لهم من دون الله وليّاً و لا نصيراً﴾.[٩]

و قال تعالى: ﴿قل انّى لن يجيرنى من الله احد و لن اجد من دونه ملتحداً﴾.[١٠]

هذا بعض الآيات و سيأتى في الخاتمة ذكر بعض الرّوايات ايضاً.

١- الكافي، ج ١، ص ٤٧، باب لزوم الحجّة على العالم، ح ١. ٢- الرّعد / ١٤.

٣- مريم / ٨١، ٨٢. ٤- الحجّ / ١٢. ٥- المؤمنون / ٨٨، ٨٩.

٦- النّور / ٤٠. ٧- النّمل / ٦٢. ٨- السّجدة / ٤. ٩- الاحزاب / ١٧.

١٠- الجنّ / ٢٢.

و القرآن الكريم اهتمّ بالمسألة الاعتماد عليه تعالى كما اهتمّ بمسألتي التوكّل و التفويض و السرّ فيه انّ الاعتماد على الله تعالى كما مر الكلام فيه يلازم فضائل شتّى كما انّ الاعتماد على غيره تعالى يلازم رذائل شتّى و سيّئات كبرىٰ كالشرك الّذي هو من الرذائل المرتّبة عليه لأنّ الإنسان لو اعتمد على الله تعالى حالكونه يرى الاسباب حتّى الاسباب المعنويّة مؤثرة مستقلّة فهو مشرك و اما لو اعتمد على الاسباب فقط و غفل عن حقيقة كلمة لا اله إلّا الله فهو كافر.

فينحصر الموحّد فيمن يقول بلسان حاله: ﴿اياك نعبد و اياك نستعين﴾ مؤمناً بذلك.

و بذلك اشار الامام زين العابدين عليه‌السلام في آخر الدعاء المشتهر بدعاء أبي حمزة الثمالى بقوله: ﴿اللّهمّ انّى اسئلك ايماناً تباشر به قلبى و يقيناً صادقاً حتّى اعلم انّه لن يصيبنى إلّا ما كتبت لى و رضّنى من العيش بما قسمت لى يا ارحم الرّاحمين﴾.[1]

و هو الّذي يكون مصداق قول سيدنا و مولانا أبي الحسن الرّضا عليه‌السلام فيما نقلة من حديث قدسى: كلمة لا اله إلّا الله حصنى فمن قالها دخل حصنى و من دخل حصنى امن من عذابى.[2]

و لو دقّقت النظر لعرفت أنّ هذه الرذيلة بما أنّها تلازم كثيراً من الرذائل، يلازمها كثيرٌ من الذنوب، فهي شجرةٌ خبيثة لها اغصان عفنة، كغيبة النّاس و اللمز بهم، و التعدّي إلى حقوقهم، بل حبّ الدنيا بمعناه العام أيضاً من أغصانها المنتنّة. و السرّ في ذلك انّ الإنسان مدنيٌ بالطبع محتاجٌ إلى غيره من النّاس، فلو عرف أن لا حاجة له في الواقع إلّا إلى الله و ادرك معنى قوله تعالى: ﴿يا ايّها النّاس انتم الفقراء إلى الله﴾[3] يحصل له مقام تفويض الأمر إليه تعالى و لااقّل من مقام التوكّل و الاعتماد عليه، فلو هيّىء الاسباب فلايكون

١- مفاتيح الجنان، دعاء أبي حمزة الثّمالى.
٢- بحار الانوار، ج ٤٩، ص ١٢٦، باب ١٢، ح ٣.
٣- فاطر / ١٥.

تهيئته إلّا في سبيله تعالى و لا يتخطى و لا يتجاوز من ذلك الطريق.

قال تعالى: ﴿و اعدّوا لهم ما استطعتم من قوّة و من رباط الخيل ترهبون به عدوّ الله و عدوّكم﴾.[١]

و أمّا ان لم يجد ذلك الملجأ و غفل عن كلمتي ﴿لا اله إلّا الله﴾ و ﴿لا حول و لا قوّة إلّا بالله﴾ و لم يدخل قوله ﴿اياك نعبد و اياك نستعين﴾ في بواطن قلبه و نفسه، فيتمسّك بكلّ سبب و ان كان معصية و ممّا لا يرضى به فحينئذ يغرّ بغرور الشياطين الجنيّة و الانسيّة قابلاً منهم وعدهم الكاذب.

قال تعالى: ﴿ الشيطان يعدكم الفقر و يأمركم بالفحشاء و الله يعدكم مغفرة منه و فضلاً و الله واسع عليم﴾.[٢]

و قال تعالى: ﴿هم الّذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتّى ينفضّوا و لله خزائن السّموات و الأرض و لكنّ المنافقين لا يفقهون﴾.[٣]

و بالتّجربة ثبت انّه لا ينال حينئذ خيراً بل يظهر من الرّوايات انّ الله تعالى أقسم ان يقطع رجاه و يسدّ عليه الابواب فلاينال إلّا الهمّ و الغمّ و الاضطراب و الخوف، و سيأتى بعض تلك الرّوايات انشاءالله تعالى.

و سبب ذلك انّه باعتقاده و اعماله يسدّ على نفسه الابواب و يقطع السبب الحقيق اقبل إلى ما لا يكون سبباً واقعاً لان السبب و تأثيره كلاهما من الله تعالى و من الواضح انّ الله تعالى لم يجعل أثراً في حرامٍ و لم يجعله سبباً ابداً.

نعم، يمكن ان يُرى وصوله إلى المقصود و المطلوب ظاهراً و لكنّه ليس إلّا كسراب بقيعة.

قال تعالى: ﴿و الّذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماءً حتّى إذا جائه

١- الانفال / ٦٠. ٢- البقرة / ٢٦٨. ٣- المنافقون / ٧.

لم يجده شيئاً﴾.[١]

و قال تعالى: ﴿له دعوة الحقّ و الّذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء إلّا كباسط كفّيه إلى الماء ليبلغ فاه و ما هو ببالغه و ما دعاء الكافرين إلّا في ضلال﴾.[٢]

و قال تعالى: ﴿و لم تكن له فئة ينصرونه من دون الله و ما كان منتصراً * هنالك الولاية لله الحقّ هو خير ثواباً و خير عقباً * و اضرب لهم مثل الحيٰوة الدّنيا كماء انزلناه من السّماء فاختلط به نبات الأرض فاصبح هشيماً تذروه الرّياح و كان الله على كلّ شيء مقتدراً﴾.[٣]

فتلخّص انّ الوصول إلى المقصود لا يمكن إلّا بالتمسّك إلى الله تعالى أو إلى حبله الّذي أمرنا أن نتمسّك به و أمّا التمسّك إلى غيره فهو ممّا لا يضرّ و لا ينفع و لا يتضمّن إلّا الخسران.

و في الختام نتمسّك بقول سيّد شهداء الأوّلين و الأخرين مولانا الحسين عليه السلام، حيث قال: من حاول امرأ بمعصية الله كان افوت لما يرجو و اسرع لما يحذر.[٤]

و التجربة و السيرة المستمرّة تعاضدا قوله هذا، أضف إليه ما مضى من الآيات و الأحاديث و ما نرويه هيهنا ختاماً للمبحث، و ما أحسن أن يكون ختامه مسكاً!.

١- النّور / ٣٩.　　٢- الرّعد / ١٤.　　٣- الكهف / ٤٣ـ ٤٥.

٤- بحار الانوار، ج ٧٥، ص ١١٩، باب ٢٠، ح ٢.

روايات في التوكّل و الاعتماد على غير الله تعالى

* عن الحسين بن علوان قال: كنّا في مجلس نطلب فيه العلم و قد نفدت نفقتى في بعض الاسفار، فقال لى بعض اصحابنا: من تؤمّل لما قد نزل بك، فقلت: فلاناً، فقال: اذاً و الله لا تسعف حاجتك و لا يبلغك املك و لا تنجح طلبتك، قلت: و ما علّمك رحمك الله؟ قال: انّ أبا عبدالله عليه السلام حدّثنى انّه قرأ في بعض الكتب انّ الله تبارك و تعالى يقول: و عزّتى و جلالى و مجدى و ارتفاعى على عرشى لأُقطّعنَّ أمل كلّ مؤمّل (من النّاس) غيرى باليأس و لا كسونّه ثوب المذلّة عند النّاس و لأُنحّينّه من قربى و لأُبعّدنّه من فضلى، أيؤمّل غيرى في الشدائد؟! و الشدائد بيدى و يرجو غيرى و يقرع بالفكر باب غيرى؟! و بيدى مفاتيح الابواب و هي مغلقة و بابى مفتوح لمن دعانى فمن ذا الّذي أمّلنى لنوائبه فقطّعته دونها؟! و من ذا الّذي رجانى لعظيمة فقطعت رجاءه منّى؟! جعلت آمال عبادى عندى محفوظة فلم يرضوا بحفظى و ملأت سماواتى ممّن لا يملُّ من تسبيحى و أمرتهم ان لا يغلقوا الابواب بينى و بين عبادى، فلم يثقوا بقولى، الم يعلم (أنّ) من طرقته نائبة من نوائبى أنّه لا يملك كشفها احدٌ غيرى إلّا من بعد اذنى، فما لى أراه لاهياً عنّى، أعطيته بجودى ما لم يسألنى ثم انتزعته عنه فلم يسألنى ردّه و سأل غيرى، افيرانى ابدأ بالعطاء قبل المسألة ثم أُسأل فلا أُجيب سائلى؟! ابخيل انا فيبخّلنى عبدى أو ليس الجود و الكرم لى؟! أو ليس العفو و الرّحمة بيدى؟! أو ليس انا محل الآمال؟! فمن يقطعها دونى؟ افلا يخشى المؤمّلون ان يؤمّلوا غيرى، فلو انّ أهل سماواتى و أهل ارضى امّلوا جميعاً ثم أعطيت كلّ واحد منهم مثل ما امّل الجميع

ما انتقص من ملكى مثل عضو ذرّة و كيف ينقص ملك انا قيّمه فيا بؤساً للقانطين من رحمتى و يا بؤساً لمن عصانى و لم يراقبنى.(۱)

* عن أبي عبدالله عليه السلام: قال: قال الله ليوسف: ألست الّذي حبّبتك إلى ابيك و فضّلتك على النّاس بالحسن، أو لست الّذي سقت إليك السيّارة و أنقذتك و أخرجتك من الجبّ؟ أو لست الّذي صرفت عنك كيد النسوة؟ فما حملك على ان ترفع رغبتك (عنّى) أو تدعو مخلوقاً دونى، فالبث لما قلت في السجن بضع سنين.(۲)

* عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله: و ما يؤمن أكثرهم بالله إلّا و هم مشركون، قال: هو قول الرجل لولا فلان لاصبت كذا و كذا و لولا فلان لضاع عيالى، الاترى انّه قد جعل شريكاً في ملكه يرزقه و يدفع عنه؟ قال قلت: فيقول: لولا انّ الله منّ علىّ بفلان لهلكت، قال: نعم لا بأس بهذا.(۳)

* عن النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم قال: يقول الله عزّوجلّ: ما من مخلوق يعتصم بمخلوق دونى إلّا قطعت به أسباب السماوات و اسباب الأرض من دونه، فان سألنى لم أُعطه و ان دعانى لم أُجبه، و ما من مخلوق يعتصم بى دون خلق إلّا ضمّنت السموات و الأرض رزقه، فان دعانى اجبته و ان سألنى اعطيته، و ان استغفرنى غفرت له.(٤)

* قال الجواد عليه السلام: كيف يضيع من الله كافله، و كيف ينجو من الله طالبه، و من انقطع إلى غير الله وكّله الله اليه.(٥)

۱- الكافي، ج ۲، ص ٦٦، باب التفويض إلى الله و التوكل عليه، ح ۷.

۲- بحار الانوار، ج ٦٨، ص ١٤٩، باب ٦٣، ح ٤٧.

۳- بحار الانوار، ج ٦٨، ص ١٥٠، باب ٦٣، ح ٤٩.

٤- بحار الانوار، ج ٦٨، ص ١٥٥، باب ٦٣، ح ٦٨.

٥- بحار الانوار، ج ٦٨، ص ١٥٥، باب ٦٣،ذيل ح ٦٩.

الفصل الثّالث و الثلاثون

الفضيلة الخامسة والثّلاثون: حضور القلب مع الله تعالى

الرّذيلة الرّابعة والثّلاثون: غفلة القلب عن الله تعالى

الفضيلة الخامسة و الثّلاثون: حضور القلب مع الله تعالى

و هي التوجّه و الاقبال إلى الله و اشتغال القلب به تعالى عن ملكة.

قال تعالى حكاية عن ابراهيم عليه السلام: ﴿انّى وجّهت وجهى للّذى فطر السّموات و الارض﴾.[1]

و في روايات كثيرة فسّرت الكريمة بذلك، منها:

عن أبي عبدالله عليه السلام:... و انّي لاحبّ للرّجل منكم المؤمن إذا قام في صلوة فريضة ان يقبل بقلبه إلى الله تعالى و لا يشغل قلبه بامر الدّنيا، فليس من مؤمن يقبل بقلبه في صلوته إلى الله إلّا اقبل الله إليه بوجهه و اقبل بقلوب المؤمنين إليه بالمحبّة له بعد حبّ الله عزّوجلّ ايّاه.[2]

و هي ذكر الله تعالى الّذي هو اكبر من الصّلوة الّتي هي افضل من كلّ شيء.

قال تعالى: ﴿انّ الصلوة تنهى عن الفحشاء و المنكر و لذكر الله اكبر﴾.[3]

بناءً على اضافة الذّكر إلى مفعوله، و أمّا بناء على اضافة الذّكر إلى فاعله فيكون المعنى

١- الانعام / ٧٩.　　　٢- بحار الانوار، ج ٨١، ص ٢٤٠، باب ١٦، ح ٢٤.

٣- العنكبوت / ٤٥.

انّ اقبال العبد إلى الله تعالى من عظام الأمور و لكن اقباله تعالى إلى عبده بعد اقبال العبد إليه اهمّ و اعظم.

و هي الذكر الّذي يطلبه الله تعالى من عبده كثيراً.

قال تعالى: ﴿يا ايّها الّذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً * و سبّحوه بكرة و أصيلاً﴾.[1]

عن أبي عبدالله عليه السلام قال: من اشدّ ما فرض الله على خلقه ذكر الله كثيراً، ثم قال: لا اعنى سبحان الله و الحمدلله و لا اللّه إلّا الله و الله اكبر و ان كان منه و لكن ذكر الله عند ما احلّ و حرّم، فان كان طاعة عمل بها و ان كان معصية تركها.[2]

و بالجملة، انّ حضور القلب من باب اضافة الصفة إلى موصوفها، فيقال للقلب الحاضر عند الله و هو يرى نفسه بمحضرٍ منه تعالى و حينئذٍ لا يرى شيئاً إلّا الله تعالى متوجّهاً و مقبلاً إليه تامّ التوجّه و الاقبال. فحضور القلب هي الملكة و الحالة، فمن حصلت له ملكة بها يقتدر على ان يلتفت إلى الله تعالى تمام الالتفات حيثما اراد فله حضور القلب و هذا سرّ من اسرار الله تعالى كالخلوص و لا يعطيه إلّا لمن تشمله العناية الخاصّة و باعد عن الأغيار فهو جزاء من حاز مقام العبوديّة و لا يمكن الوصول اليها إلّا بالرّياضات المشروعة و هو عند أهل القلوب بمنزلة الروح للبدن فكما ان الجسم لو لم ينفخ فيه الروح فهو ميّت فكذلك العبادات لو لم يكن فيها حضور القلب فلا قيمة لها و لا يقبلها الله تعالى ابداً و في روايات كثيرة أشير إلى هذا منها:

عن أبي عبدالله عليه السلام عن آبائه عليهم السلام: قال أميرالمؤمنين عليه السلام: لا يقومنّ احدكم في الصّلوة متكاسلاً و لا ناعساً و لا يفكّرن في نفسه فانّه بين يدى ربّه عزّوجلّ و انّما للعبد من

١- الاحزاب / ٤٢، ٤١.

٢- الكافي، ج ٢، ص ٨٠، باب اجتناب المحارم، ح ٤.

صلوته ما اقبل عليه منها بقلبه.[١]

و عن النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم: انّ من الصّلوة لما يقبل نصفها و ثلثها و ربعها و خمسها إلى العشر و انّ منها لما يلفّ كما يلفّ الثوب الخلق فيضرب بها وجه صاحبها و انّما لك من صلاتك ما اقبلت عليه بقلبك.[٢]

و قد اشرب في هذا المقام السامي منزلتي التذلّل و المسكنة، أو فقل الخشوع و الخضوع.

قال تعالى: ﴿قد افلح المؤمنون * الّذين هم في صلاتهم خاشعون﴾.[٣]

و الخشوع هو الذّلّة، و أكثر استعماله في القلب كما انّ الخضوع بمعناه لكن أكثر استعماله في الجوارح و هما ملازمان لانّه إذا خشع القلب خضعت الجوارح، فحضور القلب يلازم الخشوع و الخضوع بل اشرب معناهما فيه.

كما انّه اشرب فيه معنى الخشية لانّ الخشية هي الخوف الحاصل من العظمة فلذا اختصّه الله تعالى بالعالمين بعظمته و كبريائه.

قال تعالى: ﴿انّما يخشى اللهَ من عباده العلماءُ﴾.[٤]

و حضور القلب يلازمها كأنّه اشرب معناها فيه.

قال تعالى: ﴿انّما المؤمنون الّذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم و إذا تليت عليهم آياته زادتهم ايماناً و على ربّهم يتوكّلون﴾.[٥]

و قال تعالى: ﴿الله نزّل احسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني تقشعرّ منه جلود الّذين يخشون ربّهم ثمّ تلين جلودهم و قلوبهم إلى ذكر الله ذلك هدى الله يهدي به من

١- بحار الانوار، ج ٨١، ص ٢٣٩، باب ١٦، ح ٢١.

٢- بحار الانوار، ج ٨١، ص ٢٦٠، باب ١٦، ح ٥٩.

٣- المؤمنون / ١، ٢.

٤- فاطر / ٢٨.

٥- الانفال / ٢.

يشاء﴾.[١]

و هذه الفضيلة العظمى تنقسم باعتبار المتعلّق إلى اقسام:

١ ـ التوجّه التّامّ و الاقبال على الله تعالى في الصّلوة، و ادّعاء انّ حضور القلب المصطلح في الشرع ليس إلّا التوجّه التامّ في الصّلوة و الاقبال على الله فيها ليس ببعيد، إذ هذا هو المتبادر من اللفظ عند الفقهاء و المتشرّعة.

و الاتّصاف بهذا القسم منها اعني كون المصلّي حاضر القلب في جميعها في غاية الصعوبة و طوبى للمتّصف به و له خير الدّنيا و الآخرة و عزّهما و مقام منيع فيهما كما ان له المعراج في كلّ يوم و ليلة و عند أهل القلوب هي خير من الدّنيا و ما فيها.

قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: الرّكعتان في جوف اللّيل احبّ الىّ من الدّنيا و ما فيها.[٢]

و لو لم يكن لها فضل إلّا قوله تعالى: ﴿قد افلح المؤمنون * الّذينهم في صلاتهم خاشعون﴾.[٣]

و إلّا قول أبي عبدالله عليه السلام: من صلّى ركعتين يعلم ما يقول فيهما انصرف و ليس بينه و بين الله عزّوجلّ ذنب إلّا غفره له.[٤]

لكفاها فضلاً و نبلاً.

٢ ـ حصول التوجّه التامّ عند الاعمال كلّها، فلا يعمل إلّا لله تعالى، تعبّدياً كان أو توصّلياً.

و بعبارة أخرى، يكون بمحضرٍ منه في جميع أفعاله و أقواله و على حدّ تعبير الذكر الحكيم يصبّغ جميع اعماله بصبغة الله تعالى الّتي هي أحسن صبغ.

قال تعالى: ﴿صبغة الله و من احسن من الله صبغة﴾.[٥]

١- الزّمر / ٢٣. ٢- بحار الانوار، ج ٨٤، ص ١٤٨، باب ٦، ح ٢٣. ٣- المؤمنون / ١، ٢.
٤- بحار الانوار، ج ٨١، ص ٢٤٠، باب ١٦، ح ٢٢. ٥- البقرة / ١٣٨.

و من المعلوم انّ هذا القسم من حضور القلب يحتاج إلى رياضات مشروعة و التلبّس بلباس التقوى و تقدّس النّفس عن المحرّمات كلّها و الاهتمام بالواجبات كلّها بل المستحبّات بالميسور بالاستدامة عليها و التمسّك بالولاية لانّها واسطة الفيض و الهادى إلى الامر موصلاً الخيرات إليه مضافاً إلى تهذيب النّفس عن الرّذائل كلّها بل التحلية بالفضائل.

و لولا تلك الرّياضات لما يمكن التفات القلب في الصلوة إليه تعالى فضلاً عن حضور القلب في غيرها من الاعمال إذ التوجّه ليس إلّا مرتبةً من مراتب العبودية الّتي هي الغاية من الخلق.

قال تعالى: ﴿و ما خلقت الجنّ و الانس إلّا ليعبدون﴾.[١]

و عدم ذكر الملك في الآية الشريفة اشارة إلى كونهم عابدين من غير احتياج إلى طىّ الطريق.

قال تعالى: ﴿لا يعصون الله ما امرهم و يفعلون ما يؤمرون﴾.[٢]

و عدم ذكر غير الثلاث من الموجودات لانّهم خلقوا لأجل الإنسان و اهتداءه و وصوله إلى مقام العبودية الشامخ.

قال تعالى: ﴿الم تروا انّ الله سخّر لكم ما في السّموات و ما في الارض﴾.[٣]

٣ ـ حضور القلب دائماً و يسمّى صاحبه عند أهل القلوب بدائم التوجّه و هو الّذي أشار إليه أميرالمؤمنين عليه السلام في آخر الدعاء المشتهر بالكميل بالفاظٍ مختلفة مريداً من الله تعالى ايصاله عليه السلام إليه، فلا مقام أرفع منه حيث استطلبه عليه السلام بعد التضرّع الشديد.

قال عليه السلام: يا ربّ يا ربّ يا ربّ يا الهى و سيّدى و مولاى و مالك رقّى يا من بيده ناصيتى يا عليماً بضرّى و مسكنتى يا خبيراً بفقرى و فاقتى يا ربّ يا ربّ يا ربّ اسئلك بحقّك و قدسك و اعظم صفاتك و اسمائك ان تجعل اوقاتى من اللّيل و النّهار بذكرك معمورة

١- الذاريات / ٥٦. ٢- التحريم / ٦. ٣- لقمان / ٢٠.

و بخدمتك موصولة و اعمالى عندك مقبولة حتّى تكون اعمالى و اورادى كلّها ورداً واحداً و حالى في خدمتك سرمداً يا سيّدى يا من عليه معوّلى يا من إليه شكوت احوالى يا ربّ يا ربّ يا ربّ قوّعلى خدمتك جوارحى و اشدد على العزيمة جوانحى و هب لى الجدّ في خشيتك و الدّوام في الاتّصال بخدمتك..... و اجعل لسانى بذكرك لهجاً و قلبى بحبّك متيّماً. الدّعاء.[١]

و هذه المرتبة من العبوديّة هي افضل النّعم و لا يتصوّر للإنسان سعادةٌ اتمّ و افضل و احسن منه و هو مقام المخلصين ـ بالفتح ـ و عباد الله الصّالحين و المتّقين الّذين مكّنهم الله في هذه الدّنيا كما يمكّنهم في الآخرة.

قال تعالى: ﴿**فلا تعلم نفس ما اخفى لهم من قرّة اعين**﴾.[٢]

و ممّا ينبغى ان تعلم انّ لهذه المرتبة مراتب غير متناهية فالمرتبة النازلة منها مرتبة المخلصين المتّقين و أصحاب النفوس المطمئنّة، و المرتبة العليا منها هي مرتبة النّبوّة و الرّسالة و الامامة و هي مقام الإنسان الكامل الّذي وصفه الذكر الحكيم بقوله تعالى: ﴿**ثمّ دنى فتدلّى * فكان قاب قوسين أو ادنى**﴾.[٣]

و هذه المرتبة ليس لأحد أن يصفها إلّا من أدركها و ذاق من حلاوتها و الحمدلله الّذي هدانا لفهمه و هذا غاية ما نؤمّله في هذا المضمار و الحمد له بعدد ما خلقه.

مراتب حضور القلب باعتبار نفسه

انّ لحضور القلب مراتب ضعفاً و شدّة و لابدّ للمصلّى بل لكلّ عامل أن يفوز بالمرتبة الأدنى منه لانّه بمنزلة الرّوح فالعمل بلا حضور القلب كالجسد بلاروح و لا اثر له إلّا رفع

١- مفاتيح الجنان، دعاء كميل بن زياد. ٢- السجدة / ١٧. ٣- النّجم / ٨، ٩.

التكاليف الشرعية و أمّا السلوك إلى الله و الوصول إلى الابتهاجات الروحيّة و استجابة الدعاء بعده فلا يحصل إلّا به فعليك ثم عليك ثمّ عليك بتحصيل المراتب العليا منه و لا أقلّ من فوزك بالمرتبة الدانية منها.

و بالجملة، له مراتب ضعفاً و شدّة.

١ ـ الالتفات إلى أنّه بمحضرٍ منه تعالى، حضور المعلول لعلّته، كما هو شأن غيره من المعاليل.

قال تعالى: ﴿اَ لا انّه بكل شيء محيط﴾.[1]

أو حضور العبد عند مولاه الّذي هو أقرب إليه من نفسه.

قال تعالى: ﴿انّ الله يحول بين المرء و قلبه﴾.[2]

و بهذه المرتبة اشار سيّد الكلّ صلّى الله عليه وآله وسلّم وصيّةً لابي‌ذر رحمه الله:

يا أباذر اعبد الله كانّك تراه فان كنت لا تراه فانّه يراك.[3]

٢ ـ الالتفات إلى أنّ الصلاة هو حوارك معه تعالى، لأنّك إذا قرأت الحمد و السورة يكلّم الله تعالى معك على لسانك و إذا ذكرت الله و سبّحته و قدّسته فانت تكلّم الله تعالى و هذا سرّ ما اشتهر عند أهل القلوب من انّ القرآن كلام نازل و الدّعاء و الذكر و التسبيح كلام صاعد.

و أمّا في غير الصّلوة فبالالتفات إلى أن اعمالنا كلّها تجارة و مبايعة مع الله تعالى و المبايعة تحتاج إلى التوجّه و الانشاء حتّى يُقبَل.

قال تعالى: ﴿انّ الله اشترى من المؤمنين انفسهم و اموالهم بانّ لهم الجنّة﴾.[4]

و قال تعالى: ﴿يا ايّها الّذين امنوا هل ادلّكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم

١- فصّلت / ٥٤. ٢- الانفال / ٢٤. ٣- بحار الانوار، ج ٧٤، ص ٧٥، باب ٤، ح ٣.

٤- التوبة / ١١١.

تؤمنون بالله و رسوله و تجاهدون في سبيل الله باموالكم و انفسكم﴾.[١]

و هذا توجّه اجمالىّ كمن يمدح كبيراً بما لايعرف معناه و من هذا الباب قرائة العوام القرآن و الادعية المأثورة و هذا التوجّه و حضور القلب احسن و افضل من التوجّه التفصيلى من ناحيةٍ، مثلاً انّ من صلّى فحصل له الحضور على سبيل الاجمال عند قوله: ﴿ايّاك نعبد و ايّاك نستعين﴾ على سبيل الحكاية، فحاله أفضل ممّن ينشأ قوله: ﴿ايّاك نعبد و ايّاك نستعين﴾ ـ لو كان جائزاً في الصّلوة ـ ضرورة انّ التفوّه بهذه الكلمات و أمثالها يختصّ بعباد الله الصّالحين و ليس لكثيرٍ من النّاس إلّا ادّعاءً لا واقع لها.

قال تعالى: ﴿و ما يؤمن اكثرهم بالله إلّا و هم مشركون﴾.[٢]

هذا كما في الصاعد من الكلام، حيث يجوز لأهل البيت عليهم السلام انشاؤه، و لا يجوز لغيرهم إلّا حكايته، إلّا بتمحّلات علميةٍ بعيدةٍ عن فهم العرف.

و بعبارة أهل القلوب، يتكلّم الحقّ تعالى على لسان القارىء فلذا يستحبّ له الاجابة بقوله لبّيك حينما سمع قوله تعالى: ﴿يا ايّها الّذين آمنوا...﴾ ، فهذا الاستحباب الوارد في الرّوايات يدلّ على انّ القارىء لابدّ له من ان يقرء القرآن حكاية عن الله تعالى، فكانّ الحقّ تعالى يتكلّم على لسان هذا العبد نسئل الله تعالى أن نسمعه و أن نجيبه و أن ندرك أنواره.

٣ـ حضور القلب في جميع العبادات و هذا يحتاج إلى فهم معانيها على ما هو المقدور له، و بعبارة أخرى يحتاج إلى معرفة اسرار الصّلوة أو غيرها من العبادات حتّى يكون مستيقظاً عند قوله: ﴿ايّاك نعبد و ايّاك نستعين﴾ للمراد منه و كذلك عند سجوده و ركوعه و تسبيحه.

قال تعالى: ﴿يا ايّها الّذين آمنوا لا تقربوا الصّلوة و انتم سكارى حتّى تعلموا ما تقولون﴾.[٣]

١- الصّف / ١٠، ١١.   ٢- يوسف / ١٠٦.   ٣- النساء / ٤٣.

و المراد من الآية الشريفة هو سكر الغفلة لا سكر الخمر، و في روايات الفريقين ما يؤيّد هذا المعنى.

و لهذا الالتفات عرض عريض لانّ النّاس في فهم المعانى و الاسرار على طبقاتٍ شتّى و قد اشترط في الالتفات أن يكون صادقاً حيث لا مرتبة للكاذب، فعليه أن يحكى الألفاظ بالمقدور له من معانيها و إلّا فعليه أن يقتدي بمن يدركها حقّ دركها.

٤ ـ ان يؤمن لساناً بما يقول و يعمل، فيتبعه القلب، ثم العقل و بعبارةٍ أخرى يزيّن قلبه بعلمه حتّى يصير علمه ايماناً، فيحصّل أعلى مراتب الايمان الّذي هو الاطمئنان المذكور في كثيرٍ من آي الذكر المبارك للموقنين.

قال تعالى: ﴿أَو لم تؤمن قال بلى و لكن ليطمئنّ قلبى﴾.(١)

و قال تعالى: ﴿يا ايتها النّفس المطمئنّة * ارجعى إلى ربّك﴾.(٢)

٥ ـ ان يحصل له مرتبة الشهود و بذلك اشار الرسول صلّى الله عليه و آله و سلّم بقوله: يا أباذر اعبد الله كانّك تراه.(٣)

و أميرالمؤمنين عليه السلام بقوله: ما كنت اعبد رباً لم اره.(٤)

و نظير ذلك قول الامام أبي عبدالله الحسين عليه السلام في دعاء عرفة: ايكون لغيرك من الظهور ما ليس لك حتّى يكون هو المظهر لك متى غبت حتّى تحتاج إلى دليل يدلّ عليك و متى بعدت حتّى تكون الآثار هي الّتي توصل اليك، عميت عين لا تراك عليها رقيباً و خسرت صفقة عبد لم تجعل له من حبّك نصيباً.(٥)

و هذه المرتبة لها مراتب شتّى و عرض عريض سّمى كلٌّ منها باسم كالكشف و التّجلية و اللّقاء و الصعق و الصحو ـ و هو الافاقة من الصعق ـ و المحو، و كلّ ذلك من فضل الله و من

١- البقرة / ٢٦٠. ٢- الفجر / ٢٧، ٢٨. ٣- بحار الانوار، ج ٧٤، ص ٧٥، باب ٤، ح ٣.

٤- الكافي، ج ١، ص ٩٧، ح ٦. ٥- مفاتيح الجنان، دعاء عرفة للامام الحسين عليه السلام.

وفّقه بالرّياضات المشروعة لأخذه بما يناسب سعة وجوده، فلغالب أهل الشهود قطرةٌ من هذا البحر الّذي لا يقاس بالمحيط الأعظم و لبعضهم الاكثر فالاكثر.

قال تعالى: ﴿انزل من السماء ماءً فسالت اودية بقدرها﴾.[١]

و قال تعالى: ﴿و ان من شيء إلّا عندنا خزائنه و ما ننزّله إلّا بقدر معلوم﴾.[٢]

و هذا الشهود يلازم الولاية التكوينيّة فكلّ من يكون شهوده اقوى يكون ولايته التكوينيّة اقوى، فلمثل عيسى عليه السلام مرتبة ضعيفة منها.

قال تعالى: ﴿و كنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم﴾.[٣]

فلهذا قال تعالى نقلاً عنه:

﴿انّى قد جئتكم باية من ربّكم انّى اخلق لكم من الطّين كهيئة الطّير فانفخ فيه فيكون طيراً باذن الله و ابرئ الاكمه و الابرص و احى الموتى باذن الله و انبّئكم بما تأكلون و ما تدّخرون في بيوتكم انّ في ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين﴾.[٤]

و اعطاها لرسوله و الأئمّة المستخلفين عليهم السلام عنه على نحو الاطلاق.

قال تعالى: ﴿و كذلك جعلناكم امّة وسطاً لتكونوا شهداء على النّاس و يكون الرسول عليكم شهيداً﴾.[٥]

كما أعطاهم الإمامة التامّة الكبرى أيضاً.

قال تعالى: ﴿انّما وليّكم الله و رسوله و الّذين امنوا الّذين يقيمون الصّلوة و يؤتون الزكوة و هم راكعون﴾.[٦]

و أعطاها ابراهيم عليه السلام مقيّداً.

قال تعالى: ﴿و اذ ابتلى ابراهيم ربّه بكلمات فاتمّهنّ قال انّى جاعلك للنّاس اماماً

١- الرعد / ١٧. ٢- الحجر / ٢١. ٣- المائدة / ١١٧. ٤- آل عمران / ٤٩.

٥- البقرة / ١٤٣. ٦- المائدة / ٥٥.

قال و من ذرّيّتى قال لا ينال عهدى الظّالمين﴾.[١]

و بالجملة، هذه المرتبة من حضور القلب يوصل العبد ببحر القرب، فيشهد ما كان له غيباً.

قال تعالى: ﴿هدى للمتّقين * الّذين يؤمنون بالغيب﴾.[٢]

و من المعلوم انّ العلم به غير الايمان به لانّ الأوّل حصولى و الثانى حضورى و لانّ الأوّل عرضيّ و الثانى أمريٌّ و لانّ الأوّل علميّ و الثانى شهودى عينيّ و شتّان الفرق بينهما.

و هم الّذين يرون الله تعالى يوم القيامة بقلوبهم، فيكلّمهم.

قال تعالى: ﴿وجوه يومئذ ناضرة * إلى ربّها ناظرة﴾.[٣]

فلها مراتب:

المرتبة الاولى: هو الكشف فيكشف له ما كان محجوباً عنه بظلمات الغفلة و الجهل و طلب الدنيا و نحو ذلك و بحجاب الانوار كحجاب العلم و العبادة و الفضيلة و نحوها الكثير.

يقول تعالى يوم القيامة لأهل جهنّم:

﴿لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطائك فبصرك اليوم حديد﴾.[٤]

فيظهر اوّلاً من الآية الشريفة انّ المؤمن في الدّنيا لم يكن كذلك بل يُكشف عنه الغطاء و لااقلّ من غطاء الظلمات.

و ثانياً انّ القيامة باطن هذه الدّنيا فتطابقها انطباق الظاهر و الباطن و انّها موجودة الآن إلّا انّها محجوبة عن بعضٍ دون بعض، و قال أميرالمؤمنين عليه السلام في المناجاة الشّعبانيّة:

الهى هب لى كمال الانقطاع إليك و انر ابصار قلوبنا بضياء نظرها إليك حتّى تخرق ابصار القلوب حجب النور فتصل إلى معدن العظمة و تصير ارواحنا معلّقة بعزّ قدسك.[٥]

١- البقرة / ١٢٤. ٢- البقرة / ٢، ٣. ٣- القيامة / ٢٣، ٢٢. ٤- ق / ٢٢.

٥- مفاتيح الجنان، مناجاة الشّعبانيّة لاميرالمؤمنين عليه السلام.

و المرتبة الثانية: هي التّجلية فينوّر قلبه بنور الله تعالى فيرى بالبصيرة حقيقة قوله تعالى: ﴿الله نور السموات و الارض﴾.[١]

فيتجلّى على قلبه الاسماء و الصفات فيغلب عليه الخوف تارة و الرّجاء أخرى.

قال تعالى: ﴿تتجافي جنوبهم عن المضاجع يدعون ربّهم خوفاً و طمعاً﴾.[٢]

و قال أميرالمؤمنين عليه السلام في المناجاة المارّ ذكرها:

الهى و الهمنى ولهاً بذكرك إلى ذكرك و همّتى في روح نجاح اسمائك و محلّ قدسك.... الهى و الحقنى بنور عزّك الابهج فاكون لك عارفاً و عن سواك منحرفا و منك خائفاً مراقباً يا ذا الجلال و الاكرام.[٣]

و قال سيّد شهداء الأوّلين و الآخرين مولانا الحسين عليه السلام في دعاء عرفة:

الهى امرت بالرّجوع إلى الآثار فارجعنى إليك بكسوة الانوار و هداية الاستبصار حتّى ارجع إليك منها كما دخلت إليك منها مصون السّر عن النظر اليها و مرفوع الهمّة عن الاعتماد عليها انّك على كلّ شيء قدير ... انت الّذي أشرقت الانوار في قلوب اوليائك حتّى عرفوك و وحّدوك و انت الّذي أزلت الاغيار عن قلوب احبّائك حتّى لم يحبّوا سواك و لم يلجئوا غيرك انت المونس لهم حيث اوحشتهم العوالم و انت الّذي هديتهم حيث استبانت لهم المعالم، ما ذا وجد من فقدك و ما الّذي فقد من وجدك لقد خاب من رضى دونك بدلاً و لقد خسر من بغى عنك متحوّلاً.[٤]

و المرتبة الثالثة: هي اللّقاء و قد كرّر الله تعالى ذكرها في التنزيل العزيز ما يزيد على عشرين مورداً، منها:

١- النّور / ٣٥. ٢- السّجدة / ١٦.

٣- مفاتيح الجنان، مناجاة الشّعبانيّة لاميرالمؤمنين عليه السلام.

٤- مفاتيح الجنان، دعاء عرفة للامام الحسين عليه السلام.

قوله تعالى: ﴿يا ايّها الإنسان انّك كادح إلى ربّك كدحاً فملاقيه﴾.[١]

و قوله تعالى: ﴿فمن كان يرجو لقاء ربّه فليعمل عملاً صالحاً و لا يشرك بعبادة ربّه أحداً﴾.[٢]

و معناه انّه يصل إلى مقام لا يكون في قلبه شيء إلّا الله فهو تعالى يولّيه ليخرجه عن الظلمات إلى النور،

قال تعالى: ﴿الله وليّ الّذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور﴾.[٣]

فحينئذ لا يحكم عليه إلّا الله و لا سلطان لأحدٍ عليه إلّا له تعالى.

قال تعالى: ﴿و ما تشاؤن إلّا ان يشاء الله﴾.[٤]

فهو الّذي يوصف قلبه بأنّه عرش الرحمن، حيث نزّه عن الشياطين فله أن ينظر إلى ملكوت العوالم، أي يجد قيّوميّة الحقّ في عالم الوجود.

قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: فلو لا انّ الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا ملكوت السموات و الارض.[٥]

و قال تعالى: ﴿و كذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات و الارض﴾.[٦]

و المرتبة الرابعة: هو الصّعق و هو السكر الحاصل من غلبات الوجد، و يقال له بالفارسيّة ـ مدهوش ـ و في الاصطلاح: المحو.

قال تعالى: ﴿فلمّا تجلّى ربّه للجبل جعله دكّا وخرّ موسى صعقاً﴾.[٧]

و قال أميرالمؤمنين عليه السلام في مناجاة الشّعبانيّه: الهى و اجعلنى ممّن ناديته فاجابك و لاحظته فصعق لجلالك فناجيته سرّاً و عمل لك جهراً.[٨]

١- الانشقاق / ٦. ٢- الكهف / ١١٠. ٣- البقرة / ٢٥٧. ٤- الإنسان / ٣٠.

٥- بحار الانوار، ج ٥٦، ص ١٦٣. ٦- الانعام / ٧٥. ٧- الاعراف / ١٤٣.

٨- مفاتيح الجنان، مناجاة الشّعبانيّة.

هذا، و من غريب الأمر ما وقع لبعض المفسّرين و تابعهم قسطٌ من مفسّري أهل الحق من تفسير الصعق في الشريفة بالغشوة، ثمّ انتساب ذلك إلى الكليم الّذي يُعدّ من أولي العزم من الرسل. و اعجب من ذلك تبعيّة أهل الحقّ منهم في ذلك مع أنّهم رأوا قول سيّد الموحّدين حيث فسّر الصعق بالمرتبة العُليا من التفات العبد إلى الحق تعالى.

بل كثيراً ما يُرىٰ انهم ينسبون الغشوة إلى الرسول و الزّهراء و الائمّة المعصومين عليهم السلام إذ غرّهم بعض ألفاظ الروايات و السّير، اعاذنا الله من الغفلة و السّهو و الزّلل سيّما في مثل هذه المقامات.

و اعجب من ذلك كلّه ما يترائى من بعض الصّوفية من التكلّم بكلمات الكفر كما يُحكى عن بعضهم: سبحانى ما اعظم شأنى، و عن بعض الآخر: انا الحقّ ، و عن ثالث: ليس في جبّتى سوى الله ثم ادّعى انّه كان في حالة المحو و يُحكى انّه حينما أفاق قال: هذا حكم غلبة المحو، و الآن لزوال هذا الحكم اقول: اشهد ان لا اله إلّا الله.

كلّ ذلك كفر و تدليس من تلبيسات اللعين و لو أحسنتَ بهم الظنّ فلا مناص من القول بغلبة الجنون و الخيالات الفاسدة عليهم.

هذا ضرورة انّ تلك الحالة كانت مشهوريّة لرسول الله و فاطمة الزّهراء و مولى الموحّدين أميرالمؤمنين و الائمّة عليهم السلام و في المناجاة الشعبانية كانوا يفسّرون الصعق و المحو و تلك الحالة و كانوا يقولون: انّ الله تعالى نادى عبده و التفت إليه فصعق و محى في جماله و جلاله، لان الصعق قد يكون لغلبة الرغبة و قد يكون لغلبة الرهبة.

قال تعالى: ﴿يدعوننا رغباً و رهباً﴾.[1]

ففي تلك الحالة يتكلّم الله تعالى معه و يناجيه سرّاً، فاين هذا و قوله: ما اعظم شأنى؟ سبحانى سبحانى؟ نعوذ بالله من الكفر و الغرور بما يزينّه الابليس و من شرور النفس.

١- الأنبياء / ٩٠.

و أعجب من هذا كلّه ما يحكى عن بعض الأعاظم نظماً و نثراً، حيث يوجد فيه بعض ما حكينا عن الصوفيّة الضالّة.

و المرتبة الخامسة: هي الافاقة و هي زوال سكره بعد زوال غلبة سلطان الوجد و هي المصطلح عليه بالصحو و حينئذٍ يلتفت بالتفاته و يريد بارادته و يعلم بعلمه سبحانه و تعالى. و بالجملة يكون الحق تعالى هو المتصرف في جميع مشاعره و جوارحه يتقلّبها حيث يشاء.

قال تعالى: ﴿و ما تشاؤن إلّا ان يشاء الله﴾.[1]

و قال تعالى: ﴿و ما رميت اذ رميت و لكنّ الله رمىٰ﴾.[2]

و قال تعالى: ﴿انّ الّذين يبايعونك انّما يبايعون الله﴾.[3]

و قال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرّحمن.[4]

روى الكليني رحمة الله تعالى عليه بسند معتبر في الكافي عن أبي جعفر عليه السلام قال: لمّا اسرى بالنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قال: يا ربّ ما حال المؤمن عندك؟ قال: يا محمّد من اهان لى وليّاً فقد بارزنى بالمحاربة و انا اسرع شيء إلى نصرة اوليائى.... و ما يتقرّب الىّ عبد من عبادى بشيء احبّ الىّ ممّا افترضت عليه و انه ليتقرّب الىّ بالنافلة حتّى احبّه فاذا احببته كنت اذاً سمعه الّذي يسمع به و بصره الّذي يبصر به ولسانه الّذي ينطق به ويده الّتي يبطش بها، ان دعانى اجبته و ان سئلنى اعطيته.[5]

فحضور القلب بهذا المعنى يوجب ان لا يشغله شيءٌ أو شغل عن آخر أي: لا يشغله سمع عن سمع و لا كلام عن كلام و لا فعل عن فعل، كما هو المحتمل في وهب

١- الإنسان / ٣٠. ٢- الانفال / ١٧. ٣- الفتح / ١٠.

٤- بحار الانوار، ج ٦٧، ص ٣٩، سطر آخر، و نظيره في البحار، ج ٧٢، ص ٤٨، باب ٤٠، ح ٩.

٥- الكافي، ج ٢، ص ٣٥٢، باب من اذى المسلمين، ح ٨.

أميرالمؤمنين عليه السلام خاتمه في الصلاة للسائل، نعم لهم حالات شتيتةٌ متباعدة بحسب مقتضيات الأزمنة فتارة حضور القلب لهم على نحو الصعق فتخرج الرّميّة من رجله و هو لا يلتفت إليه و أخرى على نحو الافاقة فله أن يهب في الركوع بل ثالثة على نحو ثالث و رابعة على نحو الّذي لايمكن لنا إدراكه.

روى عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم انه قال: و انّ لنا حالات لا يتحمّلها ملك مقرّب و لا نبيّ مرسل.

ثمّ، انّ أهل القلوب ذكروا اشياء أخرى لمن يريد الدخول في العبادة كأدبٍ لها غير حضور القلب كسيّدنا الاستاذ الخميني رحمه الله حيث ذكر في كتابه القيّم «آداب الصلوة» أموراً يجب على المصلّي أن يهيّئها قبل دخوله فيها:

١ ـ التوجّه بذلّ العبوديّة بمراتبه من العلمى و القلبى و الشهودى.

٢ ـ التوجّه بعزّ الربوبيّة بمراتبه الثلاثة من العلمى و القلبى و الشهودى.

٣ ـ الخشوع و هو ذلّة القلب و تسليمه إلى الله تعالى بمراتبه العلميّة و القلبيّة و الشهوديّة.

٤ ـ السكون و طمأنينة القلب بحيث يكون القلب قبلة اللسان و اللسان يتحرّك باشارة منه نظير الاستكان و الطمأنينة في الجسم الّذي هو شرط الصلوة عند الفقهاء و الترتيل في القرآن.

و قول الله تعالى: ﴿و رتّل القران ترتيلاً﴾.[1]

اشارة إلى ترتيل القلب و اللسان معاً بل ترتيل القلب يوجب ترتيل اللّسان.

٥ ـ الخلوّ من تصرّفات الشيطان و النّفس الأمّارة و الهوى كى يتمكّن روحه من الطيران نحو المعبود، إذ من تغذّى جسمه من الحرام أو المشتبه فليس له إلّا ان يكون على

١ـ المزمّل / ٤.

صورة الحيوانات عند بروز الحقائق و ظهورها، هكذا فيما يتغذّى منه الروح، فللمصّلي أن يأخذ من ايدى النبيّ و الأئمّة ليكون نفسه طاهرةً مطهّرة.

فما يترائى في سيرة بعض المؤمنين من تقدّم بعض العبادات على بعض بتمايلات الهوى أو اختيار بعضها دون بعض بل اختيار بعض المستحبّات على الواجبات بالوساوس النفسانية أو ابداع بعض العبادات باستنباط النّفس الأمّارة و الشيطان الخبيث فكلّها من تسويلات النّفس و من المحال ان ينتج خيراً بل نتيجته ليس إلّا الخسران و الوبال و بهذا الامر الهامّ اشار الله تعالى بقوله: ﴿و الّذينهم على صلواتهم يحافظون﴾.[1]

٦ ـ البهجة في العبادة و هي من مهامّ الأمور جدّاً فتغذية الروح عند البهجة و النشاط لها أثرٌ كتغذية الجسم عندهما فكما انّ الغذاء اشدّ نفوذاً في الجسم عند النشاط فكذلك العبادة للروح، و لعلّ القرآن الشريف اشار إلى هذه النكتة اللطيفة حيث قال تعالى: ﴿يا ايّها الّذين آمنوا لا تقربوا الصّلوة و انتم سكارى حتّى تعلموا ما تقولون﴾.[2]

و قال تعالى: ﴿و لا يأتون الصلوة إلّا و هم كسالى و لا ينفقون إلّا و هم كارهون﴾.[3]

و عن أبي عبدالله عليه السلام: قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: يا عليّ انّ هذا الدين متين فاوغل فيه برفق و لا تبغض إلى نفسك عبادة ربّك.[4]

و عن العسكريّ عليه السلام: إذا نشطت القلوب فاودعوها و إذا نفرت فودّعوها.[5]

٧ ـ مجاراة النّفس و مرافقتها لئلّا يحمل عليها ما تكرهه فانّ الحمل عليها يوجب ان تتنفّر من العبادات و قد يؤدّي ذلك إلى ترك الواجبات و اتيان المحّرمات بل قد يؤدّي الكفر فلذا أوصينا بذلك في الرّوايات منها:

١- المؤمنون / ٩. ٢- النّساء / ٤٣. ٣- التوبة / ٥٤.

٤- الكافي، ج ٢، ص ٨٧، باب الاقتصاد في العبادة، ح ٦.

٥- بحار الانوار، ج ٧٥، ص ٣٧٧، باب ٢٩، ح ٣.

عن أبي جعفر عليه السلام: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: انّ هذا الدين متين فاوغلوا فيه برفق و لا تكرهوا عبادة الله إلى عباد الله فتكونوا كالراكب المنبّت الّذي لا سفراً قطع و ظهراً ابق.[1]

فمن اكره نفسه على عبادةٍ فهو كمن لا يراقبها فكما أن ثاني الطريقين يؤدّي إلى هلاكها فكذلك الطريق الأوّل بلاتفاوت.

٨ ـ التفهيم و المراد تفهيم القلب معاني الألفاظ و تلقين الاذكار عليه حتّى تصير له ملكة و يصير القلب قبلة اللّسان و هذا يحتاج إلى ترتيل الاذكار و تلقين القلب إيّاها فبالتكرار تصير ملكة له فيصير اللسان تابعاً للقلب و يصير القلب دائم الذّكر حتّى في النّوم و الغفلات و يتابعه اللسان في تلك الغفلات و النوم و من اسرار وجوب الصلوات في كلّ يوم و من اسرار استحباب الاذكار و الصلوات النوافل و نحو ذلك في كلّ يوم هو ايجاد تلك الحالة للقلب فلذا اكّد في الروايات على ترتيل العبادات و تفهيمها للقلب حتّى جعلت الرّكعتان مع تفكّر و ترتيل خير من قيام ليلة.

فعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لابى‌ذر: يا أباذر ركعتان مقتصدتان في تفكّر خير من قيام ليلة و القلب ساه.[2]

* و عن الصادق عليه السلام: قال أميرالمؤمنين عليه السلام: افزعوا به ـ بالقرآن ـ قلوبكم القاسية و لا يكن همّ احدكم آخر السورة.[3]

هذا خلاصة ما ذكره في آداب الصّلوة بالفارسيّة رضوان الله تعالى عليه.

و ما ذكره من الأمور الثمانية و ان كان طريقاً حسناً لارباب السلوك يؤدّي بهم إلى المقامات الشامخة حيث كلّ واحدٍ منها درٌّ من درر بحار المعرفة و ينبغي ان يفسّر كلّ واحدٍ

١- الكافي، ج ٢، ص ٨٦، باب الاقتصاد في العبادات، ح ١.

٢- بحار الانوار، ج ٧٤، ص ٨٤، باب ٤، ذيل حديث ٣.

٣- الكافي، ج ٢، ص ٦١٤، ح ١.

منها و يبيّن و يفصّل و يذيّل بآيات و روايات واردة عن أهل البيت عليهم السلام فيه و لكن حضور القلب بمراتبه الّتي مرّ ذكرها يتضمّن جميع الأمور الثمانية فهو اجمال ذلك التفصيل و لا شيء من تلك الأمور الثمانية إلّا انّه ينطوى فيه.

و في الحقيقة نحن بعد تفسير حضور القلب بالذى مرّ ذكره لنستغني عمّا افاده رحمه الله و لا نحتاج إلى تفصيل ازيد و إن كان كلامه رحمه الله في غاية المتانة و الرفعة، فراجع و تأمّل و الحمدلله.

و بما ذكرناه ظهر عدم الحاجة بالمنقول عن الغزالى في الاحياء و تبعه في ذلك جمعٌ من اخلاقيّينا كالفيض في المحجّة و العارف النراقى في جامع السعادات حيث حضور القلب بهذا المعنى يتضمّن جميع هذه الأقوال و خلاصة ما قالوا في المقام: انّ المعانى الباطنية الّتي روح الصّلوة و حقيقتها سبعة:

١ ـ الاخلاص.

٢ ـ حضور القلب.

٣ ـ فهم معنى الكلام و توجّه القلب إلى معانيه.

٤ ـ التعظيم لله تعالى.

٥ ـ الهيبة و هي خوف مصدره الصفات الجلالية.

٦ ـ الرّجاء و هو ضدّ الخوف و مصدره الصفات الجماليّة.

٧ ـ الحياء و مصدره الشعور بالتقصير و الذنب فالمذنب يستحيي من الله تبارك و تعالى و كذلك المقصّر بل القاصر.

هذا خلاصة كلماتهم.

و فيه، انّ هذه السّبعة يرجع بعضها إلى بعض و ترجع السبعة إلى حضور القلب بالتفسير الّذي فسّرناه به ثمّ بيّنا مراتبه، فبعد ذلك افراد السبعة تلوا كأجزاءٍ لحضور القلب

ليس له وجه اصلاً.

ثمّ، ينبغى ان يذكر هنا أمرٌ هامٌّ جدّاً و هو طريق تحصيل حضور القلب و لو كان في مراتبه الأولىٰ و هو التوجّه الاجمالى إلى أنّ ما سوى الله كلّه في محضره تعالى فالمصلّى يلتفت طيلة صلاته إلى أنّه بمحضره تعالى فانّه و إن لم يكن يراه تعالى ولكنّه يراه و هو أقرب إليه من حبل الوريد بل انه أقرب إليه من نفسه.

قال الله تعالى: ﴿و نحن أقرب إليه من حبل الوريد﴾.[١]

و قال تعالى: ﴿انّ الله يحول بين المرء و قلبه﴾.[٢]

ولله درّ من قال:

يــار نـــزديكتر از مـــن بـه مـن است	و اين عـجب تـر كـه مـن از وى دورم
چه كنم با كـه تـوان گـفت كـه دوست	در كــــنار مــــن و مــــن مــــهجورم

البيت الثانى اشارة إلى الآية الاولى و البيت الأوّل اشارة إلى الآية الثانية.

و غالب النّاس طيلة حياتهم لم يصلّوا ركعتين مع حضور القلب بحيث يلتفتوا إلى الله تعالى من اوّلها إلى آخرها هذا مع العلم بأنّ الأعمال كلّها في حضرته تعالى متوقّفةٌ على قبول الصلاة.

قال الإمام أبو جعفر عليه السلام: اوّل ما يحاسب به العبد الصلوة فان قبلت قبل ما سواها.[٣]

و يتوقّف هذا على حضور القلب فيها و لااقلّ من المرتبة الاولى منه.

عن مولينا أبي جعفر و أبي عبدالله عليهما السلام انّهما قالا: انّما للعبد من صلوته ما اقبل عليه منها فاذا اوهمها كلّها لفّت فضرب بها وجهه.[٤]

١- ق / ١٦. ٢- الانفال / ٢٤.

٣- الكافي، ج ٣، ص ٢٦٨، باب من حافظ على صلاته اوضيعها، ح ٤.

٤- بحار الانوار، ج ٨١، ص ٢٦٥، باب ١٦، ذيل حديث ٦٦.

و عن الامام جعفر بن محمّد عليه السلام: إذا احرمت في الصّلوة فاقبل عليها فانك إذا اقبلت اقبل الله عليك و إذا اعرضت اعرض الله عنك فربما لم يرفع من الصلوة إلّا الثلث أو الربع أو السدس على قدر اقبال المصلّي على صلوته و لا يعطى الله الغافل شيئاً.[١]

و نظير الروايتين كثير و سيأتى ذكر بعضها في آخر المبحث انشاءالله.

و بالجملة، أنّه لا مصيبة اشدّ من أن يفنى العمر و لم يقبل الله من العبد شيئاً.

قال الإمام أبو عبدالله عليه السلام: والله انه ليأتى على الرجل خمسون سنة و ما قبل الله منه صلوة واحدة فايّ شيء اشدّ من هدا؟.[٢]

هذا، اضف إلى ذلك انّ تحصيل حضور القلب يُعدّ من أصعب الأشياء حتّى قيل انه غير ممكن كما انّ تهذيب النّفس و التخلية و التحلية صعب و لله درّ من قال بالفارسيّة:

ملّا شدن چه مشكل   آدم شدن محال است

و لكن مع الوصف فهو من اوجب الواجبات عقلاً و شرعاً، كتاباً و سنّة فلابد من الاهتمام التام به ليحصل، كما أنّ ورود الأمر به يدلّ على إمكانه كما قد ثبت بالاختبار والسير امكانه و خير دليلٍ عليه هؤلاء الكاملون البالغون أعلى مراتبه، فلا عذر للناس يُقبل منهم في تلك الساحة، نعم الاهتمام به هو المقبول حتّى نخلّى عن الرّذائل و نحلّى بالفضائل انشاءالله و نحصّل حضور القلب بمراتبه و قد اشتهر انّ من ولج امراً و لجّ ولج و من قرع باباً و جدّ وجد.

و بالجملة، طرق تحصيل هذه اللطيفة الالهيّة مختلفة :

١ ـ تقوية الايمان فكلّما زاد المعرفة زاد حضور القلب و المراد من الايمان نور يقذفه الله في القلب المتّقي.

١ـ بحار الانوار، ج ٨١، ص ٢٦٥، باب ١٦، ذيل حديث ٦٦.

٢ـ بحار الانوار، ج ٨١، ص ٢٦١، باب ١٦، ذيل حديث ٥٩.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ليس العلم بكثرة التعلّم انّما هو نور يقذفه الله في قلب من يريد ان يهديه.[١]

فمن أدخل الله تعالى في قلبه فحضور القلب له في جميع الحالات فضلاً عن الصلوة سهل يسير.

فلو رأيت أن لا نصيب لنا من هذه اللطيفة العظمى فليس إلّا لأنّ الشياطين يحومون حول قلوبنا و انّ الهوى و المعاصى تقساها و ليس لصاحب الدار فيها اثر بل هي مغصوبةٌ من قبل الهوى و الشياطين فلابد من تقوية الايمان اوّلاً بالتفكّر و التعقّل و ثانياً بنقش القلب بقلم الايمان بعد تحليته بالفضائل العلميّة و بالاهتمام بالواجبات و المندوبات و الاجتناب عن المحرّمات بل الشبهات و المكروهات بل الفضولات، و بالاستدامة على تلك الرياضات المشروعة يرسّخ ذلك النقش في القلب حتّى يحصل له الاطمينان فبعد ذلك الرسوخ ليس للمصلّي ان يقوم بها من غير حضورٍ لقلبه فيها، و بل في غيرها من عباداته، فحينئذٍ تصير الصلاة له ملذّة لا لذّة فوقها، كما قد أشار الله تعالى في التنزيل العزيز إلى هذه المراتب الثلاث و إلى الوصول بالغاية بعد تزيّن العبد بالمرتبة الاولى فضلاً عن مرتبتي الثانية أو الثالثة.

قال تعالى: **﴿سنريهم آياتنا في الافاق و في انفسهم حتّى يتبيّن لهم انّه الحقّ أو لم يكف بربّك انّه على كلّ شيء شهيد* اَ لا انّهم في مرية من لقاء ربّهم اَ لا انّه بكلّ شيء محيط﴾**.[٢]

و في مصطلح هذا العلم يقال للاوّل علم اليقين و للثّانى عين اليقين و للثالث حقّ اليقين.

و القرآن ذكر من حصل له المرتبة الثالثة بل المرتبة الثانية مباركاً.

قال تعالى: **﴿فلمّا جاءَها نودى ان بورك من في النار و من حولها و سبحان الله ربّ**

١- بحار الانوار، ج ٦٧، ص ١٤٠، باب ٥٢، ذيل ح ٥.

٢- فصّلت / ٥٣، ٥٤.

العالمين﴾.[1]

٢ ـ حبس قوّة الخيال و الواهمة لانّهما يفرّان كعصفورٍ يفرّ من النسّر، فيلتجأ من شجر إلى شجر و من غصن إلى آخر، فلا يمكن للمصلّى جمع حواسّه مادام أنّهما في الطيران من ناحية إلى آخر، فحبس قوّتي الخيال و الواهمة لتحصيل حضور القلب ضروريّ و انّه من المعدّات بل من المقدّمات الهامّة، و هذا الامر مشكل جدّاً.

نعم، أهل المعرفة يدفعونهما بالخشية أو الرّغبة الّتي تحصل لهم عند الصلوة، فتلك الحالة تمنع ان تطيران و ان لم يحبسا، و فرق واضح بين كون القوّة الخيال أو الواهمة أو غيرهما بيد صاحبها مضبوطةً بها و بين من غلبت عليه قوّة من قواها نظير غلبة الشهوة أو الغضب عليه أو غلب عليه عقله أو ايمانه أو التفاته إلى ربّه فتمنع عن طيران القوّة الخيال و الواهمة.

و هذا يحتاج إلى رياضات شديدة و مشقّات عديدة، فلو تحمّل المشاقّ كما يتحمّله اصحاب الرياضات غير المشروعة كمرتاضي الهند فله أن يسلّط على قواها كما يتسلّط هو على القوى الكامنة في عالم الطبيعة، فيمشى على الماء و يطير في الهواء، و ليس تحصيل السلطان على قوى النّفس بأصعب من التسلّط على القوى الطبيعيّة فعلى المسلم أن يجاهدها صابراً فيه غير يائسٍ من الظفر عليها حتّى تحصل له ملكة حضور القلب في جميع العبادات و منها أفضلها الّتي هي الصلاة.

٣ ـ عدم التوغل في المشتهيات النفسيّة و هذا سرّ وصيّة أهل السّلوك تلامذتهم بالمباعدة عن التوغّل في المشتهيات، لانّه ردمٌ محكم يمنع من ان يتخطّى الإنسان نحو مقصوده و لا يمكن لاحد ان يصل إلى مقام الذكر ما دام في تلك الاغلال.

و السرّ في ذلك، انّ التوغّل في المشتهيات توجب الغفلة، و الغفلة و الالتفات إلى الله تعالى لا يجتمعان بل نفس التوغّل في المشتهيات يضادّ التوغّل فيه و التوجّه إليه تعالى و لا

---

١ - النّمل / ٨.

يمكن الجمع بينهما فايّاك ثمّ ايّاك و التوغّل في المشتهيات كلّها نعوذ بالله منه.

قال تعالى: ﴿ذرهم يأكلوا و يتمتّعوا و يلههم الامل فسوف يعلمون﴾.[١]

و تكفى هذه الكريمة لابعاد النّفس عنها لو كان لها سمعٌ أو قلب شهيد، مع أنّ لها نظائر كثيرة في التنزيل العزيز فترى أنّه كيف تشبّه المعقول بالمحسوس فى المقام و ما احسن ذلك التشبيه! تبارك الله ربّ العالمين.

قال تعالى: ﴿انّا جعلنا في اعناقهم اغلالاً فهى إلى الاذقان فهم مقمحون * و جعلنا من بين ايديهم سدّاً و من خلفهم سدّاً فاغشيناهم فهم لا يبصرون﴾.[٢]

و ممّا ذكرناه يظهر انّ حضور القلب يحتاج إلى تحديد الميول و ارضائها بما يصدّقه العقل و الشرع.

٤ ـ قصر الامل بل رفعه و دفعه و المراد منه الامل المذموم الّذي ينسدّ طريق الكمال و يسدّه كما مرّ الكلام فيه مفصّلاً و هو رجاء الإنسان ما لا يصدّقه العقل و الشرع كرجاء البطّال خير الدّنيا و الآخرة و رجاء تارك الصّلوة مثلاً الجنّة و نحو ذلك و هو حمق لا رجاء و هو رجاء كاذب و هو كلفّ الدود القزّ حول نفسه لا ينفعه إلّا الهلاك و قد أردعنا عنه الذكر الحكيم كما قد مضى آنفاً بعض آياته المباركة في هذا المضمار، و قد ورد النهى عنه في طائفةٍ من كلمات أهل العصمة عليهم السلام.

قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: انّ اخوف ما اخاف على امّتى الهوى و طول الامل أمّا الهوى فانّه يصدّ عن الحقّ و أمّا طول الامل فينسى الآخرة.[٣]

و قال أميرالمؤمنين عليه السلام: انّما اخاف عليكم اثنتين، اتّباع الهوى و طول الامل أمّا اتّباع الهوى فانّه يصدّ عن الحقّ و أمّا طول الامل فينسى الآخرة.[٤]

١- الحجر / ٣.
٢- يس / ٨، ٩.
٣- بحار الانوار، ج ٦٧، ص ٧٥، باب ٤٦، ح ٣.
٤- الكافي، ج ٢، ص ٣٣٥، ح ٣.

و بالجملة: انّ طول الامل يمنع عن الالتفات إلى الله و حضور القلب معه تعالى و مادام المرء من المؤمّلين فلا يرجوا أن يكون من حاضري القلوب. بل رجائه هذا أيضاً من طول الأمل المذموم.

٥ ـ عدم التوغّل في الدّنيا بمعناه العام و الذكر الحكيم عرّف رجال الحقّ بانّهم لا تلهيهم تجارة و لا بيع عن ذكر الله.

قال تـعالى: ﴿**في بيوت اذن الله ان ترفع و يذكر فيها اسمه يسبّح له فيها بالغدوّ و الآصال * رجال لا تلهيهم تجارة و لابيع عن ذكر الله و اقام الصلوة و ايتاء الزّكوة يخافون يوماً تتقلّب فيه القلوب و الابصار**﴾.[1]

و قد نهى عن التّلهّى بذلك.

قال تعالى: ﴿**لا تلهكم اموالكم و لا اولادكم عن ذكر الله**﴾.[2]

و قال تعالى: ﴿**الهيكم التّكاثر * حتّى زرتم المقابر**﴾.[3]

و من المعلوم أنّ القلب الّذي ليس فيه صاحبه، بل غصبه الأغيار و الأعداء ليس له أن يحضر في صلوة صاحبه فاهل الدنيا يلتفتون إلى تلك الدنيا الدنية الّتي هي مثار الكثرة و أهل الله ملتفتون إلى العالم الربوبى الّذي ملأتْه الوحدة الحقّة، فللهؤلاء التوغل في الكثرة و للهؤلاء التوغل في الوحدة، فطوبى لقلب لا يشغله شيءٌ عن صاحبه فهم فى صلواتهم فى اللهو و اللعب و انهم فيها منغمرين في الوحدة فحضور القلب لأهل الدّنيا محال و لأهل الله تعالى يسر يسير، و قد أشار الذكر الحكيم إلى الطّائفتين في جملةٍ من آيه المباركة. فلاهل الدنيا قال تعالى: ﴿**و ذر الّذين اتخذوا دينهم لعباً و لهواً و غرّتهم الحيوٰة الدّنيا**﴾.[4]

و لأهل الله تعالى قال: ﴿**رجال لا تلهيهم تجارة و لا بيع عن ذكر الله**﴾.[5]

١- النّور / ٣٧، ٣٦.　٢- المنافقون / ٩.　٣- التّكاثر / ٢، ١.　٤- الانعام / ٧٠.

٥- النور ٣٧.

فهم رجال الحقّ و انّهم رجال الدنيا، فكلّ يعملون على شاكلتهم.

قال تعالى: ﴿قل كلّ يعمل على شاكلته﴾.[١]

٦ ـ المراقبة التامّة للاجتناب عن المعاصي لان الخطيئة يقلّب أعلا القلب أسفله.

قال الصادق عليه السلام: ما من شيء افسد للقلب من خطيئة انّ القلب ليواقع الخطيئة فما تزال به حتّى تغلب عليه فيصير اعلاه اسفله.[٢]

و هو تعالى يغضب على القلب القاسي بالذنوب، فكيف يمكن ان يقع فيه تلك اللطيفة الالهيّة الّتي لاينالها إلّا المخلصون من عباده.

قال تعالى: ﴿فمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربّه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله﴾.[٣]

و قال تعالى: ﴿فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام و من يرد ان يضلّه يجعل صدره ضيّقاً حرجاً كانّما يصّعّد في السّماء كذلك يجعل الله الرّجس على الّذين لا يؤمنون﴾.[٤]

٧ ـ التخلية من الصّفات الرّذيلة و لا اقلّ من كون المرء بصدد تهذيب النّفس و المواظبة التامّة على أن لا يشغلها شيءٌ عن الله.

و بعبارة أخرى، لو لم يفز بتخليتها عن الرذائل، فله أن يخمد نار الصفات الرذيلة لئلّا يشتعل النّفس بها و هذا ضروريٌّ لابدّ منه، و إلّا فلنار الكبر و الحسد و غيرهما من الرذائل ان تاكل دين المرء من غير أن يبقى منه رماداً، فضلاً من ان تبطل حضور قلبه في أعماله و أفعاله.

فحضور القلب يحتاج إلى القلب النّقي لانّه ثمرته و فاكهته فكانّ حضور القلب شجرة

١- الاسراء / ٨٤. ٢- الكافي، ج ٢، ص ٢٦٨، باب الذّنوب، ح ١. ٣- الزمر / ٢٢.

٤- الانعام / ١٢٥.

مثمرة تنبت في القلب النقيّ، أمّا القلب الكدر بالرذائل و سلطة الهوى لا يخرج منه إلّا نكداً.

قال تعالى: ﴿و البلد الطيّب يخرج نباته باذن ربّه و الّذي خبث لا يخرج إلّا نكداً﴾.[١]

و قال تعالى: ﴿قل كلّ يعمل على شاكلته﴾.[٢]

٨ ـ الدّعاء و التضرّع و الالحاح و التوسّل إلى الرسول الأعظم و أهل بيته عليهم السلام لانّ مطلق تهذيب النّفس بمراتبه من التخلية و التحلية و التجلية و اللّقاء و ما فوقه لا يحصل لأحدٍ إلّا من فضل الله تعالى و وهبه.

و الذكر الحكيم يؤكّد على أنّ الله تعالى هو الّذي يزكّي من يشاء من عباده، فينحصر تعليم محاسن الأخلاق فيه تعالى.

قال تعالى: ﴿و لو لا فضل الله عليكم و رحمته ما زكى منكم من احد ابداً و لكن الله يزكّي من يشاء﴾.[٣]

فهو من الله يؤتيه من يشاء من عباده الّذين يفعلون ما امرالله به و يتركون ما نهى عنه و يدعون الله تضرّعاً، رغباً و رهباً و يتوسّلون بعناية أهل البيت الّذين هم وسائط فيض الله تعالى.

و لكن الفوز بحضور القلب و الخلوص و الانقطاع إلى الله تعالى و نحو ذلك من المقامات الرفيعة يحتاج إلى زائدٍ من التضرع و الابتهال و التوسّل لأنّها من العنايات الخاصّة الّتي لا يهبها الله تعالى إلّا لمن أصرّ عليها، و هم المخلَصون الّذين لهم العنايات الخاصّة من الله تعالى:

قال الصادق عليه السلام: هلك العاملون إلّا العابدون، و هلك العابدون إلّا العالمون، و هلك العالمون إلّا الصادقون، و هلك الصادقون إلّا المخلصون، و هلك المخلصون إلّا المتّقون، و هلك

١- الاعراف / ٥٨. ٢- الاسراء / ٨٤ ٣- النّور / ٢١.

المتّقون إلّا الموقنون، و انّ الموقنين لعلى خطر عظيم، قال الله لنبيّه صلّى الله عليه و آله و سلّم: و اعبد ربك حتّى يأتيك اليقين.[1]

هذا ما يخطر بالبال في البحث عن حضور القلب بمراتبه و ما يترتّب عليه من الآثار و ما هو متوقّف عليه من المقدّمات فنسئل الله تعالى ان يفضّل علينا فيهبنا ما هو فوق المراد و ان كنّا غير لائقين له و لكن للعبد ان يطمع في المحاسن فيحبّها، و قد ورد من ائمّة أهل البيت عليهم السلام: من احبّ شيئاً حشره الله معه.

و قد وقع الفراغ من هذا البحث في النصف الأخير من ليلة السابع لرمضان المبارك سنة ١٤١٥ و نذيّل البحث ببعض روايات وردت في المقام حتّى يكون البحث بها كاملاً مكمّلاً، حيث تمسّكنا بكثير من آيات الكتاب فيه، ولكن تمسّكاً بحديث الثقلين المبارك نأتي بطائفةٍ منها لنكون آخذين بالكتاب و السّنة.

١- بحار الانوار، ج ٦٧، ص ٢٤٥، باب ٥٤، ح ١٨.

روايات في حضور القلب

❊ قال جعفر بن محمّد عليه السلام: ما انعم عزّوجلّ على عبد اجلّ من ان يكون في قلبه مع الله غيره.[1]

❊ قال الصادق عليه السلام: القلب حرم الله فلا تسكن حرم الله غير الله.[2]

❊ على بن جعفر، عن اخيه، عن ابيه عليهما السلام قال: اوحى الله عزّوجلّ إلى موسى عليه السلام: يا موسى لا تفرح بكثرة المال، و لا تدع ذكرى على كلّ حال، فانّ كثرة المال تنسى الذنوب و انّ ترك ذكرى يقسى القلوب.[3]

❊ قال الصادق عليه السلام: اعراب القلوب على اربعة انواع، رفع و فتح و خفض و وقف، فرفع القلب في ذكر الله، و فتح القلب في الرّضا عن الله، و خفض القلب في الاشتغال بغير الله، و وقف القلب في الغفلة عن الله. اَ لا ترى انّ العبد إذا ذكر الله بالتعظيم خالصاً ارتفع كلّ حجاب كان بينه و بين الله من قبل ذلك، و إذا انقاد القلب لمورد قضاء الله بشرط الرضا عنه كيف ينفتح القلب بالسرور و الروح و الراحة، و إذا اشتغل قلبه بشيء من اسباب الدنيا كيف تجده إذا ذكر الله بعد ذلك و آياته منخفضاً (مظلماً) كبيت خراب خاوياً، و ليس فيه

١- بحار الانوار، ج ٦٧، ص ٢١٠، باب ٥٣، ذيل ح ٣٣.

٢- بحار الانوار، ج ٦٧، ص ٢٥، باب ٤٣، ذيل ح ٢٧.

٣- بحار الانوار، ج ٦٧، ص ٥٥، باب ٤٤، ح ٢٣.

العمارة و لا مونس، و إذا غفل عن ذكر الله كيف تراه بعد ذلك موقوفاً محجوباً قد قسى و اظلم منذ فارق نور التعظيم، فعلامة الرفع ثلاثة اشياء: وجود الموافقة، و فقد المخالفة، و دوام الشوق، و علامة الفتح ثلاثة اشياء: التوكّل و الصدق و اليقين، و علامة الخفض ثلاثة اشياء: العجب و الرياء و الحرص، و علامة الوقف ثلاثة اشياء: زوال حلاوة الطاعة، و عدم مرارة المعصية، و التباس العلم الحلال بالحرام.(١)

* قال رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم: ناجى داود ربّه فقال: الهى لكلّ ملك خزانة فأين خزانتك؟ قال جلّ جلاله: لى خزانة اعظم من العرش و اوسع من الكرسى و اطيب من الجنّة و ازين من الملكوت، ارضها المعرفة و سماؤها الايمان و شمسها الشوق و قمرها المحبّة و نجومها الخواطر و سحابها العقل و مطرها الرحمة و اثمارها الطاعة و ثمرها الحكمة، و لها اربعة أبواب، العلم و الحلم و الصّبر و الرضا، اَ لا و هي القلب.(٢)

* عن أبي اسامة قال: زاملت أبا عبدالله عليه السلام قال: فقال لى: اقرأ فافتتحت سورة من القرآن فقرأتها، فرقّ و بكى، ثم قال: يا أبا أُسامة ارعوا قلوبكم بذكر الله عزّوجلّ و احذروا النكت فانّه يأتى على القلب تاراة أو ساعات ـ الشك من صباح(٣) ـ ليس فيه ايمان و لا كفر، شبه الخرقة البالية أو العظم النخر، يا أبا اسامة اليس ربّما نفقّدت قلبك فلا تذكر بـه خيراً و لا شرّاً، و لا تدرى اين هو؟ قال: قلت له: بلى انّه ليصيبنى و اراه يصيب النّاس، قال: اجل ليس يعرى منه احد، قال: فاذا كان ذلك فاذكروا الله عزّوجلّ، و احذروا النكت، فانّه إذا اراد بعبد خيراً نكت ايماناً و إذا اراد به غير ذلك نكت غير ذلك، قال: قلت: ما غير ذلك؟ جعلت فداك ما هو؟ قال: إذا اراد كفراً نكت كفراً.(٤)

* عن سفيان بن عيينة قال: سألت الصادق عن قول الله عزّوجلّ ﴿إلاّ من أتى الله

١- بحار الانوار، ج ٦٧، ص ٥٥، باب ٤٤، ح ٢٥.

٢- بحار الانوار، ج ٦٧، ص ٥٩، باب ٤٤، ح ٣٧.

٣- هو صباح الحذّاء، راوى الخبر عن أبي اسامة.

٤- بحار الانوار، ج ٦٧، ص ٥٩، باب ٤٤، ح ٣٨.

بقلب سليم﴾ قال: السليم الّذي يلق ربّه و ليس فيه احد سواه.....[١]

* عن النبي صلّى الله عليه و آله و سلّم: على كلّ قلب جاثم من الشيطان، فاذا ذكر اسم الله خنس و ذاب، و إذا ترك ذكر الله التقمه الشيطان فجذبه و اغواه و استزلّه و اطغاه.[٢]

* قال الباقر عليه السلام في وصيته لجابر بن يزيد الجعفي: و اطلب راحة البدن باجمام القلب، و تخلّص إلى اجمام القلب بقلّة الخطأ، و تعرّض لرقّة القلب بكثرة الذّكر في الخـلوات، و استجلب نور القلب بدوام الحزن.[٣]

* قال أميرالمؤمنين عليه السلام في الغرر:

أصل صلاح القلب اشتغاله بذكر الله.

عليك بذكر الله فانه نور القلب.

من ذكر الله سبحانه احيى الله قلبه و نوّر عقله و لُبّه.

بدوام ذكر الله تَنْجاب الغفلة.

من عمّر قلبه بدوام الذكر حسنت افعاله في السر و الجهر.

ليس في الجوارح اقلّ شكراً من العين فلا تعطوها سؤلها فشغلكم عن ذكر الله.

ليس في المعاصى اَشَدُّ من اتباع الشهوة، فلا تطيعوها فيشغلكم عن ذكر الله.

من نسى الله سبحانه انساه نفسه و اعمى قلبه.

من اشتغل بذكر النّاس قطعه الله سبحانه عن ذكره.[٤]

* فيما وعظ الله عزّوجلّ به عيسى عليه السلام: .... يا عيسى اذكرنى في نفسك اذكرك في نفسى، و اذكرنى في ملائك اذكرك في ملاء خير من ملاء الآدميّين... يا عيسى اطب لى قلبك

١- بحار الانوار، ج ٦٧، ص ٥٩، باب ٤٤، ح ٣٩. ٢- بحار الانوار، ج ٦٧، ص ٦١، باب ٤٤، ح ٤٢.

٣- بحار الانوار، ج ٧٥، ص ١٦٤، باب ٢٢، ذيل ح ١.

٤- تصنيف الغرر، ص ١٩٠ ـ ١٨٩.

و أكثر ذكرى في الخلوات و اعلم انّ سروری ان تبصبص الیّ، كن في ذلك حيّاً و لا تكن ميّتاً...[1]

۱- الكافي، ج ۸، ص ۱۳۸ و ۱٤۱، ح ۱۰۳.

الرّذيلة الرّابعة و الثّلاثون: غفلة القلب من الله تعالى

و هذه الرذيلة توجب زوال السمع و البصر و القلب الشهيد من الإنسان فيصير حيواناً عليه سمات المرء و لكنّه أضلّ منه فمأواه جهنّم.

قال الله تعالى: ﴿و لقد ذرأنا لجهنّم كثيراً من الجنّ و الانس لهم قلوب لا يفقهون بها و لهم اعين لا يبصرون بها و لهم اذان لا يسمعون بها اولئك كالانعام بل هم اضلّ اولئك هم الغافلون﴾.[1]

و لا محالة انّه إذا خلى القلب من الله و غفل عنه تعالى عن ملكة يدخل فيه الشياطين، و كلّ داخلٍ فيه ليس إلّا صنماً، هذه هي رؤية القرآن و رويّتها قبل شواغل القلب داخلية كانت أو خارجية انسيةً كانت أو جنيّة.

قال تعالى: ﴿افرأيت من اتّخذ الهه هواه و اضلّه الله على علمٍ﴾.[2]

و قال تعالى: ﴿الم اعهد إليكم يا بنى آدم ان لا تعبدوا الشيطان انّه لكم عدوّ مبين﴾.[3]

و قال تعالى: ﴿يوم يعضّ الظّالم على يديه يقول يا ليتنى اتّخذت مع الرّسول سبيلاً

١- الاعراف / ١٧٩. ٢- الجاثية / ٢٣. ٣- يس / ٦٠.

﴿ يا ويلتى ليتنى لم اتّخذ فلاناً ﴾ خليلاً لقد اضلّنى عن الذكر بعد اذ جائنى وكان الشيطان للانسان خذولاً ﴾.[۱]

و قال تعالى: ﴿و ذر الّذين اتّخذوا دينهم لعباً و لهواً و غرّتهم الحيٰوة الدّنيا﴾.[۲]

و لها نظائر أخرىٰ في التنزيل العزيز كثيرة.

فالغفلة من الله تعالى الناشئة عن ملكتها تلازم دخول الشياطين في القلب و التفاته اليها تكون في حدّ الشرك بل هو الشرك بلا ريبٍ و ان لم يكن شركاً بحسب التكليف المبحوث عنه في علم الفقه. و لايمكن الوصول إلى السّعادة مع الغفلة أو التغافل عن ساحته العزيز.

و هذه الغفلة كحالة التفات القلب و حضوره لها مراتب بحسب المتعلّق، فالشقيّ كلّ الشقيّ من لا تزول عنه الغفلة حتّى في صلواته و قرائته القرآن و اعماله الصالحة، فليخف من كونه معدوداً في صنف الحيوان.

قال رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم: اما يخاف الّذي يحوّل وجهه في الصلوة ان يحوّل الله وجهه حماراً.[۳]

و المعنى ـ والله أعلم! ـ انّ من ليس له حضور القلب في الصّلوة فيحوّل قلبه هنا و هناك ليخف ان يُبدّل قلبه حماراً و هذا معنى قوله تعالى: ﴿اولئك كالانعام بل هم اضلّ اولئك هم الغافلون﴾.[٤]

و توضيح ذلك، انّ مفسّري الفريقين ذهبوا إلى كون الآيات و أمثالها بصدد تشبيه الغافل و الفاسق و الكافر بالأنعام و الموتى و أشباهها، فليس لهم أن يقبلوا الحقّ. فهم كالموتى و الحيوان في عدم تأثير الحقّ في قلوبهم.

۱- الفرقان / ۲۷ ـ ۲۹. ۲- الانعام / ۷۰.

۳- المستدرك، ج ٤، باب ۲ من أبواب افعال الصّلوة، رواية ۲۰، ص ۱۰۱. ٤- الاعراف / ۱۷۹.

قال تعالى: ﴿انّك لا تسمع الموتى و لا تسمع الصمّ الدّعاء﴾.[١]

و قال تعالى: ﴿ان في ذلك لذكرى لمن كان قلب أو القى السمع و هو شهيد﴾.[٢]

هذا، و لكن لقائل ان يقول انّ مثل هذه الآيات مضافاً إلى ما قالوا تدلّ على تجسم الاعمال و تاثيرها على القلب حيث بمرّ الزمان و بالاصرار على الموبقات تبدّل النّفس الناطقة بحيوان يناسب ما أصرّت عليه من الحمار و الكلب و الخنزير و القردة و نحوها، فالظالم يحشر كلباً عقوراً، و اللّجوج و العنود يحشرا على وجوههما، و العالم غير المهذّب و العالم الفاسق يحشرا كحمارٍ يحمل عليه اسفارٌ بل يحشر كلباً، و آكل الرّبا يحشر سكارى، و آكل الحرام يحشر خنزيراً، و المقلّدة يحشر قرددة و هكذا، و من لا يقبل الحقّ عناداً فهو عميً قلباً و ليس له قلب واقعاً فله البُعد الناسوتى فقط و لا حظّ له من الملكوتي.

قال تعالى: ﴿فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث﴾.[٣]

و قال تعالى: ﴿و نحشرهم يوم القيامة على وجوههم عمياً و بكماً و صمّاً مأواهم جهنّم﴾.[٤]

و قال تعالى: ﴿مثل الّذين حمّلوا التّورٰية ثمّ لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفاراً﴾.[٥]

و قال تعالى: ﴿انّ شرّ الدوابّ عندالله الصم البكم الّذين لا يعقلون﴾.[٦]

و قال تعالى: ﴿اولئك كالانعام بل هم اضلّ اولئك هم الغافلون﴾.[٧]

و قال تعالى: ﴿الّذين يأكلون الرّبا لا يقومون إلّا كما يقوم الّذي يتخبّطه الشيطان من المس﴾.[٨]

١- النّمل / ٨٠. ٢- ق / ٣٧. ٣- الاعراف / ١٧٦. ٤- الاسراء / ٩٧.

٥- الجمعة / ٥. ٦- الانفال / ٢٢. ٧- الاعراف / ١٧٩. ٨- البقرة / ٢٧٥.

و قال تعالى: ﴿و جعل منهم القردة و الخنازير﴾.[١]

و نظير الآيات في القرآن كثير و لها دلالةٌ على تأثير العمل في النّفس و كيفيّتها فبالأعمال القبيحة و الصفات الرّذيلة تبدّل الهويات الانسانية إلى الحيوانية و في يوم تبلى السّرائر و الهويات يشاهدها جميع النّاس أمّا اصحاب البصر فيشهدوها الآن في هذا الدنيا، فهي لهم بارزةٌ الآن.

نعم، انّ التّوبة كالأرض السَّبْخة الّتي يقع فيها الكلب فيُطهَّر، حيث بالتوبة يصير باطن المرء طاهراً كما انّ ظاهره كان على صورة الانسان.

قال تعالى: ﴿إلّا من تاب و آمن و عمل عملاً صالحاً فاولئك يبدّل الله سيّئاتهم حسنات و كان الله غفوراً رحيماً﴾.[٢]

و لو لم يكن لهذه الرّذيلة شيء إلّا عدم قبول اعمال المتّصف بها و لو كانت صحيحة مبرئة للذمة حيث انه كالفاسق الّذي لا يتقبّل الله منه شيئاً.

قال تعالى: ﴿انّما يتقبّل الله من المتّقين﴾.[٣]

لكفاك ان تقول انّها من أخبث الرذائل و قد مرّ انّ الاعمال كلّها يتوقّف قبولها على الصلوة، و الصلوة يتوقّف قبولها على حضور القلب.

قال رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم: يمضى على الرّجل ستّون سنة أو سبعون ما قبل الله منه صلوة واحدة.[٤]

نعم كون الفعل مجزياً عن التكليف و ترتّب الثواب عليه أمرٌ و القبول و كونه مقرّباً أمرٌ آخر و بينهما بونٌ بعيد.

قال رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم: ان الرّجلين من امّتى يقومان في الصلوة و ركوعهما و سجودهما

١- المائدة / ٦٠. ٢- الفرقان / ٧٠. ٣- المائدة / ٢٧.

٤- المستدرك، ج ٤، باب ٢، رواية ٢٤، ص ١٠٢.

واحد و ان ما بين صلوتيهما مثل ما بين السّماء و الارض.[١]

و هذا هو الفرق بين صلاة إذا عرضت عليه تعالى ناداها فقال: مرحباً بكِ، و صلاة لاينظر تعالى اليها إلّا نظر غضبان فيقول: لا مرحباً و لاكرامة بكِ.

قال رسول الله صلّی الله علیه و آله و سلّم: إذا قام العبد المؤمن في صلوته نظر الله إليه حتّى ينصرف و اظلّته الرّحمة من فوق رأسه إلى افق السّماء و الملائكة تحفّه من حوله إلى افق السّماء و وكّل الله به ملكاً قائماً على رأسه يقول: ايّها المصلّي لو تعلم من ينظر إليك و من تناجى ما التفتّ و لازلت من موضعك ابداً.[٢]

و قال الصّادق علیه السلام في رواية: انّ الله إذا اطّلع على قلب العبد و هو يكبّر و في قلبه عارض عن حقيقة تكبيره قال: يا كاذب اتخدعنى؟ و عزّتى و جلالى لاحرّمنّك حلاوة ذكرى و لاحجّبنّك عن قربى.[٣]

و هذه الرّذيلة باعتبار نفسها مقولة بالتشكيك فلا محالة لها مراتب.

فالمرتبة الاولى: هي صرف الغفلة عن الله و عدم الالتفات إلى كونه و كون جميع أطوار الوجود بمحضرٍ منه تعالى. و حيث إنّ جميع العوالم محضره تعالى فهو أقرب من حبل الوريد بل انّه أقرب من نفس كلّ شيء إلى ذلك الشّيء فهو القريب و هذا الغافل هو البعيد، ولله درّ من أنشد:

چه کنم با که توان گفت که دوست   در کنار من و من مهجورم

و هذا شقاء ليست فوقها شقاء!. و من المؤسّف عليه انغمارنا كلنا في الغفلة و حتّى في الصلوات الواجبة ـ نعوذ بالله منها ـ

و المرتبة الثّانية: هي الغفلة عن القلب، أي: غفلة الغافل عن قلبه.

١- المستدرك، ج ٤، باب ٢، رواية ١٣، ص ٩٨.   ٢- المستدرك، ج ٤، باب ٢، رواية ٢٢، ص ١٠١.

٣- المستدرك، ج ٤، باب ٢، رواية ٩، ص ٩٦.

قال تعالى: ﴿و لا تكونوا كالّذين نسوا الله فانساهم انفسهم اولئك هم الفاسقون﴾.[١]

فحينئذٍ يغتنم الشياطين الفرصة، فيدخلون في هذا المحلّ الرّفيع الّذي هو امانة من الله تعالى عند العبد.

قال تعالى: ﴿انّا عرضنا الامانة على السّموات و الأرض و الجبال فابين ان يحملنها و اشفقن منها و حملها الإنسان انّه كان ظلوماً جهولاً﴾.[٢]

و الظاهر ان الامانة و لو جرياً هي قلب المؤمن.

و قال تعالى في الحديث القدسي: لا يسعنى سمائى و لا ارضى و لكن وسعنى قلب عبدى المؤمن.[٣]

و روى انّ قلب المؤمن عرش الرّحمن.[٤]

نعم، انّ هذا الإنسان يكون ظلوماً على نفسه حيث يبدّل الله تعالى بالشياطين و يدخل في قلبه اعداء الله بعد ان يخرجه تعالى منه ـ أُفٍّ له ـ و يكون جهولاً بنفسه و لا يعرف نفسه الّتي لها ان تصل إلى مقام اللّقاء بمراتبه و لكن تتوغّل في هذه الدّنيا فتتمرّق فيها تمرّق الدود في القاذورات.

و المرتبة الثالثة: هي الغفلة عن تلك الشياطين فينفذون في القلب فيتولّون أمره فحينئذٍ تكون لهم الولاية عليه.

قال تعالى: ﴿انّه ليس له سلطان على الّذين آمنوا و على ربّهم يتوكّلون * انّما سلطانه على الّذين يتولّونه﴾.[٥]

فكما انّ الله تعالى يتولّى قلب المؤمن فيكون بين اصبعين من اصابعه تابعٌ لإرادته،

١- الحشر / ١٩. ٢- الاحزاب / ٧٢. ٣- بحار الانوار، ج ٥٥، ص ٣٩، باب ٤، ذيل ح ٦١.

٤- بحار الانوار، ج ٥٥، ص ٣٩، باب ٤، ذيل ح ٦١. ٥- النحل / ٩٩، ١٠٠.

قال تعالى: ﴿و ما تشاؤن إلّا ان يشاء الله﴾.[١]

فيقلّبه حيث يشاء ليخرجه من الظّلمات إلى النّور، فكذلك من تولّى الشيطان أمر قلبه يكون قلبه بين أصابع اللعين يقلّبه ليخرجه من النور إلى الظلمات و لا مآل له إلّا الجحيم ليخلد فيه.

قال تعالى: ﴿**الله وليّ الّذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور و الّذين كفروا اوليائهم الطاغوت يخرجونهم من النّور إلى الظلمات اولئك اصحاب النّار هم فيها خالدون**﴾.[٢]

و المرتبة الرّابعة: هي الغفلة عن حكم اللعين عليه حتّى يصبّغ القلب بصبغه فيصير القلب شيطاناً و حينئذٍ ليس صاحبه إلّا شيطاناً و طاغوتا فهو بحسب الظاهر و ان كان انساناً و لكنّه بحسب النّفس و الحقيقة أقبح و أضلّ من الأبالسة و قد أكثر الله تعالى من اطلاق الشيطان على هذا العبد الأثيم في التنزيل الحكيم:

قال تعالى: ﴿و كذلك جعلنا لكلّ نبيّ عدوّاً شياطين الانس و الجنّ﴾.[٣]

و قال تعالى: ﴿**قل اعوذ بربّ النّاس * ملك النّاس * اله النّاس * من شرّ الوسواس الخنّاس * الّذي يوسوس في صدور النّاس * من الجنّة و النّاس**﴾.[٤]

و الظاهر انّ لفظتى الشيطان و الشياطين في الكتاب العزيز تشمل شيطاني الجنّ و الإنس، الّا ما شذّ، حيث تختصّ بواحدٍ منهما دون الآخر، فعلى سبيل المثال انظر إلى هاتين الآيتين المباركتين حيث اختصت هذه اللفظه فيهما بالشيطان الانسى فقط.

قال تعالى: ﴿و من يعش عن ذكر الرّحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين﴾.[٥]

و قال تعالى: ﴿يوم يعضّ الظالم على يديه يقول يا ليتنى اتّخذت مع الرّسول سبيلاً

١- الإنسان / ٣٠. ٢- البقرة / ٢٥٧. ٣- الانعام / ١١٢. ٤- النّاس / ١ ـ ٦.

٥- الزخرف / ٣٦.

* يا ويلتى ليتنى لم اتّخذ فلاناً خليلاً * لقد اضلّنى عن الذكر بعد اذ جائنى و كان الشيطان للانسان خذولاً﴾.[١]

فالظاهر منهما الشيطان الانسى و هو القرين السّوء.

و أمّا لفظة «الطّاغوت» فالغالب استعمالها في الأبالسة الإنسيّة، و ليس في الذكر الحكيم موردٌ تُذكر و يراد بها الشياطين الجنيّة.

قال تعالى: ﴿يريدون ان يتحاكموا إلى الطّاغوت و قد امروا ان يكفروا به﴾.[٢]

و قال تعالى: ﴿و الّذين كفروا يقاتلون في سبيل الطّاغوت﴾.[٣]

هذا جزءٌ من تأثير الغفلة السوء على النّفس بحسب المعنى، و أمّا بحسب عواقبها المادّيّة فلا أقلّ من هجوم الهموم و الغموم و الأقلال الروحية على من غفل عن ذكر ربّه،

قال تعالى: ﴿و من اعرض عن ذكرى فانّ له معيشة ضنكاً﴾.[٤]

و قال تعالى: ﴿مثل الّذين كفروا بربّهم اعمالهم كرماد اشتدّت به الرّيح في يوم عاصف لا يقدرون ممّا كسبوا على شيء﴾.[٥]

و قال تعالى: ﴿و الّذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمأن ماءً.... أو كظلمات في بحر لجّيّ يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها و من لم يجعل الله له نوراً فما له من نور﴾.[٦]

و عن الصّادق عليه السلام انّه قال: من اصبح و كان همّه الدّنيا فليس من الله في شيء و الزم الله قلبه اربع خصال: همّاً لا ينقطع ابداً و فقراً لا يبلغ غناه ابداً و شغلاً لا يفرغ عنه ابداً و املاً لا يبلغ منتهاه ابداً.

فمن يطلب الآخرة و السلوك إلى الله تعالى راجياً إيّاه فليس له بدّ من الالتفات إليه

١- الفرقان / ٢٧ ـ ٢٩. ٢- النّساء / ٦٠. ٣- النّساء / ٧٦. ٤- طه / ١٢٤.

٥- ابراهيم / ١٨. ٦- النّور / ٣٩، ٤٠.

تعالى.

قال تعالى: ﴿فمن كان يرجوا لقاء ربّه فليعمل عملاً صالحاً و لا يشرك بعبادة ربّه احداً﴾.[١]

و قال تعالى: ﴿اَ لا انّ اولياء الله لا خوف عليهم و لا هم يحزنون﴾.[٢]

و كذلك من يطلب الدّنيا غير مقبلٍ إليها بشرار حواسّه و مشاعره نشيطاً فيها ذاطمئنينةٍ فليس له بدّ ايضاً منه.

قال تعالى: ﴿اَ لا بذكر الله تطمئن القلوب﴾.[٣]

و أمّا الالتفات إلى غير الله تعالى و خلوّ القلب منه تعالى فلا ينتج إلّا الضّلال.

قال تعالى: ﴿فماذا بعد الحقّ إلّا الضّلال﴾.[٤]

١- الكهف / ١١٠.　٢- يونس / ٦٢.　٣- الرّعد / ٢٨.　٤- يونس / ٣٢.

روايات في الغفلة

* قال رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم: عجب لغافل و ليس بمغفول عنه، و عجب لطالب الدّنيا و الموت يطلبه، و عجب لضاحك ملء فيه و هو لا يدرى أرضى الله أم سخط له.[1]

* عن الحسن بن على العسكرى، عن آبائه عليهم السّلام قال: قال أميرالمؤمنين صلوات الله و سلامه عليه: كم من غافل ينسج ثوباً ليلبسه و انّما هو كفنه، و يبنى بيتاً ليسكنه و انّما هو موضع قبره.[2]

* قال أميرالمؤمنين عليه السّلام:.... اغتنموا ايّام الصحّة قبل السّقم، و الشيبة قبل الهرم، و بادروا التوبة قبل الندم، و لا يحملنّكم المهلة على طول الغفلة، فانّ الاجل يهدم الامل، و الايّام موكّلة بنقص المدّة، و تفريق الاحبّة، فبادروا رحمكم الله بالتوبة قبل حضور النّوبة، و برّزوا للغيبة الّتي لا ينتظر معها الاوبة و استعينوا على بعد المسافة بطول المخافة، فكم من غافل و ثق لغفلته، و تعلّل بمهلته، فأمّل بعيداً و بنى مشيداً، فنقص بقرب اجله بعد أمله، فاجاته منيّته بانقطاع أُمنيّته، فصار بعد العزّ و المنعة و اللشّرف و الرّفعة مرتهناً بموبقات عمله قد غاب فما يرجع، و ندم فما انتفع، و شقى بما جمع في يومه و سعد به غيره في غده، و بقى مرتهناً بكسب يده، ذا هلاً عن أله و ولده، لا يغنى عنه ما ترك فتيلاً و لا يجد إلى مناص سبيلاً....[3]

١- بحار الانوار، ج ٧٤، ص ١٣٢، باب ٦، ح ٣٨.
٢- بحار الانوار، ج ٧٤، ص ٤٠٣، باب ١٥، ح ٢٦.
٣- البحار، ج ٧٧، ص ٤٤٠، باب ١٥، ذيل ح ٤٨.

* عن علي عليه السلام..... و أغفل النّاس من لم يتعّظ بتغيّر الدّنيا من حال إلى حال....[١]

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: اوحى الله عزّوجلّ إلى موسى عليه السلام: يا موسى لا تفرح بكثرة المال و لا تدع ذكرى على كلّ فانّ كثرة المال تنسي النوب و انّ ترك ذكرى يقسي القلوب.[٢]

* قال عليّ عليه السلام..... إذا هجمت منيّته عليه اغفل ما يكون عنها فياها حسرة على كلّ ذى غفلة ان يكون عمره عليه حجّة و ان تؤديّه ايامه إلى الشقوة، نسأل الله سبحانه ان يجعلنا و اياكم ممّن لا تبطره نعمة و لا تقصرّ به عن طاعة ربّه غايةٌ و لا تحلّ به بعد الموت ندامة و لا كابة.[٣]

* قال أميرالمؤمنين عليه السلام...... و انذركم بين يدى عذاب شديد فاستدركوا بقيّة ايامكم و اصبروا لها انفسكم فانها قليل في كثير الايّام الّتي تكون منكم فيها الغفلة و التشاغل عن الموعظة و لا ترخصوا لانفسكم فتذهب بكم الرخص مذاهب الظلمة و لا تداهنوا فيهجم بكم الادهان على المعصية.... و اعلموا ان الامل يسهى العقل و ينسى الذكر فاكذبوا الامل فانه غرور و صاحبه مغرور.[٤]

* قال عليّ بن أبي طالب عليه السلام..... فلا تنافسوا في عزّ الدنيا و فخرها و لا تعجبوا بزينتها و نعيمها و لا تجزعوا من ضرّائها و بؤسها فان عزّها و فخرها إلى انقطاع و ان زينتها و نعيمها إلى زوال و ضرّائها و بؤسها إلى نفاد و كلّ مدّة فيها إلى انتهاء و كلّ حيّ فيهافناء، أو ليس لكم في آثار الاوّلين مزدجر و في ابائكم الماضين تبصرة و معتبر، ان كنتم تعقلون؟ أو لم تروا إلى الماضين منكم لا يرجعون و إلى الخلف الباقين لا يبقون؟! أو لستم ترون أهل

١- البحار، ج ٧٧، ص ١١٢، باب ٦، ذيل ح ٢.

٢- الكافي، ج ٢، ص ٤٩٧، باب ما يجب من ذكر الله عزّوجلّ، ح ٧.

٣- نهج البلاغة، صبحى الصالح، خطبه ٦٤.

٤- نهج البلاغة، صبحى الصالح، الخطبة ٨٦.

الدنيا يصبحون و يمسون على احوال شتّى، فميّت يبكى، و آخر يعزّى، و صريع مبتلى، و عائد يعود، و آخر بنفسه يجود، و طالب للدنيا و الموت يطلبه، و غافل و ليس بمغفول عنه، و على اثر الماضى ما يمضى الباقى؟! اَ لا فاذكروا هادم اللذات و منقص الشهوات و قاطع الامنيات.[۱]

* قال على عليه‌السلام:.... و اوصيكم بذكر الموت و اقلال الغفلة عنه و كيف غفلتكم عمّا ليس يغفلكم و طمعكم فيمن ليس يمهلكم؟! فكفى واعظا بموتى عاينتموهم، حملواقبورهم غير راكبين و انزلوا فيها غير نازلين، فكانهم لم يكونوا للدّنيا عمّاراً و كان الآخرة لم تزل لهم داراً...[۲]

* قال علىّ عليه‌السلام:..... و هو في مهلة من الله يهوى مع المذنبين بلا سبيل قاصد و لا امام قائد..... فافق ايها السامع من سكرتك و استيقظ من غفلتك....[۳]

* قال علىّ عليه‌السلام في الغرر:

الغفلة اضرّ الاعداء.

الغفلة شيمة النّوكى.

الغفلة ضلال النفوس و عنوان النحوس.

احذروا الغفلة فانها من فساد الحسّ.

احذر منازل الغفلة و الجفاء و قلّة الاعوان على طاعة الله.

ان كنتم للنجاة طالبين فارفضوا الغفلة و اللّهو و الزموا الاجتهاد و الجدّ.

سكر الغفلة و الغرور ابعد افاقة من سكر الخمور.

شيمة العقلاء قلّة الشهوة و قلّة الغفلة.

۱- نهج البلاغة، صبحى الصالح، الخطبة ۹۹.

۲- نهج البلاغة، صبحى الصالح، الخطبة ۱۸۸.

۳- نهج البلاغة، صبحى الصالح، الخطبة ۱۵۳.

في السكون إلى الغفلة اغترار.

فافق ايها السامع من غفلتك و اختصر من عجلتك و اشدد ازرك و خذ حذرك و اذكر قبرك فانّ عليه ممرّك.

ويح ابن آدم ما اغفله و عن رشده ما اذهله.

ويح النائم ما اخسره، قصر عمله و قلّ احره.

الغفلة طرب.

الغفلة ضدّ الحزم.

الغفلة تكسب الاغترار و تدنى من البوار.

ايّاك و الغفلة و الاغترار بالمهلة فانّ الغفلة تفسد الاعمال و الاجال تقطع الامال.

بينكم و بين الموعظة حجاب من الغفلة و الغرّة.

دوام الغفلة يعمى البصيرة.

كفى بالغفلة ضلالاً.

من طالت غفلته تعجّلت هلكته.

من غلبت عليه الغفلة مات قلبه.

لا عمل لغافل.[1]

۱- تصنيف غرر الحكم، ص ٢٦٥.

الفصل الرّابع و الثلاثون

الفضيلة السّادسة و الثّلاثون: الصّبر

الرذيلة الخامسة و الثّلاثون: الجزع

الفضيلة السّادسة و الثّلاثون: الصبر

و هو ثبات النّفس و قرارها بحيث لا تحركها العواصف و الابتلائات و المصائب و لا تزلّها المشتهيات و لا تغلب عليها التوانى في الاعمال و احسن ما قيل في تعريفه هو قول سيدنا الامام الصادق عليه السلام في المؤمن: المؤمن كالجبل الراسخ لا تحرّكه العواصف.

فالعاصفة هي البأساء و الضراء و المصائب و المشتهيات الجالبة للنفس إليها و مشقة العمل و هي لا تقدر على تحريكه و نفي طمأنينة قلبه، فيحفظ قلبه عن الاضطراب و لسانه عن الشكوىٰ و الجزع و حتّى جسمه عن ظهور الاضطراب و تغيير اللون عليه و تسلّط الخوف عليه في المهالك فالصابر ثابت القلب فلا محالة له ثبوت القدم عند المصائب و المشتهيات و مشقات الاعمال و بذلك اشار رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: الصّبر ثلاثة، صبر عند المصيبة و صبر على الطاعة و صبر عن المعصية، فمن صبر على المصيبة حتّى يردّها بحسن عزائها كتب الله له ثلاثمائة درجة ما بين الدّرجة إلى الدرجة كما بين السماء إلى الارض، و من صبر على الطاعة كتب الله له ستّمائة درجة ما بين الدرجة إلى الدّرجة كما بين تخوم الأرض إلى العرش، و من صبر عن المعصية كتب الله له تِسعمِائة درجة ما بين الدرجة إلى الدرجة كما

بين تخوم الأرض إلى منتهى العرش.[۱]

و هذا حصر عقلي ذكره الرسول الأعظم، حيث إنّ الإنسان قد يصبر عند الالام و قد يصبر عند ترك اللذات و قد يصبر عند العمل بالخيرات و لا رابع لها كما ان الترتيب في الاجر ايضاً عقلي و ان اجر الصّبر على ترك اللذات اعظم من اجر الصّبر على العمل بالخيرات و الصّبر عند العمل بالخيرات اعظم اجراً من الصّبر عند المصيبة لأنّ مقصد المرء من تحمّل الالام هو استجلاب المنافع و لاغاية له إلّا استجلاب اللّذات فرفع اليد عن اللذات اصعب له من رفع اليدعن المنافع و رفع اليدعن المنافع اصعب منه عن رفع الالام.

هذا كله إذا فرض الالم و المنفعة و اللّذة في درجة واحدة و إلّا فهو خارج عن محلّ الكلام ضرورة ان الإنسان يختار من بين اللّذات و المنافع الذّها و أدومها، كما يختار من بين الآلام و الأسقام أخفّها و اسرعها زوالاً و الغرض من هذا الكلام الخارج عن محط البحث رفع النزاع الّذي وقع بين الغزالي و صاحب جامع السعادات، لان الغزالي اختار تارةً كون الصّبر على المعصية اعظم اجراً من الصّبر على المصيبة ثمّ رجع في بعض كلماته عن مختاره فرجّح الصّبر على المصيبة على الصّبر عند المعصية أمّا المحقّق النراقي فاختار غير ما اختاره الغزالي هذا تلخيص قوله في هذا المضمار:

انّ القول بترجيح احدهما على اللآخر مطلقاً، غير صحيح، و الصحيح ان الصّبر بحسب الموارد متفاوتة فرب صبر عند المصيبة كموت اعزّ اولاده اعظم اجراً من الصّبر عند المعصية كالصبر على كلمة كذب و ربّ صبر عند المعصية كارتكاب فاحشة و كبيرة موبقة اعظم اجراً من الصّبر على الم و مصيبة كالصبر على شتم و ضرب و هكذا فالصواب ان صبر من الاقسام الثلاثة يكون اشدّ و اشقّ فثوابه أكثر ممّا كان اسهل و ايسر بقاعدة ان افضل الاعمال احمزها و به يجمع بين الروايات.

۱- الكافي، ج ۲، ص ۹۱، باب الصبر، ح ۱۵.

و فيه ان هذا الكلام و ان كان في نفسه حسناً ولكنه ليس جمعاً بين الروايات و الجمع بمثل هذا جمع تبرّعى لا دليل عليه اصلاً، فالتعارض بحاله، هذا مع انّا لم نجد في المرويّات في مصادر الخاصّة خلاف الترتيب الّذي يوجد في هذه الرواية الّتي رويناها من الكافي، فلو فرض وجودها في روايات العامة فرواية الكافي مقدمة عليها و بها يرفع التعارض.

و لكنّ الّذي يسهّل الخطب انّ الدرجات المذكورة في رواية الكافي، ليس المراد منها إلّا ما إذا قيس بعض اقسامه بالآخر فلم يرجّح بعضها على بعضٍ فعند ذلك ان الصّبر عند المعصية اعظم درجة من الصّبر عند المصيبة و اما صورة عدم التساوى و كون بعض أقسامه أشدّ من الآخر فالرواية ساكتة عنه. كما ان الايات الواردة في بيان اجر الصابرين ساكتة عن ذلك فعلى سبيل المثال.

قال الله تعالى: ﴿**الّذين يوفون بعهد الله و لا ينقضون الميثاق * و الّذين يصلون ما أمر الله به ان يوصل و يخشون ربّهم و يخافون سوء الحساب * و الّذين صبروا ابتغاء وجه ربّهم و اقاموا الصلوة و انفقوا ممّا رزقناهم سرّاً و علانيةً و يدرءون بالحسنة السيّئة اولئك لهم عقبى الدّار * جنّات عدن يدخلونها و من صلح من ابائهم و ازواجهم و ذرّيّاتهم و الملائكة يدخلون عليهم من كلّ باب * سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدّار**﴾.[1]

فترى أنّه تعالى ذكر اولاً الصّبر عند المعصية ـ الّذين يوقون بعهد الله و لا ينقضون الميثاق ـ و ثانياً ذكر الصّبر عند الطاعة ـ و اقاموا الصلوة و انفقوا ممّا رزقناهم ـ و ثالثاً ذكر الصّبر عند الاذى و ظلم الغير ـ و يدرءون بالحسنة السيّئة ـ ثمّ رتّب على الصّبر ذلك الثواب العظيم على نحو الاطلاق من غير ان يرجح بعضه على بعض و من اللافت للنظر إنّ الأجر المرتّب على الصّبر لانظير له بين الأجور المخبر عنها في الذكر الحكيم المرتّب على

١- الرّعد / ٢٤ ـ ٢٠.

غيره من الحسنات.

و لقد خرجنا عن الطور الّذي اخترناه في هذا الكتاب و هو بيان المطالب من غير ذكر الأقوال و القيل و القال لان القيل و القال استعمال الشّيء في غير ما وضع له فنعتذر إليكم ممّا وقعنا فيه.

و لابأس بنا لوخرجنا عن طور البحث هيهنا لتحقيق حقيقة الصبر، فنقول:

المشهور بين مفسّري كلمة الصّبر كالراغب في المفردات و الطبرسى في المجمع و العلامة المجلسى في البحار و حتّى المحقّق الطوسى في شرح الاشارات و الغزالى و الفيض في الاحياء و المحجّة و النراقيين في جامع السعادات و معراج السعادة: أنّه حبس النّفس عن اظهار الجزع، و هذا يمنع الباطن عن الاضطراب و اللسان عن الشكوىٰ و الاعضاء عن الحركات غير المألوفة.

مع ان حبس النّفس هو التّصبّر لا الصبر، لان الصّبر ملكة و هي ثبات النّفس الّذي يلازم ثبات القلب و الجوارح كلها، إلّا ان يقال انهم ارادوا بذلك الانحباس، فيكون المعنى ان الصّبر هو منحبس النّفس فتكون النّفس منحبساً عن القيام بما يخالف مألوفها.

و لكن ارادة الاحتباس و الملكة عن الحبس مشكل جدّاً.

و الحاصل ان الصّبر ملكة تمنع الإنسان عن الاضطراب، و المشى على غير المتعارف في الاعمال و الجوارح، فمن فاز بالملكة لا يضطرب لا قلباً و لا جارحةً فهو نظير الجبل لا يحرّكه شيء من الحوادث و يفعل ما يريد بسهولة، و يترك المشتهيات بسهولة، و لا يحتاج إلى منع مانع و البحث هيهنا في الصّبر عن الملكة، لا في التصبّر، لان التصبّر و حبس النّفس على الكف فعل من الافعال و هو فعل حسن من الأخلاقيّات ولكنه ليس من الأخلاق و فضائل النفس.

فهو نظير التحلّم لا الحلم، و هو نظير التشجع لا الشجاعة، فمختار القوم في تعريف

الصّبر ليس بسديد.

كما ان القوم بعد هذا التعريف ذكروا كلاماً آخر أيضاً لا يمكن الخضوع قِبَله، و هو ان الصّبر ينقسم إلى أقسام و يسمّى كلّ باسم فالصبر في الحرب يسمّى بالشجاعة، و الصّبر في كظم الغيظ يسمّى بالحلم، و الصّبر على مشاقّ العبادات و الاجتناب عن المعاصى يسمّى بالتقوى، و الصّبر على شهوة البطن يسمّى بالعفّة، و الصّبر على فضول العيش يسمّى بالزهد و الصّبر في كتمان السرّ يسمّى بالكُتوم و هكذا، فلذا يمكن ان يقال ان الأخلاق هو الصّبر فلذا روى عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنّه إذا سئل عن الايمان قال: انّ الصّبر هو الايمان.[1]

هذا تلخيص مرامهم، و قبول ذلك مشكل جداً بل واضح المنع حتّى عندهم، لأنّهم عرّفوا كلّ فضيلة بما يباين الآخر، لا أن يُرجعوا كلّها إلى فضيلة الصبر.

و معلوم ان الشجاعة غير الصّبر و كذلك الحلم و السخاء و التقوى و العدل و العفّة و الزهد و نحوها، و كلّ يباين الآخر، نعم قد مرّ منّا كراراً ان الفضائل يلازم بعضها الأُخرى و هذا غير كون الفضائل كلها مطويةً في الصبر، نعم ان الصّبر من جهة يُعدّ امّ الفضائل و هي توقّف كلّ فضيلة على الصبر، إذ لا يمكن تحصيله إلّا بالصبر و التصبر، فتحصيل ملكة الشجاعة يحتاج إلى تحمّل المشاق و الاجتناب عن المحرمات و العمل بالخيرات حتّى تحصل بمرّ الزمن و هكذا سائر الفضائل، فكل فضيلة و كلّ حسنة يحتاج إلى الصّبر و إليه اشار الامام أبو جعفر عليه السلام بقوله:

الجنة محفوفة بالمكاره.[2]

فلا يمكن ان يوجد حسنة إلّا بالصبر، و لا يمكن طى الطريق إلّا بالصبر.

قال تعالى: ﴿يا ايّها الإنسان انّك كادح إلى ربّك كدحاً فملاقيه﴾.[3]

١- بحار الانوار، ج ٧٩، ص ١٣٦، باب ١٨، ح ٢٢.

٢- الكافي، ج ٢، ص ٨٩، باب الصبر، ح ٧.

٣- الانشقاق / ٦.

فكل فضيلة و كمال و حسنة و سعادة يتوقف على الصبر.

و لكن هذا غير ان يقال انّ كلّ فضيلة و كمال و حسنة و سعادة هو الصبر، إذ توقّف الشّيء على الشّيء أمرٌ و الحكم باتّحادهما شيءٌ آخر.

نعم! انّ هذا الاطلاق ممكن على سبيل الأخذ بالمجاز، تسميةً للمسبّب باسم السبب، لكنّه أيضاً مشكلٌ لا يخلو عن شيءٍ، حيث إنّ المجاز يحتاج إلى استحسان العرف و تحسينه عند أهل الكلام، بينما نرى ببداهةٍ ان العرف لا يعدّ استعمال الشجاعة و الحكم و ارادة الصّبر منهما مستحسناً، بل لا يخضع لهذا الاستعمال.

نعتذر إليك أيّها القارىء الكريم ايضاً من حكايتنا هذا التطويل، و من حكايتنا هذا القيل و القال فلنرجع إلى المختار في هذا الكتاب من السناد على القرآن و السنة و عدم الدخول في أقوال القوم و التحقيق حولها.

فنقول ان القرآن الكريم أمر بالصبر فيما يزيد على سبعين آية إمّا بالصراحة و إمّا بالكناية، فهو اولاً أمر بالاستعانة بالصبر مع حذف المتعلّق الّذي يدلّ على العموم ليشمل الاستعانة منه و به في السير و السلوك، و في حلّ المشاكل و فتح الأبواب للوصول إلى الدرجات العليا ليفوز الصابر بسعادة الدارين.

قال تعالى: ﴿استعينوا بالصبر و الصلوة ان الله مع الصابرين﴾.[1]

و ثانياً وعد بانّ الله تعالى مع الصابرين، و أكدّ على ذلك فيشملهم عنايته الخاصّة و قد كررّ وعده هذا في عدّةٍ من آي الكتاب العزيز.

و ثالثاً ان الله تعالى يذكّرنا نكتة لطيفة و هي كون الابتلائات الدنيويّة من اللوازم غير المنفكّة عن الموجودات، إذ استكمالها مرهون لها، فالإنسان يستكمل بها باختياره و غيره من الموجودات من غير اختياره و ارادته.

١- البقرة / ١٥٣.

قال تعالى: ﴿ثم استوى إلى السماء و هي دخان فقال لها و للارض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا اتينا طائعين﴾.[١]

و قال تعالى: ﴿ما من دابة إلّا هو اخذٌ بناصيتها انّ ربّى على صراط مستقيم﴾.[٢]

و لكنّ الإنسان هو الموجود الوحيد الّذي له الخيار في تلك الابتلائات، فإمّا ان يصير مردوداً فيها بعدم صبره عليها فله البلاء من غير أجرٍ و ثوابٍ، و إمّا أن ينجح فيها بالصبر عليها فيفوز بالدرجات العلي و المقامات الأسمىٰ، فتلك البلايا تصفّيه كحجر تصفّيه النار باخرج الذهب منه فيصير غالى الثمن

قال تعالى: ﴿و لنبلونّكم بشيء من الخوف و الجوع و نقص من الاموال و الانفس و الثمرات و بشّر الصابرين * الّذين إذا اصابتهم مصيبة قالوا انّا لله و انّا إليه راجعون * اولئك عليهم صلوات من ربهم و رحمة و اولئك هم المهتدون﴾.[٣]

و رابعاً يذكّرنا بين حين و حين انّ تحصيل ملكة التقوى رهينٌ بالصبر فمن لم يصبر عند المصائب يبتلى بالذنوب كما ان من لم يصبر عند الطاعات يقع في المحرمات و لااقل من وقوعه في ترك الواجبات و هو خلاف التقوى و من تلك الآيات: قواله تعالى: ﴿..... و الصابرين في البأساء و الضرّاء و حين البأس اولئك الّذين صدقوا و اولئك هم المتقون﴾.[٤]

و خامساً يذكّرنا ان الصابرين يحبّهم الله تعالى، و من شمله حبّه تعالى فله خير الدنيا و الآخرة بلا كلام فيه.

قال تعالى: ﴿و كايّن من نبيّ قاتل معه ربّيّون كثير فما وهنوا لما اصابهم في سبيل الله و ما ضعفوا و ما استكانوا و الله يحب الصابرين * و ما كان قولهم إلّا ان قالوا ربنا اغفرلنا

١- فصّلت / ١١.　　٢- هود / ٥٦.　　٣- البقرة / ١٥٧ ـ ١٥٥.

٤- البقرة / ١٧٧.

ذنوبنا و اسرافنا في امرنا و ثبت اقدامنا و انصرنا على القوم الكافرين * فاتاهم الله ثواب الدنيا و حسن ثواب الآخرة و الله يحب المحسنين﴾.[١]

و قد أشار اللّه تعالى في جملة من آي الكتاب إلى ما أعدّ للصابرين من الخير و الثواب في الدّارين، اما في الدنيا فقال تعالى: **﴿انه من يتّق و يصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين﴾.**[٢]

و أمّا في الآخرة فلكلّ عمل ثواب معيّن و لكن للصابرين ثواب بلا حدّ محدود.

قال تعالى: **﴿انّما يوفّى الصابرون اجرهم بغير حساب﴾.**[٣]

و سادساً يذكّرنا انّ تهذيب النّفس يتوقّف على الصّبر و لا يحصل إلّا به كما انّ القلب السّليم الّذي وُسع للايمان بالشرائع و الكتب السماويّة و تصديق الأنبياء عليهم السلام متوقّف عليها لايحصل إلّا بالصبر

قال تعالى: **﴿و إذا سمعوا ما انزل إلى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدّمع ممّا عرفوا من الحقّ يقولون ربّنا امنّا فاكتبنا مع الشاهدين * و ما لنا لا نؤمن بالله و ما جاءنا من الحق و نطمع ان يدخلنا ربّنا مع القوم الصالحين﴾.**[٤]

و إلّا فالعنود و اللجوج و محبّ المال و الجاه المغرور بهما لايقبل الحقّ ابداً.

قال تعالى: **﴿و اذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحقّ من عندك فامطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب اليم﴾.**[٥]

فبالصبر تهذب النّفس و يقلع تلك العروق الفاسدة عن روضة القلب.

قال تعالى: **﴿و لقد ارسلنا موسى باياتنا ان أخرج قومك من الظلمات إلى النور و ذكّرهم بايّام الله ان في ذلك لايات لكلّ صبّار شكور﴾.**[٦]

١- آل عمران / ١٤٨ ـ ١٤٦. ٢- يوسف / ٩٠. ٣- الزمر / ١٠.

٤- المائدة / ٨٤، ٨٣. ٥- انفال / ٣٢. ٦- ابراهيم / ٥.

و سابعاً يذكّرنا مراراً بانّ الصّبر هو السلاح الوحيد الّذي أخذ به الأنبياء العظام عليهم السلام في سبيل الاهتداء و التبليغ، كما قد أمر اللّه نبيّه الأعظم بالاخذ بالصبر في تبليغ قومه، فقال: ﴿فاصبر كما صَبَرا اولوا العزم من الرسل و لا تستعجل لهم﴾.[1]

و قال: ﴿و اصبر على ما اصابك ان ذلك من عزم الامور﴾.[2]

و ثامناً يذكّرنا في حكاية سيّدنا موسى و العبد الصالح عليهما السلام بأنّ تحصيل الفضائل و منها علوم المعرفة الإلهية يحتاج إلى أشياء، منها: تحمّل المشاقّ في هذا الطريق، و منها الصّبر الجميل في تحصيله، و منها تحصيل الفضائل لدى عبد صالح بالغ مقام الاستاذية، و منها التسليم قِبَله بعد التواضع التام له، و منها التقيّد بالشرع و حتّى بظواهره، و منها الثبات في تحصيل الكمال، و منها إعانة النّاس فيما يكون ثقيلاً عليهم، و منها المسألة من اللّه تعالى بلسانَي الحال و المقال. و هذه و غيرها مّما لم نعدّه يحتاج إلى الصبر، بل تحصيل فضيلة الصّبر أيضاً بحاجةٍ إلى الصبر.

و في الحكاية لطائف أخرى دقيقة تنحلّ بها عقد علميّة ليس للعلم إلى حلّها من سبيلٍ، كمسألة القضاء و القدر و الجبر و التفويض و ما ذهب إليه الامامية من الامر بين الامرين و مسئلة المصالح النّفس الامرية و انّ افعال الله تعالى و احكامه معلّلٌ بالمصالح و هي فوق التمام و غيرها من المسائل الّتي لسنا بصدد تحقيقها في هذا الكتاب.

و ما كنّا بصدده الآن هو انّ الحكاية تدل على ان تحصيل الفضائل و العلوم و المعارف يحتاج إلى الصبر.

قال تعالى حكاية عن العبد الصالح لموسى: ﴿انك لن تستطيع معى صبراً * و كيف تصبر على ما لم تحط به خبراً﴾.[3]

فقال الله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام للخضر: ﴿ستجدنى انشاءالله صابراً و

١- احقاف / ٣٥. ٢- لقمان / ١٧. ٣- الكهف / ٦٨، ٦٧.

لاأعصي لك أمراً﴾.[١]

وللّه درّ من أنشد:

ناز پرورد تنعّم نبرد راه به دوست عاشقى شيوهٔ رندان بلاكش باشد

و تاسعاً: يذكّرنا بسنّةٍ من السنن الإلهية الّتي ورد ذكرها في كثير من آي التنزيل العزيز، و هي الفوز بالظفر بعد الكدّ البالغ و بالحلاوة بعد المرارة و باليسر بعد العسر؛ قال تعالى: **﴿فان مع العسر يُسراً ان مع العسر يُسراً﴾**.[٢]

و عاشراً: يذكّرنا ان الخليل عليه‌السلام لم يفز بمرتبة الامامة الّتي هي أعلى المراتب للمرء، إلّا بالصبر.

قال تعالى: **﴿و إذا ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن قال انى جاعلك للناس اماماً قال الله و من ذريتى قال لاينال عهدى الظالمين﴾**.[٣]

و قال تعالى: **﴿و جعلنا منهم ائمة يهدون بامرنا لما صبروا﴾**.[٤]

توضيح ذلك على سبيل الاجمال: ان ابراهيم عليه‌السلام كان من اولى العزم بعد ان كان نبيّاً فصار رسولاً، فله الولاية على جميع مبعوثي عصره، حيث كان مرسلاً إلى جميع اقطار الأرض، ثم فاز بمرتبة الامامة.

قال تعالى: **﴿انى جاعلك للناس اماماً﴾**.[٥]

و هذه المرتبة الشامخة هي مرتبة التوسّط في ايصال الفيض إلى جميع المخلوقين، و هذا الفيض هو الوجود المنبسط المشار إليه في القرآن بلفظ الأمر،

قال تعالى: **﴿و ما امرنا إلّا واحدة كلمح بالصبر﴾**.[٦]

و قال تعالى: **﴿انما امره إذا اراد شيئاً ان يقول له كن فيكون﴾**.[٧]

١- الكهف / ٦٩. ٢- الانشراح / ٦ و ٥. ٣- البقرة / ١٢٤. ٤- السجدة / ٢٤.

٥- البقرة / ١٢٤. ٦- القمر / ٥٠. ٧- يس / ٨٢.

و هو المصطلح عليه بكن الرحمانيّة.

و الآية الشريفه تدل بوضوح تمام على انه لم ينل ذلك المقام الشامخ إلّا بالصبر و تحمل الابتلاآت كاسكان الزوجة و الولد الرضيع الوحيد بواد غير ذي زرع، و اعداد النّفس لذبح هذا الولد الّذي بلغ الشباب متّصفاً بمحاسن الخَلق و الخُلق.

نعم! لم تكن ولايته التكوينيّة بالقياس إلى ولاية الرسول الخاتم و اوصيائه المعصومين عليهم السلام إلّا كقطرةٍ قبال البحر.

قال تعالى: ﴿**انما وليكم الله و رسوله و الّذين امنوا الّذين يقيمون الصلوة و يؤتون الزكاة و هم راكعون**﴾.[1]

قضيّة وحدة السياق في الآية الشريفة، اشتمال ولاية الرسول و الوصي عليه السلام على جميع ما سوى الله تعالى، غاية الأمر أنّها بالنسبة إلى اللّه تعالى ذاتيةٌ، و بالنسبة إليهما عرضية مستفادةٌ من منبع الولاية الّذي هو ذات الواجب جلّ و علا، بخلاف ابراهيم عليه السلام حيث دلّت الشريفة على ثبوت الولاية له مادام يعيش فيهم،

قال الله تعالى: ﴿**انّي جاعلك للنّاس اماماً**﴾.[2]

و هذا ثابت في حقّ روح الله عيسى عليه السلام أيضاً، حيث حكى اله تعالى عنه انّه قال: ﴿**و كنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم**﴾.[3]

هذا و تمام الكلام في أنّ الخليل و روح اللّه عليهما السلام لم ينالا هذا المقام السامي إلّا بالصبر عند الشدائد و الأهوال و البلايا و الابتلائات و بتحمّل مشاقّ الرّياضات.

قال الله تعالى: ﴿**و من يرغب عن ملّة ابراهيم إلّا من سفه نفسه و لقد اصطفيناه في الدنيا و انه في الآخرة لمن الصالحين * اذ قال له ربّه اسلم قال اسلمت لربّ العالمين**﴾.[4]

١-المائدة / ٥٥.	٢- البقرة / ١٢٤.	٣-المائدة / ١١٧.	٤- البقرة / ١٣١، ١٣٠.

كما يظهر من هذه الكريمة و أترابها إمكان وصول النّاس كلهم إلى مقام الولاية التكوينية بالصبر على مشاقّه، فلهم أن يتصرّفوا في الكون حسب استعدادهم و سلوكهم طريق القرب.

قال الله تعالى: ﴿و قال الّذي عنده علم من الكتاب انا اتيك به قبل ان يرتدّ إليك طرفك﴾.[١]

كما رُوي في جملةٍ من الاحاديث الواردة في تفسير هذه الكريمة ان آصف بن برخيا أتى بسرير بلقيس من اليمن في اقلّ من طرفة عين، لما كان له من علم القرآن، و ما هو إلّا كقطرةٍ من البحر المحيط.

و قد رُوى في القدسيات: عبدى اطعنى حتّى اجعلك مثلى اقول كن فيكون تقول كن فيكون.

و في روايات كثيرة مرويّة في الكافي ان للعبد أن يصل بالرياضات المشروعة إلى مقام القرب فحينئذ يفعل ما يريد من خوارق العادت، كما هو الثابت لأهل القلوب من طى الأرض و طي اللسان و غيرهما من الخوارق.

نقل ان العارف الشّيخ حسن الاصبهانى النخودكى كان يأتي لزيارة روضة مولانا الرضا عليه السلام المطهّرة من قرية نخودك راجلاً في دقائق يسيرة، و كان بينهما اربعة فراسخ و كان يختم القرآن في الاتيان إليها و الذهاب منها إلى بيته فكان له طيّ الأرض و طيّ اللسان، فان عجبت من ذلك و انكرته فلا يمكن لك ان تنكر ما حكاه تعالى عن آصف بقوله: ﴿انا اتيك به قبل ان يرتدّ إليك طرفك﴾.[٢]

و اسمع ما حكاه الرسول صلّى الله عليه و آله و سلّم عن الله تعالى في رواية صحيحة منقولة في الكافي عن أبي عبدالله و أبي جعفر عليه السلام: و انّه ليتقرّب الىّ بالنافلة حتّى احبّه فاذا احببته كنت اذاً سمعه

١- النمل / ٤٠.	٢- النمل / ٤٠.

الّذي يسمع به، و بصره الّذي يبصر به، و لسانه الّذي ينطق به، ويده الّتي يبطش بها.[١]

فمن كان رجله الّتي يمشى بها من الله فطيّ الأرض له سهل يسير و من كان لسانه الّذي ينطق به من الله فطيّ اللسان له اسهل و ايسر من كلّ شيء و هكذا.

و قد اقرّ بذلك جمع كثير من الاعاظم و منهم المحقّق الطوسى و العلامة المجلسى رحمهما الله تعالى.[٢]

فلنرجع إلى ما كنّا بصدده بعد ان عرفنا ان الصّبر من الفضائل العليا و يترتب عليه آثار عظيمة فنقول ان للصبر مراتب شتّى، فالمرتبة الاولى منها هي الصّبر لله تعالى و يقال له صبر العوام، و هذه المرتبة هي الّتي قد مرّت الاشارة إليها و ذكرنا أنّه يقسّم باعتبار المتعلّق بحسب الروايات بل بحسب الحصر العقلى إلى ثلاثة اقسام و هي الصّبر على المعصية و الصّبر على الطاعة و الصّبر على المصيبة.

فهذا القسم من الصّبر يترتب عليه فوائد كثيرة و ثواب عظيم.

و اما الثواب فقد مرّ شطر منه و سيأتى ذكر الروايات الواردة فيه انشاءالله، و الآن يكفيك قول الإمام أبي عبدالله عليه السلام: إذا كان يوم القيامة يقوم عنق من النّاس فيأتون باب الجنة فيضربونه فيقال لهم من انتم؟ فيقولون: نحن أهل الصبر، فيقال لهم: على ما صبرتم؟ فيقولون: كنّا نصبر على طاعة الله و نصبر على معصية الله، فيقول الله عزّوجلّ: صدقوا ادخلوهم الجنة، و هو قول الله عزّوجلّ أنّما يوفّى الصابرون اجرهم بغير حساب.[٣]

و لا يخفى ان أبا عبدالله عليه السلام فسّر قوله تعالى أنّما يوفّى الصابرون اجرهم بغير حساب بان أهل الصّبر يدخلون الجنة و لا يؤخذ عنهم حساب و لا يوزن لهم ميزان و لا يكون لهم كتاب و هو لا ينافي ما مضى منّا اخذاً عن أبي عبدالله عليه السلام في رواية أخرى في تفسير الآية

١- الكافي، ج ٢، ص ٣٥٢، ح ٨ ـ ٧.

٢- الكافي، ج ٢، ذيل ص ٣٥٣

٣- الكافي، ج ٢، ص ٧٥، باب الطاعة و التقوى، ح ٤.

الشريفة من ان لكل عمل حداً محدوداً من الثواب إلّا الصبر، لانه ليس له حدّ محدود و ان الله تعالى يعطيهم بغير حساب و بغير حد محدود.

فالجمع بين الرّوايتين و التفسيرين انّ الصابرين يدخلون الجنة من غير حساب و كتاب و في الجنة لهم ثواب ليس له حدّ فلا محالة لا بدّ من ان يكون مُقامهم عند الله تعالى حتّى يتنعّموا بذلك الثواب.

و اما الفوائد المترتبة عليه، فقد مرّ انّ الصّبر امّ الفضائل و لا يمكن ان تحصل فضيلة أو حسنة إلّا به، حتّى انّ الصّبر يحتاج إلى الصبر، و لكن الّذي ينبغى ان نشير إليه هيهنا انّ بعض الفضائل عناية خاصة الهية يخصّها تعالى بأوليائه كالخلوص و حضور القلب و الرضا و التسليم و المحبة فتلك الفضائل أيضاً تحتاج إلى صبر خاص هو ايضاً يُعدّ من العنايات الخاصة بهم و ذلك فضل الله يؤتيه من يكون في ظلّه تعالى.

و اما المرتبة الثانية من الصّبر فهو الصّبر بالله تعالى، و يقال له صبر الخواص، و هو الصّبر في خرق الحجب الظلمانية، و السلوك من منازل التخلية إلى التحلية و من منازل التحلية إلى التجلية و السير إلى الله تعالى و ان لم يكن إلّا به تعالى و بتوفيقه حيث لا حول و لا قوة إلّا بالله العلى العظيم إلّا انّ العبد إذا شرع في التهذيب و ورد منازل التخلية و فرغ من التوبة و اليقظة و هما من مواقف المرتبة الاولى من الصّبر فحينئذٍ يحتاج إلى معلّم الأخلاق وعناياته، و للقرآن دلالة واضحة ـ كما مرّت الاشارة إليها ـ على أنْ لا معلّم للناس إلّا ايّاه و لا يهذّب خلقهم إلّا هو.

قال الله تعالى: ﴿و لو لا فضل الله عليكم و رحمته ما زكى منكم من احد ابداً و لكنّ الله يزكّى من يشاء﴾.[1]

فالتلميذ و هو العبد السالك عليه ان يتحمّل مشاقّ الرياضيات و المجاهدات

١- النّور / ٢١.

المشروعة بعد التقيّد بظواهر الشرع و بواطنها كالقيام بالاجتناب عن المحرّمات و المكروهات و الاتيان بالواجبات و المندوبات، سيّما صلاة الليل و التوسّل إلى ألطاف أهل العصمة الكبرىٰ عليهم السلام، ثمّ عليه الابتهال إلى الله تعالى و الالحاح عليه ليقبله المعلّم على الاطلاق جلّ و علا، ليتخطّى، إلى المدارج العليا خطوة خطوة، حيث لا سير للسالكين إلّا بالعبور عن منزلٍ إلى منزلٍ آخر، إلّا الشاذّ منهم حيث يتخطّى من جميع المواقف بخطوةٍ أو خطوات يسيرة لكن الشاذ كالنادر و النادر كالمعدوم، فلا حكم لهم في هذا العلم و قواعده. انّما الكلام في عموم السائرين إلى الله تعالىٰ، و لا شيء أوجب لهم من الصبر، لئلّا يتوقّفوا في ساحات السير.

و المرتبة الثالثة هي الصّبر مع الله تعالى و يطلق عليه صبر اخصّ الخواص و هي مقام الخروج من الحجب الظلمانية و الوصول إلى مقام التجلية فيجد الله تعالى يستولى صاحب القلب عليه و يتجلّى نور الاسماء و الصفات فيه، فيرى الصابر هذا نفسه مع الله تعالى و يدرك و يجد معنى قوله تعالى: ﴿استعينوا بالصبر و الصلوة ان الله مع الصابرين﴾.(١)

و يدرك معنى قوله تعالى: ﴿نحن أقرب إليه من حبل الوريد﴾.(٢)

كما يدرك معنى قوله تعالى: ﴿ان الله تعالى يحول بين المرء و قلبه﴾.(٣)

و هذا الصّبر هو الصّبر على خلع أغشية التعيّنات و مقتضيات النّفس و مشتهياتها بل هو الصّبر على قلع شجرة التعيّن و اغصانها عن النّفس و نسيان مقام التحليه و الغفلة عنها بحيث لا يرى نفسه فضلاً عن فضائلها المكتسبة.

فهذا الصّبر اشق من أخته في المرتبة الثانيه و هذا كالصبر على اخراج العروق من الجسد صعبٌ جداً.

و المرتبة الرابعه هي الصّبر على الله تعالى و يقال له صبر اخص اخص الخواص، و هو

١- البقرة / ١٥٣.   ٢- ق / ١٦.   ٣- الانفال / ٢٤.

الصّبر على السير من التجليه إلى اللقاء و خرق الحجب النور الّتي أشير اليها في المناجاة الشعبانية.

قال أميرالمؤمنين عليه السلام في ذلك الدعا: الهى هب لى كمال الانقطاع إليك و انر ابصار قلوبنا بضياء نظرها إليك حتّى تخرق ابصار القلوب حجب النور فتصل إلى معدن العظمة و تصير أرواحنا معلّقة بعز قدسك.[۱]

و هذا صبرٌ لا يحتمله إلّا الأوحديّ من النّاس في كلّ دهرٍ، و هو الصّبر على خرق حجب النور و احراقها ليصل السالك السائر الصابر إلى مقام اللقاء فهو الصّبر على الخشية الحاصلة من اللقاء و من العظمةو الكبريا و نحوهما من الاسماء الحسنى الّتي ذُكر بعضها في الاخيرات من آيات سورة الحشر.

قال تعالى: **﴿هو الله الّذي لا اله إلّا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهمين العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون﴾**.[۲]

و تلك الخشية و الصّبر عليها ليس إلّا للعلماء العارفين به تعالى و بعظمته. قال تعالى: **﴿انما يخشى الله من عباده العلماء﴾**.[۳]

بل و لغير العلماء تُعدّ من الممتنع، كما تدلّ عليه الآيات الحاكية عن سيرة سيدنا موسى عليه السلام و المختار من رجال القوم في الميقات،

قال تعالى: **﴿و لمّا جاء موسى لميقاتنا و كلّمه ربه قال رب ارنى انظر إليك قال لن تراني و لكن انظر إلى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربّه للجبل جعله دكاً و خرّ موسى صعقا فلما افاق قال سبحانك تبت إليك و انا اول المؤمنين﴾**.[٤]

توضيح ذلك ان موسى عليه السلام لما اختار من بنى اسرائيل سبعين رجلاً للميقات فهم

۱- مفاتيح الجنان / دعاى شعبانيه. ۲- حشر / ۲۳. ۳- فاطر / ۲۸.

٤- اعراف ۱٤۳.

سألوه أن يسئل الله تعالى رؤيته جهرةً بالبصيرة لا بالبصر،

قال تعالى: ﴿و اذ قلتم يا موسى لن نومن لك حتّى نرالله جهرة﴾.[١]

فلمّا سأل عليه السلام ذلك، أجابهم بامتناعها، لأنّ الرؤية البصرية ممتنعةٌ بلا كلام فيها، أمّا الرؤية بالبصيرة فتختصّ بأهل القلوب البالغين أعلى مدارج السلوك بالصبر، فهي أيضاً ممتنعةٌ في حقّهم،

قال تعالى: ﴿وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة﴾.[٢]

ثمّ تجلّى سبحانه و تعالى للجبل ليكونوا موقنين بعدم امكان الرؤية، فماتوا إثر تجلّيه تعالى، و خرّ موسى صعقاً لرؤيته تعالى و تجلّيه فهو للخشية انغمر في عالم الوحدة بحيث لم يكن له التفاتٌ إلى غيره فلما افاق من تلك الحالة و رجع من عالم الوحدة إلى عالم الكثرة غلب عليه الوحشة و الخوف بسب موتهم فقال:

﴿ربّ لو شئت أهلكتهم من قبل و إيّاي أ تهلكنا بما فعل السّفهاء منّا﴾.[٣]

فسأل الله ان يحييهم فاحياهم بعد موتهم.

قال تعالى: ﴿ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون﴾.[٤]

و الحاصل ان الصّبر عند خرق حجب النور مشكل جداً فهو كالصبر على اخراج العروق من القب أو حرقه بالنار، فيخرّ صاحبه صعقاً.

المرتبة الخامسة هي الصّبر في الله ـ و يقال له صبر الأوحدي من اخصّ اخصّ الخواص ـ و هو الصّبر على السير في الحق بعد الوصول إلى اللقاء.

توضيح ذلك، ان المراتب الاربعة الّتي مضى ذكرها في الجملة تُعدّ من مقامات السير من الخلق إلى الحقّ فبالتوبة و اليقظة و التخلية و التحلية و اللقاء يحصل الوصول لذي القلب، فالمنزل الأوّل كان يختصّ بالعوام و المنزل الثانى يختص بالخواص و المنزل الثالث

١- البقرة / ٥٥. ٢- قيامة / ٢٣ و ٢٢. ٣- الاعراف / ١٥٥. ٤- البقرة / ٥٦.

يختصّ بأخصّ الخواص و المنزل الرابع بأخصّ اخصّ الخواص، فلهم لو شملتهم العناية الالهية و ليست إلّا للأوحديّ منهم أن يفوزوا بسيرٍ آخر و هو السير من الحق في الحق و بذلك اشار أميرالمؤمنين عليه السلام في المناجاة الشعبانية: الهی و اجعلنی ممّن ناديته فاجابك و لاحظته فصعق لجلالك فناجيته سرّاً و عمل لك جهراً.[١]

و احتمال سمع نداء الحقّ و مناجاته و حمل القلب ثقل محبّة المحبوب و حبّه و سرّه في حالة الصعق مشكل جداً و لا يتحمّله إلّا الاوحدی منهم.

و لهذه المرتبة مراتب أخر لايفوز بالأخير منها إلّا أهل البيت عليهم السلام و بذلك اشار رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: انّ لی مع الله حالة لا يتحمّله ملك مقرّب و لا نبيّ مرسل.

و بذلك اشار الله تعالى حيث قال: ﴿ثمّ دنی فتدلّى * فكان قاب قوسين أو أدنى﴾.[٢]

المرتبة السادسة و هي آخر المراتب و يقال له صبر الصابر الوحيد من الأوحديّين ـ و هي الصّبر عن الله تعالى ـ و هو الصّبر بعد الرجوع من الحق إلى الخلق و بعد الرجوع من الوحدة إلى الكثرة و بعد الرجوع من الصعق إلى الافاقة أو فقل بعد الوصل إلى الفراق و هذا الصّبر اشدّ الماً من المراتب كلّها.

قال أميرالمؤمنين عليه السلام في دعاء كميل: فهبني يا الهی و سيدی و مولای و ربّی صبرت على عذابك فكيف اصبر على فراقك و هبنی يا الهی صبرت على حرّ نارك فكيف اصبر عن النظر إلى كرامتك.[٣]

ولله درّ الشاعر:

١- مفاتيح الجنان ،مناجاة الشعبانية. ٢- النجم / ٩، ٨.

٣- مفاتيح الجنان، دعاء كميل.

فراق يـار جـانی خـود نشـانی بـاشد از دوزخ

غلط گفتيم نی جانا كـه دوزخ زان نشـان دارد

و بذلك اشار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ما اوذى نبيّ مثل ما اوذيت.[١]

هذا آخر ما ينبغى ايراده في هذا البحث إلّا انّ القوم ذكروا مطالب هيهنا فنحن نتابعهم تأدّباً.

الأوّل: انهم قسّموا الصّبر باعتبار المتعلّق إلى اربعة اقسام و هي انّ الصّبر إمّا أن يكون على ما يوافق طبعه و يلائمه و إمّا ان يكون على ما لا يوافق الطبع و لا يلائمه و ما لا يكون بملائم إمّا أن يكون مقدوراً أو لا يكون بمقدور و ما لا يكون مقدوراً له فامّا يمكـن له ان يأخذ البدل منه و لو بالانتقام و التشفّى أو لا، فهذه اربعة اقسام.

ثمّ انّهم اوضحوا الاقسام بامثلة و ايضاحات مؤيدة بآيات و روايات.

و لكنّ الاقسام الاربعة ترجع إلى الاقسام الثلاثة الّتي مرّ الكلام فيها و قلنا انّ الحصر العقلى و النقلى يدلّ على انّ الصّبر باعتبار المتعلّق ينقسم إلى أقسام ثلاثة و هي الصّبر على المصائب و النوائب و الصّبر على الطاعات و الصّبر على المعاصى و المنكرات.

و مقالهم في تلك الاقسام الاربعة بوضوح يرجع إلى ما مضى منّا.

فليس كلامهم إلّا بياناً لما استفدناه مـن التـنزيل العـزيز و المأثـور مـن ائمـة أهـل بيت عليهم السلام، نعم! كلامهم في غاية الجودة معدٌّ لأنفس السائرين إلى الله تعالى في سلوكهم، فنأتى به تأدّباً معهم، حيث ليس لنا أن نستفيد من اقوالهم و آثارهم، بل لا مأخذ لنـا إلّا الوحي و الحديث، نعم انّهم هم السابقون في هذا المضمار فلهم الفضل فيه.

قال تعالى: ﴿و السابقون الاولون من المـهاجرين و الانـصار و الّـذين اتـبعوهم باحسان رضى الله عنهم و رضوا عنه و اعدّ لهم جنّات﴾.[٢]

١- بحار الانوار، ج ٣٩، ص ٥٦، باب ٧٣، ح ١٥. ٢- التوبة / ١٠٠.

فلنرجع إلى ما كنّا بصدده و هو ان القوم و منهم صاحب جامع السعادات قالوا ما تحريره: ان الصّبر باعتبار نفسه ينقسم إلى اقسام:

الف: الصّبر على ما يوافق الهوى و هو الصّبر على السراء كالصبر على المال و الاولاد و الصحة و نيل الجاه و نحو ذلك لانه لو لم يصبر عليها لأدركه الطغيان.

قال تعالى: ﴿كلّا انّ الإنسان ليطغى * ان راه استغنى﴾.(١)

و قال تعالى: ﴿ان الإنسان خلق هلوعاً * إذا مسّه الشرّ جزوعاً * و إذا مسّه الخير منوعاً * إلّا المصلّين﴾.(٢)

و قال بعض الاكابر: البلاء يصبر عليه المؤمن، و العافية لا يصبر عليها إلّا الصديق.

و قال بعض آخر: الصّبر على العافية اشدّ من الصّبر على البلاء، و لذا لمّا توسّعت الدنيا على الصحابة و زال عنهم ضيق المعيشة، قالوا ابتلينا بفتنة الضراء فصبرنا عليها و ابتلينا بفتنة السرّاء فلا نقدر على الصّبر عليها.

قال تعالى: ﴿يا ايّها الّذين امنوا لا تلهكم اموالكم و لا اولادكم عن ذكر الله﴾.(٣)

ب: الصّبر على ما لا يوافق طبعه مع القدرة على تركه، كالصبر على الطاعات و الاجتناب عن المحرّمات، و لاريب في ان الصّبر على الطاعات سيما فى الاموال كالخمس و الزكاة و في الانفس كالجهاد شديد، و اشدّ منه هو الصّبر على اتيانها من غير أن يكون مشوباً بالرياء و السمعة و العجب و الغرور و الاتيان بالعمل مبرّءاً من تلك الرذائل صعبٌ جدّاً و هو يحتاج إلى الصّبر على العمل، و اشدّ من الصّبر على الطاعات هو الصّبر على الاجتناب عن المعاصي و على مخالفة الشيطان الجنى و الإنسى، و الصّبر على الوسواس الخنّاس الّذي يوسوس في صدور النّاس من الجنّة و النّاس.

و نجمل القول في ذلك و نقول: ان الصّبر على الجهاد الاكبر و هو مخالفة الهوى اشدّ

١- العلق / ٧، ٦.　٢- المعارج / ٢٣ ـ ١٩.　٣- المنافقون / ٩.

صعوبة من الصّبر على الطاعات و الجهاد مع العدوّ.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: مرحباً بقوم قضوا الجهاد الاصغر و بقي عليهم الجهاد الاكبر، فقيل: يا رسول الله و ما الجهاد الاكبر؟ قال: جهاد النفس.[١]

ج: الصّبر على ما لا يوافق الطبع مع عدم القدرة على دفعه كالصبر على المصائب، و أكثر الآيات و الروايات الواردة في فضيلة الصّبر واردٌ في هذا القسم منه.

و لو لم يكن لفضله إلّا قوله تعالى: ﴿و لنبلونكم بشيء من الخوف و الجوع و نقص من الاموال و الانفس و الثمرات و بشّر الصابرين * الّذين إذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله و انا إليه راجعون * اولئك عليهم صلوات من ربّهم و رحمة و اولئك هم المهتدون﴾[٢] ليكفيه فضلاً و شرفاً.

د: الصّبر على ما لا يوافق الطبع و الهوى مع القدرة على دفعه و لكن يقدر الصابر على جبره و لو بتشفّي الخاطر بالانتقام و المكافأة عليه.

و الصّبر في هذا القسم من اعلى مراتب الصّبر و لااقلّ من كونه من المراتب العليا و هذا الصّبر هو المصطلح عليه بالعفو و الصفح في لسان الوحي و الحديث، و قد رُغّب إليهما مبالغاً فيه، قال تعالى: ﴿و ليعفوا و ليصفحوا ألا تحبّون ان يغفر الله لكم﴾.[٣]

و قال تعالى: ﴿و جزاؤ سيّئة سيّئة مثلها﴾.[٤]

فترى قد جعلت الشريفة الاولى غفرانه تعالى رهين عفو النّاس بعضهم عن بعض، ثم اشارت الثانية إلى أنّ عدم العفو يساوى السيّئة، بل هو سيّئةٌ يجب ان يُستغفر لها، حيث إنّها من اكبر الذنوب لدى المتخلّقين باخلاقه تعالى.

و هذا الصّبر من دأب الأنبياء و الرسل و الاوصياء عليهم السلام كيوسف الصديق عليه السلام

١- وسائل الشيعة، ج ١١، ص ١٢٢، باب ١، ح ١. ٢- البقرة / ١٥٧ ـ ١٥٥.

٣- النّور / ٢٢. ٤- الشورى / ٤٠.

حيث عفى عن اخوته بعد أن كان متمكّناً من الانتقام عنهم.

قال تعالى حكاية عنه عليه السلام: ﴿لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم و هو ارحم الراحمين﴾.[١]

و حين أن تشرّف إلى محضر أبيه، بدأ الكلام باستدعاء عفوهم ثمّ جعل الحرج على الشيطان فبرء اخوته عمّا ظلموا به عليه، و هذا أعجب من عفوه عنهم.

قال الله تعالى: ﴿فلمّا دخلوا على يوسف اوى إليه أبويه و قال ادخلوا مصر ان شاءالله امنين * و رفع أبويه على العرش و خرّوا له سجّداً و قال يا ابت..... و جاء بكم من البدو من بعد ان نزغ الشيطان بينى و بين اخوتى﴾.[٢]

و كعفو النبي صلّى الله عليه و آله و سلّم عن سكّان مكّة و أهلها حيث قال بعد أن فتحها و كان له أن ينتقم منهم: اقول ما قال به اخى يوسف عليه السلام: لا تثريب عليكم اليوم انتم الطلقاء.

و قد مرّ الكلام منّا في البحث عن العفو و الصفح فراجع

الثاني: ثم ان القوم و منهم صاحب جامع السعادات قسّموا الصّبر باعتبار حكمه إلى اقسام نأتي هيهنا بتحرير مقالهم في التقسيم، قالوا: الصّبر ينقسم إلى الواجب و الحرام و المندوب و المكروه و المباح.

فالصبر على الواجبات و الاجتناب عن المحرّمات واجب كالصبر على اداء الصلوة و الصّبر على الاجتناب من الشهوات، و لكن الصّبر على ظلم الظالم الّذي يقدر على دفعه حرام كالصبر على هجمة الظالم على نفسه أو عرضه أو ماله فهو من اكبر الكبائر لو قدر على دفعه و لكن صبر حتّى قتله الظالم، أو تجاوز على عرضه أو أغار ماله حتّى ان الصّبر على ظلم ظالم يتجاوز على غيره و هو يقدر على دفعه أيضاً يُعدّ من اكبر الكبائر.

و الصّبر على المندوب مندوب كالصبر على صلوة الليل و النوافل و الانفاقات و

١- يوسف / ٩٢.	٢- يوسف / ١٠٠، ٩٩.

الصدقات غير الواجبة.

و الصّبر على المكروه مكروه كالصبر على النوم و الاكل و السفر وحيداً مـن غـير صاحبٍ.

و الصّبر على المباح مباح كالمشى لصحة البدن و الاستحمام للنظافة و رفع التوانى.

و بعبارة أخرى ان الصّبر ينقسم باعتبار ما أضاف إليه، فحكمه حكمه فالصبر على الاتيان بالواجبات و الاجتناب عن المحرّمات واجب و على فعل المحرّمات حرام و على فعل المندوبات مندوب و على فعل المكروهات مكروه و على المباحات مباح.

قلت: هذا التقسيم لو سلّم صحته يجرى في الفضائل كلّها و لا يختصّ بالصبر بل يجرى في جميع الرذائل ايضاً، مثلاً ان السخاء في اتيان الواجبات كالخمس و الزكاة واجبة و في الاتراف و الإسراف و التبذير محرّمة و في الصدقات و الخيرات المندوبة مندوبة و في فضول العيش مكروهة و فيما لا يعنى أي: فيما لا فائدة له في الدارين مباحة، و ان البخل فى الخمس و الزكاة حرام و في الاتراف واجب و في ترك فضول العيش مندوبة و في تـرك الصـدقات المندوبة مكروهة و فيما لا يعنى مباح، و هكذا في جميع الفضائل و الرذائل، و اخـتصاص الصّبر بتقسيمه باعتبار المتعلّق بالأقسام الخمسة لا وجه له اصلاً أضف إلى ذلك انّ قولهم هذا خطأٌ وقعوا فيه، حيث أن لا معنى لتقسيم الصّبر إلى تلك الأقسام، إذ الصّبر حسنٌ في جميع الأحوال و لايسرى حكم متعلّقه إليه، كما انّ النور حسنٌ و لا معنى لسراية القبح إليه لو استفاده أحدٌ في مطالعة كتب الضلال، أو للتآمر و المكيدة على جماعة المسلمين على أنّه لو كان الصّبر على فعل المحرّم حراماً، لوجب ان يكون للصابر هذا عقابان، عقاب على فعله، و عقابٌ على صبره عليه، و هذا واضح البطلان، فقولهم هذا لايخلو عن شيءٍ، بل لا لا كلام في بطلانه.

و حلّ العقدة ان الصّبر من الفضائل بل هو امّ الفضائل، فالصابر ان استعمله في ما وضع

له عقلاً و شرعاً فقد راعى العدالة فيه و ان استعمله فيما لا يجوّزه العقل و الشرع فلم يراع العدالة فيه، فالصبر من حيث هو صبر لا يكون إلّا حسناً و لا يتصوّر أن يكون قبيحاً اصلاً لا ذاتاً و لا عرضاً.

حتّى انه لا يكون حسناً باعتبار المتعلّق بوجهٍ من الوجوه بل حسنه ذاتى و لا يعقل عريه منه، كالنور الّذي لا يعقل أن يُسلب المنوريّة منه، و قس على الصّبر جميع الفضائل بل جميع الرذائل أيضاً.

الثالث: ثم انهم ذكروا في آخر المبحث طريق تحصيل الصّبر و هذا خلاصة أقوالهم، نحرّرها مضيفاً إليها أشياء:

الف: التفكر في فضيلة الصّبر و فوائده، و الثواب المترتّب عليه.

ب: التفكر في ان هذه الدنيا الدنية لاقرارلها، فالصبر على مشاقّها ليس بعسيرٍ، أضف إلى ذلك المثوبة المترتّبة على نفس الصبر.

ج: التفكر في ان الجزع أمر قبيح يضرّ بدين المرء و دنيا.

قال أميرالمؤمنين عليه‌السلام: ان صبرت جرىٰ عليك القدر و انت مأجور، و ان جزعت جرىٰ عليك القدر و انت مأزور.[١]

د: الممارسة عليه خطوة خطوة، حتّى يسلّط عليه في المعاصى، و في العمل بالطاعة، و لو كان شاقّاً.

قلت: قد مضى منّا في المجلد الأوّل من هذا الكتاب ارائة الطريق لتهذيب النّفس من التخلية و التحلية فراجع إن شئت و نقول ان ما ذهب إليه هؤلاء الاعلام من التفكر فيه و الممارسة عليه لتحصيل الفضائل و تهذيب الرذائل جيّد حسن لاكلام فيه إلّا أنّ الكلام كلّه في أنّ التفكر و الممارسة لايكفيان لسلوك هذا السبيل بل الالتفات إلى المعلم الحقيقي الّذي

١- نهج البلاغة، كلمات القصار ٢٩١.

ليس إلّا هو تبارك و تعالى، و الانابة و الابتهال إليه و التوسّل إلى أنواره سلام الله عليهم أجمعين شيءٌ لابدّ منه في تطرّق هذا الطريق، إذ لولا فضله تعالى الّذي لايُجلب إلّا بالابتهال إليه، لما يصل أحدٌ من السائرين إلى غايته و مرماه.

قال تعالى: ﴿و لو لا فضل الله عليكم و رحمته ما زكى منكم من احد ابداً و لكنّ الله يزكّي من يشاء﴾.(١)

و استجلاب العناية الخاصة الّتي توفّق السائر في سيره و تعينه فيه، لايمكن إلّا بالربط بينه تعالى و بينه، و لاربط إلّا بالابتهال و الدعاء، كما قد صرح التنزيل العزيز بأنّ الرشد موقوفٌ عليه و رهينٌ به.

قال تعالى: ﴿و إذا سئلك عبادى عنّى فانّى قريب اجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لى و ليؤمنوا بى لعلّهم يرشدون﴾.(٢)

و كذلك لو لا عناية أهل البيت عليهم السلام و إمدادهم لما يمكن طيّ هذا الطريق.

قال تعالى: ﴿يا ايها الّذين آمنوا اتقوا الله و ابتغوا إليه الوسيلة﴾.(٣)

و قال تعالى: ﴿و لو انهم اذ ظلموا انفسهم جائوك فاستغفروا الله و استغفر لهم الرسول لوجدوا الله توّاباً رحيماً﴾.(٤)

و لقد أحسن من أنشد:

طى اين مرحله بى همرهى خضر مكن

ظلمات است بترس از خطر گمراهى

الرابع: ثم انهم في آخر كلامهم قسّموا الصّبر باعتبار الصابر إلى اقسام نأتي بكلامهم مضيفاً إليه ما يلزم:

ان الصّبر باعتبار الصابر ينقسم إلى صبر المتوسطين و صبر الراضين و صبر المحبين،

١- النور / ٢١. ٢- البقرة / ١٨٦. ٣- المائدة / ٣٥. ٤- النساء / ٦٤.

لان من صبر عن ملكة و لكن لم يرض بما صبر عليه فصبره صبر المتوسطين، و ان شئت قلت صبر العوام، و من صبر عن ملكة مع كـونه راضـياً بـقضاء الله و قـدره و راضـياً بالتكاليف من الطاعات و الاجتناب عن المعاصي فهو صبر الراضين و ان شئت قلت صبر الخواص، و من صبر عن ملكة مع حبّه قضاء الله تعالى و قدره و بالتكاليف الّتي كلّف بها من المحبوب فهو صبر المحبين و هو صبر اخصّ الخواص، ثم انهم قسّموا الصابر أيـضاً إلى أقسام؛ فقالوا:

ان أهل الصّبر ان تركوا الشكوى فهم من التائبين و ان رضوا بما صبروا عـليه فـهم الزاهدون و ان استحبّوا ما صبروا عليه فهم من الصديقين.

قلت: ان الصّبر لا ينقسم إلى تلك المراتب و لايُصبّغ بتلك الأصبغ، و بعبارة أخرى صبر الرضا و صبر المحبة خطأٌ لاحظّ لهما من الصواب، لانّ أهل الصّبر إمّا ان يكونوا من العوام فلاصبر لهم، بل لهم التصبّر و هو حسن يترتب عليه الثواب بل لايـبعد ان يـقال باشتمال الآيات الدالة على ترتب المثوبة على الصّبر عليهم.

و إمّا ان يكونوا من المتوسطين و هم الّذين صبروا عن مـلكة لانّهـم بـالرياضات المشروعة حصّلوا تلك الملكة و اما ان يكونوا أهل الرضا فهم ذو فضلين فضل الصّبر و فضل الرضا و اما ان يكونوا أهل المحبة فهم ذو فضائل، فضل الصّبر و فضل الرضا و فضل المحبة.

فاهل الرضا يصبرون على الالام و يرضون بها على قدر رضاهم لان الرضا مشكّكة و أهل المحبة على قدر محبتهم يصبرون على الالام بها و يحبّونها لانها من المحبوب فهم نظير العشّاق الّذين يصبرون على الفراق لو كان رضى المعشوق فيه، و لعل القوم ارادوا ما قلنا فحينئذ يكون النزاع لفظياً و قد مرّ منّا انّ القيل و القال ليس من دأب أصحاب المواجيد، فلانطيل الكلام ببيانهما و تزييفهما.

و في الختام نأتي بروايات الباب لتطهّر عن قلوبنا غشاوة ذكر الأقوال و جرحها و بها نتمّ الكلام و قد فرغت من هذا البحث ليلة القدر و هي ليلة ٢١ لرمضان المبارك سنة ١٤١٥ ق. و الحمدلله رب العالمين و صلى الله على خير خلقه محمد و آله الطاهرين و لعنة الله على اعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين.

روايات في الصّبر

* عن أبي عبدالله عليه‌السلام قال: الصّبر من الايمان بمنزلة الرّأس من الجسد، فاذا ذهب الرّأس ذهب الجسد، كذلك إذا ذهب الصّبر ذهب الايمان.(١)

* عن أبي عبدالله عليه‌السلام قال: انّ الحرّ حرّ على جميع احواله، ان نابته نائبة صبر لها و ان تداكّت عليه المصائب لم تكسره و ان أُسر و قهر و استبدل باليسر عسراً كما كان يوسف الصّديق الامين صلوات الله عليه و لم يضرر حرّيته ان استعبد و قهر و أُسر و لم تضرره ظلمة الجبّ و وحشته و ما ناله ان منّ الله عليه فجعل الجبّار العاتى له عبداً بعد اذ كان له مالكاً فأرسله و رحم به أُمّة و كذلك الصّبر يعقّب خيراً، فاصبروا و وطّنوا أنفسكم على الصّبر توجروا.(٢)

* عن أبي جعفر عليه‌السلام قال: الجنّة محفوفة بالمكاره و الصّبر، فمن صبر على المكاره في الدّنيا دخل الجنّة، و جهنّم محفوفة باللّذّات و الشّهوات، فمن اعطى نفسه لذّتها و شهوتها دخل النّار.(٣)

* عن أبي عبدالله عليه‌السلام قال: إذا دخل المؤمن في قبره، كانت الصّلوة عن يمينه و الزّكاة عن يساره و البرّ مظلّ عليه و يتنحّى الصّبر ناحية، فاذا دخل عليه الملكان اللّذان يليان مساءلته قال الصّبر للصّلوة و الزكاة و البرّ: دونكم صاحبكم، فان عجزتم عنه فأنا دونه.(٤)

١- الكافي، ج ٢، ص ٨٧، باب الصّبر، ح ٢.
٢- الكافي، ج ٢، ص ٨٩، باب الصّبر، ح ٦.
٣- الكافي، ج ٢، ص ٨٩، باب الصّبر، ح ٧.
٤- الكافي، ج ٢، ص ٩٠، باب الصّبر، ح ٨.

* عن سماعة ابن مهران، عن أبي الحسن عليه السلام قال: قال لى: ما حبسك عن الحجّ؟ قال: قلت: جعلت فداك وقع علىّ دين كثير و ذهب مالى، و دينى الّذي قد لزمنى هو اعظم من ذهاب مالى، فلو لا انّ رجلاً من اصحابنا أخرجنى ما قدرت ان أخرج، فقال لى: ان تصبر تغتبط و إلّا تصبر ينفذ الله مقاديره، راضياً كنت ام كارهاً.(١)

* قال أميرالمؤمنين عليه السلام: الصّبر صبران، صبر عند المصيبة حسن جميل، و احسن من ذلك الصّبر عند ما حرّم الله عزّوجلّ عليك، و الذّكر ذكران ذكر الله عزّوجلّ عند المصيبة، و أفضل من ذلك ذكر الله عند ما حرّم عليك، فيكون حاجزاً.(٢)

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: سيأتى على النّاس زمان لا ينال الملك فيه إلّا بالقتل و التّجبّر، و لا الغنى إلّا بالغصب و البخل، و لا المحبّة إلّا باستخراج الدّين و اتّباع الهوى، فمن أدرك ذلك الزّمان فصبر على الفقر و هو يقدر على الغنى، و صبر على البغضة و هو يقدر على المحبّة، و صبر على الذّلّ و هو يقدر على العزّ آتاه الله ثواب خمسين صدّيقاً ممّن صدّق بى.(٣)

* قال أبو جعفر عليه السلام: لمّا حضرت أبي علىّ بن الحسين عليه السلام الوفاة ضمّنى إلى صدره و قال: يا بنىّ أُوصيك بما اوصانى به أبي حين حضرته الوفاة و بما ذكر انّ أباه اوصاه به، يا بنىّ اصبر على الحقّ و ان كان مرّاً.(٤)

* عن أبي جعفر عليه السلام قال: الصّبر صبران صبر على البلاء حسن جميل، و افضل الصّبرين الورع عن المحارم.(٥)

* عن علىّ أميرالمؤمنين عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: الصّبر ثلاثة، صبر عند

١- الكافي، ج ٢، ص ٩٠، باب الصّبر، ح ١٠.

٢- الكافي، ج ٢، ص ٩٠، باب الصّبر، ح ١١.

٣- الكافي، ج ٢، ص ٩١، باب الصّبر، ح ١٢.

٤- الكافي، ج ٢، ص ٩١، باب الصّبر، ح ١٣.

٥- الكافي، ج ٢، ص ٩١، باب الصّبر، ح ١٤.

المصيبة و صبر على الطّاعة و صبر عن المعصية، فمن صبر على المصيبة حتّى يردّها بحسن عزائها كتب الله له ثلاثمائة درجة ما بين الدّرجة إلى الدّرجة كما بين السّماء إلى الارض، و من صبر على الطّاعة كتب الله له ستّمائة درحة ما بين الدّرجة إلى الدّرجة كما بين تخوم الأرض إلى العرش، و من صبر علن المعصية كتب الله له تسعمائة درجة ما بين الدّرجة إلى الدّرجة كما بين تخوم الأرض إلى منتهى العرش.(١)

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: انّ الله عزّ وجلّ انعم على قوم فلم يشكروا فصارت عليهم وبالاً، و ابتلى قوماً بالمصائب فصبروا فصارت عليهم نعمة.(٢)

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: قال الله عزّوجلّ انّى جعلت الدّنيا بين عبادى قرضاً، فمن اقرضنى منها قرضاً أعطيته بكلّ واحدة عشراً إلى سبعمائة ضعف و ما شئت من ذلك، و من لم يقرضنى منها قرضاً فأخذت منه شيئاً قسراً فصبر أعطيته ثلاث خصال لو أعطيت واحدة منهنّ ملائكتى لرضوا بها منّى، قال: ثمّ تلا أبو عبدالله عليه السلام قول الله عزّوجلّ: ﴿الّذين إذا اصابتهم مصيبة قالوا انّا لله و انّا إليه راجعون * اولئك عليهم صلوات من ربّهم (فهذه واحدة من ثلاث خصال) و رحمة (اثنتان) و اولئك هم المهتدون﴾ ثلاث، ثمّ قال أبو عبدالله عليه السلام: هذا لمن اخذ الله منه شيئاً قسراً.(٣)

* قال النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: من يعرف البلاء يصبر عليه و من لا يعرفه ينكره.(٤)

* عن علىّ بن أبي طالب عليه السلام انّ النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قال: علامة الصّابر في ثلاث اوّلها ان لا يكسل، و الثّانية ان لا يضجر، و الثالثة ان لا يشكو من ربّه عزّوجلّ، لانّه إذا كسل فقد ضيّع الحقّ، و إذا ضجر لم يؤدّ الشّكر، و إذا شكا من ربّه عزّوجلّ فقد عصاه.(٥)

١- الكافي، ج ٢، ص ٩١، باب الصّبر، ح ١٥.
٢- الكافي، ج ٢، ص ٩٢، باب الصّبر، ح ١٨.
٣- الكافي، ج ٢، ص ٩٢، باب الصّبر، ح ٢١.
٤- بحار الانوار، ج ٦٨، ص ٨٣، باب ٦٢، ح ٤٣.
٥- بحار الانوار، ج ٦٨، ص ٨٦، باب ٦٢، ح ٣٥.

* سأل النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم جبرئيل عليه السلام ما تفسير الصّبر؟ قال: تصبر في الضّرّاء كما تصبر في السّرّاء، و في الفاقة كما تصبر في الغنى، و في البلاء كما تصبر في العافية، فلا يشكو حاله عند المخلوق بما يصيبه من البلاء.[1]

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: كم من صبر ساعة قد أورثت فرحاً طويلا، و كم من لذّة ساعة أورثت حزنا طويلاً.[2]

* عن جابر قال: قلت لابي جعفر عليه السلام: يرحمك الله ما الصّبر الجميل؟ قال: ذلك صبر ليس فيه شكوى إلى النّاس.[3]

* عن أبي عبدالله أو أبي جعفر عليه السلام قال: من لا يعدّ الصّبر لنوائب الدّهر يعجز.[4]

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: انّا صبّر و شيعتنا أصبر منّا، قلت: جعلت فداك كيف صار شيعتكم أصبر منكم؟ قال: لانّا نصبر على ما نعلم و شيعتنا يصبرون على ما لا يعلمون.[5]

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: اَ لا انّ الامر ينزل من السّماء إلى الأرض كلّ يوم كقطر المطر إلى كلّ نفس بما قدّر الله لها من زيادة أو نقصان، في أهل أو مال أو نفس، أو رأى عند آخر غفيرة فلا تكون له فتنة فانّ المرء المسلم ما لم يغش دناءة تظهر تخشّعاً لها إذا ذكرت و يغرى بها لئام النّاس كان كالياسر الفالج الّذي ينتظر اوّل فوزة من قداحه، توجب له المغنم و تدفع عنه المغرم فذلك المرء المسلم البرىء من الخيانة والكذب، ينتظر احدى الحسنيين أمّا داعى الله فما عندالله خير له، و أمّا رزق الله فاذا هو ذو أهل و ما ل، و معه دينه و حسبه، المال و البنون حرث الدّنيا، و العمل الصالح حرث الاخرة، و قد يجمعها الله عزّوجلّ لاقوام.[6]

١- بحار الانوار، ج ٦٨، ص ٨٧، باب ٦٢، ح ٣٨.
٢- بحار الانوار، ج ٦٨، ص ٩١، باب ٦٢، ح ٤٥.
٣- الكافي، ج ٢، ص ٩٣، باب الصّبر، ح ٢٣.
٤- الكافي، ج ٢، ص ٩٣، باب الصّبر، ح ٢٤.
٥- الكافي، ج ٢، ص ٩٣، باب الصّبر، ح ٢٥.
٦- بحار الانوار، ج ٦٨، ص ٨٤، باب ٦٢، ح ٢٨.

* عن عليّ أميرالمؤمنين عليه السلام قال: لا يذوق المرء من حقيقة الايمان حتّى يكون فيه ثلاث خصال: الفقه في الدّين، و الصّبر على المصائب، و حسن التّقدير في المعاش.[۱]

* قال أميرالمؤمنين عليه السلام: ثلاث بهنّ يكمل المسلم: التّفقّه في الدّين، و التّقدير في المعيشة، و الصّبر على النّوائب.[۲]

* قال أميرالمؤمنين عليه السلام في وصيته لابنه محمّد ابن الحنفية: ايّاك و العجب و سوء الخلق و قلّة الصّبر، فانّه لا يستقيم لك على هذه الخصال الثّلاثة صاحب، و لا يزال لك عليها من النّاس مجانب.[۳]

۱- بحار الانوار، ج ٦٨، ص ٨٥، باب ٦٢، ح ٢٩.
۲- بحار الانوار، ج ٦٨، ص ٨٥، باب ٦٢، ح ٣١.
۳- بحار الانوار، ج ٦٨، ص ٨٦، باب ٦٢، ح ٣٣.

الرّذيلة الخامسة و الثلاثون: الجزع

و هي ضدّ الصّبر.

قال الله تعالى: ﴿سواء علينا اجزعنا ام صبرنا ما لنا من محيص﴾.[1]

و هو لغة الحزن الناشيء عن فقد ما يطلبه فلا يجده، قال في المفردات: الجزع ابلغ من الحزن فان الحزن عام و الجزع هو حزن يصرف الإنسان عما هو بصدده و يقطعه عنه.

و يساوقه معنىً الفزع إلّا ان أكثر استعمال الفزع في الحزن الناشى من الخوف و به صرّح في المفردات ايضاً.

قال تعالى: ﴿ففزع من في السموات و من في الارض﴾.[2]

قال تعالى: ﴿حتّى إذا فزّع عن قلوبهم﴾.[3]

و يساوقه أيضاً الهلوع و لكن أكثر استعماله في الحزن الناشيء من الحرص على ما يطلبه و لا يجده.

قال في مجمع البحرين: هو افحش الجزع و في حديث ان المؤمن لا جشع و لا هلع.

و قال تعالى: ﴿ان الإنسان خلق هلوعاً * إذا مسّه الشرّ جزوعاً * و إذا مسّه الخير

١- ابراهيم / ٢١.　　٢- النمل / ٨٧.　　٣- سبأ / ٢٣.

منوعاً﴾.[١]

و الغرض من هذا التطويل ان القوم لو غيّروا الجزع بالهلوع فكانوا يبحثون عنه، لكان أولى و ذلك لجهاتٍ عدّة:

الف: ان الجزع ظهوره في العمل و شموله للملكة يحتاج إلى مؤونة زائدة، و ما قال به في المفردات من انه بمعنى الحزن لا يدلّ على كونه عن ملكة بخلاف الهلوع لانه نحو سفاهة غلبت على القلب، فهى توجب الجزع و الفزع في الآلام، و المنعة و الفخر في الخيرات و لله درّ صاحب مجمع البحرين حيث قال في معناه: و هو افحش الجزع.

ب: الهلوع يتضمّن معنى الحرص الشديد، فيشمل الجزع و المنعة كليهما بخلاف الجزع لانه الظاهر في الحزن دون المنعة.

ج: و هو العمدة انه يظهر من الذكر الحكيم ان الهلوع له معنى وسيع يصدق على الجزع و المنعة فبعمومه يشمل الحزن و الفرح فيصدق على من لا يصبر في الآلام و على من لا يصبر في اللّذّات و الخيرات.

قال تعالى: **﴿ان الإنسان خلق هلوعاً * إذا مسّه الشرّجزوعاً * و إذا مسّه الخير منوعاً * إلّا المصلّين * الّذين هم على صلاتهم دائمون﴾**.[٢]

و بالجملة ان الكلام في تلك الرذيلة الّتي تضادّ الصبر، و لامشاحة في ما اصطلح عليها، و هي نحو سفاهة غلبت على القلب أي: توجب الاضطراب و التذبذب و التوانى عن ملكة عند المصائب و الالام و المشاكل و عند الاعمال دنيوية و أخروية و عند المشتهيات نظير البطن و الفرج و المال و الرئاسة فلا يقدر على الثبات و قبلها، فيقع في الهلكات.

قال تعالى: **﴿مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء و لا إلى هؤلاء﴾**.[٣]

١- المعارج / ٢١ ـ ١٩.

٢- المعارج / ٢٣ ـ ١٩.

٣- النساء / ١٤٣.

و بعبارة اوضح ان هذه الرذيلة الّتي يقال لها بالفارسية سبك سرى، إذا غلبت على العقل يكون صاحبها كالسفيه، فيجزع و يفزع عند مصيبة ما و يشكو بلسانه و اعماله و جوارحه فضلاً عن المصائب العظيمة الّتي تذهب بعقله فيفعل فعل المجانين و يقول بأقوالهم كما يكبر عليه قليل الطاعات نظير الصلوة و الصوم.

قال الله تعالى: ﴿و استعينوا بالصبر و الصلوة و انها لكبيرة إلّا على الخاشعين﴾.[١]

فضلاً عن كبار الاعمال كالجهاد.

قال تعالى: ﴿فاذا انزلت سورة محكمة و ذكر فيها القتال رأيت الّذين في قلوبهم مرض ينظرون إليك نظر المغشى عليه من الموت فاولى لهم﴾.[٢]

و يزل قدمه عند شهوة ما فضلاً عن المشتهيات المرغوبة فيها أشدّ الرغبة، كالشهوة الجنسية والرئاسة، فيرضى ان يفدى بما في الأرض جميعاً لارضائها.

قال تعالى: ﴿و من النّاس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا و يشهد الله على ما في قلبه و هو الدّ الخصام * و إذا تولّى سعى في الأرض ليفسد فيها و يهلك الحرث و النسل و الله لا يحبّ الفساد * و إذا قيل له اتّق الله اخذته العزّة بالاثم فحسبه جهنّم و لبئس المهاد﴾.[٣]

فتلخّص ان هذا الرذيلة رذيلة موبقة فيها شرّ الدنيا و الاخرة، و المتّصف بها اشدّ حالاً من المجنون، لان الإنسان يفعل بها ما لا يفعل المجنون، بل هو يحترز عمّا يقوم به، و من غلبت هذهِ على عقله و قلبه يرتكب عن علمٍ ما يضرّه و لا ينفعه.

و قال تعالى: ﴿واضلّه الله على علم﴾.[٤]

و من تتبّع الذكر العزيز يرى أنّ ما يُحكى عن أهل الهلوع و اعمالهم اشبه شيء بالمجانين

١- البقرة / ٤٥.　　٢- محمّد / ٢٠　　٣- البقرة / ٢٠٦ ـ ٢٠٤.

٤- الجاثية / ٢٣.

مع كونهم معدودين في عقلاء القوم.

فعلى سبيل المثال إنّ نمرود و أتباعه حيث بهتوا قبال الحقّ،

قال تعالى: ﴿فبهت الّذي كفر﴾،[١]

قالوا اقتلوه أو حرّقوه و انصروا آلهتكم.

قال تعالى: ﴿فما كان جواب قومه إلّا ان قالوا اقتلوه أو حرّقوه﴾.[٢]

فجمعوا فكرتهم و أجمعوا على أن يحرّقوه بتلك الحطب الّتي أصبحوا و أمسوا في جمعه حتّى روى أنّها كانت فراسخ في فراسخ ثمّ اسقطوه فيها و لكن الله جعل تلك النار برداً و سلاماً.

قال تعالى: ﴿قلنا يانار كونى برداً و سلاماً على ابراهيم﴾.[٣]

فبعد تلك المعجزة الباهرة ما آمنوا به بل أجمعوا على تغريبه و نفيه عن بلدته.

كلّ ذلك هل يفعله أحدٌ غير السفهاء؟

هذا ما صدر عن نمرود و أتباعه الّذين كانوا يدعون انّهم عقلاء القوم.

و ما ذلك إلّا لغلبة الهلع عليهم، فقادهم إلى ما يضحك منه الثكلى.

و اوضح من ذلك ما برز عن قوم فرعون الّذين استخفّهم فاطاعوه و لم يخرجوا عليه، لعدم كونهم صابرين عند الآلام و الشهوات.

قال تعالى: ﴿فاستخفّ قومه فاطاعوه﴾.[٤]

فكان يذبّح الابناء و يستحيى النساء لما قيل له انه سيولد عدوّك الّذي يقتلك فمن سفهه ربّىٰ الطفل العدو في حجر محبّته.

قال تعالى: ﴿فالتقطه ال فرعون ليكون لهم عدواً و حزناً﴾.[٥]

١- البقرة / ٢٥٨.　٢- العنكبوت / ٢٤.　٣- الأنبياء / ٦٩.　٤- الزخرف / ٥٤.

٥- القصص / ٨.

فبعد ان بُعث اليهم، جاءهم بتلك المعاجز الباهرة، فآمن به السحرة ولكنّ السفيه اللعين هدّدهم بأنّه يقتلهم صبراً.

قال تعالى: ﴿قال لهم موسى ألقوا ما انتم ملقون * فالقوا حبالهم و عصيّهم و قالوا بعزّة فرعون انّا لنحن الغالبون * فالقى موسى عصاه فاذا هي تلقف ما يأفكون * فألقى السحرة ساجدين * قالوا امنّا بربّ العالمين * ربّ موسى و هٰرون* قال امنتم له قبل ان اذن لكم انه لكبيركم الّذي علّمكم السحر فلسوف تعلمون لاقطّعنّ ايديكم و ارجلكم من خلاف و لاصلّبنّكم أجمعين * قالوا لا ضير انّا إلى ربّنا منقلبون﴾.[١]

ثمّ بعد أن غلب سيّدنا موسى في مقام الاحتجاج و اظهار المعاجز عليه، أمر هامان اسكاتاً لهم ببناء صرحٍ، فرفعه، ثمّ عاد فقال: لم أر اله موسى في السماء، فهو من الكاذبين.

قال تعالى: ﴿يا هامان ابن لى صرحاً لعلّى ابلغ الاسباب * أسباب السموات فاطّلع إلى اِلٰهِ موسى و انّى لاظنّه كاذباً﴾.[٢]

هذه هي الغاية المتوخّاة عن سفاهة نمرود و سفاهة فرعون، فانّهما و إن كانا بحسب الظاهر أعقلا قومهما، ولكنّهما بغلبة الهلع عليهما خرجا عن مقتضى حكم عقلهما، و جاءا بما لايجوز للمجانين أن يقوموا به.

و أمّا من صبر فاقتدر على دفع المشتهيات النفسيّة، فهو الكيّس الّذي لايُغشى على قلبه و عقله، فكأنّه شمسٌ يتلألأ في الجوّ المظلم، الّذي غلب عليه السفه.

قال تعالى: ﴿و قال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه اتقتلون رجلاً ان يقول ربّى الله و قد جائكم بالبيّنات من ربّكم﴾.[٣]

و قال تعالى: ﴿و ضرب الله مثلاً للذين امنوا امرأة فرعون اذ قالت ربّ ابن لى عندك بيتاً في الجنّة و نجّنى من فرعون و عمله و نجّنى من القوم الظالمين﴾.[٤]

١- الشعراء / ٥٠ ـ ٤٣. ٢- غافر / ٣٧، ٣٦. ٣- غافر / ٢٨. ٤- التحريم / ١١.

و كذلك قارون مع كونه من اقرباء موسى و من مؤمنى قومه غلب عليه السفه، فاذا ابتلى ببلاء و قال له موسى: و ابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة و احسن كما احسن الله إليك و لا تبغ الفساد بمنع الفقراء و بامساك الحقوق الواجبة عليك.

فسأل أوّلاً التخفيف فيها فخفّف له ما شاء الله فبعد التخفيف و التسويف رجع فقال لم اكن انفق للفقراء لانه انما اوتيت المال على علم فهو لى لا للفقراء، فاستنكف عن الاحسان حتّى فعل ما فعله نمرود و فرعون و هامان فجمع فكرته ليذهب بعرض النبى فاستأجر امرأة لتنسب إليه الزنا و الولد الّذي كان في حجرها، فألهمها الله تعالى أن تقرّ بما هو الحقّ الواقع على رؤوس الاشهاد، فخسف الأرض بقارون و ماله على ما حكى الله تعالى في التنزيل العزيز عن سيرته: ﴿**انّ قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم و اتيناه من الكنوز ما انّ مفاتحه لتنوء بالعصبة اولى القوّة اذ قال له قومه لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين ۞ و ابتغ فيما اتاك الله الدار الآخرة و لا تنس نصيبك من الدنيا و احسن كما احسن الله إليك و لا تبغ الفساد في الأرض ان الله لا يحبّ المفسدين ۞ قال انّما اوتيته على علم عندى.... فخسفنا به و بداره الأرض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله**﴾.[1]

و نختم الكلام بما استدلّ به اللعين ابليس ليوجّه به تمرّده عن امره تعالى لمّا أمره أن يسجد بآدم عليه السلام، فقال: انّه من ترابٍ و انا من النار فانا اشرف منه.

قال تعالى: ﴿**يا ابليس ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدى استكبرت ام كنت من العالين ۞ قال انا خير منه خلقتنى من نار و خلقته من طين**﴾.[2]

مع ان الله تعالى لم يأمره بالسجود على جسده حتّى يصحّ له أن يقول خلقتنى من نار و خلقته من طين بل امره ان يسجد لروحه الّذي كان من أمر الله تعالى و بانتسابه إليه تعالى استحقّ لأن يُسجَد به.

١- القصص / ٨١ ـ ٧٦.

٢- ص / ٧٦، ٧٥.

قال تعالى: ﴿فاذا سوّيته و نفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين﴾.[١]

و الذكر العزيز كثيراً ما يحكى قصص الأقوام و حكايات الانبياء عليهم السلام ناصّاً على انّه لو لم يكن الصّبر ليغلب السفه على المرء، فيكون هلوعاً، فبجزعه يصير مصداقاً لقوله تعالى: ﴿صمّ بكم عمى فهم لا يعقلون﴾.[٢] وقوله ﴿صمّ بكم عمى فهم لا يرجعون﴾.[٣]

ثمّ يؤدّى امره إلى ان يكون اضلّ من الدّوابّ و ادنى منها.

قال تعالى: ﴿اولئك كالانعام بل هم اضلّ﴾.[٤]

و قال تعالى: ﴿انّ شرّ الدوابّ عند الله الصمّ البكم الّذين لا يعقلون﴾.[٥]

فحينئذٍ يصحّ ان يُقال، انّ الهلع هو امّ الرذائل، كما انّ ما يضادّه و هو الصّبر هو أمّ الفضائل.

مراتب الهلَع

ان لهذه الرذيلة كسائر الرذائل مراتب حيث إنّها مقولة بالتشكيك ضعفاً و شدّة.

فالمرتبة الضعيفة منها هي الحزن الكائن في القلب و لا محالة يظهر باللسان و سائر الجوارح كالشكوى عن فقد ما أحبّه و أراد، و الشكوى عن الله كان أو عن النّاس و احياناً عن الدهر و الدنيا و البخت و نحو ذلك.

فلا اقل يقول مؤسّفاً على ما جرى عليه ذاماً نفسه:

گليم بخت كسى را كه بافتند سياه   به آب زمزم و كوثر سفيد نتوان كرد

و هذه المرتبة من الجزع و الهلع هي المشتهر بين الناس، بحيث يصّح أن يقال: قلّما ان يخلو منهاأحدٌ.

و حيث ان الدنيا دار بالبلاء محفوفة و ان الإنسان لا يمكن ان ينال بمقاصده و أغراضه

١- الحجر / ٢٩.   ٢- البقرة / ١٧١.   ٣- البقرة / ١٨.   ٤- الاعراف / ١٧٩.

٥- الانفال / ٢٢.

كلّها، فلذلك قلنا قلّما يخلو منها أحدٌ، إلّا من ارتقى في مدارج التحلية بزينة الصّبر الّذي هو ضد الهلوع و هو نادر، لان أصحاب السير و السلوك نادرين، فربّ مسلم تقيّد بظواهر الشرع فاقتدر على اخذ زمام النّفس الأمّارة بل سلّط بفضل الله تعالى و رحمته عليها فلايرتكب الصغائر فضلاً عن الكبائر و لكن لم ينل إلى منزل التخلية فضلاً عن منزل التحلية بل من النّاس من لايفكّر فيها و لايهتمّ بها، مع أنّ تهذيب النّفس أوّلاً عن الرذائل و تحليتها ثانياً بالفضائل يُعدّ من اوجب الواجبات و هذا حال كثير من النّاس بل أغلبهم.

و لذلك قد ثنّى الذكر الحكيم الاخبار عن تهذيب النّفس بأحدعشر حلفاً ليُلفّت نظر المسلمين إليه قال:

﴿قد افلح من زكّيٰها * و قد خاب من دسّيٰها﴾.[١]

ثم أردفه بحكاية ثمود عليه السلام و تكذيب القوم ايّاه، فباءوا بعذاب الدنيا و الآخرة لعدم قيامهم بتهذيب نفوسهم.

و اما المرتبة الوسطى منها فهى الحزن الشديد في القلب بحيث لا نشاط و لا سرور فيه، بل يغلب عليه الهمّ و الغمّ و الاضطراب و الخوف يظهر ذلك كلّه على الجوارح سيّما على اللسان و ذلك لما يستفاد من قوله تعالى: ﴿قل كلٌّ يعمل على شاكلته﴾ حتّى يؤدّي إلى الانهيار العصبي، فحينئذٍ لا سلطان له على أعصابه، فينطق و يفعل و يمشى على ما يظهر من سيرة السفهاء، فكانّه منهم و قد مرّ الكلام في أنّ الهلع سفاهة يغلب على العقل و القلب.

و اما المرتبة الأخيرة فهي في الّذين تمكّن مركّب النقص في أنفسهم، فيرضون بأن يقتلوا ألوفاً من النّاس ليُراحوا من هذه المنقصة، و لذلك قد يفعلون ما لا تفعل شرّ الدوابّ.

قال تعالى: ﴿ان شرّ الدوابّ عند الله الصمّ البكم الّذين لا يعقلون﴾.[٢]

و إذا اقبلتْ إليهم لذّة من لذائذ الدنيا فيفدون العالَم ليصلوا إليها، فهم مجنونون أخدوا

١- الشمس / ١٠، ٩. ٢- الانفال / ٢٢.

السيف بيدٍ و الجنون بالأخرى. كما تشاهد اليوم في هذه الدنيا المتمدّنة بظواهرها، البريئة عنها بحقيقتها.

قال تعالى: ﴿ظهر الفساد في البرّ و البحر بما كسبت ايدى الناس﴾.[1]

و قال تعالى: ﴿و اتّقوا فتنة لا تصيبنّ الّذين ظلموا منكم خاصّة﴾.[2]

و قال تعالى: ﴿و ما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم و يعفوا عن كثير﴾.[3]

طريق تهذيب النّفس عن هذه الرّذيلة

قد مرّ منّا الكلام في طريق تهذيب النّفس على النحو العام في المجلّد الأوّل من هذا الكتاب فراجع إليه تنفع به في تهذيب نفسك عن هذه الرذيلة الّتي ذكرها القرآن كأنّها من طبيعة الانسان.

قال تعالى: ﴿ان الإنسان خلق هلوعاً﴾.[4]

و لعلّ السرّ في ذلك عموم ابتلاء النّاس بها، و صعوبة التخلية عنها، و إلّا فمعلوم انها من الصفات لا من الذاتيات.

و قد مرّ الكلام في طريق تحصيل الصّبر أيضاً، فراجع اليه.

و ينبغي أن نشير هيهنا إلى وجوب مراعاة الواجبات و الاجتناب عن المحرّمات توطئةً لتحصيلها، كما ذكرها الذكر الحكيم في المقام.

و هل هذه الأمور تهذّب النّفس عن هذه الرذيلة أو توجب استعداد النّفس لاصطياد نوره تعالى و رحمته؟ الظاهر من القرآن هو الأوّل و ان كان الثانى لا يخلو عن قوّة نظراً إلى كونه تعالى هو المعلم فقط.

قال تعالى: ﴿و لو لا فضل الله عليكم و رحمته ما زكى منكم من احد ابداً و لكن الله

١- الروم / ٤١. ٢- الانفال / ٢٥. ٣- الشورى / ٣٠. ٤- المعارج / ١٩.

يزكّي من يشاء﴾.[١]

فان الظاهر منها أنّ الاهتمام بالواجبات و الاجتناب عن الذنوب تجعل المرء مصداق قوله تعالى ﴿و لكن يزكّي من يشاء﴾.

فنختم الكلام بآيات واردة في ذلك.

قال تعالى: ﴿ان الإنسان خلق هلوعاً * إذا مسّه الشرّ جزوعاً * و إذا مسّه الخير منوعاً * إلّا المصلّين * الّذين هم على صلاتهم دائمون * و الّذين في اموالهم حقّ معلوم * للسائل و المحروم * و الّذين يصدّقون بيوم الدين * و الّذين هم من عذاب ربّهم مشفقون * انّ عذاب ربّهم غير مؤمون * و الّذين هم لفروجهم حافظون * إلّا على ازواجهم أو ما ملكت ايمانهم فانّهم غير ملومين * فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون * و الّذين هم لاماناتهم و عهدهم راعون* و الّذين هم بشهاداتهم قائمون * و الّذين هم على صلاتهم يحافظون * اولئك في جنّات مكرمون﴾.[٢]

تفسير و بيان

يظهر من الآيات الشريفة ان العامل بهذه الأمور له أن يقلع رذيلة الهلع عن نفسه.

و لااقلّ من فوزه باطفاء نارها، في الحقيقة انّ هذه الآيات تنعكس برنامجاً لتهذيب النّفس عنها.

و هذا البرنامج العملي يتضمّن اموراً.

١ ـ الصلوة، و في هذا البرنامج ذكرت تارتين مقدّمةً و متأخّرةً، تنويهاً إلى شأنها و أنّها اهمّ الأشياء في المسير إليه تعالى.

قال الله تعالى: ﴿و استعينوا بالصبر و الصلوة﴾.[٣]

ثمّ ذكرت الاستدامة عليها اوّلا و المحافظة عليها ثانياً اشارةً أيضاً إلى وجوب الاهتمام

١- النور / ٢١.　　٢- المعارج / ٣٥ ـ ١٩.　　٣- البقرة / ٤٥.

بها و بأوّل أوقاتها.

٢ ـ قانون المواساة و الاخوّة.

توضيح ذلك، يظهر جليّاً من نصوص الوحي و الحديث وجوب الانفاق بالميسور على كلّ مسلم ممّا آتاه الله، مالاً كان أو رئاسةً أو علماً مضافاً إلى وجوب الزكاة و الخمس عليه.

قال تعالى: ﴿**لينفق ذو سَعة من سعته و من قدر عليه رزقه فلينفق ممّا اتاه الله لا يكلّف الله نفساً إلّا ما اتاها**﴾.[1]

و هذه الآية الشريفة تفسّر الحقّ المعلوم في تلك الآيات فيكون المعنى وجوب الانفاق بالميسور على كلّ احدٍ ممّا ملكه، قلّ أو كثر.

و بهذا البيان يجمع بين الروايات فراجع روايات باب ٧ من أبواب ما تجب فيه الزكوة من الوسائل ج ٦، ص ٢٧، و قد صرّح في تلك الروايات بانّه ليس المراد من الحقّ المعلوم هو الزكاة، فما قيل من ان المراد منه هو نفسها ليس بسديد.

و ما اشتهر بين الفقهاء من انه لا يجب انفاقٌ في المال غير الخمس و الزكاة لا ينافي ما قلناه مستفيداً من القرآن و الروايات المتواترة لانّ مرادهم انّ المضبوط في عداد فروع الدين الّذي به يحقن الدماء و لو أنكره أحدٌ يؤخذ منه قهراً لقوله تعالى: ﴿**خذ من اموالهم صدقة**﴾ و لا يجوز ان يتصرّف في ماله قبل ادائه هو الخمس و الزكاة، لا أنّه لايجب الانفاق في شيءٍ آخر من أموال المرء، فراجع الفقه تجد ما قلنا هناك.

و بالجملة انّ مراعات قانون المواسات و الاخوّة و الانفاق بمقدار السعة من كلّ ما اتاه الله تعالى واجب و لا يمكن رفع اليد عنه بعد ما يدلّ عليه من الآيات و الروايات و هذا القانون يفيد من يريد السلوك إلى جنابه تعالى فيقلع عن نفسه الهلع كغيره من الرذائل، كما قد جرّبه أهله.

١- الطلاق / ٧.

۳ ـ الايمان بالقيامة، لانّ من اهمّ الاشياء في تعديل الغرائز و دفع الهوى و رفعها و في الجام النّفس الأمّارة هو الاعتقاد و اليقين بالقيامة.

بل القرآن يذكّرنا بأنّ الظنّ بالقيامة و احتمالها يسدّ النّفس عن الطغيان و الثوران.

قال تعالى: **﴿ويل للمطفّفين * الّذين إذا اكتالوا على النّاس يستوفون * و إذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون * اَ لا يظنّ اولئك انّهم مبعوثون * ليوم عظيم﴾**.[۱]

بل ادّعى ان انكار الإنسان المعاد، ليس إلّا لأن يفجر امامه، و هذا يؤدّى إلى اطفاء نور العقل ليستريح من لؤمها.

قال تعالى: **﴿لا اقسم بيوم القيامة * و لا اقسم بالنفس اللّوّامة * ايحسب الإنسان ان لن نجمع عظامه * بلى قادرين على ان نسوّى بنانه * بل يريد الإنسان ليفجر امامه﴾**.[۲]

و كثرة الآيات المذكّرة للمعاد في هذا الكتاب القيم البالغة ما يزيد على ألف آية، تشير إلى الرؤية القرآنيّة قِبَل هذه المسألة الهامّة، كما انّ الاعتقاد بها و لا سيّما تصديق القلب ايّاها، يفيد في نفى الهلع و التحلّي بالصبر، كما يُشاهد في الجوامع المؤمنة بها، حيث انّ ارتكاب الجرائم فيها اقلّ و اقلّ من الجوامع غير المؤمنة بها.

٤ ـ حفظ العفاف و الغيرة.

قد مرّ منا في المجلد الثانى من هذا الكتاب شرف العفاف للنساء و الغيرة للرجال و هما من اهمّ الفضائل لهما، كالملح في الغذاء، بل كالروح للجسد، و المجتمع الفاضل النزيه مرهونٌ بهما، كما أنّ الأعداء في جميع الأعصار يجهدون لازالتهما عن نفوس النّاس ليغلبوا عليهم.

قال تعالى: **﴿ان فرعون علا في الأرض و جعل اهلها شيعاً يستضعف طائفة منهم يذبّح ابناءهُم و يستحى نساءهم انه كان من المفسدين﴾**.[۳]

۱ـ المطفّفين / ٥ ـ ۱. ۲ـ القيامة / ٥ ـ ۱. ۳ـ القصص / ٤.

كما يشاهد في عصرنا الّذي ناصيتها صار بيد اليهود، فيحرقون العالم بالجنس و اعلاماتها الشنيته، و من المؤسّف عليه فوزهم بما أرادوا في مجتمعنا، عاصمة الشيعة الاماميّة، جعلهم الله مغلوبين بعد أن غلبوا على عقول بعض النّاس في الجملة، فأخرجوهم من النور إلى الظّلمات؛ فصاروا هلوعاً جزوعاً طلباً لمشتهياتهم، و منها الجنس و ما يرجع إليه.

فالاسلام اولاً منع من كلّ ما يوجب ثوران الغريزة الجنسية كالغناء و اللهو، حتّى كأنّه جعله تلواً لعبادة الأصنام.

قال تعالى: ﴿**فاجتنبوا الرجس من الاوثان و اجتنبوا قول الزور**﴾.[١]

قد فسّر الامام الصادق عليه السلام قول الزور بالغناء و آلات اللهو و مجالسه[٢] و لو كان التفسير من باب الجرى أيضاً فيكون ذلك من أبرز مصاديق قول الزور و هو كاف للاستدلال.

و نظير اختلاط الرجال و النساء و السفور و التبرّج و الخضوع في القول و نحو ذلك حتّى جعل ذلك في روايات كثيرة بمنزلة الزنا، و استفادة ذلك من مثل قوله تعالى في تعريف المحصنين و المحصنات بناءً على اتّحاد السياق و جعل السفح و الخدن تلواً للاخر ليس ببعيد.

قال تعالى: ﴿**محصنات غير مسافحات و لا متّخذات اخدان**﴾.[٣]

و قال تعالى: ﴿**محصنين غير مسافحين و لا متّخذى اخدان**﴾.[٤]

و بالجملة في الذكر الحكيم ما يزيد على عشر آيات تمنع عن ثوران الغريزة الجنسية خارجاً عمّا أمضاه الشرع.

و اما ثانياً فالقرآن ذكر هذه السّيئة كالزنا في عداد الكبائر، اما فى الدنيا فقال تعالى:

١- الحج / ٣٠. ٢- بحار الانوار، ج ٧٣، ص ٣٥٦، باب ٦٧، ح ٢٢.

٣- النساء / ٢٥. ٤- المائدة / ٥.

﴿إن الّذين يحبّون ان تشيع الفاحشة في الّذين آمنوا لهم عذاب اليم في الدنيا و الاخرة﴾.[١]

و قال تعالى: ﴿الزانية و الزاني فاجلدوا كلّ واحد منهما مائة جلدة و لا تأخذكم بهما رأفة في دين الله ان كنتم تؤمنون بالله و اليوم الاخر و ليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين﴾.[٢]

ثم نهى اخلاقاً عن أن يتزوّج الطيّب بالخبيث و جعل الطيّب للطيّب و الخبيث للخبيث.

قال تعالى: ﴿الزاني لا ينكح إلّا زانيةً أو مشركة و الزانية لا ينكحها إلّا زان أو مشرك و حرّم ذلك على المؤمنين﴾.[٣]

و اما في الآخرة فلو مات بلا توبة فسيّئه اكبر، بل كأنّها تلو القتل و الشرك.

قال تعالى: ﴿و من يفعل ذلك يلق اثاماً * يضاعف له العذاب يوم القيامة و يخلد فيه مهاناً﴾.[٤]

ثمّ اكّد الشريعة الغرّاء على الزواج، ثمّ ذكر انّ نكاح العزّاب يعدّ من وظائف المجتمع و حكّامه.

قال تعالى: ﴿و انكحوا الايامى منكم و الصالحين من عبادكم و امائكم ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله﴾.[٥]

فتلخّص ممّا ذكرنا انّ العفّة للنّساء و الغيرة للرّجال تمنعان عن كثير من المفاسد الاخلاقية و منها الهلع.

٥ ـ مراعات الامانة و العهد و البيعة.

١- النور / ١٩.　　٢- النور / ٢.　　٣- النور / ٣.　　٤- الفرقان / ٦٩، ٦٨.

٥- النور / ٣٢.

ان ردّ الامانة و حفظها و الوفاء بالعهود و العقود من الواجبات المؤكّدة عقلاً و شرعاً و هي تفيد المجاهد لقلع رذيلة الهلع، فهو مذكورٌ في البرنامج المبحوث عنه.

نعم لمّا كان الوجوب عقلياً، فالشرع يتبع في وجوبه العقلَ سعة و ضيقاً و زماناً و مكاناً و جهةً كما قد اشتهر في اصول الفقه ان الواجبات الشرعية إذا كانت ارشادية فهى تابعة لما ترشد اليه، يعنى انها تابعة لحكم العقل من حيث السعة و الضيق و من حيث الجهة و غير ذلك. فحفظ أموال النّاس إذا أخذها بالأمانة و كذلك ردّها إليهم و ستر عيوبهم و الوفاء بعهودهم و ببيعته معهم واجبٌ بالعقل و النقل، بل الوجوب في بعضها أشدّ و آكد، كما انّ ردّ المسروق إلى السارق و كتمان الشهادة و البيوع الفاسدة كبيع الخمر و آلات اللهو و نقض عهده بالرئيس و بيعته، حرامٌ بالنقل و العقل، و التفصيل في ذلك موكولٌ إلى الفقه.

و لا فرق في ذلك بين عهود النّاس بعضهم مع بعض و بين عهودهم مع الله تعالى، فيجب على جميع النّاس أن يراعوا ما ائتمنهم الله تعالى عليه.

قال تعالى: ﴿**انّا عرضنا الامانة على السموات و الأرض و الجبال فابين ان يحملنها و أشفقن منها و حملها الإنسان انه كان ظلوماً جهولاً**﴾.[1]

و اختلف في تلك الامانة رأياً و رواية، و الجمع بين الآراء و الروايات يقتضى ان يكون له معنىً عاماً و هو كلّ ما يصدق عليه عنوان الامانة و من مصاديقها البارزة هو قلب الإنسان الّذي هو عرش الرحمن.

قال تعالى في القدسيات: ﴿**لم يسعنى سمائى و لا ارضى و لكن وسعنى قلب عبدى المؤمن**﴾.[2]

و كذلك يجب عليه رعاية امانة الرسول و هي القرآن و العترة.

قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم في مواضع عدّة تبلغ حدّ التواتر اللفظي: انّى تارك فيكم الثقلين

١- الاحزاب / ٧٢. ٢- بحار الانوار، ج ٥٥، ص ٣٩، باب ٤، ذيل ح ٦١.

كتاب الله و عترتى و لن يفترقا حتّى يردا علىّ الحوض.[١]

و كذلك يجب عليه مراعاة ما استقرّ على عنقه ولايته، كالغرائز و الجسم و الاولاد و الازواج و الاموال و المجتمع سيّما الاقرباء و المعدمين و تفصيل ذلك يحتاج إلى افراد كتاب، و الغرض هنا انّ مراعات الامانات و العهود لها معنى عام و لا تختصّ بالمتفاهم العرفي من لفظتي الامانة و العهد.

و الظاهر ان المراد من العهد في هذا البرنامج القرآنى ليس ما تفاهم عليه العرف فقط، و قد قلنا كراراً انّ لالفاظ القرآن معنىً عاماً و لذلك المعنى العام مصاديق كثيرة.

٦ ـ اداء الشهادة.

من الواجبات المؤكّدة هي اداء الشهادة، و يظهر من القرآن انّ كتمانها يعدّ من المحرّمات العظيمة حتّى ان القرآن ذكره في عداد علائم اثم القلب و خبثه.

قال تعالى: ﴿**و لا تكتموا الشهادة و من يكتمها فانه اثم قلبه**﴾.[٢]

و لا اشكال في انّ هذا البرنامج يهذّب النّفس عن الهلع لكن بالصبر عليه سيّما إذا كان على النّفس أو الاقرباء أو الاصدقاء.

قال تعالى: ﴿**يا ايّها الّذين آمنوا كونوا قوّامين بالقسط شهداء لله و لو على انفسكم أو الوالدين و الاقربين**﴾.[٣]

و من المعلوم ان انفع الرياضات المشروعة و أحسنها ما كان أحمز و اشدّ على المجاهد، كالاقرار بالخطأ و الاستعذار عمّا وقع بينه و بين النّاس و لو كان مظلوماً فيه، و تقبّل النقد كأنّه هديةٌ تُهدى إليه،

قال مولانا الصادق عليه السلام: احبّ اخوانى الىّ من اهدى الىّ عيوبى.[٤]

١- بحار الانوار، ج ٢٣، ص ١٤٥، باب ٧، ح ١٠٥.

٢- البقرة / ٢٨٣.

٣- النساء / ١٣٥.

٤- الكافي، ج ٢، ص ٦٣٩، باب من يجب مصادقته و مصاحبته، ح ٥.

فكما ان العذر عند كرام النّاس مقبول فكذلك الاقرار بالخطاء و الاستعذار عـندهم مقبول، فيجب على الكريم المهدي لهذه الخصائل أن يقبل المتّصف بها فيشبّهه بنفسه تعالى و تقدّس.

و في الختام نأتي بطائفةٍ من روايات الباب الّتي هي الانوار الصادرة عن الأنوار، نوّر الله قلوبنا بنورهم بمنّه و كرمه.

روايات في الجزع

* قال الصادق عليه السلام: الصّبر يظهر ما في بواطن العباد من النّور و الصّفاء، و الجزع يظهر ما في بواطنهم من الظّلمة و الوحشة، و الصّبر يدّعيه كلّ احد، و لا يثبت عنده إلّا المخبتون، و الجزع ينكره كلّ احد و هو ابين على المنافقين، لانّ نزول المحنة و المصيبة يخبر عن الصادق و الكاذب، و تفسير الصّبر ماء يستمرّ مذاقه، و ما كان عن اضطراب لا يسمّى صبراً، و تفسير الجزع اضطراب القلب و تحزّن الشّخص و تغيّر السّكون و تغيّر الحال، و كلّ نازلة خلت أوائلها من الاخبات و الانابة و التّضرّع إلى الله تعالى فصاحبها جزوع غير صابر، و الصّبر ماء اوّله مرّ و آخره حلو، من دخله من اواخره فقد دخل و من دخله من أوائله فقد خرج، و من عرف قدر الصّبر لا يصبر عمّا منه الصّبر. قال الله عزّوجلّ في قصّة موسى و خضر: ﴿و كيف تصبر على ما لم تحط به خبراً﴾[1] فمن صبر كرهاً و لم يشكُ إلى الخلق و لم يجزع بهتك ستره فهو من العامّ، و نصيبه ما قال الله عزّوجلّ: ﴿و بشّر الصابّرين﴾ أى بالجنّة و المغفرة، و من استقبل البلاء بالرّحب و صبر على سكينة و وقار فهو من الخاصّ و نصيبه ما قال الله عزّوجلّ: ﴿انّ الله مع الصّابرين﴾.[2]

* قال أميرالمؤمنين عليه السلام: انّك ان صبرت جرت عليك المقادير و أنت مأجور، و انّك ان جزعت جرت عليك المقادير و أنت مأزور.[3]

١- الكهف / ٦٨. ٢- بحار الانوار، ج ٦٨، ص ٩٠، باب ٦٢، ح ٤٤.

٣- بحار الانوار، ج ٦٨، ص ٩٢، باب ٦٢، ح ٤٦.

* قال أميرالمؤمنين عليه السلام: الجزع عند البلاء تمام المحنة.(١)

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: ما من مؤمن إلّا و هو مبتلى ببلاء منتظر به ما هو أشدّ منه، فان صبر على البليّة الّتي هو فيها عافاه الله من البلاء الّذي ينتظر به، و ان لم يصبر و جزع نزل به من البلاء المنتظر أبداً حتّى يحسن صبره و عزاؤه.(٢)

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: يا اسحق لا تعدّن مصيبة أعطيت عليها الصّبر و استوجبت عليها من الله ثواباً بمصيبة، انّما المصيبة الّتي يحرم صاحبها أجرها و ثوابها إذا لم يصبر عند نزولها.(٣)

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: انّ الصّبر و البلاء يستبقان إلى المؤمن فيأتيه البلاء و هو صبور، و انّ الجزع و البلاء يستبقان إلى الكافر فيأتيه البلاء و هو جزوع.(٤)

* قال أبو عبدالله عليه السلام: اتّقوا الله و اصبروا فانّه من لم يصبر أهلكه الجزع، و انّما هلاكه في الجزع انّه إذا جزع لم يؤجر.(٥)

* عن الباقر عليه السلام قال: من صبر و استرجع و حمد الله عند المصيبة فقد رضى بما صنع الله و وقع اجره على الله، و من لم يفعل ذلك جرى عليه القضاء و هو ذميم و أحبط الله اجره.(٦)

* قال أميرالمؤمنين عليه السلام: من لم ينجه الصّبر اهلكه الجزع.(٧)

* قال أميرالمؤمنين عليه السلام: الصّبر يناضل الحدثان، و الجزع من اعوان الزّمان.(٨)

١- بحار الانوار، ج ٦٨، ص ٩٣، باب ٦٢، ح ٤٦.
٢- بحار الانوار، ج ٦٨، ص ٩٤، باب ٦٢، ح ٥١.
٣- بحار الانوار، ج ٦٨، ص ٩٤، باب ٦٢، ح ٥٣.
٤- بحار الانوار، ج ٦٨، ص ٩٥، باب ٦٢، ح ٥٦.
٥- بحار الانوار، ج ٦٨، ص ٩٥، باب ٦٢، ح ٥٨.
٦- بحار الانوار، ج ٦٨، ص ٩٦، باب ٦٢، ح ٦٣.
٧- نهج البلاغة، صبحى الصالح، قصار الحكم ١٨٩.
٨- نهج البلاغة، صبحى الصالح، قصار الحكم ٢١١.

* قال أميرالمؤمنين عليه السلام: (قلب الانسان) ان أفاد مالاً أطغاه الغنى، و ان اصابته مصيبة فضحه الجزع.(١)

* قال أميرالمؤمنين عليه السلام: فلا تنافسوا في عز الدّنيا و فخرها و لا تعجبوا بـزينتها و نعيمها و لا تجزعوا من ضرّائها وبؤسها.(٢)

* قال أميرالمؤمنين عليه السلام: أفرأيتم جزع احدكم من الشّوكة تصيبه و العترة تـدميه و الرّمضاء تحرقه.(٣)

* قال أميرالمؤمنين عليه السلام: و ما نلت من دنياك فلا تكثر به فرحاً و ما فاتك منها فلا تأس عليه جزعاً.(٤)

* قال أميرالمؤمنين عليه السلام: و ان كنت جازعاً على ما تفلّت من يديك، فاجزع على كلّ ما لم يصل اليك.(٥)

* قال أميرالمؤمنين عليه السلام في غرر الحكم:

الجزع هلاك.

الجزع منقصة.

الجزع من أعوانِ الزّمان.

الجزع يعظّم المحنة.

الجزع أتعبُ من الصبر.

الحزن و الجزع لا يَرُدّان الفائت.

الجزع عند البلاء من تمام المحنة.

١- نهج البلاغة، صبحى الصالح، قصار الحكم ١٠٨.

٢- نهج البلاغة، صبحى الصالح، الخطبة ٩٩.

٣- نهج البلاغة، صبحى الصالح، الخطبة ١٨٣.

٤- نهج البلاغة، صبحى الصالح، الكتاب ٢٢.

٥- نهج البلاغة، صبحى الصالح، الكتاب ٣١.

الجزع عند المصيبة اشد من المصيبة.

المصيبة واحدة و ان جزعتَ صارت (كانت) اثنتين.

الجزع لا يدفع القَدَر و لكن يحبط الاجر.

الجزع (الفزع) عند المصيبة يزيدها و الصّبر عليها يبيدُها.

اغلبوا الجزع بالصّبر فانّ الجزع يحبط الاجر و يعظّم الفَجيعة.

ان كنت جازعاً على كلّ ما يفلت من يديك فاجزع على ما لم يصل اليك.

بكَثْرة الجزع تَعْظُمُ الفجيعة.

ليس مع الجزع مثوبة.

من جزع عظمت مصيبته.

من ملكه الجزع حرم فضيلة الصبر.

من ضرب يده على فخذه عند مصيبة فقد أحبط اجره.

من اصبح يشكو مصيبةً نزلت به فانّما يشكو ربّه.

من كشف ضُرَّهُ للنّاس عذّب نفسه.

من شكا ضرّه إلى مؤمن فكأنّما شكا الله سبحانه.

من جزع فنفسه عذّب و أمر الله سبحانه اضاع و ثوابه باع.

لا تجزعوا من قليل ما اكرهكم فيوقعكم ذلك في كثير ممّا تكرهون.

لا يجتمع الصّبر و الجزع.[1]

۱- تصنيف غرر الحكم، ص ۲۶۲.

الفصل الخامس و الثلاثون

الفضيلة الخامس و الثلاثون: الدّعاء

الرّذيلة السّادسة والثلاثون: الإعراض عن الدّعاء

الفضيلة السابع و الثلاثون: الدعاء

و مرادنا منها ليس الدعاء باللسان فقط، بل المراد منها تحصيل حالة الدعاء و ان كان ظهوره باللسان من افضل الاعمال، و قد ورد انه افضل العبادات و انه مخّ العبادة و انه ترس المؤمن و انه سلاح المومن.

فراجع المجلّد الثانى من الكافي كتاب فضل الدعاء تجد في ذلك ما بلغ التواتر المعنوي.

فالأمّي الّذي لا يشعر بمعانى الأدعية كدعاء الكميل و العرفة و المناجاة الشعبانية و نحوها المضبوطة في كتب الادعية يفيده أن يقرأها و لا سيّما إذا كانت على سبيل الحكاية عن مُنشئها، كما لودعا الله تعالى بما سنح له، يستجاب له و يفيده و يترتّب عليه مثوبات كثيرة.

و لكن الكلام هيهنا في الدعاء القلبي و هو الصّلة الحاصلة بين العبد و ربّه تعالى ليجد أنّ الدعاء هو الكلام الصاعد و ان القرآن هو الكلام النازل فيجد حلاوة قرائة القرآن و الدعاء و الذكر و الربط سيّما حلاوة الصلوة، لكونها كالمسامرة بين المولى و العبد، فبقرائة القرآن يسمع كلام الله بلسانه، و بما بقي من الصلوة يرى تكلّمه مع الله ايضاً بلسانه فالصلوة محاورة مع الله لبعض أصحاب ملكة الدعاء و مغازلةٌ لبعضهم الآخر.

و ادّعاء ان المراد من الدعاء في لسان الوحي و أهل العصمة هو هذا القسم منه، قريبٌ

جداً، و إن أبيت عنه فلا أقلّ من كونه المتيقّن منه، أو من أبرز مصاديقه و أظهرها، و انكار ذلك ليس إلّا مكابرة واضحة خارجة عن طريق الانصاف!.

توضيح ذلك، قد ورد ما يحثّ على الدعاء و يحذّر عن الغفلة عنه في كثير من مواضع الذكر الحكيم و مأثورات المعصومين،

قال تعالى: **﴿و إذا سئلك عبادى عنّى فانّى قريب اجيب دعوة الدّاع إذا دعان فليستجيبوا لى و ليؤمنوا بى لعلّهم يرشدون﴾.**[١]

فدلالة الآية الكريمة على توقّف الرشد على الدعاء ظاهرةٌ لا ريب فيها، و لكن من اللافت للنظر فيها الاتيان بلفظة لعلّ اوّلاً الدالّ على كون الرشد محبوباً لله تعالى، و الاتيان بضمير المتكلّم فيها ثماني مرّات، ليُضاف الداعي إليه تعالى،

و قال تعالى: **﴿قل ما يعبأ بكم ربّى لو لا دعاؤكم﴾.**[٢]

و مثل هذا التهديد في القرآن الشريف قليل جدّاً، سيّما في نظر أهل القلوب الّذين يرون قيام الخلق بعنايته الخاصّة جلّ و علا و لو لا إيّاها لهلكوا فيما يقصر عن آنٍ ما، بل يصيروا هباءً منثوراً، و هذا سرّ ما يُروى عن النبي من مناجاته مع الله تعالى و لا سيّما في خلواته في الثلث الأخير من الليل بقوله: اللهم و لا تكلنى إلى نفسى طرفة عين ابداً.[٣]

قال تعالى: **﴿ادعونى استجب لكم ان الّذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنّم داخرين﴾.**[٤]

هذه الآية الشريفة أيضاً لسان تهديدٍ ليس بأخّف من لسان أختها، و من اللافت للنظر فيها الوعد المأتي به في صدرها، حيث ترتّب فيه الاستجابة على الدعاء من غير أن يعلّلها بشيءٍ آخر.

١- البقرة / ١٨٦. ٢- الفرقان / ٧٧.

٣- بحار الانوار، ج ١٤، ص ٣٨٤، باب ٢٦، ذيل ح ٢. ٤- غافر / ٦٠.

قال تعالى: ﴿امّن يجيب المضطرّ إذا دعاه و يكشف السوء﴾.[۱]

هذه أيضاً دلالةٌ على مطلوبيّة الدعاء حيث حثّ عليه بالاستفهام عنه، ثم وعد باستجابته لو كان الداعي مضطرّاً، و هو يرجع إلى قلبه، و ظهوره باللسان من مظاهره و قد دلّت آياتٌ كثيرة على كونه منه مستجاباً، منها:

قوله تعالى: ﴿فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلمّا نجّاهم إلى البرّ إذا هم يشركون﴾.[۲]

و قوله تعالى: ﴿ادعوا ربّكم تضرعاً و خفيةً﴾.[۳]

و هذه الآية كسابقتها في الأمر بالدعاء مع تضرّع القلب و خضوعه.

و يظهر من آيات كثيرة انّ الدعاء هو سلاح الأنبياء و العلماء و عباده المخلصين منها:

قوله تعالى: ﴿تتجافي جنوبهم عن المضاجع يدعون ربّهم خوفاً و طمعاً و ممّا رزقناهم ينفقون * فلا تعلم نفس ما اخفى لهم من قرّة اعين جزاء بما كانوا يعملون﴾.[٤]

و اختصاص الدعاء في الآية بالصلوة و اختصاص اعطاء قرة الأعين بالدار الآخرة، كما ذكره جملةٌ من المفسّرين لا وجه له اصلاً بل المراد بالدعاء المناجاة المشتملة على الصلوة، و المراد بقرّة اعين هو اللّذّة و البهجة في جوف الليل كما سيظهر للداعي في دار الجزاء فيكون قرّةً لعينيه.

و قال تعالى: ﴿و اصبر نفسك مع الّذين يدعون ربّهم بالغداة و العشيّ يريدون وجهه﴾.[٥]

جملة «بالغداة و العشيّ» كناية عن حالهم و استمرارهم عليه، فيأمر الله تعالى نبيّه بكونه مع الدّاعين غير الغافلين عنه.

۱- النمل / ٦٢.   ٢- العنكبوت / ٦٥.   ٣- الاعراف / ٥٥.   ٤- السّجدة / ١٧، ١٦.

٥- الكهف / ٢٨.

و يدلّ عليه قوله تعالى: ﴿و لا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا و اتّبع هواه و كان امره فرطا﴾.[١]

و نظير الآية الشريفة في القرآن كثير مرغّباً إليه، أو إلى الذكر و الأمر بهما، و مادحاً المتّصف بهما.

قال تـعالى: ﴿في بيوت اذن الله ان ترفع و يذكر فيها اسمه يسبّح له فيها بالغدوّ و الاصال * رجال لا تلهيهم تجارة و لا بيع عن ذكر الله﴾.[٢]

و قال تعالى: ﴿يا ايها الّذين آمنوا اذكروا الله ذكـراً كـثيراً * و سـبّحوه بكـرة و اصيلاً﴾.[٣]

و بالجملة انه يظهر من الآيات انّ الدعاء و سيّما حصول ملكته و المناجاة مع الله تعالى امارة الرّشد و سعادة الدارين و انه سيرة الأنبياء بل هو منطوٍ في الفطرة الانسانيّة، و ان الغفلة عنه و تركه امارة الشقاء و الخسران.

قال تعالى: ﴿ذكر رحمة ربّك عبده زكريا * اذ نادى ربّه نداءً خفيّاً * .... و لم اكن بدعائك ربّ شقيّاً﴾.[٤]

فالدعاء من اوجب الواجبات و تركه من اشدّ المحرّمات.

فوائد الدعاء

ان للدعاء فوائد كثيرة، و إجابته من الله تعالى بالنسبة إلى تلك الفوائد تُعدّ كقطرةٍ من البحر.

١ ـ الصلة بين العبد و المولىٰ فلمثل أهل القلوب ساعة منه خير من الدنيا و ما فيها.

قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: الركعتان في جوف الليل احب الىّ من الدّنيا و ما فيها.[٥]

١- الكهف / ٢٨.　٢- النّور / ٣٦، ٣٧.　٣- الاحزاب / ٤١، ٤٢.

٤- مريم / ٤ ـ ٢.　٥- بحار الانوار، ج ٨٤، ص ١٤٨، باب ٦، ح ٢٣.

و لغير أهل القلوب ايضاً فخرٌ لو التفتوا إلى حقيقته، اَلا ترى انهم لو قابلوا بعظيمٍ من أهل الرئاسة الدنياوية، ليفتخروا بمحادثتهم معه و لو كانت بجملةٍ واحدة؟ فيحكونها لهذا و لذاك؟! هذا فانظر إلى عظمة الله تعالى و سعة قدرته، فتحصيل الصلة معه فخرٌ لا أعظم منه اطلاقاً و من المؤسّف عليه غفلتنا عنه.

فنقول استغفرالله و اتوب اليه.

٢ ـ رفع الحجاب من الفطرة و صيرورة العلم الاجمالي علماً تفصيليّاً.

توضيح ذلك، انّ المعرفة و التوحيد من الفطريات و انهما في أعماق روح الإنسان بل في عمق كلّ موجود و الدليل عليه ما أشار إليه سبحانه في كثيرٍ من آي الذكر الحكيم من ان الإنسان إذا انقطع عمّا سواه لضرورة حدثت له فيدعوه تعالى لأنّه يرى انه لا ملجأ له إلّا ايّاه.

قال تعالى: ﴿فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين﴾.[1]

فهو يلتجأ إليه تعالى لأنّه يشعر بتوحيده و يدركه بشراشر وجوده فلا يتمسّك بغيره.

فلذا يدعوه تضرّعاً طالباً نجاته فلو لم يجد الله عليماً قادراً سميعاً جواداً فلا معنى لدعائه، فدعائه بلسان القال الّذي ينشأ من لسان الحال دليل على اذعانه بانّ من وجده هو الواحد القادر العليم السميع الجواد.

و بعبارة أخرى انه وجدالله تعالى فيدعوه.

فالانبياء كلهم جائوا لتيقّظ الفطرة و تنبيهها إليه، بل لرفع الحجاب عنها، لأنّها على يقينٍ من توحيده تعالى غير غافلٍ عنه و لو بلحظةٍ ما، و لهذا ان عوالم الوجود بأسرها تسبّحه تعالى من غير فتورٍ فيه.

قال تعالى: ﴿و ان من شيء إلّا يسبّح بحمده و لكن لا تفقهون تسبيحهم﴾.[2]

١- العنكبوت / ٦٥. ٢- الاسراء / ٤٤.

فهذا الإنسان المحجوب عن ربّه أن يُنبّه بفطرته السليمة، لئلّا يموت و هو محجوبٌ عنه تعالى.

قال تعالى: ﴿كلّا انهم عن ربّهم يومئذ لمحجوبون﴾.[١]

فالانبياء كلّهم جائوا لرفع الحجب و لاحيائه بالحيواة الطيّبة.

قال تعالى: ﴿يا ايها الّذين آمنوا استجيبوا لله و للرسول إذا دعاكم لما يحييكم﴾.[٢]

و ممّا يرفع الحجب فينقلب هذا العلم الاجمالی الموجود في عمق الروح تفصيلياً هو الدعاء و التضرّع و التوبة إليه بل مطلق الذكر من الدعاء و قرائة القرآن و غيرهما ممّا ينبّه الإنسان و أقوى المذكّرات هي الصلوات الواجبة و المندوبة سيّما صلوة الليل بل مطلق قيام الليل.

٣ ـ درك ذلّ العبودية و عزّ الربوبية، و ان شئت قلت الوصول إلى مقام العبودية.

توضيح ذلك، انه يظهر من القرآن انّ غير الإنسان ممّا سوى الله خلق للانسان.

قال تعالى: ﴿الم تروا ان الله سخر لكم ما في السموات و ما في الأرض و اسبغ عليكم نعمه ظاهرة و باطنة﴾.[٣]

و يظهر من القرآن ان الإنسان خلق لله تعالى أي: للوصول إلى مقام العبودية

قال تعالى: ﴿و اصطنعتك لنفسى﴾.[٤]

و قال تعالى: ﴿و ما خلقت الجنّ و الانس إلّا ليعبدون﴾.[٥]

يعنى لوصولهما إلى مقام العبودية، و الوصول إلى هذا المقام يحتاج إلى طيّ المنازل من التوبة و اليقظة و التخلية و التحلية و التجلية و اللقاء بمراتبه الّتي هي العبودية فالإنسان إذا وصل إلى ذلك المقام يجد فقره و تذلّله و يجد انه ليس له شيء من الكمال، و الكمال كلّه لله

١- المطفّفين / ١٥.	٢- الانفال / ٢٤.	٣- لقمان / ٢٠.	٤- طه / ٤١.

٥- الذاريات / ٥٦.

تعالى فيجد عزّه و غنائه تبارك و تعالى.

قال تعالى: ﴿و ان من شيء إلّا عندنا خزائنه و ما ننزّله إلّا بقدر معلوم﴾.[١]

و لو حصل له هذه الحال، فقد فاز بأجود الحالات و ألذّها، و لها فوائد كثيرة منها احراق اعراق الرذائل عن القلب كالكبر و الغرور و الرياء لانه يمكن طيّ الطريق و العبور من منزل التخلية و لكن اعراقها باقية في النفس.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: آخر ما يخرج عن قلوب الصديقين حب الجاه.

فزوال نفسيّة التفرعن يحتاج إلى الوصول إلى مقام العبودية.

فوجدان ذلّ العبودية و وجدان عزّ الربوبيّة يحتاج إلى الوصول إلى مقام العبودية و مادام لم يصل بعدُ إلى ذلك المقام و ان عرج من منزل التخلية و التحلية لا يجد طعم ذلك و ان رآه فالرؤية شيء و الوجدان شيء آخر و بينهما بون بعيد، نظير العلم الحصولى و العلم الحضورى، و نظير الإسلام العقلى و العقيدي و الايمان القلبي، و الغرض من هذا التطويل ان الدعاء و التضرّع و التوبة و الانابة ممّا ينال به الداعى و المتضرّع و التائب و المنيب إلى الله تعالى إلى ذلك المقام و لااقلّ من أنّه يهيّء الإنسان للوصول اليه، لان المجاز قنطرة الحقيقة، و اجود قنطرةٍ لهذا المرام هو الدعاء و الانابة، وافق فيها القلبُ اللسانَ، ضرورة ان قول الداعى يا ربّ يا ربّ يا ربّ ليس معناه إلّا انه يقول بالقلب و لو لم يلتفت إليه: انا الفقير بل انا الفقر و انت الغنىّ بل انت الغنى و انا الذليل و انت العزيز و....

و هذا أمثل الطرق للوصول إلى الحقيقة و تبديل القول بالعمل ثمّ الوصول إلى مغزاه.

٤ ـ وجدان المفقود، و هو ان الإنسان من حين أن صار متميّزاً بين الحقائق، بل من بدو تولّده يجد في نفسه مطلوبه و هو الله تعالى.

قال تعالى: ﴿فاقم وجهك للدّين حنيفاً فطرة الله الّتي فطر النّاس عليها لا تبديل لخلق

١- الحجر / ٢١.

الله ذلك الدّين القيّم﴾.[1]

و لكن كثيرٌ من النّاس يغفلون عن هذا العلم مع وجدانهم ما هو موجودٌ في سرائرهم، و من النّاس من يُخيّل إليهم أنّه الدنيا فيطلبونها و لكنّهم كلّما يقربوا منها يجدونها غير مطلوبةٍ لهم، فيموتون من غير أن يدركوا مطلوبهم و غايتهم في حياتهم الماديّة، و إلى هذا يشير جملةٌ من آي الذكر المبارك.

قال تعالى: ﴿وجيء يومئذ بجهنّم يومئذ يتذكّر الإنسان و انّى له الذكرى﴾.[2]

و الأنبياء كلّهم سيّما خاتمهم بُعثوا ليعرّفوا النّاس غايتهم و ما هو مقصودهم لينجوا من الحسرة و الغمّ و الاضطراب.

قال تعالى: ﴿اَلا بذكر الله تطمئنّ القلوب﴾.[3]

و قال تعالى: ﴿اَلا انّ اولياء الله لا خوف عليهم و لا هم يحزنون﴾.[4]

فذكر الله تعالى له معنى عام و من مصاديقه البارزة الدعاء و التوبة و الابتهال إليه.

٥ ـ الانقطاع عن النّاس إليه تعالى.

ان التوحيد الافعالى (و هو القول بأنّ الربوبية التكوينية و التشريعية منحصرة لله تعالى فقط) هو مقتضى القائلين بكلمتي التوحيد و التحميد المباركتين حيث نعلم على سبيل الجزم انه لا مؤثّر في الوجود إلّا الله تعالى و لا كمال و لا جمال إلّا عنده و في خزائنه فينزّلها بقدر معلوم.

قال تعالى: ﴿ربّ المشرق و المغرب لا اله إلّا هو فاتّخذه وكيلاً﴾.[5]

كما نعلم على سبيل القطع انه لا حكم و لا تشريع إلّا لله تعالى فما جاء به رسله هو الحقّ و ما هو من قبل غيره فليس إلّا الضلال.

١- الروم / ٣٠. ٢- الفجر / ٢٣. ٣- الرعد / ٢٨. ٤- يونس / ٦٢.

٥- المزمل / ٩.

قال تعالى: ﴿و من لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون﴾.[١]

هذا كلّه بحسب العلم، و هو لإسكات العقل و انجاءه عن الوساوس العلميّة واجبٌ، ولكن ليس له أن يوصل الإنسان إلى مقام اليقين لينجوا عن المهالك و الوساوس الشيطانيّة كلّها، ليحصل له فضيلة التوكّل و تفويض الامر إليه تعالى و كلّ ذلك بحاجةٍ ماسّةٍ مضافاً إلى ذلك العلم و الاذعان، إلى رسوخه في القلب و وجدان كلمة التوحيد فيه.

روى مولانا و سيّدنا الإمام الرضا عليه آلاف التحية و الثناء عن آبائه عليهم السلام انه قال الله تعالى: ﴿كلمة لا اله إلّا الله حصنى فمن قالها دخل حصنى و من دخل حصنى امن من عذابى﴾.[٢]

و هذا الايمان و الوجدان المصطلح عليه بالانقطاع عن النّاس إلى الله تعالى يحتاج رياضات مشروعة و من مصاديقها الهامّة الدعاء و التوبة و الابتهال إليه تعالى.

٦ ـ استجلاب ولاية الله تعالى على القلب.

انّ السائر في سلوكه إليه تعالى يحتاج إلى أشياء منها الحصول على الصراط السوي الّذي ليس إلّا الشريعة الغرّاء.

قال تعالى: ﴿و ان هذا صراطى مستقيماً فاتبعوه و لا تتّبعوا السّبل فتفرّق بكم عن سبيله﴾.[٣]

ثمّ إلى لزوم الطريق و عدم الانحراف عنه، و هذا يحتاج إلى عنايته و هدايته تعالىٰ حتّى يستقيم السائر عليه فيُخرج من الظلمات إلى النور و من الحجب الظلمانية و النورانيةالنور المطلق.

قال تعالى: ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾.[٤]

١- المائدة / ٤٤. ٢- بحار الانوار، ج ٤٩، ص ١٢٧، باب ١٢، ح ٣. ٣- الانعام / ١٥٣.

٤- الفاتحة / ٦.

و قال تعالى: ﴿الله وليّ الّذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور﴾.[1]

و استجلاب تلك الهداية يحتاج إلى عنايته، و عنايته يحتاج إلى تلك الرياضات، و أفضلها الدعاء و التضرّع إليه، انظر إلى كمال الدعاء كيف أُمرنا أن ندعوا في الصلاة كلّ يوم مرّات عديدة فنقول: ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾.

۷ ـ سلطة المرء على اعصابه و عدم قلقه و اضطرابه.

من اجود الحالات النفسيّة للمرء، هي سلطته على اعصابه و مشاعره، بحيث له ان يعقد مشاكله و عُقده، أو إن لم يكن له فيتحمّلها، فيعبّر عمّا يختلج بباله من غير أن يتشوّش أو يضطرب في القول، و كذلك في العمل. و هذا من نعمه سبحانه و تعالى على عباده النشطين مطمئنّي النّفوس.

و لا يعقل استقرار الطمأنينة و النشاط في قلب فيه الهمّ و الاضطراب.

و من اهمّ ما يرفع به تلك الأمراض و الأقلاق الروحيّة لتُبدّل بالسكينة في الاعضاء هو الدعاء و التوبة إليه تعالى.

قال تعالى: ﴿أَ لا بذكر الله تطمئنّ القلوب﴾.[2]

و قال تعالى: ﴿أَ لا ان اولياء الله لا خوف عليهم و لا هم يحزنون﴾.[3]

نعم يظهر من القرآن انّ التقوى ايضاً ممّا تطمئنّ به النفس.

قال تعالى: ﴿فايّ الفريقين احق بالامن ان كنتم تعلمون * الّذين آمنوا و لم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم الامن و هم مهتدون﴾.[4]

و قال تعالى: ﴿و لو انّ أهل القرى امنوا و اتّقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء و الأرض و لكن كذّبوا فاخذناهم بما كانوا يكسبون﴾.[5]

١- البقرة / ٢٥٧. ٢- الرّعد / ٢٨. ٣- يونس / ٦٢. ٤- الانعام / ٨٢، ٨١.
٥- الاعراف / ٩٦.

و قال تعالى: ﴿من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى و هو مؤمن فلنحيينّه حياة طيبة و لنجزينّهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون﴾.[۱]

كما تستفاد من هذه الكريمة انّ الذنب يضادّ التقوى، فيدفع الأمن عن النّفس و يوافقها كثيرٌ من الآيات، منها قوله تعالى: ﴿لا يزال الّذين كفروا تصيبهم بماصنعوا قارعة أو تحلّ قريباً من دارهم﴾.[۲]

و قوله تعالى: ﴿و من يشرك بالله فكانّما خرّ من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح في مكان سحيق﴾.[۳]

۸ ـ انّ الدعاء يحسّن الخُلُق و يزكّيه.

و هذه الفائدة هامّة جدّاً سيّما لعموم النّاس و لولا هذه الفائدة لكفى به عزّاً و فخراً.

توضيح ذلك، انه يظهر من القرآن ان الدعاء و الذكر يهذّب النفوس كما لأساتذة الأخلاق أن يفعلوا في نفوس تلامذتهم فيهذّبونها، و ذلك:

الف: بارائة الرشد قولاً و عملاً بل ايصاله إلى الرشد، و دلالة القرآن على كون الدعاء موصلاً إليه واضحةٌ.

قال تعالى: ﴿و إذا سئلك عبادى عنّى فانّى قريب اجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لى و ليؤمنوا بى لعلّهم يرشدون﴾.[٤]

ب: كما أنّ الاستاذ يمنع تلميذه عن ارتكاب فواحش الاعمال، فكذلك الدعاء و الذكر.

. قال تعالى: ﴿ان الصلوة تنهى عن الفحشاء و المنكر و لذكر الله اكبر﴾.[٥]

و مهمّة الدعاء تختلف بحسب أصناف النّاس فلعمومهم المنع من التورّط في ورطات الشيطان، و هذا من أهمّ انتاجات الدعاء، حيث لا انسان إلّا و هو في المساقط باستمرارٍ كما

۱- النّمل / ۹۷. ۲- الرّعد / ۳۱. ۳- الحجّ / ۳۱. ٤- البقره / ۱۸٦.

٥- العنكبوت / ٤٥.

تدلّ عليه آيات من التنزيل الحكيم.

قال تعالى: ﴿قال فبما اغويتني لاقعدنّ صراطك المستقيم * ثمّ لاتينّهم من بين ايديهم و من خلفهم و عن ايمانهم و عن شمائلهم و لا تجد اكثرهم شاكرين﴾.(١)

و لخواص النّاس المنع عن الفحشاء و المنكر، كمن يُصان بالترس عن العدوّ، فهم يصونون أنفسهم عن الذنب بالدعاء.

قال تعالى: ﴿انه ليس له سلطان على الّذين آمنوا و على ربّهم يتوكّلون﴾.(٢)

فهم بذكر الله تعالى و عناياته الخاصة يجتنبون كبائر ما تنهون عنه بل صغائرها فطوبى لهم و حسن مآب.

و لاخصّ الخواص يمنعهم عن المكروهات و المشتبهات بل عن سوء التفكر و الخيال و الوسوسة، فيتهيّء القلب لنزوله تعالى فيه.

و إلى ذلك اشار النبي صلّى الله عليه و آله و سلّم بقوله: من اخلص لله اربعين يوماً فجّر الله ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه.(٣)

ج: كما ان الاستاذ يخرج تلميذه من الظلمة إلى النور المطلق بتخطّيه عن منازل التخلية و التحلية إلى تجليته بأنوار المعرفة خطوة خطوة، حتّى يخرق الحجب النوريّة فلا يبقى في قلبه إلّا النور المطلق، فكذلك الاذكار و الادعية، و هي المعبّر عنها في الذكر الحكيم بالذكر الكثير، لها أن يخرج الداعي الذاكر إلى الفضاء الربوبي، فلا يبقى في قلبه غير النور شيئاً.

قال تعالى: ﴿يا ايها الّذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً * و سبّحوه بكرة و اصيلاً * هو الّذي يصلّي عليكم و ملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور و كان بالمؤمنين رحيماً * تحيّتهم يوم يلقونه سلام و اعدّ لهم اجراًكريماً﴾.(٤)

١- الاعراف / ١٦، ١٧. ٢- النّحل / ٩٩. ٣- بحار الانوار، ج ٦٧، ص ٢٤٩، باب ٥٤، ح ٢٥.

٤- الاحزاب / ٤١ ـ ٤٤.

۹ ـ اضف إلى ما قلناه من الفوائد الثمانية، ما يترتّب عليه من المثوبات الّتي لا تحصاها غير الله تعالى، و لولم يكن غير قوله تعالى: ﴿و هو الّذي يصلّى عليكم و ملائكته﴾ لكفاك ان تقول لا يعادل الدعاء شيءٌ آخر، و ورد ان أهل الجنّة إذا سمعوا قوله تعالى: ﴿سلام قولاً من ربّ رحيم﴾ [1] غلب عليهم سكر السلام نظير سكر الشراب الطّهور، لا بل نظير سكر استماع العاشق كلام معشوقه، فهم في السكرة إلى ما شاءالله.

هنيئاً لارباب النـعيم نـعيمهم و للعاشق المسكين ما يتجرّع

هذا و هيهنا معنى آخر للبيت لم يقصده شاعره، و هو طلب التهنئة لأرباب النعيم على نعمهم من الحور و القصور الّتي فيها ما تشتهيه الانفس و تلذّ الاعين.

قال تعالى: ﴿و فيها ما تشتهيه الانفس و تلذّ الاعين و انتم فيها خالدون﴾. [2]

ثمّ لمن يعشق بحريمه تعالى ما يتجرّع من سلامه تعالى عليه فيسكره سكرة العاشق الواصل.

قال تعالى: ﴿سلام قولاً من ربّ رحيم﴾. [3]

۱۰ ـ اضف إلى ذلك كلّه الاجابة الّتي وعدها الله تعالى عليه من غير ريبٍ فيها، قال تعالى: ﴿ادعونى استجب لكم﴾. [4]

و قال تعالى: ﴿اجيب دعوة الداع إذا دعان﴾. [5]

بقي الكلام في مسألة عدم استجابة الدعاء في بعض الأحيان مع اجتماع جميع ما يُشترط فيه، فكيف و قد قال تعالى ﴿ادعونى استجب لكم﴾ و قال تعالى ﴿اجيب دعوة الداع إذا دعان﴾. [6]

قلت: عدم الترتب اما لعدم الاقتضاء أو لوجود المانع أو لفقدان الشروط، اما عـدم

۱- يس / ۵۸. ۲- الزّخرف / ۷۱. ۳- يس / ۵۸. ٤- غافر / ٦۰.

۵- البقرة / ۱۸٦. ٦- البقرة / ۱۸٦.

الاقتضاء فهو عدم توافقه لمصالح الداعي الأمريّة بحيث انه لو كشف الغطاء و ظهرت المصالح له يدعو لئلّا يُستجاب ما دعاه ملحّاً فيه،

قال تعالى: ﴿و يدع الإنسان بالشر دعائه بالخير و كان الإنسان عجولاً﴾.[۱]

و قال تعالى: ﴿و عسى ان تكرهوا شيئاً و هو خير لكم و عسى ان تحبّوا شيئاً و هو شرّ لكم و الله يعلم و انتم لا تعلمون﴾.[۲]

و قال تعالى: ﴿فعسى ان تكرهوا شيئاً و يجعل الله فيه خيراً كثيراً﴾.[۳]

و لكن بما للدعاء من الفضل، فقد يظهر من التنزيل العزيز جبر ما لم يُعط بخيرٍ منه.

قال تعالى: ﴿فاردنا ان يبدلهما ربّهما خيراً منه زكاة و أقرب رحماً﴾.[٤]

اما وجود المانع فهى كثيرة:

الف: رذائل الصفات، و هي مانعة جدّاً تمنع الدعا عن حريمه تعالى كما تمنع الحبلُ الطيرَ عن أن يطير في الجو الواسع،

قال تعالى: ﴿و لو شئنا لرفعناه بها و لكنّه اخلد إلى الارض﴾.[٥]

و قال تعالى: ﴿انا جعلنا في اعناقهم اغلالاً فهى إلى الاذقان فهم مقمحون﴾.[٦]

و قد كرّر في التنزيل المبارك انّه تعالى يختصّ رحمته بمن يشاء، منها قوله تعالى: ﴿و الله يختصّ برحمته من يشاء﴾.[٧]

و قد فسّر في بعض آيه ان المراد من «من يشاء» هم المحسنون و الصالحون.

قال تعالى: ﴿ان رحمة الله قريب من المحسنين﴾.[٨]

و قال تعالى: ﴿و ادخلناهم في رحمتنا انهم من الصالحين﴾.[٩]

۱- الاسراء / ۱۱. ۲- البقرة / ۲۱٦. ۳- النساء / ۱۹. ٤- الكهف / ۸۱.

٥- الاعراف / ۱۷٦. ٦- يس / ۸. ۷- البقرة / ۱۰٥. ۸- الاعراف / ٥٦.

۹- الأنبياء / ۸٦.

و قال مولانا الصادق عليه السلام في حديث: بينا موسى بن عمران يعظ اصحابه اذ قام رجل فشقّ قميصه فاوحى الله عزّوجلّ يا موسى قل له لا تشق قميصك و لكن اشرح لى عن قلبك، ثم قال: مرّ موسى بن عمران عليه السلام برجل من اصحابه و هو ساجد فانصرف من حاجته و هو ساجد على حاله فقال له موسى: لو كانت حاجتك بيدى لقضيتها لك فاوحى الله عزّوجلّ إليه يا موسى لو سجد حتّى ينقطع عنقه ما قبلته حتّى يتحوّل عمّا أكره إلى ما أحبّ.[۱]

و قال الامام الصادق عليه السلام: ان الله عزّوجلّ لا يستجيب دعاء بظهر قلب قاس.[۲]

و قال سيّدنا أبو جعفر عليه السلام في حديث: يا عيسى ان عبدى اتانى من غير الباب الّذي أوتى منه انه دعانى و في قلبه شك منك فلو دعانى حتّى ينقطع عنقه و تنتثر انامله ما استجبت له.[۳]

ب: الذنب، و هو مانع عظيم كسابقه، لأنّه تعالى عاهد مراراً ان لا يهدى الكافر و الفاسق و الظالم بالهداية العنائية و ان الله لا يحبّهم و لا يقبلهم لا نفسهم و لا عملهم.

قال الله تعالى: ﴿ان الله لا يهدى القوم الفاسقين﴾.[٤]

و قال تعالى: ﴿ان الله لا يهدى القوم الكافرين﴾.[٥]

و قال تعالى: ﴿ان الله لا يهدى القوم الظالمين﴾.[٦]

و قال تعالى: ﴿انّما يتقبّل الله من المتقين﴾.[۷]

و عن الامام أبي عبدالله عليه السلام قال قلت له: آيتان في كتاب الله عزّوجلّ اطلبهما فلا اجدهما، قال: و ما هما، قلت: قول الله عزّوجلّ ادعونى استجب لكم فندعوه و لا نرى

۱- الكافي، ج ۸، (الروضة) ص ۱۲۹، با ۸، ذيل ح ۹۸.

۲- الكافي، ج ۲، ص ٤۷٤، ح ٤.

۳- الكافي، ج ۲، ص ٤۰۰، ذيل ح ۹.

٤- المنافقون / ٦.

٥- المائدة / ٦۷.

٦- المائدة / ٥۱.

۷- المائدة / ۲۷.

اجابة، قال: افترى عزّوجلّ اخلف وعده؟ قلت: لا، قال: فممّ ذلك؟ قلت: لا ادرى، قال: لكّنى اخبرك، من اطاع الله عزّوجلّ فيما امره ثم دعاه من جهة الدعاء اجابه. قلت: و ما جهة الدعاء؟ قال: تبدء فتحمدالله و تذكر نعمه عندك ثم تشكره ثم تصلّى على النبى صلى الله عليه و آله و سلم ثم تذكر ذنوبك فتقرّ بها، ثم تستعيذ منها ـ ثم تستغفر منها ـ فهذا جهة الدعاء، ثم قال: و ما الآية الاخرى؟ قلت: قول الله تعالى ﴿و ما انفقتم من شيء فهو يخلفه و هو خير الرازقين﴾ و انى انفق و لا ارى خلفاً، قال: افترى الله عزّوجلّ اخلف وعده؟ قلت: لا، قال: فممّ ذلك؟ لا ادرى، قال: ﴿لو ان احدكم اكتسب المال من حلّه و انفقه في حلّه لم ينفق درهماً إلّا اخلف عليه﴾.[1]

و عنه عليه السلام أيضاً انه قيل له: الست تقول يقول الله ﴿ادعونى استجب لكم﴾ و قد نرى المضطرّ يدعوه فلا يستجاب له و المظلوم يستنصره على عدوّه فلا ينصره، قال عليه السلام: ويحك ما يدعوه احد إلّا استجاب له، اما الظالم فدعائه مردود إلى ان يتوب اليه....[2]

و عن أبي جعفر عليه السلام: ان العبد يسئل الله الحاجة فيكون من شانئة قضائها إلى اجل قريب أو إلى وقت بطيء، فيذنب العبد ذنباً فيقول الله تبارك و تعالى للملك: لا تقض حاجته و احرمه ايّاها، فانه تعرّض لسخطى و استوجب الحرمان منّى.[3]

ج: المشتبه به المصطلح عليه بالمظلمة، و هذا و إن كان فرداً من الذنب إلّا انّه لّما كان من أجلى مصاديقه، فأفردناه بالذكر، كما قد خُصّ به في الوحي و المأثور عن أهل العصمة، بل انّها من كبائر الموبقات فحقيقٌ بنا أن نفردها بالذكر فنقول:

قد اشتهر بين أهل القلوب ان لقيمةً من حرام أو مشتبهٍ تؤثّر في القلب حتّى يبق

١- الكافي، ج ٢، كتاب الدعاء، ص ٤٨٦، ح ٨.

٢- بحار الانوار، ج ١٠، ص ١٧٤، باب ١٣، ذيل ح ٢.

٣- الكافي، ج ٢، ص ٢٧١، باب الذنوب، ح ١٤.

تأثيرها فيه اربعين يوماً.

و انه اشتهر ان الحسين عليه السلام قال لاخته زينب حين سئلته عن عدم اجابة القوم له: انّ بطونهم مُلئت من الحرام.

حُكي ان شريك الاعور و كان من زهّاد عصره دعاه المتوكّل لعنه الله لقضاء بغداد، وليكون مؤدّب أولاده، فردّهما لزهده عن الدنيا، ثمّ أمره بالتعشّي عنده، فعشى عنده، و ما لبث أن تقبّل القضاء و تأديب اولاده غداً، و كان و كان إلى أن راجع في اوّل شهرٍ من الشهور إلى خزانة المال ليأخذ شهريّته، فأعطاه صاحب الخزانة درهماً مغشوشاً، فأبى عنه و أصرّ على ان يعطيه درهماً آخر، فغضب صاحب الخزانة و صاح عليه: ما بعتنا لنعطيك ثمنه؟ فأجاب: بعتكم دينى و مروءتى، فعليكم اعطاء دراهم تناسبه!.

و تجارب أهل القلوب تدلّ على ان لقمة من المشتبه تمنع عن صلاة الليل ليالي عدّة، فكيف بالحرام منها؟، كما يرون أنّها نارٌ يأكلونها، فيشهدون لقوله تعالى: ﴿انّ الّذين يأكلون اموال اليتامى ظلماً انما يأكلون في بطونهم ناراً و سيصلون سعيراً﴾.[1]

و اما الروايات

۱ ـ قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: اطب كسبك تستجاب دعوتك، فان الرجل يرفع اللقمة الّتي فيه حراماً فما تستجاب له اربعين يوماً».[2]

۲ ـ اتى رجل النبى صلى الله عليه و آله و سلم فقال: ادع الله ان يستجيب دعائى، فقال صلى الله عليه و آله و سلم: إذا اردت ذلك فاطب كسبك.[3]

۳ ـ و عن النبي صلى الله عليه و آله و سلم: من احبّ ان يستجاب دعائه فليطيّب مطعمه و مكسبه.[4]

۱- النساء / ۱۰. ۲- بحار الانوار، ج ۹۰، ص ۳۵۸، باب ۲۲، ذيل ح ۱۶.

۳- بحار الانوار، ج ۹۰، ص ۳۷۱، باب ۲۴، ح ۱۴.

٤- بحار الانوار، ج ۹۰، ص ۳۷۲، باب ۲٤، ذيل ح ۱۶.

٤ ـ و قال صلى الله عليه وآله وسلم لمن قال له: احب ان يستجاب دعائى، طهّر مأكلك و لا تدخل بطنك الحرام.[١]

٥ ـ في الحديث القدسى: فمنك الدّعاء و علىّ الاجابة فلا تحجب عنّى دعوة إلّا دعوة آكل الحرام.[٢]

٦ ـ عن الامام أبي عبدالله عليه السلام: من سرّه ان يستجاب دعائه فليطيّب كسبه.[٣]

٧ ـ و عنه عليه السلام: ترك لقمة حرام احبّ إلى الله تعالى من صلوة ألفي ركعة تطوّعاً.[٤]

٨ ـ و عنه أيضاً عليه السلام: ردّ دانق حرام يعدل عند الله سبعين حجة مبرورة.[٥]

٩ ـ فيما وعظ الله عيسى عليه السلام: يا عيسى قل لظلمة بنى اسرائيل لا تدعونى و السحت تحت اقدامكم و الاصنام في بيوتكم فانى آليت انّ اجيب من دعانى و ان اجابتى ايّاهم لعن لهم حتّى يتفرّقوا.[٦]

هذه جملةٌ من الروايات الواردة في ذلك و ستأتى جملةٌ أخر منها في آخر البحث انشاء الله.

و يجب علينا أن ننبّه هيهنا على انّ حق النّاس من الموبقات المهلكة بل هو كشعلة نارٍ اشتعلها المرء فتحرقه و تحرق ذريّته و ذويه و أصحابه، هذا في دنياه أمّا في الآخرة فهو له عذابٌ أليم، و من عذابه في الآخرة حمله اوزار من له الحقّ و اعطاء حسناته له.

١- بحار الانوار، ج ٩٠، ص ٣٧٣، باب ٢٤، ذيل ح ١٦.

٢- بحار الانوار، ج ٩٠، ص ٣٧٣، باب ٢٤، ذيل ح ١٦.

٣- بحار الانوار، ج ٩٠، ص ٣٧٣، باب ٢٤، ذيل ح ١٦.

٤- بحار الانوار، ج ٩٠، ص ٣٧٣، باب ٢٤، ذيل ح ١٦.

٥- بحار الانوار، ج ٩٠، ص ٣٧٣، باب ٢٤، ذيل ح ١٦.

٦- بحار الانوار، ج ٩٠، ص ٣٧٣، باب ٢٤، ذيل ح ١٦.

قال تعالى: ﴿يا ايها النّاس انّما بغيكم على انفسكم متاع الحيوة الدنيا ثم الينا مرجعكم فننبّئكم بما كنتم تعملون﴾.[۱]

و قال تعالى: ﴿و ليخش الّذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافاً خافوا عليهم فليتّقوا الله و ليقولوا قولاً سديداً﴾.[۲]

و قال تعالى: ﴿و قدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا﴾.[۳]

و قد روى ان اعماله الصالحة تُعطى لمن له الحقّ، و يقال سخريّةً له: هذا من اكل عياله اعماله يعنى انه جمع حراماً و اكله مع عياله في الدنيا فلا عمل صالح له الآن.

د: القسوة، و هي من رذائل الصفات، و ذكرنا ما يرجع إليه آنفاً كحديث دالّ على أنّها تمنع عن اجابة الدعاء فلا نعيد ما فرغنا منه قبل صفحاتٍ حذراً عن التكرار.

هـ: عدم موافقة اللسان و القلب

قد مرّ الكلام في ان حقيقة الدعاء و التوبة و الذكر، هي الدعاء القلبي و التوبة القلبية و الذكر القلبي، فاذا وجد ذلك فيلازمه الدعاء و الذكر اللسانى و التوبة اللسانيّة، كما يلازم الدعاء القلبي الصلة بين الداعي و المدعوّ له، و يلازم التوبة القلبيّة العزم على الترك، و يلازم الذكر القلبي ترك المحرّمات و اتيان الواجبات، و اما الدعاء اللسانى فلا تأثير له، و كذلك توتبه و ذكره نعم يُثاب عليهما، كما مرّ الكلام فيه في صدر المبحث.

و ورد في روايات كثيرة ان الله تعالى لا يستجيب دعاء من دعى بقلب غير ملتقبٍ إلى دعاءه، منها،

عن أبي عبدالله عليه السلام: انّ الله عزّوجلّ لا يستجيب دعاء بقلب ساه فاذا دعوت فأقبل بقلبك ثم استيقن بالاجابة.[٤]

١- يونس / ٢٣. ٢- النساء / ٩. ٣- الفرقان / ٢٣.

٤- الكافي، ج ٢، ص ٤٧٣، باب الاقبال على الدعاء، ح ١.

عنه عليه السلام قال: قال أميرالمؤمنين عليه السلام: لا يقبل الله عزّوجلّ دعاء قلب لاه.[١]

عنه أيضاً عليه السلام: إذا دعوت فاقبل بقلبك و ظنّ حاجتك بالباب.[٢]

و: السناد و الاعتماد على غير الله تعالى

يجب في الدعاء التّبتّل و الانقطاع إلى الله تعالى، و قطع الرجاء عن غيره حتّى عن نفسه، فمن اعتمد في دعائه على غيره تعالى و لو كان نفسه و عقله و مشاعره فلا يستجاب له.

قال تعالى: ﴿و اذكر اسم ربّك و تبتّل إليه تبتيلاً﴾.[٣]

و في روايات كثيرة ان الله تعالى يقطع أمل كلّ آمل يأمّل غير الله تعالى و لا يستجاب دعائه منها:

عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: ما من مخلوق يعتصم بمخلوق دونى إلّا قطعت اسباب السموات و اسباب الأرض من دونه، فان سألنى لم اعطه و ان دعانى لم اجبه، و ما من مخلوق يعتصم بى دون خلق إلّا ضمّنت السماوات و الأرض رزقه، فان دعانى اجبته و ان سألنى اعطيته و ان استغفرنى غفرت له.[٤]

و للايات الّتي مضت آنفاً، دلالة واضحة على ذلك، منها قوله تعالى: ﴿امّن يجيب المضطرّ إذا دعاه و يكشف السّوء﴾.[٥]

و قال تعالى: ﴿اغير الله تدعون ان كنتم صادقين﴾.[٦]

و قال تعالى: ﴿قل من ينجّيكم من ظلمات البرّ و البحر.... قل الله ينجّيكم منها و من

١- الكافي، ج ٢، ص ٤٧٣، باب الاقبال على الدعاء، ح ٢.

٢- الكافي، ج ٢، ص ٤٧٣، باب الاقبا! على الدعاء، ح ٣.

٣- المزمل / ٨.

٤- بحار الانوار، ج ٩٠، ص ٣٠٤، باب ١٦، ذيل ح ٣٩.

٥- النمل / ٦٢.

٦- الانعام / ٤٠.

كلّ كرب ثمّ انتم تشركون﴾.[١]

ز: عدم تطابق دعائه عمله

توضيح ذلك، ان الإنسان قد يعمل اعمالاً و لا محالة يترتّب عليها آثار ظـاهرية أو باطنية، مادية أو معنوية، مثلاً انّ السرف في المال يوجب الفقر و قد أمر الله تعالى بالاقتصاد في الانقاق.

قال تعالى: ﴿و الّذين إذا انفقوا لم يسرفوا و لم يقتروا و كان بين ذلك قواماً﴾.[٢]

و ان ذلك السرف معصيةٌ لامحالة.

قال تعالى: ﴿انّـهم كـانوا قـبل ذلك مـترفين * و كـانوا يـصرّون عـلى الحـنث العظيم﴾.[٣]

و قال تعالى: ﴿و إذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمّرناها تدميراً﴾.[٤]

و ان السرف لا محالة يؤدّي إلى الحاجة و العُدم و الاسترقاق حتّى إلى شرار النّاس كحاجة المسلم إلى الكافر حتّى في المؤامرة و البطانة.

قال تعالى: ﴿يا ايها الّذين آمنوا لا تتّخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالاً ودّوا ما عنتّم قد بدت البغضاء من افواههم و ما تخفى صدورهم اكبر﴾.[٥]

و قال أميرالمؤمنين عليه السلام:

و قـد دقّت و رقّت و استرقّت   فـضول العـيش اعـناق الرجـال

فبعد الفقر و الذنب و الاسترقاق، لو دعى فقال: اللّهمّ اغننى بحلالك عن حـرامك و بطاعتك عن معصيتك و بفضلك عمّن سواك، فلا يستجاب دعوته إلّا ان يرجع و يتوب

١- الانعام / ٦٣، ٦٤. ٢- الفرقان / ٦٧. ٣- الواقعة / ٤٥، ٤٦. ٤- الاسراء / ١٦.

٥- آل عمران / ١١٨.

إليه تعالى.

قال تعالى: ﴿لا يتّخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين و من يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلّا ان تتّقوا منهم تقاة﴾.[1]

و لها أمثال كثيرة، قس عليه غيره.

و نختم هذا المبحث مستنيرين برواية شريفة عن مولانا الإمام الصادق عليه السلام فانّه قال: لو انّ احدكم كان عنده عشرون الف درهم و اراد ان يخرجها في هذا الوجه ـ في الانفاق في سبيل الله ـ لاخرجها ثم بقى ليس عنده شيء ثمّ كان من الثلاثة الّذين دعوا فلم يستجب لهم دعوة: رجل آتاه الله مالاً فمزّقه و لم يحفظه فدعا الله ان يرزقه، فقال: الم ارزقك؟ فلم يستجب له دعوة و ردّت عليه، و رجل جلس في بيته يسئل الله ان يرزقه، قال: فلم اجعل لك إلى طلب الرزق سبيلاً ان تسيروا في الأرض و تبتغى من فضلى، فردّت عليه دعوته، و رجل دعا على امرأته، فقال: ألم أجعل أمرها في يدك فردّت عليه دعوته.[2]

ح: عدم تهيئة الاسباب

لا اشكال في انّ الدعاء من اسباب النيل إلى المقصود إلّا انه من الاسباب المعنوية، فبه و بغيره من الاسباب المعنوية يوجد المسبّب باذن الله تعالى.

ولكن للأسباب الظاهرية أيضاً دورٌ لايقلّ عن المعنويّة منها و ذلك لأنّه أبى الله ان يجرى الأمور إلّا بتلك الاسباب، فمن لا يهيّيء تلك الاسباب الظاهرية ثمّ دعا ربّه لايستجاب له، و قد دلّت آيات و روايات كثيرة على ذلك اما الروايات فقد مضى بعضها آنفاً و أمّا الآيات فمنها:

قول الله تعالى: ﴿فاذا قضيت الصلوة فانتشروا في الأرض و ابتغوا من

١- آل عمران / ٢٨. ٢- بحار الانوار، ج ٩٠، ص ٣٥٩، باب ٢٢، ذيل ح ١٩.

فضل الله﴾.[١]

و قوله تعالى: ﴿و ابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة و لا تنس نَصيبك من الدنيا﴾.[٢]

و نظيرهما كثير.

فالإنسان بما أُوتي من العقل و الادراك و قوّة النخب و الاختيار و صحّة الجسم و نحوها عليه ان يطلب من الله رزقه و غايته، كما انه بالاجتناب عن المعاصى و بالدعاء و غيرهما من الاسباب المعنوية عليه ان يطلبه منه تعالى.

و بعبارة أخرى يطير إلى أوج السعادة بجناحي الظّاهر و الباطن و كلّ واحدٍ منهما بلا آخر ناقص لايفي بالمقصود نعم إذا انقطعت الاسباب الظاهرية، فتنحصر الاسباب بالمعنوية منها، سيّما الدعاء.

و لا يشتبه عليك وجوب تهيئة الاسباب، مع وجوب الانقطاع عن غير الله إليه تعالى لانه فرق واضح بين تهيئة الاسباب و بين التفات القلب اليها بجماجمه و شراشره و قد مرّ الكلام فيه مفصّلاً في باب التوكّل فراجعه.

و اجماله ان التوحيد الافعالى يقتضى حصر ربوبيتي التكوينيّة و التشريعيّة في الله تعالى و لكنّه تعالى يتمّ ماله من التشريعيّة ببعث الرسل و انزال الكتب فعلينا اتباعهما، كما يتمّ التكوينيّة بالاسباب الظاهرية و المعنويّة و سلسلتها الطوليّة، فعلينا تهيئتها ليجرى تعالى فيها ارادته. فبالالتفات إلى ذلك يرتفع الاشكال عن البين.

ط: النيل إلى عناياته الفائضة على أوليائه تعالى، فهذا المانع يختصّ بهم و هو من ألطافه الخفيّة عليهم.

توضيح ذلك، انه يظهر من غير واحد من الآيات و الروايات ان لأوليائه تعالى منزلة لاينالوها إلّا بالبلاء و المشقّات و المشاكل و بعدم استجابته لهم، و عدم الاستجابة هذا

١- الجمعة / ١٠.　　٢- القصص / ٧٧.

يمدّهم للنيل إليها، فلايستجاب لهم ليصلوا إلى غايتهم الأعلى.

و قد اشتهر ان البلاء للولاء ثم الاولى فالاولى.

قال تعالى: ﴿ام حسبتم ان تدخلوا الجنة و لمّا يأتكم مثل الّذين خلوا من قبلكم مسّتهم البأساء و الضرّاء و زلزلوا حتّى يقول الرسول و الّذين آمنوا معه متى نصر الله اَ لا ان نصر الله قريب﴾.[۱]

و قال تعالى: ﴿و لقد ارسلنا إلى امم من قبلك فاخذناهم بالبأساء و الضرّاء لعلّهم يتضرّعون﴾.[۲]

و قال تعالى: ﴿و ما ارسلنا في قرية من نبيّ إلّا اخذنا اهلها بالبأساء و الضرّاء لعلّهم يضّرّعون﴾.[۳]

و اما الروايات فقد بلغت في ذلك حدّ التواتر، و قد رواها الكليني في أبواب متعددة من جامعه الثمين فقد أورد في باب شدة ابتلاء المؤمن ثلاثين منها، منها:

عن الامام أبي جعفر عليه السلام قال: ان الله تبارك و تعالى إذا احبّ عبداً غتّه بالبلاء غتّاً و ثجّه بالبلاء ثجّاً فاذا دعاه قال: لبّيك عبدى لئن عجّلت لك ما سئلت انى على ذلك لقادر و لان ادّخرت لك فما ادّخرت لك فهو خير لك.[٤]

و عن ابن أبي يعفور قال: شكوت إلى أبي عبدالله عليه السلام ما القى من الاوجاع ـ و كان مسقاماً ـ فقال لى: يا عبدالله لو يعلم المؤمن ما له من الاجر في المصائب لتمنّى انه قرّض بالمقاريض.[٥]

و عن أبي عبدالله عليه السلام قال: انه ليكون للعبد منزلة عندالله فما ينالها إلّا باحدى

۱- البقرة / ۲۱٤.　　۲- الانعام / ٤۲.　　۳- الاعراف / ۹٤.

٤- الكافي، ج ۲، ص ۲۵۳، ح ۷.　　۵- الكافي، ج ۲، ص ۲۵۵، ح ۱۵.

خصلتين اما بذهاب ماله أو ببليّة في جسده.[1]

و في رواية عن أبي عبدالله عليه السلام: ان الله ليتعاهد عبده المؤمن بالبلاء كما يتعاهد الغائب اهله بالطرف و انه ليحميه الدنيا كما يحمى الطبيب المريض.[2]

ی: حب الله تعالى سماع صوت عبده

هذا المانع لاخص الخواص و هم الّذين يحبّونه تعالى حبّاً شديداً كما هو تعالى يحبّهم كذلك فيلتذّون بمناجاته تعالى و يلتذّ بمناجاتهم، و يدعونه و يدعوهم.

قال أميرالمؤمنين عليه السلام في مناجاته الشعبانية: الهى و اجعلنى ممّن ناديته فاجابك و لاحظته فصعق لجلالك فناجيته سراً.[3]

فبعد ذلك يجد أن لاشيء ألذّ له من الصّلة القائمة بين العبد و مولاه.

قال تعالى: ﴿**ما تلك بيمينك يا موسى * قال هي عصاى اتوكّؤا عليها و اهشّ بها على غنمى و لي فيها مأرب أخرى**﴾.[4]

فترى هل لتطويل موسى عليه السلام في الاجابة عن سؤاله تعالى سببٌ غير حبّ التناجى الواقع بينهما؟ فما أبلغه عليه السلام و ما أحسن تطويله!.

فلذا لا يرى السالكون نحو حضرته في هذا التّطويل قبحاً بل يعدّونه خيراً من الاقتصار على اصول الكلم المحتاج إليها في الاجابة عنه تعالى هذا في ناحية العاشق الوله أمّا الرب الّذي هو أشدّ حبّاً لعبده منه، فلا يجيبه ليطول كلامه، فيناجيه سرّاً و علناً، فقد روى انّ بين كلامه عليه السلام: ﴿**و قال موسى ربّنا انّك آتيت فرعون و ملأه زينةً و اموالاً في الحيواة الدنيا ربّنا ليضلّوا عن سبيلك ربّنا اطمس على اموالهم و اشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتّى يروا العذاب الاليم**﴾.[5] و بعد اجابته تعالى عنه: ﴿**قال قد اجيبت دعوتكما**

۱- الكافي، ج ۲، ص ۲۵۷، ح ۲۳.
۲- الكافي، ج ۲، ص ۲۵۸، ذيل ح ۲۸.
۳- مفاتيح الجنان، اواخر مناجاة الشعبانية.
٤- طه / ۱۸، ۱۷.
٥- يونس / ۸۸.

فاستقيما و لا تتّبعانّ سبيل الّذين لا يعلمون﴾.[1] مضى اربعون سنة.

في الصحيح عن أبي عبدالله عليه‌السلام قال: كان بين قول الله عزّوجلّ ﴿قد اجيبت دعوتكما﴾ و بين اخذ فرعون اربعين عاماً.[2]

و في الجملة ان هذا المانع للاجابة لاخصّ الخواص من اهمّ الموانع و قد استفاضت الروايات في ذلك، فعن الإمام مولانا موسى بن جعفر عليه‌السلام ... ان أبا جعفر عليه‌السلام كان يقول: انّ المؤمن يسئل الله عزّوجلّ حاجته فيؤخّر عنه تعجيل احابته حبّاً لصوته و استماع نحيبه.[3]

* و عن الامام أبي عبدالله عليه‌السلام: ان العبد ليدعو فيقول الله عزّوجلّ للملكين قد استجبت له و لكن احبسوه بحاجته فانّي احبّ ان اسمع صوته.[4]

و عنه عليه‌السلام: ان المؤمن ليدعو الله عزّوجلّ في حاجته فيقول الله عزّوجلّ اخّروا اجابته شوقاً إلى صوته و دعائه، فاذا كان يوم القيامة قال الله عزّوجلّ: عبدى دعوتنى فاخّرت اجابتك و ثوابك كذا و كذا و دعوتنى في كذا و كذا فاخّرت اجابتك و ثوابك كذا و كذا، قال: فيتمنّى المؤمن انّه لم يستجب له دعوة في الدنيا ممّا يرى من حسن الثواب.[5]

و اما شرائط الدعاء

فانّها كثيرةٌ منها شرط الماهية و منها شرط الفرد، و بعبارة أسهل من الشروط ما لايتحقّق الدعاء إلّا باتيانه، فهو من شرائط تحقّقه و منها ما يستحبّ اتيانه و إن لم يكن شرطاً في تحقّقه و حصوله، الأوّل شرط الصحّة و الثانى شرط القبول و الاجابة.

١- يونس / ٨٩. ٢- الكافي، ج ٢، ص ٤٨٩، باب من ابطأت عليه الاجابة، ح ٥.

٣- الكافي، ج ٢، ص ٤٨٨، باب من ابطأت عليه الاجابة، ح ١.

٤- الكافي، ج ٢، ص ٤٨٩، باب من ابطأت عليه الاجابة، ح ٣.

٥- الكافي، ج ٢، ص ٤٩٠، باب من ابطأت عليه الاجابة، ح ٩.

اما شروط الصحة

الف: فمنها المعرفة و كلّما زادت قرب الدعاء بالاجابة حتّى لايفصل عنها و هذا هو الّذي اشتهر صاحبه بمستجاب الدعوة.

و بهذا الشرط اشار الله في كتابه بقوله: «و ليؤمنوا بى».

قال تعالى: **﴿و إذا سئلك عبادى عنّى فانّى قريب اجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لى و ليؤمنوا بى لعلّهم يرشدون﴾**.[١]

ب: البدء بالتحميد و ثنائه تعالى و قد استفاضت الروايات في ذلك مضافاً إلى استقرار سيرة أهل البيت عليهم السلام على ذلك و ليس دعاء محكيّ عنهم إلّا و في أطرافه جيء بأبلغ الثناء و الحمد له تعالى.

و عن الامام أبي عبدالله عليه السلام: ايّاكم إذا اراد احدكم يسئل من ربّه شيئاً من حوائج الدنيا و الآخرة حتّى يبدء بالثناء على الله عزّوجلّ و المدح له و الصلوة على النبى صلى الله عليه و آله و سلم ثم يسئل الله حوائجه.[٢]

و عنه عليه السلام أيضاً: انّ في كتاب على عليه السلام انّ المدحة قبل المسئلة فاذا دعوت الله عزّوجلّ فمجّده.[٣]

و نظيرهما كثير.[٤]

ج: اليقين و لااقلّ من وجوب الظنّ بالاجابة، و قد وعد الله الّذي لا يخلف وعده في آيات الدعاء بالاجابة عنه.

قال تعالى: **﴿اجيب دعوة الداع إذا دعان﴾**.[٥]

١- البقرة / ١٨٦.
٢- الكافي، ج ٢، ص ٤٨٤، ح ١.
٣- الكافي، ج ٢، ص ٤٨٤، ح ٢.
٤- الكافي، ج ٢، ص ٤٨٤، ح ٣ إلى ٩.
٥- البقرة / ١٨٦.

و قال تعالى: ﴿ادعوني استجب لكم﴾.[١]

و عن الإمام أبي عبدالله عليه السلام: ما ابرز عبد يده إلى الله العزيز الجبّار إلّا استحيا الله عزّوجلّ ان يردّها صفراً حتّى يجعل فيها من فضل رحمته ما يشاء فاذا دعا احدكم فلا يرد يده حتّى يمسح على وجهه و رأسه.[٢]

* و عنه عليه السلام: فاذا دعوت فاقبل بقلبك ثم استيقن بالاجابة.[٣]

* و عنه عليه السلام أيضاً: إذا دعوت فظنّ انّ حاجتك بالباب.[٤]

د: التوبة و الاقرار بالذنب و هي من اهمّ الاعمال و افضلها.

قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: الاستغفار و قول لا اله إلّا الله خير العبادة.[٥]

و روى انّه كان يستغفر الله سبعين مرّة في كلّ يوم.[٦]

و قد مرّ الكلام في أنّ الذنب يمنع عن الاستجابة بل هو أهمّ موانعها، فالاستغفار و الانابة إليه تعالى من أهمّ معدّاتها و أنفعها. كما قد دلّ عليه جملة من الآيات و الاحاديث.

قال تعالى: ﴿و ان استغفروا ربّكم ثمّ توبوا إليه يُمتّعكم متاعاً حسناً إلى اجل مسمّى﴾.[٧]

قال تعالى: ﴿و يا قوم استغفروا ربّكم ثمّ توبوا إليه يرسل السماء عليكم مدراراً و يزدكم قوّة﴾.[٨]

أمّا الرغبة و الرهبة و التضرّع و التبتّل و الابتهال و أمثالها فقد وردت في الذكر الحكيم

١- غافر / ٦٠.　　٢- الكافي، ج ٢، ص ٤٧١، باب ان من دعا استجيب له، ح ٢.

٣- الكافي، ج ٢، ص ٤٧٣، باب الاقبال على الدعاء، ح ١.

٤- الكافي، ج ٢، ص ٤٧٣، باب اليقين في الدعاء، ح ١.

٥- الكافي، ج ٢، ص ٥٠٥، باب الاستغفار، ح ٦.　　٦- الكافي، ج ٢، ص ٥٠٥، باب الاستغفار، ح ٥.

٧- هود / ٣.　　٨- هود ٥٢.

فيما يزيد على مأة موردٍ و يلازمها الاستغفار و التوبة.

و الكليني رحمه الله ذكر باباً في جامعه القيّم أورد فيه ما ورد عنهم عليهم السلام في تلك الالفاظ و معانيها، و المستفاد منه ضرورة التضرّع و الابتهال و الاستغفار للداعي، حتّى يستجاب له. كما و قد عنون باباً لفضيلة البكاء، و هي أيضاً يلازمها.[1]

هـ: التوسّل إلى أهل العصمة الكبرىٰ عليهم السلام.

قال تعالى: ﴿يا ايها الّذين آمنوا اتّقوا الله و ابتغوا إليه الوسيلة﴾.[2]

و عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انّه قال: نحن الوسيلة إلى الله.[3]

و عن الامام مولانا أبي عبدالله عليه السلام انه قال: نحن والله الاسماء الحسنى.[4]

و قال تعالى: ﴿و لو انّهم اذ ظلموا انفسهم جائوك فاستغفروا الله و استغفر لهم الرسول لوجدوا الله توّاباً رحيماً﴾.[5]

المستفاد من الشريفة توقف الغفران على التوسّل بسيّد العترة الطاهرة صلوات الله عليه و عليهم أجمعين و بذويه المعصومين بل تدلّ على فضل كون الدعاء عندهم و مدخليّته في الاجابة عنها.

و الكليني قدس الله سره عنون باباً في ذلك أورد فيه ما يزيد على عشرين رواية منها: عن الامام أبي عبدالله عليه السلام قال: لا يزال الدعاء محجوباً حتّى يُصلّى على محمد و آل محمد.[6]

هذا كلّه الشرائط الهامّة الّتي لادعاء إلّا بها.

١- الكافي، ج ٢، ص ٤٧٩. ٢- المائدة / ٣٥.

٣- بحار الانوار، ج ٢٥، ص ٢٢، باب ١، ذيل ح ٣٨.

٤- الكافي، ج ١، ص ١٤٤، باب النوادر، ح ٤. ٥- النساء / ٦٤.

٦- الكافي، ج ٢، ص ٤٩١، باب الصلاة على النبي، ح ١.

و أمّا الشرائط المندوبة فهى كثيرة و نحن نذكر جملةً من أهمّها، و هي بحسب ما يستفاد من الروايات تنقسم إلى ثلاثة اقسام.

الف: ما يرجع إلى الداعى و حالاته، و هو الدعاء في الصلواة و بعدها سيّما صلوة الليل و سيّما الوتر منها و يؤكّد الدعاء في الصلوات عند القنوت و السجود.

و دعاء المحزون سيّما إذا هجم عليه الحزن فصار كأنّه غريقٌ يدعو.

و دعاء المظلوم سيّما إذا لم يدعو على أحدٍ بل يدعو لنفسه و لغيره خير الدارين.

و دعاء المضطرّ سيّما إذا ضمّ إلى دعائه آية ﴿امّن يجيب﴾ و يتوسّل إلى المظلومين سيّما إلى سيّدهم من الأوّلين و الآخرين مولانا الامام الحسين عليه‌السلام.

و دعاء الحاجّ سيّما في امكنة مخصوصة نظير المسجدين الأعظمين و اوقات مخصوصة نظير يوم عرفة.

و دعا المريض سيّما إذا غلب عليه الوجع أو احتاج إلى شيء أو ملازمٍ.

و الدعاء مع النّاس سيّما إذا كان للغير سيّما الاقرباء.

و الدعاء بعد قرائة القرآن سيّما سور مخصوصة كسورة الحمد و الاخلاص و آيات مخصوصة كالأخير من آي سورة الحشر و سيّما آية الكرسى.

و الدعاء مع رفع اليدين سيّما متختّماً بالعقيق.

و الدعاء عند رقّة القلب و الخضوع و التضرّع و البكاء و الابتهال.

و الدعاء عند الافطار سيّما في الصوم المندوب.

و الدعاء عند الاذان سيّما إذا اذّن الدّاعي و بعده سيّما إذا كان للصلوات.

و الدعاء بعد الوضوء إذا احدث سيّما إذا صلّى ركعتين ندباً.

و روى عن النبى صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم انّه قال: يقول الله تعالى: من احدث و لم يتوضّأ فقد جفانى و من احدث و توضّأ و لم يصلّ ركعتين فقد جفانى و من احدث و توضّأ و صلّى ركعتين و

دعانی و لم اجبه فیما سألنی من امور دینه و دنیاه فقد جفوته و لست بربّ جاف.[1]

ب: ما یرجع إلی الوقت و هو ایضاً کثیر، و إلیك أهمّه بحسب الشّهور و الایّام و اللیالی و الساعات.

اما الشهور فالدعاء في شهر رجب و شعبان و رمضان لیلها و نهارها، فلو قیل ان تلك الشهور هي ربیع الدعاء لیس القائل بمجازفٍ فیه.

و اما الانهار و اللیالی، فلیالی القدر و العشر الأوّل من ذی الحجّة ـ سیّما یوم عرفة ـ و الاعیاد الواردة في الشریعة المطهّرة کلّها سیّما الفطر و الاضحی و الغدیر و المبعث و الجمعة و لیلتها و من المؤکّد علیه في وصایا أهل المعرفة الاهتمام بدعاء الخضر المشتهر بدعاء الکمیل في لیلتها و بدعاء الندبة في صبیحتها.

و اما الساعات فالسحر و بخاصّةٍ قبل طلوع الفجر و تلك الساعة افضل ساعات اللیل و النهار و بعدها بین الطلوعین، و الغفلة عن هاتین الساعتین خسران لامحالة فعلیك ثم علیك ثم علیك بتهجّد السحر الّذي أقسم الله تعالی به في کتابه کما و قد اوصی به بل أوصیٰ به بالمیسور و لو کان قلیلاً.

قال تعالی: ﴿**یا ایها المزّمّل * قم اللیل إلّا قلیلاً * نصفه أو انقص منه قلیلاً * أو زد علیه و رتّل القرآن ترتیلاً**﴾.[2]

و عند الزوال و عند الغروب و بین العشائین الّتي یقال لها ساعة الغفلة و وردت فیها صلوة الغفیلة، و یقال لها ساعة الغفلة و لصلوتها غفیلة لان الشیطان یصرّ ان یغفل الإنسان فیها نعوذ بالله منه و من اغفاله.

ج: ما یرجع إلی الامکنة، و عمدتها مطلق المساجد و خاصّة المسجد الحرام سیّما في الکعبة و عند الحجر و المقام و الحِجر و الزمزم، و مسجد النبی سیّما بین المحراب و المنبر و عند

۱- بحار الانوار، ج ۷۷، ص ۳۰۸، ح ۱۸.
۲- المزمل / ۴ ـ ۱.

قبره صلى الله عليه وآله وسلم.

و الدعاء في العرفات و المشعر و منى و على الصفا و المروة و عند الجمرات و ليس في الأمكنة ما يعادل المشاهد المشرفة سيّما عند قبر سيّد الأحرار الحسين عليه السلام.

و الدعاء عند قبور المؤمنين سيّما العلماء و ذرّيّة الائمّة عليهم السلام.

و في الخاتمة ينبغى الالتفات إلى أمرٍ هامٍّ.

انّ غالب النّاس لا يعرفون كيفية الدعاء و هم عند افضل الامكنة و في احسن الاوقات و في اعلى الحالات يغفلون عن الاصل و يلتفتون إلى ما لا ينبغى ان يُلتفت إليه و هو الدنيا فيتوغّلون فيها و يدعون الله ملحّاً على تحصيلها و النيل بها فيبدّلون الآخرة بها، و هذا خسرانٌ مبين!.

اليس استدعاء ما ذمّه الكريم في الذكر المبارك منه تعالى خسراناً؟!، و قد هيىء لنا ما هو أفضل منها؟.

اَ لا ترى ان القرآن يؤدّبنا بآدابها و يعلّمنا كيفيّتها سيّما في المواقع الخاصة.

قال تعالى: **﴿و اذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت و اسماعيل ربّنا تقبّل منّا انّك انت السميع العليم * ربّنا و اجعلنا مسلمين لك و من ذرّيّتنا امة مسلمة لك و ارنا مناسكنا و تب علينا انك انت التواب الرحيم * ربّنا و ابعث فيهم رسولاً منهم يتلوا عليهم اياتك و يعلّمهم الكتاب و الحكمة و يزكّيهم انك انت العزيز الحكيم﴾**.[١]

و يعلّمنا انه لو اردنا الدنيا فعلينا طلب الخير منها ليكون قرّة عينٍ للداعي، لا وبالاً عليه.

قال تعالى: **﴿ربّنا اتنا في الدنيا حسنة و في الآخرة حسنة و قنا عذاب النار﴾**.[٢]

و قال تعالى: **﴿ربّنا هب لنا من ازواجنا و ذرّيّاتنا قرّة اعين و اجعلنا للمتّقين**

١- البقرة / ١٢٩ ـ ١٢٧.

٢- البقرة / ٢٠١.

إماماً﴾.[١]

نعم قدورد وجوب اتّباع أهل البيت عليهم السلام في أدب الدعاء، و السرّ في ذلك مراعاة كيفيّتها ليحصّل الداعي على أفضل غايته و أحسنها، فدعاء الكميل و أضرابها تعلّمنا ايّاها لنستبعد عن دارالغرور و نتوجّه إلى دارالخلود. انظر إلى هذا الحديث كيف يدلّ على ان المتوغّل في الدنيا لو ألحّ على حاجته من غير أن يستفيد منهم عليهم السلام أدبها و آدابها، فليس إلّا سخرةً لأهل القلوب، و ليست دعاءه إلّا شرّاً و وبالاً عليه!.

روى انّ الله اوحى إلى نبيّ من الأنبياء في الزمن الأوّل ان لرجل في امّتة ثلاث دعوات مستجابة فاخبره بذلك فانصرف من عنده إلى بيته و اخبر زوجته بذلك فالحّت عليه ان يجعل دعوة لها فرضى فقالت سل الله ان يجعلني اجمل نساء الزمان فدعا الرجل فصارت كذلك ثم انه لمّا رأت رغبة الملوك و الشبان المتنعّمين فيها متوفرة زهدت في زوجها الشّيخ الفقير و جعلت تغالظه و تخاشنه و هو يداريها و لا يكاد يطيقها فدعا الله ان يجعلها كلبة فصارت كذلك ثم اجتمع اولادها يقولون يا ابت ان النّاس يعيّرون ان امّنا كلبة نابحة و جعلوا يبكون و يسئلونه ان يدعو الله ان يجعلها كما كانت فدعا الله تعالى فصيّرها مثل الّذي كانت في الحالة الاولى فذهبت الدعوات الثلاث ضياعاً.[٢]

و إن تستبعد ذلك، فانظر إلى دعواتنا حتّى في الأوقات و الأمكنة الخاصة، فهل ترى بينها و بين المذكور فيه من تفاوتٍ؟ كلّا! بل كثيراً ماترى أنّها أهون منه. بل من النّاس من يسئله تعالى ما هو شرٌّ له و أضرّ بحاله، ذلك لجهله و خسرانه!، فانظر إلى قوله تعالى:

﴿فلا تسئلن ما ليس لك به علم انّى اعظك ان تكون من الجاهلين﴾.[٣]

و قوله تعالى: ﴿و يدع الإنسان بالشرّ دعائه بالخير و كان الإنسان عجولاً﴾.[٤]

١- الفرقان / ٧٤.
٢- بحار الانوار، ج ٩٠، ص ٣٢٦، باب ١٨، ح ١٠.
٣- هود / ٤٦.
٤- الاسراء / ١١.

و قوله تعالى: ﴿قال يا قوم لم تستعجلون بالسيّئة قبل الحسنة﴾.[١]

و قال أميرالمؤمنين عليه السلام: يا صاحب الدعاء لا تسئل ما لا يكون و لا يحلّ.[٢]

و عن الهادى عليه السلام: انّ أميرالمؤمنين عليه السلام سمع رجلاً يقول اللهم انّى اعوذ بك من الفتنه قال عليه السلام: اراك تتعوّذ من مالك و اولادك، يقول الله تعالى: انما اموالكم و اولادكم فتنه.[٣]

و قال أميرالمؤمنين عليه السلام: من سئل فوق قدرته استحقّ الحرمان.[٤]

فطوبى لمن لا يفعل شيئاً إلّا بعد التعقّل حوله و المحاسبة فيه، و ذلك علامة العقل لانّ العاقل يتفكّر ثم يقول أو يفعل و الاحمق يقول أو يفعل ثم يتفكّر فيندم عليه. هذا هو السيرة الملتزم بها بين النّاس و إن رُدعوا و نُهوا عنها بألسنةٍ مختلفة. فعلينا المحاسبته ثمّ الدعاء، ليجيب تعالى عنّا.

و عن ربيعة بن كعب قال قال لى ذات يوم رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: يا ربيعة خدمتنى سبع سنين افلا تسئلنى حاجة، فقلت: يا رسول الله امهلنى حتّى افكّر فلمّا اصبحت و دخلت عليه قال لى: يا ربيعة هات حاجتك، فقلت: تسئل الله ان يدخلنى الجنّة معك، فقال لى: من علّمك هذا، فقلت: يا رسول الله ما علّمنى احد لكنّى فكّرت في نفسى و قلت ان سئلته مالاً كان إلى نفاد و ان سئلته عمراً طويلاً و اولاداً كان عاقبتهم الموت، قال ربيعة: فنكس رأسه ساعة، ثمّ قال: افعل ذلك فاعنّى بكثرة السجود، قال و سمعته يقول: ستكون بعدى فتنة فاذا كان ذلك فالتزموا على بن أبي طالب عليه السلام.[٥]

و قد طال بنا البحث، ولكن لا ضير، حيث كان من أهمّ المباحث و أرفعها قدراً و منزلةً. ثمّ نذيّله بقسطٍ ممّا ورد عن أهل العصمة عليهم السلام لنقتدى بهم في ما هو أفضل الأعمال و

١- النمل / ٤٦.
٢- بحار الانوار، ج ٩٠، ص ٣٢٤، باب ١٨، ح ١.
٣- بحار الانوار، ج ٩٠، ص ٣٢٥، باب ١٨، ح ٧.
٤- بحار الانوار، ج ٩٠، ص ٣٢٧، باب ١٨، ح ١١.
٥- بحار الانوار، ج ٩٠، ص ٣٢٦، باب ١٨، ذيل ح ١٠.

أقصر الطَّرق إلى جنابه تعالى.

روايات في الدعاء

* عن أبي جعفر عليه السلام قال: انّ الله عزّوجلّ يقول: ﴿انّ الّذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنّم داخرين﴾ قال: هو الدّعاء و افضل العبادة الدعاء، قلت: ﴿انّ ابراهيم لاوّاه حليم﴾؟ قال: الاوّاه هو الدّعاء.[1]

* عن حنان بن سدير عن ابيه قال: قلت لابى جعفر عليه السلام: اىّ العبادة افضل؟ فقال: ما من شيء افضل عندالله عزّوجلّ من ان يسئل و يطلب ممّا عنده....[2]

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: عليكم بالدعاء فانكم لا تقربون بمثله، و لا تتركوا صغيرة لصغرها ان تدعوا بها، ان صاحب الصغار هو صاحب الكبار.[3]

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال أميرالمؤمنين عليه السلام: احبّ الاعمال إلى الله عزّوجلّ في الأرض الدعاء و افضل العبادة العفاف، قال: و كان أميرالمؤمنين عليه السلام رجلاً دعّاء.[4]

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: الدعاء سلاح المؤمن و عمود الدّين و نور السماوات و الارض.[5]

١- الكافي، ج ٢، ص ٤٦٦، باب فضل الدعاء و الحث عليه، ح ١.

٢- الكافي، ج ٢، ص ٤٦٦، باب فضل الدعاء و الحث عليه، ح ٢.

٣- الكافي، ج ٢، ص ٤٦٧، باب فضل الدعاء و الحث عليه، ح ٦.

٤- الكافي، ج ٢، ص ٤٦٧، باب فضل الدعاء و الحث عليه، ح ٨.

٥- الكافي، ج ٢، ص ٤٦٨، باب ان الدعاء سلاح المؤمن، ح ١.

* قال أميرالمؤمنين عليه السلام: الدّعاء مفاتيح النجاح و مقاليد الفلاح و خير الدّعاء ما صدر عن صدر نقى و قلب تقى، و في المناجاة سبب النجاة و بالاخلاص يكون الخلاص، فاذا اشتدّ الفزع فالى الله المفزع.[١]

* قال النبى صلى الله عليه و آله و سلم: اَ لا ادلّكم على سلاح ينجيكم من اعدائكم و يدرّ ارزاقكم؟ قالوا: بلى، قال: تدعون ربّكم باللّيل و النّهار، فانّ سلاح المؤمن الدّعاء.[٢]

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال أميرالمؤمنين عليه السلام: الدّعاء ترس المؤمن و متى تكثر قرع الباب يفتح لك.[٣]

* عن الرضا عليه السلام انّه كان يقول لاصحابه: عليكم بسلاح الانبياء، فقيل: ما سلاح الانبياء؟ قال: الدّعاء.[٤]

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: الدعاء انفذ من السنان الحديد.[٥]

* قال أبو الحسن موسى عليه السلام: عليكم بالدّعاء فانّ الدّعاء لله و الطلب إلى الله يرد البلاء و قد قدّر و قضى و لم يبق إلّا امضاؤه فاذا دعى الله عزّوجلّ و سئل صرف البلاء صرفة.[٦]

* عن علاء بن كامل قال: قال لى أبو عبدالله عليه السلام: عليك بالدّعاء فانّه شفاء من كلّ

١- الكافي، ج ٢، ص ٤٦٨، باب ان الدعاء سلاح المؤمن، ح ٢.

٢- الكافي، ج ٢، ص ٤٦٨، باب ان الدعاء سلاح المؤمن، ح ٣.

٣- الكافي، ج ٢، ص ٤٦٨، باب ان الدعاء سلاح المؤمن، ح ٤.

٤- الكافي، ج ٢، ص ٤٦٨، باب ان الدعاء سلاح المؤمن، ح ٥.

٥- الكافي، ج ٢، ص ٤٦٨، باب ان الدعاء سلاح المؤمن، ح ٧.

٦- الكافي، ج ٢، ص ٤٧٠، باب ان الدعاء يرد البلاء و القضاء، ح ٨.

داء.[1]

* عن أبي عبدالله عليه السلام: قال: ما ابرز عبد يده إلى الله العزيز الجبّار إلّا استحيا الله عزّوجلّ ان يردّها صفراً حتّى يجعل فيها من فضل رحمته ما يشاء، فاذا دعا احدكم فلا يردّ يده حتّى يمسح على وجهه و رأسه.[2]

* قال أبو الحسن موسى عليه السلام: ما من بلاء ينزل على عبد مؤمن فيلهمه الله عزّوجلّ الدّعاء إلّا كان كشف ذلك البلاء وشيكاً و ما من بلاء ينزل على عبد مؤمن فيمسك عن الدعاء إلّا كان ذلك البلاء طويلاً فاذا نزل البلاء فعليكم بالدعاء و التضرّع إلى الله عزّوجلّ.[3]

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: من تقدّم في الدعاء استجيب له إذا نزل به البلاء، و قالت الملائكة: صوت معروف و لم يحجب عن السماء و من لم يتقدّم في الدعاء لم يستجب له إذا نزل به البلاء و قالت الملائكة: انّ ذا الصوت لا نعرفه.[4]

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: من تخوّف (من) بلاء يصيبه فتقدّم فيه بالدّعاء لم يره الله عزّوجلّ البلاء ابداً.[5]

* قال أبو عبدالله عليه السلام: من سرّه ان يستجاب له في الشدّه فليكثر الدعاء في الرّخاء.[6]

١- الكافي، ج ٢، ص ٤٧٠، باب شفاء من كلّ داء، ح ١.

٢- الكافي، ج ٢، ص ٤٧١، باب من دعا استجيب له، ح ٢.

٣- الكافي، ج ٢، ص ٤٧١، باب الهام الدعاء، ح ٢.

٤- الكافي، ج ٢، ص ٤٧٢، باب التقدّم في الدعاء، ح ١.

٥- الكافي، ج ٢، ص ٤٧٢، باب التقدّم في الدعاء، ح ٢.

٦- الكافي، ج ٢، ص ٤٧٢، باب التقدّم في الدعاء، ح ٤.

* عن أبي الحسن الأوّل عليهما السلام قال: كان علي بن الحسين عليهما السلام يقول: الدّعاء بعد ما ينزل البلاء لا ينتفع به.[1]

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إذا دعوت فظنّ انّ حاجتك بالباب.[2]

* عن أبي عبدالله عليه السلام: ان الله عزّوجلّ لا يستجيب دعاء بظهر قلب ساه، فاذا دعوت فاقبل بقلبك ثم استيقن بالاجابة.[3]

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: انّ الله عزّوجلّ كره الحاح النّاس بعضهم على بعض في المسألة و احبّ ذلك لنفسه، ان الله عزّوجلّ يحبّ ان يسأل و يطلب ما عنده.[4]

* عن أبي جعفر عليه السلام قال: لا و الله لا يلحّ عبد على الله عزّوجلّ إلّا استجاب الله له.[5]

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: انّ الله تبارك و تعالى يعلم ما يريد العبد إذا دعاه و لكنّه يحبّ ان تبثّ إليه الحوائج فاذا دعوت فسمّ حاجتك، و في حديث آخر قال: قال: انّ الله عزّوجلّ يعلم حاجتك و ما تريد و لكن يحبّ ان تبثّ إليه الحوائج.[6]

* قال أبو عبدالله عليه السلام: اطلبوا الدّعاء في اربع ساعات، عند هبوب الرياح و زوال الافياء و نزول القطر و اوّل قطرة من دم القتيل المؤمن، فانّ أبواب السماء تفتّح عند هذه الاشياء.[7]

۱- الكافي، ج ۲، ص ۴۷۲، باب التقدّم في الدعاء، ح ٦.

۲- الكافي، ج ۲، ص ۴۷۳، باب اليقين في الدعاء، ح ۱.

۳- الكافي، ج ۲، ص ۴۷۳، باب الاقبال على الدعاء، ح ۱.

٤- الكافي، ج ۲، ص ٤٧٥، باب الالحاح في الدعاء، ح ٤.

٥- الكافي، ج ۲، ص ٤٧٥، باب الالحاح في الدعاء، ح ٥.

٦- الكافي، ج ۲، ص ٤٧٦، باب تسمية الحاجة في الدعاء، ح ۱.

٧- الكافي، ج ۲، ص ٤٧٦، باب الاوقات الّتي ترجى فيها الاجابة، ح ۱.

* قال أبو عبدالله عليه السلام: يستجاب الدّعاء في اربعة مواطن، في الوتر و بعد الفجر و بعد الظهر و بعد المغرب.[۱]

* قال أميرالمؤمنين عليه السلام: اغتنموا الدعاء عند اربع، عند قراءة القرآن و عند الاذان و عند نزول الغيث و عند التقاء الصفّين للشهادة.[۲]

* عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان أبي إذا كانت له إلى الله حاجة، طلبها في هذه الساعة، يعنى زوال الشمس.[۳]

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إذا رقّ احدكم فليدع، فان القلب لا يرقّ حتّى يخلص.[٤]

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم: خير وقت دعوتم الله عزّوجلّ فيه الاسحار، و تلا هذه الآية في قول يعقوب عليه السلام: «سوف استغفر لكم ربّى» و قال: اخّرهم السحر.[٥]

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: كان أبي إذا طلب الحاجة طلبها عند زوال الشمس فاذا اراد ذلك قدّم شيئاً فتصدّق به و شمّ شيئاً من طيب و راح إلى المسجد و دعا في حاجته بما شاء الله.[٦]

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إذا اقشعرّ جلدك و دمعت عيناك فدونك دونك فقد قصد

١- الكافي، ج ٢، ص ٤٧٧، باب الاوقات الّتي ترجى فيها الاجابة، ح ٢.

٢- الكافي، ج ٢، ص ٤٧٧، باب الاوقات الّتي ترجى فيها الاجابة، ح ٣.

٣- الكافي، ج ٢، ص ٤٧٧، باب الاوقات الّتي ترجى فيها الاجابة، ح ٤.

٤- الكافي، ج ٢، ص ٤٧٧، باب الاوقات الّتي ترجى فيها الاجابة، ح ٥.

٥- الكافي، ج ٢، ص ٤٧٧، باب الاوقات الّتي ترجى فيها الاجابة، ح ٦.

٦- الكافي، ج ٢، ص ٤٧٧، باب الاوقات الّتي ترجى فيها الاجابة، ح ٧.

قصدك.[۱]

* عن أبي جعفر عليه السلام قال: انّ الله عزّوجلّ يحبّ من عباده المؤمنين كلّ عبد دعّـاء، فعليكم بالدّعاء في السّحر إلى طلوع الشمس فانّها ساعة تفتّح فيها أبواب السماء و تقسّم فيها الارزاق و تقضى فيها الحوائج العظام.[۲]

* عن أبي عبدالله عليه السلام: انّ في اللّيل لساعة ما يوافقها عبد مسلم، ثم يصلّي و يدعو الله عزّوجلّ فيها إلّا استجاب له في كلّ ليلة، قلت: اصلحك الله و ايّ ساعة هي من اللّيل؟ قال: إذا مضى نصف اللّيل و هي السدس الأوّل من اوّل النصف.[۳]

* عن الحارث بن المغيرة قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: ايّاكم إذا اراد احدكم ان يسأل من ربّه شيئاً من حوائج الدّنيا و الآخرة حتّى يبدأ بالثناء على الله عزّوجل و المدح له و الصلاة على النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ثم يسأل الله حوائجه.[٤]

* قال أبو عبدالله عليه السلام: انّ في كتاب أميرالمؤمنين صلوات الله عليه، انّ المدحة قبل المسألة فاذا دعوت الله عزّوجلّ فمجّده، قلت: كيف امجّده؟ قال: تقول: **﴿يا من هو أقرب اليّ من حبل الوريد، يا فعّالاً لما يريد، يا من يحول بين المرء و قلبه، يا من هو بالمنظر الاعلى، يا من هو ليس كمثله شيء﴾**.[٥]

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: انّما هي المدحة ثم الثناء ثمّ الاقرار بالذنب ثم المسالة، انّه

١- الكافي، ج ٢، ص ٤٧٨، باب الاوقات الّتي ترجى فيها الاجابة، ح ٨.

٢- الكافي، ج ٢، ص ٤٧٨، باب الاوقات الّتي ترجى فيها الاجابة، ح ٩.

٣- الكافي، ج ٢، ص ٤٧٨، باب الاوقات الّتي ترجى فيها الاجابة، ح ١٠.

٤- الكافي، ج ٢، ص ٤٨٤، باب الثناء قبل الدعاء، ح ١.

٥- الكافي، ج ٢، ص ٤٨٤، باب الثناء قبل الدعاء، ح ٢.

والله ما خرج عبد من ذنب إلّا بالاقرار.[1]

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: من سرّه ان يستجاب له دعوته فليطب مكسبه.[2]

* قال أبو عبدالله عليه السلام قال: ما من رهط اربعين رجلاً اجتمعوا فدعوا الله عزّوجلّ في أمر إلّا استجاب الله لهم، فان لم يكونوا اربعين فاربعة يدعون الله عزّوجلّ عشر مرّات إلّا استجاب الله لهم، فان لم يكونوا اربعة فواحد يدعوالله اربعين مرّة فيستجيب الله العزيز الجبّار له.[3]

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: ما اجتمع اربعة رهط قطّ على أمر واحد فدعوا (الله) إلّا تفرّقوا عن اجابة.[4]

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: كان ابى عليه السلام إذا حزنه أمر جمع النساء و الصبيان ثم دعا و امّنوا.[5]

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: الدّاعى و المؤمّن في الاجر شريكان.[6]

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: إذا دعا احدكم فليعمّ، فانه اوجب للدّعاء.[7]

* عن احمد بن محمد بن أبي نصر قال: قلت لابى الحسن عليه السلام: جعلت فداك انّى قد.

١- الكافي، ج ٢، ص ٤٨٤، باب الثناء قبل الدعاء، ح ٣.

٢- الكافي، ج ٢، ص ٤٨٦، باب الثناء قبل الدعاء، ح ٩.

٣- الكافي، ج ٢، ص ٤٨٦، باب الاجتماع في الدعاء، ح ١.

٤- الكافي، ج ٢، ص ٤٨٧، باب الاجتماع في الدعاء، ح ٢.

٥- الكافي، ج ٢، ص ٤٨٧، باب الاجتماع في الدعاء، ح ٣.

٦- الكافي، ج ٢، ص ٤٨٧، باب الاجتماع في الدعاء، ح ٤.

٧- الكافي، ج ٢، ص ٤٨٧، باب العموم في الدعاء، ح ١.

سألت الله حاجة منذ كذا و كذا سنة و قد دخل قلبى من ابطائها شيء، فقال: يا احمد ايّاك و الشيطان ان يكون له عليك سبيل حتّى يقنّطك، انّ أبا جعفر صلوات الله عليه كان يقول: انّ المؤمن يسأل الله عزّوجلّ حاجة فيؤخّر عنه تعجيل اجابته حبّاً لصوته و استماع نحيبه ثم قال: و الله ما اخّر الله عزّوجلّ عن المؤمنين ما يطلبون من هذه الدنيا خير لهم ممّا عجّل لهم فيها، و ايّ شيء الدّنيا، انّ أبا جعفر عليه السلام كان يقول: ينبغى للمؤمن ان يكون دعاؤه في الرّخاء نحواً من دعائه في الشدّة، ليس إذا اعطى فتر، فلا تملّ الدعاء فانّه من الله عزّوجلّ بمكان و عليك بالصبر و طلب الحلال وصلة الرّحم و ايّاك و مكاشفة النّاس فانّا أهل البيت نصل من قطعنا و نحسن إلى من اساء الينا، فنرى و الله في ذلك العاقبة الحسنة، انّ صاحب النعمة في الدنيا إذا سأل فاعطى طلب غير الّذي سأل و صغرت النعمة في عينه فلا يشبع من شيء و إذا كثرت النعم كان المسلم من ذلك على خطر للحقوق الّتي تجب عليه و ما يخاف من الفتنة فيها، اخبرنى عنك لو انّى قلت لك قولاً اكنت تثق به منّى؟ فقلت له: جعلت فداك إذا لم اثق بقولك فبمن اثق و انت حجّة الله على خلقه؟ قال: فكن بالله اوثق فانّك على موعد من الله، اليس الله عزّوجلّ يقول: ﴿و إذا سألك عبادى عنّى فانّى قريب اجيب دعوة الدّاع إذا دعان﴾ و قال: ﴿لا تقنطوا من رحمة الله﴾ و قال: ﴿والله يعدكم مغفرة منه و فضلاً﴾ فكن بالله عزّوجلّ اوثق منك بغيره و لا تجعلوا في انفسكم إلّا خيراً فانّه مغفور لكم.[1]

* قال أبو عبدالله عليه السلام: انّ العبد الولىّ لله يدعو الله عزّوجلّ في الامر ينوبه فيقول للملك الموكّل به: اقض لعبدى حاجته و لا تعجّلها فانّى اشتهى ان اسمع ندائه و صوته و انّ العبد العدوّ لله ليدعو الله عزّوجلّ في الامر ينوبه فيقال للملك الموكّل به: اقض (لعبدى) حاجته و عجّلها فانّى اكره ان اسمع ندائه و صوته، قال: فيقول الناس: ما اعطى هذا إلّا

١- الكافي، ج ٢، ص ٤٨٨، باب من ابطأت عليه الاجابة، ح ١.

لكرامته و لا منع هذا إلّا لهوانه.[1]

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: انّ المؤمن ليدعو الله عزّوجلّ في حاجته فيقول الله عزّوجلّ اخّروا اجابته، شوقاً إلى صوته و دعائه، فاذا كان يوم القيامة قال الله عزّوجلّ: «عبدى دعوتنى فاخّرت اجابتك و ثوابك كذا و كذا و دعوتنى في كذا و كذا فاخّرت اجابتك و ثوابك كذا و كذا، قال: فيتمنّى المؤمن انّه لم يستجب له دعوة في الدنيا ممّا يرى من حسن الثّواب.[2]

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: لا يزال الدّعاء محجوباً حتّى يصلّى على محمّد و آل محمّد.[3]

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: من دعا و لم يذكر النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم رفرف الدعاء على رأسه فاذا ذكر النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم رفع الدّعاء.[4]

* قال أبو عبدالله عليه السلام: من كانت له إلى الله عزّوجلّ حاجة فليبدأ بالصلاة على محمّد و آله، ثم يسأل حاجته، ثم يختم بالصلاة على محمّد و آل محمّد، فانّ الله عزّوجلّ اكرم من ان يقبل الطرفين و يدع الوسط، إذا كانت الصلاة على محمّد و آل محمّد لا تحجب عنه.[5]

* قال أبو جعفر عليه السلام: اوشك دعوة و اسرع اجابة دعاء المرء لاخيه بظهر الغيب.[6]

١- الكافي، ج ٢، ص ٤٩٠، باب من ابطأت عليه الاجابة، ح ٧.

٢- الكافي، ج ٢، ص ٤٩٠، باب من ابطأت عليه الاجابة، ح ٩.

٣- الكافي، ج ٢، ص ٤٩١، باب الصلاة على النبى ....، ح ١.

٤- الكافي، ج ٢، ص ٤٩١، باب الصلاة على النبى ....، ح ٢.

٥- الكافي، ج ٢، ص ٤٩٤، باب الصلاة على النبى ....، ح ١٦.

٦- الكافي، ج ٢، ص ٥٠٧، باب الدعاء للاخوان بظهر الغيب، ح ١.

* قال أبو عبدالله عليه السلام: دعاء المرء لاخيه بظهر الغيب يدرّ الرّزق و يدفع المكروه.[١]

* قال أبو جعفر عليه السلام في قوله تعالى ﴿و يستجيب الّذين آمنوا و عملوا الصالحات و يزيدهم من فضله﴾: هو المؤمن يدعو لاخيه بظهر الغيب فيقول له الملك: آمين، و يقول الله العزيز الجبّار: و لك مثلا ما سألت و قد اعطيت ما سألتك بحبّك ايّاه.[٢]

* على عن ابيه قال: رأيت عبدالله بن جندب في الموقف فلم ار موقفاً كان احسن من موقفه، ما زال مادّاً يديه إلى السّماء و دموعه تسيل على خدّيه حتّى تبلغ الأرض فلمّا صدر النّاس قلت له: يا أبا محمّد ما رأيت موقفاً قطّ احسن من موقفك قال: والله ما دعوت إلّا لاخوانى و ذلك انّ أبا الحسن موسى عليه السلام اخبرنى انّ من دعا لاخيه بظهر الغيب نودى من العرش و لك مائة الف ضعف فكرهت ان ادع مائة الف مضمونة لواحدة لا ادرى تستجاب ام لا.[٣]

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: كان ابى عليه السلام يقول: خمس دعوات لا تحجبن عن الرّبّ تبارك و تعالى، دعوة الامام المقسط و دعوة المظلوم يقول الله عزّوجلّ: لانتقمنّ لك و لو بعد حين و دعوة الولد الصالح لوالديه و دعوة الوالد الصالح لولده و دعوة المؤمن لاخيه بظهر الغيب، فيقول: و لك مثله.[٤]

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: من قدّم اربعين من المؤمنين ثم دعا استجيب له.[٥]

* عن الوليد بن صبيح عن أبي عبدالله عليه السلام قال: صحبته بين مكّة و المدينة فجاء

١- الكافي، ج ٢، ص ٥٠٧، باب الدعاء للاخوان بظهر الغيب، ح ٢.

٢- الكافي، ج ٢، ص ٥٠٧، باب الدعاء للاخوان بظهر الغيب، ح ٣.

٣- الكافي، ج ٢، ص ٥٠٨، باب الدعاء للاخوان بظهر الغيب، ح ٦.

٤- الكافي، ج ٢، ص ٥٠٩، باب من تستجاب دعوته، ح ٢.

٥- الكافي، ج ٢، ص ٥٠٩، باب من تستجاب دعوته، ح ٥.

سائل فامر ان يعطى ثم جاء آخر فامر ان يعطى ثمّ جاء آخر فامر ان يعطى ثم جاء الرّابع فقال أبو عبدالله عليه السلام: يشبعك الله، ثم التفت الينا فقال: اما انّ عندنا ما نعطيه و لكن اخشى ان نكون كاحد الثلاثة الّذين لا يستجاب لهم دعوة: رجل اعطاه الله مالاً فانفقه في غير حقّه ثمّ قال اللّهم ارزقني فلا يستجاب له و رجل يدعو على امراته ان يريحه منها وقد جعل الله عزّوجلّ امرها إليه و رجل يدعو على جاره و قد جعل الله عزّوجلّ له السبيل إلى ان يتحوّل عن جواره و يبيع داره.(۱)

* و في الحديث القدسي: يا موسى سلني كلّ ما تحتاج إليه حتّى علف شاتك و ملح عجينك.(۲)

* و عن الصادق عليه السلام قال: عليكم بالدعاء فانّكم لا تقربون إلى الله بمثله، و لا تتركوا صغيرة لصغرها ان تدعوا بها، فانّ صاحب الصغار هو صاحب الكبار.(۳)

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: من عذر ظالماً بظلمه سلّط الله عليه من يظلمه، و ان دعا لم يستجب له، و لم يأجره الله على ظلامته.(٤)

* عن أميرالمؤمنين عليه السلام قال: انّ الله تبارك و تعالى اوحى إلى عيسى بن مريم عليهما السلام: قل للملأ من بني اسرائيل لا تدخلوا بيتاً من بيوتي إلّا بقلوب طاهرة و ابصار خاشعة و اكفّ نقية، و قل لهم: انّي غير مستجيب لاحد منكم دعوة و لاحد من خلق قبله مظلمة.(٥)

۱- الكافي، ج ۲، ص ٥١٠، باب من لا تستجاب دعوته، ح ۱.

۲- بحار الانوار، ج ۹۰، ص ۳۰۳، باب ١٦، ذيل ح ۳۹.

۳- بحار الانوار، ج ۹۳، ص ۳۰۳، باب ١٦، ذيل ح ۳۹.

٤- بحار الانوار، ج ۹۰، ص ۳۱۹، باب ۱۷، ح ٢٦.

٥- بحار الانوار، ج ۹۰، ص ۳۱۹، باب ۱۷، ح ۲۷.

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: اوحى الله تبارك و تعالى إلى داود عليه السلام قل للجبّارين: لا يذكرونى فانّه لا يذكرنى عبد إلّا ذكرته و ان ذكرونى ذكرتهم فلعنتهم.(١)

* عن على بن سالم قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: قال الله تبارك و تعالى و عزّتى و جلالى لا أُجيب دعوة مظلوم ظلمها، و لاحد عنده مثل تلك المظلمة.(٢)

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: من تخوّف (من) بلاء يصيبه فتقدّم فيه بالدّعاء لم يره الله عزّوجلّ البلاء ابداً.(٣)

* قال أبو عبدالله عليه السلام: من سرّه ان يستجاب له في الشدّه فليكثر الدعاء في الرّخاء.(٤)

* عن أبي الحسن الأوّل عليهما السلام قال: كان على بن الحسين عليهما السلام يقول: الدّعاء بعد ما ينزل البلاء لا ينتفع به.(٥)

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إذا دعوت فظنّ انّ حاجتك بالباب.(٦)

* عن أبي عبدالله عليه السلام: ان الله عزّوجلّ لا يستجيب دعاء بظهر قلب ساه، فاذا دعوت فاقبل بقلبك ثمّ استيقن بالاجابة.(٧)

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: انّ الله عزّوجلّ كره الحاحَ النّاس بعضهم على بعض في

١- بحار الانوار، ج ٩٠، ص ٣٢٠، باب ١٧، ح ٢٩.

٢- بحار الانوار، ج ٩٠، ص ٣٢٠، باب ١٧، ح ٣٠.

٣- الكافي، ج ٢، ص ٤٧٢، باب التقدّم في الدعاء، ح ٢.

٤ - الكافي، ج ٢، ص ٤٧٢، باب التقدّم في الدعاء، ح ٤.

٥- الكافي، ج ٢، ص ٤٧٢، باب التقدّم في الدعاء، ح ٦.

٦- الكافي، ج ٢، ص ٤٧٣، باب اليقين في الدعاء، ح ١.

٧- الكافي، ج ٢، ص ٤٧٣، باب الاقبال على الدعاء، ح ١.

المسألة و احبّ ذلك لنفسه، ان الله عزّوجلّ يحبّ ان يسأل و يطلب ما عنده.[١]

* عن أبي جعفر عليه السلام قال: لا و الله لا يلحّ عبد على الله عزّوجلّ إلّا استجاب الله له.[٢]

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: انّ الله تبارك و تعالى يعلم ما يريد العبد إذا دعاه و لكنّه يحبّ ان تبثّ إليه الحوائج فاذا دعوت فسمّ حاجتك، و في حديث آخر قال: قال: انّ الله عزّوجلّ يعلم حاجتك و ما تريد و لكن يحبّ ان تبثّ إليه الحوائج.[٣]

* قال أبو عبدالله عليه السلام: اطلبوا الدّعاء في اربع ساعات، عند هبوب الرياح و زوال الافياء و نزول القطر و اوّل قطرة من دم القتيل المؤمن، فانّ أبواب السماء تفتّح عند هذه الاشياء.[٤]

* قال أبو عبدالله عليه السلام: يستجاب الدّعاء في اربعة مواطن، في الوتر و بعد الفجر و بعد الظهر و بعد المغرب.[٥]

* قال أميرالمؤمنين عليه السلام: اغتنموا الدعاء عند اربع، عند قراءة القرآن و عند الاذان و عند نزول الغيث و عند التقاء الصفّين للشهادة.[٦]

* عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان أبي إذا كانت له إلى الله حاجة، طلبها في هذه الساعة، يعنى زوال الشمس.[٧]

١- الكافي، ج ٢، ص ٤٧٥، باب الالحاح في الدعاء، ح ٤.

٢- الكافي، ج ٢، ص ٤٧٥، باب الالحاح في الدعاء، ح ٥.

٣- الكافي، ج ٢، ص ٤٧٦، باب تسمية الحاجة في الدعاء، ح ١.

٤- الكافي، ج ٢، ص ٤٧٦، باب الاوقات الّتي ترجى فيها الاجابة، ح ١.

٥- الكافي، ج ٢، ص ٤٧٧، باب الاوقات الّتي ترجى فيها الاجابة، ح ٢.

٦- الكافي، ج ٢، ص ٤٧٧، باب الاوقات الّتي ترجى فيها الاجابة، ح ٣.

٧- الكافي، ج ٢، ص ٤٧٧، باب الاوقات الّتي ترجى فيها الاجابة، ح ٤.

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إذا رقّ احدكم فليدع، فان القلب لا يرقّ حتّى يخلص.[1]

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: خير وقت دعوتم الله عزّوجلّ فيه الاسحار، و تلا هذه الآية في قول يعقوب عليه السلام: ﴿سوف استغفر لكم ربّى﴾ و قال: اخّرهم إلى السحر.[2]

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: كان أبي إذا طلب الحاجة طلبها عند زوال الشمس فاذا اراد ذلك قدّم شيئاً فتصدّق به و شمّ شيئاً من طيب و راح إلى المسجد و دعا في حاجته بما شاء الله.[3]

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إذا اقشعرّ جلدك و دمعت عيناك فدونك دونك فقد قصد قصدك.[4]

* عن أبي جعفر عليه السلام قال: انّ الله عزّوجلّ يحبّ من عباده المؤمنين كلّ عبد دعّاء، فعليكم بالدّعاء في السّحر إلى طلوع الشمس فانّها ساعة تفتّح فيها أبواب السماء و تقسّم فيها الارزاق و تقضى فيها الحوائج العظام.[5]

* عن أبي عبدالله عليه السلام: انّ في اللّيل لساعة ما يوافقها عبد مسلم، ثم يصلّي و يدعو الله عزّوجلّ فيها إلّا استجاب له في كلّ ليلة، قلت: اصلحك الله و ايّ ساعة هي من اللّيل؟ قال: إذا مضى نصف اللّيل و هي السدس الأوّل من اوّل النصف.[6]

١- الكافي، ج ٢، ص ٤٧٧، باب الاوقات الّتي ترجى فيها الاجابة، ح ٥.

٢- الكافي، ج ٢، ص ٤٧٧، باب الاوقات الّتي ترجى فيها الاجابة، ح ٦.

٣- الكافي، ج ٢، ص ٤٧٧، باب الاوقات الّتي ترجى فيها الاجابة، ح ٧.

٤- الكافي، ج ٢، ص ٤٧٨، باب الاوقات الّتي ترجى فيها الاجابة، ح ٨.

٥- الكافي، ج ٢، ص ٤٧٨، باب الاوقات الّتي ترجى فيها الاجابة، ح ٩.

٦- الكافي، ج ٢، ص ٤٧٨، باب الاوقات الّتي ترجى فيها الاجابة، ح ١٠.

❊ عن الحارث بن المغيرة قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: ايّاكم إذا اراد احدكم ان يسأل من ربّه شيئاً من حوائج الدّنيا و الآخرة حتّى يبدأ بالثناء على الله عزّوجل و المدح له و الصلاة على النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ثم يسأل الله حوائجه.(۱)

❊ قال أبو عبدالله عليه السلام: انّ في كتاب أميرالمؤمنين صلوات الله عليه، انّ المدحة قبل المسألة فاذا دعوت الله عزّوجلّ فمجّده، قلت: كيف امجّده؟ قال: تقول: ﴿**يا من هو أقرب اليّ من حبل الوريد، يا فعّالاً لما يريد، يا من يحول بين المرء و قلبه، يا من هو بالمنظر الاعلى، يا من هو ليس كمثله شيء**﴾.(۲)

❊ عن أبي عبدالله عليه السلام قال: انّما هي المدحة ثم الثناء ثمّ الاقرار بالذنب ثم المسالة، انّه والله ما خرج عبد من ذنب إلّا بالاقرار.(۳)

❊ عن أبي عبدالله عليه السلام قال: من سرّه ان يستجاب له دعوته فليطب مكسبه.(٤)

❊ قال أبو عبدالله عليه السلام قال: ما من رهط اربعين رجلاً اجتمعوا فدعوا الله عزّوجلّ في أمر إلّا استجاب الله لهم، فان لم يكونوا اربعين فاربعة يدعون الله عزّوجلّ عشر مرّات إلّا استجاب الله لهم، فان لم يكونوا اربعة فواحد يدعوالله اربعين مرّة فيستجيب الله العزيز الجبّار له.(٥)

❊ عن أبي عبدالله عليه السلام قال: ما اجتمع اربعة رهط قطّ على أمر واحد فدعوا (الله) إلّا

۱- الكافي، ج ۲، ص ٤٨٤، باب الثناء قبل الدعاء، ح ۱.

۲- الكافي، ج ۲، ص ٤٨٤، باب الثناء قبل الدعاء، ح ۲.

۳- الكافي، ج ۲، ص ٤٨٤، باب الثناء قبل الدعاء، ح ۳.

٤- الكافي، ج ۲، ص ٤٨٦، باب الثناء قبل الدعاء، ح ۹.

٥- الكافي، ج ۲، ص ٤٨٦، باب الاجتماع في الدعاء، ح ۱.

تفرّقوا عن اجابة.[١]

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: كان ابى عليه السلام إذا حزنه أمر جمع النساء و الصبيان ثم دعا و امّنوا.[٢]

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: الدّاعى و المؤمّن في الاجر شريكان.[٣]

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إذا دعا احدكم فليعمّ، فانه اوجب للدّعاء.[٤]

* عن احمد بن محمد بن أبي نصر قال: قلت لابى الحسن عليه السلام: جعلت فداك انّى قد سألت الله حاجة منذ كذا و كذا سنة و قد دخل قلبى من ابطائها شيء، فقال: يا احمد ايّاك و الشيطان ان يكون له عليك سبيل حتّى يقنّطك، انّ أبا جعفر صلوات الله عليه كان يقول: انّ المؤمن يسأل الله عزّوجلّ حاجة فيؤخّر عنه تعجيل اجابته حبّاً لصوته و استماع نحيبه ثم قال: و الله ما اخّر الله عزّوجلّ عن المؤمنين ما يطلبون من هذه الدنيا خير لهم ممّا عجّل لهم فيها، و ايّ شيء الدّنيا، انّ أبا جعفر عليه السلام كان يقول: ينبغى للمؤمن ان يكون دعاؤه في الرّخاء نحواً من دعائه في الشدّة، ليس إذا اعطى فتر، فلا تملّ الدعاء فانّه من الله عزّوجلّ بمكان و عليك بالصبر و طلب الحلال وصلة الرّحم و ايّاك و مكاشفة النّاس فانّا أهل البيت نصل من قطعنا و نحسن إلى من اساء الينا، فنرى و الله في ذلك العاقبة الحسنة، انّ صاحب النعمة في الدنيا إذا سأل فاعطى طلب غير الّذي سأل و صغرت النعمة في عينه فلا يشبع من شيء و إذا كثرت النعم كان المسلم من ذلك على خطر للحقوق الّتي تجب عليه و ما يخاف

١- الكافي، ج ٢، ص ٤٨٧، باب الاجتماع في الدعاء، ح ٢.

٢- الكافي، ج ٢، ص ٤٨٧، باب الاجتماع في الدعاء، ح ٣.

٣- الكافي، ج ٢، ص ٤٨٧، باب الاجتماع في الدعاء، ح ٤.

٤- الكافي، ج ٢، ص ٤٨٧، باب العموم في الدعاء، ح ١.

من الفتنة فيها، اخبرنی عنك لو انّی قلت لك قولاً اكنت تثق به منّی؟ فقلت له: جعلت فداك إذا لم اثق بقولك فبمن اثق و انت حجّة الله على خلقه؟ قال: فكن بالله اوثق فانّك على موعد من الله، اليس الله عزّوجلّ يقول: ﴿و إذا سألك عبادی عنّی فانّی قريب اجيب دعوة الدّاع إذا دعان﴾ و قال: ﴿لا تقنطوا من رحمة الله﴾ و قال: ﴿والله يعدكم مغفرة منه و فضلاً﴾ فكن بالله عزّوجلّ اوثق منك بغيره و لا تجعلوا في انفسكم إلّا خيراً فانّه مغفور لكم.[۱]

* قال أبو عبدالله عليه السلام: انّ العبد الولیّ لله يدعو الله عزّوجلّ في الامر ينوبه فيقول للملك الموكّل به: اقض لعبدی حاجته و لا تعجّلها فانّی اشتهی ان اسمع ندائه و صوته و انّ العبد العدوّ لله ليدعو الله عزّوجلّ في الامر ينوبه فيقال للملك الموكّل به: اقض (لعبدی) حاجته و عجّلها فانّی اكره ان اسمع ندائه و صوته، قال: فيقول الناس: ما اعطی هذا إلّا لكرامته و لا منع هذا إلّا لهوانه.[۲]

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: انّ المؤمن ليدعو الله عزّوجلّ في حاجته فيقول الله عزّوجلّ اخّروا اجابته، شوقاً إلی صوته و دعائه، فاذا كان يوم القيامة قال الله عزّوجلّ: ﴿عبدی دعوتنی فاخّرت اجابتك و ثوابك كذا و كذا و دعوتنی في كذا و كذا فاخّرت اجابتك و ثوابك كذا و كذا، قال: فيتمنّی المؤمن انّه لم يستجب له دعوة في الدنيا ممّا يری من حسن الثّواب﴾.[۳]

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: لا يزال الدّعاء محجوباً حتّی يصلّی علی محمّد و آل محمّد.[۴]

۱- الكافي، ج ۲، ص ۴۸۸، باب من ابطأت عليه الاجابة، ح ۱.

۲- الكافي، ج ۲، ص ۴۹۰، باب من ابطأت عليه الاجابة، ح ۷.

۳- الكافي، ج ۲، ص ۴۹۰، باب من ابطأت عليه الاجابة، ح ۹.

۴- الكافي، ج ۲، ص ۴۹۱، باب الصلاة علی النبی ....، ح ۱.

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: من دعا و لم يذكر النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم رفرف الدعاء على رأسه فاذا ذكر النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم رفع الدّعاء.(١)

* قال أبو عبدالله عليه السلام: من كانت له إلى الله عزّوجلّ حاجة فليبدأ بالصلاة على محمّد و آله، ثم يسأل حاجته، ثم يختم بالصلاة على محمّد و آل محمّد، فانّ الله عزّوجلّ اكرم من ان يقبل الطرفين و يدع الوسط، إذا كانت الصلاة على محمّد و آل محمّد لا تحجب عنه.(٢)

* قال أبو جعفر عليه السلام: اوشك دعوة و اسرع اجابة دعاء المرء لاخيه بظهر الغيب.(٣)

* قال أبو عبدالله عليه السلام: دعاء المرء لاخيه بظهر الغيب يدرّ الرّزق و يدفع المكروه.(٤)

* قال أبو جعفر عليه السلام في قوله تعالى ﴿و يستجيب الّذين آمنوا و عملوا الصالحات و يزيدهم من فضله﴾: هو المؤمن يدعو لاخيه بظهر الغيب فيقول له الملك: آمين، و يقول الله العزيز الجبّار: و لك مثلا ما سألت و قد اعطيت ما سألتك بحبّك ايّاه.(٥)

* على عن ابيه قال: رأيت عبدالله بن جندب في الموقف فلم ار موقفاً كان احسن من موقفه، ما زال مادّاً يديه إلى السّماء و دموعه تسيل على خدّيه حتّى تبلغ الأرض فلمّا صدر النّاس قلت له: يا أبا محمّد ما رأيت موقفاً قطّ احسن من موقفك قال: والله ما دعوت إلّا لاخواني و ذلك انّ أبا الحسن موسى عليه السلام اخبرني انّ من دعا لاخيه بظهر الغيب نودى من العرش و لك مائة الف ضعف فكرهت ان ادع مائة الف مضمونة لواحدة لا ادرى تستجاب

١- الكافي، ج ٢، ص ٤٩١، باب الصلاة على النبي ....، ح ٢.

٢- الكافي، ج ٢، ص ٤٩٤، باب الصلاة على النبي ....، ح ١٦.

٣- الكافي، ج ٢، ص ٥٠٧، باب الدعاء للاخوان بظهر الغيب، ح ١.

٤- الكافي، ج ٢، ص ٥٠٧، باب الدعاء للاخوان بظهر الغيب، ح ٢.

٥- الكافي، ج ٢، ص ٥٠٧، باب الدعاء للاخوان بظهر الغيب، ح ٣.

ام لا.[۱]

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: كان ابى عليه السلام يقول: خمس دعوات لا تحجبن عن الرّبّ تبارك و تعالى، دعوة الامام المقسط و دعوة المظلوم يقول الله عزّوجلّ: لانتقمنّ لك و لو بعد حين و دعوة الولد الصالح لوالديه و دعوة الوالد الصالح لولده و دعوة المؤمن لاخيه بظهر الغيب، فيقول: و لك مثله.[۲]

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: من قدّم اربعين من المؤمنين ثم دعا استجيب له.[۳]

* عن الوليد بن صبيح عن أبي عبدالله عليه السلام قال: صحبته بين مكّة و المدينة فجاء سائل فأمر ان يعطى ثم جاء آخر فامر ان يعطى ثمّ جاء آخر فامر ان يعطى ثم جاء الرّابع فقال أبو عبدالله عليه السلام: يشبعك الله، ثم التفت الينا فقال: اما انّ عندنا ما نعطيه و لكن اخشى ان نكون كاحد الثلاثة الّذين لا يستجاب لهم دعوة: رجل اعطاه الله مالاً فانفقه في غير حقّه ثمّ قال اللّهم ارزقنى فلا يستجاب له و رجل يدعو على امراته ان يريحه منها وقد جعل الله عزّوجلّ امرها إليه و رجل يدعو على جاره و قد جعل الله عزّوجلّ له السبيل إلى ان يتحوّل عن جواره و يبيع داره.[٤]

* و في الحديث القدسى: يا موسى سلنى كلّ ما تحتاج إليه حتّى علف شاتك و ملح عجينك.[٥]

* و عن الصادق عليه السلام قال: عليكم بالدعاء فانّكم لا تقربون إلى الله بمثله، و لا تتركوا

١- الكافي، ج ٢، ص ٥٠٨، باب الدعاء للاخوان بظهر الغيب، ح ٦.

٢- الكافي، ج ٢، ص ٥٠٩، باب من تستجاب دعوته، ح ٢.

٣- الكافي، ج ٢، ص ٥٠٩، باب من تستجاب دعوته، ح ٥.

٤- الكافي، ج ٢، ص ٥١٠، باب من لا تستجاب دعوته، ح ١.

٥- بحار الانوار، ج ٩٠، ص ٣٠٣، باب ١٦، ذيل ح ٣٩.

صغيرة لصغرها ان تدعوا بها، فانّ صاحب الصغار هو صاحب الكبار.[1]

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: من عذر ظالماً بظلمه سلّط الله عليه من يظلمه، و ان دعا لم يستجب له، و لم يأجره الله على ظلامته.[2]

* عن أميرالمؤمنين عليه السلام قال: انّ الله تبارك و تعالى اوحى إلى عيسى بن مريم عليهما السلام: قل للملأ من بنى اسرائيل لا تدخلوا بيتاً من بيوتى إلّا بقلوب طاهرة و ابصار خاشعة و اكفّ نقية، و قل لهم: انّى غير مستجيب لاحد منكم دعوة و لاحد من خلق قبله مظلمة.[3]

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: اوحى الله تبارك و تعالى إلى داود عليه السلام قل للجبّارين: لا يذكرونى فانّه لا يذكرنى عبد إلّا ذكرته و ان ذكرونى ذكرتهم فلعنتهم.[4]

* عن على بن سالم قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: قال الله تبارك و تعالى و عزّتى و جلالى لا أُجيب دعوة مظلوم ظلمها، و لاحد عنده مثل تلك المظلمة.[5]

۱- بحار الانوار، ج ۹۳، ص ۳۰۳، باب ١٦، ذيل ح ۳۹.

۲- بحار الانوار، ج ۹۰، ص ۳۱۹، باب ۱۷، ح ٢٦.

۳- بحار الانوار، ج ۹۰، ص ۳۱۹، باب ۱۷، ح ۲۷.

٤- بحار الانوار، ج ۹۰، ص ۳۲۰، باب ۱۷، ح ۲۹.

۵- بحار الانوار، ج ۹۰، ص ۳۲۰، باب ۱۷، ح ۳۰.

الرّذيلة السّادسة و الثّلاثون: الإعراض عن الدّعاء

و هي ملكة توجب ان لايأنس صاحبها بالدعاء و الانابة فكأنّه اعرض عن الله تعالى و استكبر عن عبادته.

قال الله تعالى: ﴿و من اعرض عن ذكرى فانّ له معيشة ضنكاً و نحشره يوم القيامة اعمى * قال ربّ لم حشرتنى اعمى و قد كنت بصيراً * قال كذلك اتتك اياتنا فنسيتها و كذلك اليوم تنسىٰ﴾.[1]

و قال تعالى: ﴿ادعونى استجب لكم ان الّذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنّم داخرين﴾.[2]

و اضعف مراتبها هو التوانى في العبادة و عدم الالتذاذ منها و من الذكر و الصلة بـه تعالىٰ و عند أهل القلوب هي من اشدّ العذاب و يسمّونها بالقبض أي: قبض الروح و رفع النشاط عنه فلا دعاء و لا مناجاة له.

و روى ان موسى عليه السلام كان يذهب إلى المناجاة فقال له رجل فاجر قل لربك أراك لا تعذبنى و أنا من العاصين؟ فذهب موسى و ناجا ربّه فاذا اراد ان يرجع قال تعالى له: لم لا

١- طه / ١٢٦ ـ ١٢٤.   ٢- غافر / ٦٠.

تحکی لی مقالة عبدی؟ فقال انت تعلم ما قال، فقال الله تعالی قل له عذبتك اشدّ العذاب و انت لا تعلم أخرجت حلاوة مناجاتی من قلبك و أخذتها عنك و هو من اشدّ عذابی علیك.

و قال زین العابدین عليه السلام في دعاء أبي حمزة الثمالی: اللهم انّی کلّما قلت قد تهیّأت و تعبّأت و قمت للصلوة بین یدیك و ناجیتك القیت علیّ نعاساً إذا انا صلّیتُ و سلبتنی مناجاتك إذا انا ناجیت ما لی کلّما قلت قد صلحت سریرتی و قرب من مجالس التوّابین مجلسی عرضت لی بلیّة ازالت قدمی و حالت بینی و بین خدمتك، سیدی لعلّك عن بابك طردتنی و عن خدمتك نحّیتنی أو لعلّك رأیتنی مستخفّاً بحقّك فاقصیتنی أو لعلّك رأیتنی معرضاً عنك فقلیتنی أو لعلّك وجدتنی في مقام الکاذبین فرفضتنی أو لعلّك رأیتنی غیر شاکر لنعمائك فحرمتنی أو لعلّك فقدتنی من مجالس العلماء فخذلتنی أو لعلّك رأیتنی في الغافلین فمن رحمتك ایستنی أو لعلّك رأیتنی الف مجالس البطّالین فبینی و بینهم خلّیتنی أو لعلّك لم تحبّ ان تسمع دعائی فباعدتنی أو لعلّك بجرمی و جریرتی کافیتنی أو لعلّك بقلّة حیائی منك جازیتنی.[1]

فتری انّ الامام زین العابدین عليه السلام کیف عدّ هذه المرتبة مکافاة الکبائر الموبقة و المعاصی العظیمة، فتری انه جعل الطّرد و التبعید عن رحمة الله و من مقام القرب و الاستخفاف بحقّه تعالی و الاعراض عنه و النفاق و الکفر و بغضاؤه تعالی علی العبد و مجازاته المذنب مکافأة هذه المرتبة من الإعراض عن الدعاء.

ففي کلامه عليه السلام تصریحٌ بأنّ المراتب الضعیفة عن الاعراض عن الذکر تُعدّ من العذاب و الخذلان، بل من أشدّها و أفضعها.

و اما المرتبة الوسطی منها: فهی الیأس من اجابة الدعاء و الإیاس منها و لا خلاف في أنّ ذنبها علی حدّ الکفر به تعالی.

۱- مفاتیح الجنان، دعاء.

قال تعالى: ﴿و لا تايئسوا من روح الله انّه لا يايئس من روح الله إلّا القوم الكافرون﴾.[1]

و هذه المرتبة منها أمّا أن تكون حصيلة الاستدعاء و الخسران و الحرمان بحسب الظاهر لأنّ من النّاس من يدعوه تعالى و لايستجاب له، فلا يصل إلى غاياته و مقاصده فييأس منها و يتركها و على من ابتلى بهذه البلية أن يدقّق النظر ليعرف أنّ الدعاء مستجابٌ قطعاً و قد مرّ تفصيل الكلام في ذلك في المبحث الأخير، حيث ذكرنا سرّ عدم الاستجابة في بعض الدعوات،

و إمّا لتوهّم انّ الدعاء تنافي الرضا، بل القضاء و القدر، و في اقوال بعض الاعلام من مدّعي المعرفة اشاراتٌ إلى ذلك، و مرّ الكلام في ابطال هذه الوهم أيضاً، فراجعه. و هذا اضرّ على صاحبه من الأولىٰ و هو من قواطع الطريق.

و ما ورد عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام حيث كانوا يحثّون النّاس على العبادة و الدّعاء و يرغّبونهم إليه يشير إلى بطلان هذا التوهم الخطير الكارث. و لثقة الإسلام بابٌ في ذلك في جامعه القيّم أورد فيه جملةً منها، إليك بعضها.

عن الامام أبي عبدالله عليه السلام: انّ الدعاء يرد القضاء، ينقضه كما ينقض السلك و قد ابرم ابراماً.[2]

و عن الامام موسى بن جعفر عليه السلام: ان الدعاء يرد ما قد قدّر و ما لم يقدّر، قلت: و ما قد قدّر عرفته، فما لم يقدّر؟ قال: حتّى لايكون.[3]

و عن الامام أبي عبدالله عليه السلام: ان الدعاء يرد القضاء و قد نزل من السماء و قد ابرم

۱- يوسف / ۸۷.   ۲- الكافي، ج ۲، ص ٤٦٩، باب ان الدعاء يرد البلاء و القضاء، ح ۱.

۳- الكافي، ج ۲، ص ٤٦٩، باب ان الدعاء يرد البلاء و القضاء، ح ۲.

ابراماً.[1]

و عن الامام على بن الحسين عليه السلام: انّ الدعاء و البلاء ليترافقان إلى يوم القيامة انّ الدعاء ليرد البلاء و قد ابرم ابراماً.[2]

توضيح هذه الروايات الشريفة ان المقتضي لنزول البلاء قد يوجد في العالم الربوبي، فبالدعاء يُمنع عنها، كما انّه لو لا الدعاء قد تبرم فتنزل على من قُدّرت له، و بذلك اشار الامام موسى بن جعفر عليه السلام حيث قال:

عليكم بالدعاء فان الدعاء لله و الطلب إلى الله يرد البلاء و قد قدّر و قضى و لم يبق إلّا امضائه فاذا دعى الله عزّوجلّ و سئل صرف البلاء صرفة.[3]

كما انّه قد لايقتضي القدر وجودَ ما هو المقصود للداعي أو يقتضيه ولكنها يمنع عنه مانعٌ، فبالدعاء يتمّ الاقتضاء أو يرفع المانع فيؤثّر المقتضى اثره، و بذلك اشار الامام أبوعبدالله عليه السلام بقوله:

الدعاء يرد القضاء بعد ما ابرم ابراماً، فاكثر من الدعاء فانّه مفتاح كلّ رحمة و نجاح كلّ حاجة و لا ينال ما عند الله عزّوجلّ إلّا بالدّعاء و انّه ليس باب يكثر قرعه إلّا يوشك ان يفتح لصاحبه.[4]

و أمّا المرتبة الأقوى الموبقة فهى العناد و اللجاج في الاعراض عن الدعاء.

و اوّل من استكبر عن الدعاء و التوبة و الذكر هو الشيطان الرجيم فبعناده و لجاجه استحقّ اللعن و العذاب الاليم، فبه طلب ما هو الخذلان له و هو السلطة على بنى آدم إلى

١- الكافي، ج ٢، ص ٤٦٩، باب ان الدعاء يرد البلاء و القضاء، ح ٣.

٢- الكافي، ج ٢، ص ٤٦٩، باب ان الدعاء يرد البلاء و القضاء، ح ٤.

٣- الكافي، ج ٢، ص ٤٧٠، باب ان الدعاء يرد البلاء و القضاء، ح ٨.

٤- الكافي، ج ٢، ص ٤٧٠، باب ان الدعاء يرد البلاء و القضاء، ح ٧.

يوم القيامة نعوذ بالله من اللجاج و الاستكبار.

و في إعادة حكاية الابليس و عناده و استكباره في الذكر الحكيم، ذكرىٰ لمن له قلبٌ، ليرىٰ ان الإنسان لو تابع اللعين في استكباره ليصير مثله، بل هو أضلّ منه سبيلاً، و مرتبتهما سيّان، و هذا حكم أكثر النّاس حيث يعرضون عنها و لا يخضعون لها، أمّا غير الشيعة فحالهم معلوم و أمّا الشيعة الّذين يدّعون متابعة الائمّة عليهم السلام الكثيري الذكر و الدعاء، حيث ملأت كتب الأدعية عن أذكارهم و أورادهم عليهم السلام، فمنهم بل اكثرهم لايعرف الدعاء، و لا يأنس بها، و قد وردت الاشارة إلى تبعيّة النّاس عن اللعين في التنزيل المبارك عدّة مرّات،

قال تعالى: ﴿فبعزّتك لاغوينّهم أجمعين * إلّا عبادك منهم المخلصين﴾.(١)

كما و قد أعيد فيه أنّهم لا يدعون الله تعالى إلّا عند ظهور النوائب و حدوث الضرّاء، أمّا عند السّرّاء فتراهم يستكبرون عنها،

قال تعالى: ﴿فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلمّا نجّاهم إلى البرّ إذا هم يشركون﴾.(٢)

و قال تعالى: ﴿و إذا مسّكم الضرّ في البحر ضلّ من تدعون إلّا ايّاه فلمّا نجّاكم البرّ اعرضتم و كان الإنسان كفوراً﴾.(٣)

و قال تعالى: ﴿و إذا مسّ الإنسان ضرّ دعا ربّه منيباً إليه ثمّ إذا خوّله نعمة منه نسى ما كان يدعو إليه من قبل﴾.(٤)

بل يظهر من آيات أنّه تعالى يأخذ العباد بالضرّاء حتّى يرجعوا عمّا هم عليه، فلايستكبرون عنها.

قال تعالى: ﴿و ما ارسلنا في قرية من نبيّ إلّا اخذنا اهلها بالباساء و الضرّاء لعلّهم

١- ص / ٨٣، ٨٢. ٢- العنكبوت / ٦٥. ٣- الاسراء / ٦٧. ٤- الزمر / ٨.

بضرّعون﴾.[1]

و بالجملة ان المعرضين عن الدعاء حتّى من الشيعة كثير جدّاً نعوذ بالله من تلك الكبيرة الموبقة.

فهل المترفون العائشون في بلاد الشيعة لم يستكبروا عن الدعاء و مجالسها و قد بدّلوا بها مجالس الترف؟

فهل البطّالون ليسوا كذلك؟

و هل أهل المعصية ليسوا كذلك؟

و هل الغافلون ليسوا كذلك؟

و هل المتوغّلون في الدنيا ليسوا كذلك؟

و هل المتوغّلون في المشتهيات ليسوا كذلك؟

و هل الجرائد و الصحيفات الدورية و الاذاعات و التلفزات لسن كذلك؟

فليس من الغريب لو يفرّ النّاس من المساجد فرار الغنم عن الذئب؟

فبعد ذلك نعوذ بالله من ان نكون مصداق قوله تعالى: ﴿و لقد ذرأنا لجهنّم كثيراً من الجنّ و الانس﴾.[2] و ﴿ان الّذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنّم داخرين﴾.[3]

كما و نحن في عصرٍ لا نرى فيه أهل الدعاء.

نعم قليلٌ منهم يستغفرون إليه و يدعونه في ليالي القدر، استحلالاً لعقدهم الدنيوية و مع ذلك فانّ دعاءهم أشبه منها بالهزل حيث يمنّون بها عليه تعالى كأنّه رهين اجابتهم.

و الغرض من هذا التفصيل الّذي أُشرب فيه الهمّ و الغمّ امران، الأوّل اثبات انّ أكثر النّاس يعرضون عن الدعاء و يستكبرون عنه و هم غافلون فلهم معيشة ضنكى و لايلتفتون إلى مبدأ خسرانهم، و لقد قال تعالى: ﴿و من اعرض عن ذكرى فانّ له معيشة

١- الاعراف / ٩٤. ٢- الاعراف / ١٧٩. ٣- غافر / ٦٠.

ضنكاً و نحشره يوم القيامة اعمى﴾.[۱] و ثانياً رفع التوهّم عمّن توهّم انّ الاستكبار عن الدعاء يختص بالكفّار و الجاحدين و أمّا المسلون بل أهل الكتاب فلا يكونوا مصداق المستكبر عن الدعاء.

فبما قلنا يظهر بطلان هذا الوهم، حيث انّ المسلمين و الشيعة اكثرهم من مصاديق المستكبرين عن العبادة و الدعاء البارزة، نعوذ بالله من غضب الجليل.

مفاسد هذه الرذيلة.

أمّا مفاسد هذه الرذيلة فكثيرة و نحن نذكر الأهمّ و العمدة منها.

الف: قساوة القلب و للقرآن لسانٌ بيّنٌ على ان الاعراض عن الدعاء و الذكر يوجب القساوة و هي توجب الخسران.

قال تعالى: ﴿افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربّه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله﴾.[۲]

و لا تصغّر القساوة لانّها تؤدّي إلى الكفر و لااقلّ من تعديتها إلى تثقيل الحقّ و عدم الخضوع له.

قال تعالى: ﴿فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام و من يرد ان يضلّه يجعل صدره ضيقاً حرجاً كانّما يصّعّد في السّماء كذلك يجعل الله الرجس على الّذين لا يؤمنون﴾.[۳]

ب: استضلال الفطرة تحت الحجب الظلمانية و به يتمّ فناؤها حيث لاتلتفت إلى الملكوت الأعلى فلا يبقى للمرء حينئذ إلّا الوجهة الناسوتية فيصير حيواناً يأكل و يتمتّع كما تأكل الانعام و تتمتّع.

فيصير في الدنيا محجوباً عن الربّ و في الآخرة كذلك فهو في الدنيا اعمى و في الآخرة

۱- طه / ۱۲٤. ۲- الزمر / ۲۲. ۳- الانعام / ۱۲۵.

اشدّ عمياً.

فهو ضالّ و في الآخرة اضلّ.

قال تعالى: ﴿إذا تتلى عليه آياتنا قال اساطير الاوّلين * كلّا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون * كلاّ انّهم عن ربّهم يومئذ لمحجوبون﴾.[١]

و قال تعالى: ﴿و من كان في هذه اعمى فهو في الآخرة اعمى و اضلّ سبيلاً﴾.[٢]

و قال تعالى: ﴿و لقد ذرأنا لجهنّم كثيراً من الجنّ و الانس لهم قلوب لا يفقهون بها و لهم اعين لا يبصرون بها و لهم آذان لا يسمعون بها اولئك كالانعام بل هم اضلّ اولئك هم الغافلون﴾.[٣]

و السرّ في ذلك انّ الدعاء و الذكر و التبتّل إليه تعالى غذاء الفطرة فلو ذاقت حلاوتها لا تبدّلها بشيءٍ.

قال على بن الحسين عليه السلام في مناجاة المحبّين: الهى من ذا الّذي ذاق حلاوة محبّتك فرام منك بدلاً و من ذا الّذي أنس بقربك فابتغى عنك حولاً.[٤]

بل قال أميرالمؤمنين عليه السلام في دعاء كميل: فهبنى صبرت على حرّ نارك فكيف اصبر على فراقك،[٥] أي: انّ عذاب جهنّم ايسر من الفراق، فبالاولوية يكون اشد عذاب الدنيا ايسر له من ترك الارتباط.

كما انّ التوغّل في المشتهيات حتّى الحلال منها حجاب للفطرة.

قال رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم: انّه ليغان على قلبى فاستغفر الله في اليوم سبعين مرة.[٦]

فبترك الدعاء و الذكر و التوغّل في المشتهيات يموت الفطرة تحت الحجب و يبقى نفسيّة

١- المطفّفين / ١٥ ـ ١٣. ٢- الاسراء / ٧٢. ٣- الاعراف / ١٧٩.

٤- مفاتيح الجنان، مناجاة خمسة عشر. ٥- مفاتيح الجنان، دعاء كميل.

٦- بحار الانوار، ج ٦٠، ص ١٨٢، باب ٣.

المرء الحيوانيَّة فهو انسان ظاهراً و حيوان باطناً فهو عند الله بل عند أهل القلوب و الحيوان ذات القوائم الأربع سيّان.

ج: حصول العقدة النفسيّة و مركّب النقص له.

و هذه المفسدة هامّةٌ، لانّ الجنايات غالبها تنشأ من هذه المفسدة.

و المفسدون في الأرض الّذين إذا تولّوا سعوا في الأرض ليفسدوا فيها و يهلكون الحرث و النسل كلّهم كانوا يشربون من هذا الحميم.

و الآئسون من عيشٍ هنيءٍ في الدنيا الّذين هاج عليهم الحزن قد شربوا من هذا السموم.

و المطرودون من المجتمع المنعزلون عنه ذاقوا عن ذلك النقم.

و بالجملة انّ الظّالمين من النّاس و البطّالين منهم بل المظلومين قابلي الظّلم غير رادعين عنه كذلك شربوا منه.

هذا سرّ سيرة المستثمرين المستمرّة حيث كانوا يشربون قلوب النّاس عن مركّب النقص ثمّ يقوموا بالسلطة عليهم.

قال الله تعالى: ﴿**فاستخفّ قومه فاطاعوه انّهم كانوا قوماً فاسقين**﴾.[1]

و قال: ﴿**فاصبر انّ وعد الله حقّ و لا يستخفّنّك الّذين لا يوقنون**﴾.[2]

و يظهر من الآية الاولى حرمة تقبّل الاستخفاف حيث لا يقبله إلّا الفاسق كما أنّه يظهر من الثانية انّ الاستخفاف حرام و لا يستخفّ النّاس إلّا الكافر غير الموقن.

و السرّ في ذلك انّ الاعراض عن الدعاء يوجب تعظيم البلايا في نظر المعرِض، فيرى الدنيا محفوفةً بها، و كأنّه رهين سجنها، فييأس عن الفلاح فيها و الفوز بغاياته بينما أنّها للمؤمن ليس إلّا من المعدّات للعروج إلى أعلى معارج الكمال.

١- الزخرف / ٥٤.　　٢- الروم / ٦٠.

قال تعالى: ﴿و لنبلونّكم بشيء من الخوف و الجوع و نقص من الاموال و الانفس و الثمرات و بشّر الصّابرين * الّذين إذا اصابتهم مصيبة قالوا انّا لله و انّا إليه راجعون * اولئك عليهم صلوات من ربهم و رحمة و اولئك هم المهتدون﴾.[١]

و للكافر و الفاسق استدراج ليهبط إلى اسفل السافلين.

قال تعالى: ﴿و الّذين كذّبوا باياتنا سنستدرجهم من حيث لا يعلمون﴾.[٢]

و على ايٍّ فلكلٍّ من المؤمن و الكافر ابتلاءات و مشاكل، و كثيرٌ منها لاتنحلّ فليس لهما بدٌّ من الاصطبار عليها، لئلّا تؤدّي إلى عقد أخرى اسوء حالاً من الاولى.

فالمرء إن أسند إلى ذات قادر عالم جواد رئوف رحيم فتوكّل عليه و التجأ إليه، يدعوه فيسكن غلقه و يبتهج صدره و يشرح، فلايحصل له مركّب النقص. أمّا لو لم يعتمد عليه فلايدعو له و لم يبتهل إليه فبمرّ الزمن يحصل له العقد النفسية، فلو تولّى في الأرض و حصل له الحكم، يلتذّ من القتل و الغارة و الظلم و إن لم يحصل له، ينعزل عن المجتمع و يهجم عليه الغموم و الهموم فهو لتنحيتها حين البأساء و الضرّاء يتمسّك بكلّ حشيش، و لو لم يقدر على ذلك فيمتسّك بافناء فضائله كالغيرة و العفّة و الحياء بل الايمان، كما يترائى من بعض النساء المتبرّجة، و من الرجال الّتي غلبت عليهم الرذائل فلاعفّة لهن و لا لهم، كلّ ذلك ليس إلّا للعقدة الكامنة في ضميرهم.

فعليك ثم عليك بالدعاء و الذكر و التوبة و الانابة و التضرّع و الابتهال و قراءة القرآن فانّ الصلة بالله تعالى دواء و شفاء للقلب و مانع عن العقدات النفسية.

قال تعالى: ﴿قد جائتكم موعظة من ربّكم و شفاء لما في الصدور﴾.[٣]

و قال تعالى: ﴿و ننزّل من القران ما هو شفاء و رحمة للمؤمنين﴾.[٤]

١- البقرة / ١٥٧ ـ ١٥٥. ٢- الاعراف / ١٨٢. ٣- يونس / ٥٧.

٤- الاسراء / ٨٢.

و قال أميرالمؤمنين عليه السلام: يا من اسمه دواء و ذكره شفاء و طاعته غنىً ارحم من رأس ماله الرجاء و سلاحه البكاء.[1]

د: الانقطاع إلى غير الله تعالى.

و هذه المفسدة ايضاً من المولمات الموبقات.

توضيح ذلك، قد مرّ منّا في البحث عن فوائد الدعاء انّ اجود أحوال المرء هو الانقطاع إلى الله تعالى، و ذكرنا ان الوصول إلى هذه الحالة ليس بسهل بل يحتاج إلى طيّ منازل عديدة و لا يمكن التخطّي من منزل إلى آخر إلّا بفضل الله و رحمته.

فالآن نزد عليه و نقول اسوء حالات الإنسان هو الانقطاع إلى النّاس و إلى نفسه و المراد منه نسيان الله و الالتفات إلى غيره في حوائجه و السناد إلى غيره تعالى في هذه الدنيا و مهالكها و مشاكلها و التوكّل على غيره و الالجاء إليه من عقله أو قدرته و هذه الحالة توجب ان يعيش المرء في الظلمات و الوحشة.

قال تعالى: ﴿**أو كظلمات في بحر لجّيّ يغشيه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يريها و من لم يجعل الله له نوراً فما له من نور**﴾.[2]

و شبّه تعالى تلك المعيشة ببيت العنكبوت و هو من حسان التشبيهات.

قال تعالى: ﴿**مثل الّذين اتّخذوا من دون الله اولياء كمثل العنكبوت اتّخذت بيتاً و انّ اوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون**﴾.[3]

بل الذكر يصرّح بأنّ نسيان الله تعالى يساوق نسيان النفس.

قال تعالى: ﴿**و لا تكونوا كالذين نسوا الله فانسٰهم انفسهم اولئك هم الفاسقون**﴾.[4]

۱- مفاتيح الجنان، آخر دعاء كميل. ۲- النور / ٤٠. ۳- العنكبوت / ٤١.

٤- الحشر / ١٩.

و من نسى نفسه فهو في معيشته حيران سكران لغلبة الظلمة و الوحشة و الهمّ و الغمّ عليه و لغلبة المشاكل القارعة عليه و إلى هذا اشار تعالى بقوله: ﴿إذا أخرج يده لم يكد يراها﴾.(١) و بقوله: ﴿و لا يزال الّذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة أو تحلّ قريباً من دارهم حتّى يأتى وعد الله﴾.(٢)

فالاعراض عن الذكر و الاستكبار عن الدعاء و نسيان الله تعالى هو الانقطاع غيره و لا أقلّ من ملازمتها له فيترتّب عليه من المفاسد المولمة ما لا يحصى و لا يزال يعيش في وحشةٍ حتّى يموت.

قال تعالى: ﴿لايزال بنيانهم الّذي بنوا ريبة في قلوبهم إلّا ان تقطّع قلوبهم﴾.(٣)

فالاعراض و الاستكبار عن الدعاء هو الانقطاع عن الله تعالى.

قال تعالى: ﴿و من لم يجعل الله له نوراً فما له من نور﴾.(٤)

هـ: تسلّط الشيطان عليه.

انّ للإنسان جهاداً في عمق ذاته و هو الّذي سمّاه رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم بالجهاد الاكبر.

قال: مرحباً بقوم قضوا الجهاد الاصغر و بقى الجهاد الاكبر، قيل: يا رسول الله و ما الجهاد الاكبر؟ قال: جهاد النفس.(٥)

و الجهاد هذا يُقام بين الروح و الجسم أو على حدّ تعبير القرآن الكريم بين النّفس الملهمة و بين النّفس الامّارة.

قال تعالى: ﴿و نفس و ما سوّاها * فالهمها فجورها و تقواها﴾.(٦)

و قال تعالى: ﴿ان النّفس لامّارة بالسّوء إلّا ما رحم ربّى﴾.(٧)

و كدلك له جهادٌ في العالم العيني أي الخارج من نفسه و هو ايضاً الجهاد الاكبر و هو بين

١- النور / ٤٠. ٢- الرعد / ٣١. ٣- التوبة / ١١٠. ٤- النور / ٤٠.

٥- الكافي، ج ٥، ص ١٢، باب وجوه الجهاد، ح ٣. ٦- الشمس / ٨، ٧. ٧- يوسف / ٥٣.

جذبة من الله تعالى و بين جذبة من الطاغوت فالله تبارك و تعالى يريد ان يجذبه إليه كما انّ الطاغوت ايضاً يريد ان يجذبه إليه فهو دائماً بين جذبتين.

قال تعالى: **﴿الله وليّ الّذين امنوا يخرجهم من الظّلمات إلى النّور و الّذين كفروا اوليائهم الطّاغوت يخرجونهم من النّور إلى الظّلمات اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون﴾**.[1]

فالإنسان بنفسه لا يقدر ان يسلّط على العدوّ لا الداخلي و لا الخارجي منه.

قال تعالى: **﴿و لو لا فضل الله عليكم و رحمته ما زكى منكم من احد ابداً و لكنّ الله يزكّي من يشاء﴾**.[2]

و من المعلوم أنّ استجلاب فضل الله و رحمته لايتيسّر إلّا بالصلة به تعالى، و لاصلة أعلى من الدعاء و التضرع و الانابة.

و إلى هذا اشار أهل العصمة الكبرى عليهم السلام بقولهم:

ان الدعاء افضل العبادات و سلاح المؤمن و عمود الدين و نور السموات و الأرض و سلاح الأنبياء و ترس المؤمن و انفذ من السّنان و مفاتيح النّجاح و لا يتقرّب العبد بشيء بمثل الدعاء و ان الدعاء ينجى المؤمن من الاعداء.[3]

فمن اعرض عن الدعاء و استكبر عنها فهو كمن لا سلاح و لا ترس و لا سنان و لا نور له، و معلوم انّه مغلوب لا غالب فله الخسران.

قال تعالى: **﴿ان الّذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنّم داخرين﴾**.[4]

و قال الإمام أبو جعفر عليه السلام: و ما احد ابغض إلى الله عزّوجلّ ممن يستكبر عن عبادته

١- البقرة / ٢٥٧.　　٢- النّور / ٢١.

٣- الكافي، ج ٢، ص ٤٦٦، كتاب الدعاء، باب ١ و ٢.　　٤- المؤمن / ٦٠.

و لا يسئل ما عنده.[۱]

و عن الامام أبي عبدالله عليه السلام قال للميسر: يا ميسر ادع و لا تقل انّ الامر قد فرغ منه، انّ عند الله عزّوجلّ منزلة لا تنال إلّا بمسئلة و لو ان عبداً سدّ فاه و لم يسئل لم يعط شيئاً فسل تعط يا ميسر انه ليس من باب يقرع إلّا يوشك ان يفتح لصاحبه.[۲]

و عنه عليه السلام: من لم يسئل الله عزّوجلّ من فضله فقد افتقر.[۳]

فعليك ثمّ عليك ثمّ عليك بالدعاء الّذي هو نور و صلة بين العبد و المولىٰ و هو مستجلب كلّ خير و سلاحٌ به يُغلب على الشيطان.

و ايّاك ثمّ ايّاك ثمّ ايّاك و الاعراض عن الدعاء و الاستكبار عنه لانّ قطع الصلة يساوق الظلمة و هو تسلّط العدوّ داخلياً و خارجياً على الإنسان لان فقد النور يساوى الظلمة، و إذا لم يتولّ الله سبحانه و تعالى عبده فللشيطان أن يتولّاه.

قال تعالى: ﴿و إلّا تصرف عنّي كيدهنّ اصب اليهنّ و اكن من الجاهلين﴾.[٤]

و قال تعالى: ﴿انّما سلطانه على الّذين يتولّونه﴾.[٥]

و قال تعالى: ﴿و الّذين كفروا اوليائهم الطاغوت﴾.[٦]

و: فناء الذوق و زواله.

ان للانسان بحسب الجسم قوىً كالذائقة و الباصرة و السامعة و الشامّة و اللامسة، فبالقوّة الذائقة يذوق حلو الاشياء و مرّها و بالقوّة الباصرة يرى الاشياء، و بالقوّة السامعة يسمع الاصوات، و بالقوّة الشّامّة يستشمّ الرياح، و بالقوّة اللّامسة يدرك اللّينة و خشونة

١- الكافي، ج ٢، كتاب الدعاء، باب ١، ح ٢.

٢- الكافي، ج ٢، ص ٤٦٦، كتاب الدعاء، باب ١، ح ٣.

٣- الكافي، ج ٢، ص ٤٦٧، كتاب الدعاء، باب ١، ح ٤. ٤- يوسف / ٣٣.

٥- النحل / ١٠٠. ٦- البقرة / ٢٥٧.

الاشياء، فكذلك بحسب الروح له تلك القوى، فيذوق حلو المعنويات و مرّها، و يبصر الحقائق و يسمعها، و يشمّ رياح المعنويات، و يدرك ما يلائم الروح و ما ينافره، فهو قد يمرض بحسب الجسم فتزول عنه تلك القوى فلا يذوق و لا يرى و لا يسمع و لا يشمّ و لا يدرك، فكذلك قد يمرض بحسب الروح فتزول عنه ذائقته فلا يقدر على ان يدرك حلاوة المعنويات و مرّها، و قد تزول عنه بصيرته و سمع قلبه، فلا يقدر على ان يبصر الواقع و لا يسمع الحقائق فهو بالنسبة إلى المعنويات صمّ بكم عمى و لا يعقل و لا يفهم، و كذلك ليس له ان يشمّ عطر المعنويات و لا يدرك ما يلائم الانسانية فهو ميّت روحاً و حيّ جسماً.

و القرآن الشريف في كثير من الآيات يتذكّر بهذه اللطيفة الدقيقة و اطلق على هولاء لفظة الميّت و العمى و الصمّ و البكم و القلب الخالى عن التفهّم و التعقّل كما و قد اطلق عليهم لفظة الحيوان و الدابّة بل عدّهم اضلّ و شرّاً منها.

قال تعالى: ﴿و لقد ذرأنا لجهنّم كثيراً من الجنّ و الانس لهم قلوب لا يفقهون بها و لهم اعين لا يبصرون بها و لهم آذان لا يسمعون بها اولئك كالانعام بل هم اضلّ﴾.(١)

و قال تعالى: ﴿انّ شرّ الدّوابّ عند الله الصمّ البكم الّذين لا يعقلون﴾.(٢)

و قال تعالى: ﴿انك لا تسمع الموتى و لا تسمع الصمّ الدعاء﴾.(٣)

و هذه اللفظة أي: الذوق وردت في التنزيل العزيز فيما يزيد على ستّين مورداً مريداً منها التذوّق النفسي لا ما هو المراد منها بحسب العرف و هو درك الطعم بالقوّة الذائقة و من تلك الآيات الكثيرة:

قوله تعالى: ﴿كلّما نضجت جلودهم بدّلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب﴾.(٤)

و قوله تعالى: ﴿و من اياته ان يرسل الرياح مبشّرات و ليذيقكم من رحمته﴾.(٥)

١- الاعراف / ١٧٩. ٢- الانفال / ٢٢. ٣- المزّمل / ٨٠. ٤- النساء / ٥٦.

٥- الروم / ٤٦.

فترى انّ المراد من الكلمة في الآيتين هو درك الالم و اللّذة و لعلّ كثرة استعمالها في درك العذاب اشارة إلى انّ عذاب جهنّم مضافاً إلى فعلها في الجسم تطّلع على الافئدة ايضاً.

قال تعالى: ﴿لينبذنّ في الحطمة * و ما ادراك ما الحطمة * نار الله الموقدة * الّتي تطّلع على الافئدة﴾.(١)

فهى كما تكسر العظام لشدّة حرّها تسلّط على الروح ايضاً فالإنسان لا يدرك في الجحيم إلّا الم العذاب روحاً و جسماً.

قال تعالى: ﴿الّذي يصلى النار الكبرى * ثمّ لا يموت فيها و لا يحيى﴾.(٢)

ثمّ للقرآن الكريم أساليب أخرى بها يشير إلى حلاوة الدعاء لأهل القلب لايدركها غيرهم،

قال تعالى: ﴿تتجافي جنوبهم عن المضاجع يدعون ربّهم خوفاً و طمعاً و ممارزقناهم ينفقون * فلا تعلم نفس ما اخفى لهم من قرّة اعين جزاءً بما كانوا يعملون﴾.(٣)

فهذا الذوق من الفطريات كائنة في عمق ذات الإنسان و حياة الفطرة بحياته كما انّ موتها بموته، و بموتها يصير الإنسان حيواناً خُلقاً كذوات الأربع، فيتّبع نواميس السّباع، منها دُستور الغلبة، القائلة بأنّ للقويّ الغلبة على الضعيف، فعلى الضعيف أن يخدم القوى و يخضع له، لا في السنن و ما يرجع إلى اقتصاد المجتمع، بل و في دينه و شرائع حياته.

قال تعالى: ﴿ولن ترضى عنك اليهود و لا النصارى حتّى تتّبع ملّتهم﴾.(٤)

فدلالة القرآن على أنّ أهل الكتاب لايرضيهم إلّا أن يتّبعهم المسلمون في دينهم و ملّتهم، تامّة واضحة، فلايرضون بالحكم على النيل إلى الفرات، بل على جميع المسلمين في جميع الأعصار و الأمصار.

قال تعالى: ﴿يا ايّها الّذين امنوا لا تتّخدوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالاً * ودّوا

١- الهمزة / ٧ ـ ٤. ٢- الاعلى / ١٣، ١٢. ٣- السجدة / ١٧، ١٦. ٤- البقرة / ١٢٠.

ما عنتم قد بدت البغضاء من افواههم و ما تخفى صدورهم اكبر﴾.[١]

و أمّا أهل الصّلة مع الله و الدعاء و التضرّع الّذين ذاقوا حلاوة ذكر الله داعياً بقولهم: اللهم اذقنا حلاوة ذكرك. و احيوا الفطرة بها فيخضعون لقانون المساواة فينفقون ممّا رزقهم الله تعالى، بل يؤثرون على انفسهم و لو كان بهم خصاصة.

قال تعالى: **﴿و الّذين تبوّءو الدّار و الايمان من قبلهم يحبّون من هاجر إليهم و لا يجدون في صدورهم حاجةً ممّا اوتوا و يؤثرون على انفسهم و لو كان بهم خصاصة و من يوق شحّ نفسه فاولئك هم المفلحون﴾.**[٢]

فلهم بحياة فطرتهم أن يفكّوا عقد المجتمع، كما نرى الان أن جميع الخيرات و المبرّات يجري على أيديهم أمّا الباعدون عن الدعاء غير مرتبطين بأهل المنبر من الوعّاظ و العلماء، فلا خير فيهم حيث لايخضعون لهذا القانون المتكامل، بل بما يحكم عليهم دُستور الغلبة فيجوّزون لأنفسهم أن يتصرّفوا في أموال النّاس مهما أمكن لهم، و لافرق في ذلك عندهم بين اليتيم و غيره، و الضعيف و غيره، فهم في هذا الدنيا صاروا كأنّهم مأواهم في الآخرة فينادون كما تنادي الجحيم هل من مزيد، لحرصهم على نهب الأموال و جمعها هذه هي سنّة الفريقين أي اصحاب الدعاء و المعرضين عنها و لا تبديل فيها.

قال تعالى: **﴿فلن تجد لسنت الله تبديلاً و لن تجد لسنت الله تحويلاً﴾.**[٣]

و بما أنّ النظر في تواريخ الأمم و النّاس يعلّم المرء ما لايعلّمه الكتب، لحقيقٌ بنا أن نقول انّ التاريخ هو معلّم الأخلاق يهذّب خُلُق الناس، و هذا هو السرّ في التأكيد المشاهَد في القرآن البالغ إلى ما يزيد على عشرة موارد على وجوب النظر في السِّيَر و التواريخ، منها: قوله تعالى: **﴿أو لم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الّذين من قبلهم﴾.**[٤]

فعليك بالسير في احوال النّاس لترى رؤية القلب بوضوح انّه لو زالت عواطف

١- آل عمران / ١١٨. ٢-الحشر / ٩. ٣- فاطر / ٤٣. ٤- فاطر / ٤٤.

الإنسان الجبلّية الفطريّة مضافاً إلى ان يكبر عليه الدعاء و الذكر و التوبة، يصير حيواناً بصورة الإنسان فيقوم بما يقوم به الحيوان فقط!. كما يصحّ العكس، حيث بحياة الفطرة يصير الإنسان ملَكاً يلتذّ من الصّلة بالله تعالى بما لا يلتذّ من غيرها، فيريد أن يهدى النّاس إلى الصّراط السّوى، صراط الذكر و الدعاء، فيكاد ان يموت لو رأى توغّل النّاس في المشتهيات و بُعدهم عن هذا الصراط الموصل إلى الجنّة فهل الأنبياء كلّهم سيّما الخاتم صلّى الله عليه وآله وسلّم لم يكونوا كذلك؟

و هل الاوصياء كلّهم سيّما الحسين عليه السلام لم يكونوا كذلك؟

و هل الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم و الحسين عليه السلام لم يبكيا على ضلالة القوم.

قال تعالى: ﴿لعلّك باخع نفسك إلّا يكونوا مؤمنين﴾.[1]

كما هو ما التزم الله تعالى نفسه به، فارسل الرسل إلى اعدائه موصياً بهم أن يرحموهم و يرأفوا بهم.

قال تعالى: ﴿اذهبا إلى فرعون انهّ طغى * فقولا له قولاً ليّناً لعلّه يتذكّر أو يخشى﴾.[2]

هذا آخر ما اردنا ايراده في هذا البحث. قد تمّ الفراغ منه يوم النيروز لسنة ١٣٧٤ هـ.ش، اللهم اجعل هذه السنة للمسلمين عيداً بحق خير خلقك محمّد و آله الطاهرين.

١- الشعراء / ٣.　　٢- طه / ٤٤، ٤٣.

روايات في الإعراض عن الدّعاء

❊ عن حنان بن سدير عن ابيه قال: قلت لأبى جعفر عليه السلام: ایّ العبادة افضل؟ فقال:... و ما احد ابغض إلى الله عزّوجلّ ممّن يستكبر عن عبادته و لا يسأل ما عنده.[1]

❊ عن ميسر بن عبد العزيز عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال لى: يا ميسر ادع و لا تقل: انّ الامر قد فرغ منه، انّ عند الله عزّوجلّ منزلة لا تنال إلّا بمسألة، و لو انّ عبداً سدّ فاه و لم يسأل لم يعط شيئا فسل تعط، الحديث.[2]

❊ عن أبي عبدالله عليه السلام قال: من لم يسأل الله عزّوجلّ من فضله (فقد) افتقر.[3]

❊ عن حمّاد بن عيسى عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سمعته يقول: ادع و لا تقل: قد فرغ من الامر، فانّ الدعاء هو العبادة، انّ الله عزّوجلّ يقول: ﴿**انّ الّذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنّم داخرين**﴾ و قال: «ادعونى استجب لكم».[4]

❊ عن أبي عبدالله عليه السلام قال: لا يزال المؤمن بخير و رجاء رحمة من الله عزّوجلّ ما لم يستعجل، فيقنط و يترك الدعاء، قلت له: كيف يتسعجل؟ قال: يقول: قد دعوت منذ كذا و

١- الكافي، ج ٢، ص ٤٦٦، باب فضل الدعاء و الحّث عليه، ح ٢.

٢- الكافي، ج ٢، ص ٤٦٦، باب فضل الدعاء و الحّث عليه، ح ٣.

٣- الكافي، ج ٢، ص ٤٦٧، باب فضل الدعاء و الحّث عليه، ح ٤.

٤- الكافي، ج ٢، ص ٤٦٧، باب فضل الدعاء و الحّث عليه، ح ٥.

كذا و ما أرى الاجابة.[۱]

* قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يدخل الجنة رجلان كانا يعملان عملاً واحداً فيرى احدهما صاحبه فوقه، فيقول: يا ربّ بما اعطيته و كان عملنا واحداً. فيقول الله تبارك و تعالى: سألني و لم تسألني، ثم قال صلى الله عليه وآله وسلم سلوا الله و اجزلوا فانّه لا يتعاظمه شيء.[۲]

* عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انّه قال: لا تعجزوا عن الدعاء فانّه لم يهلك مع الدعاء احد و ليسأل احدكم ربّه حتّى يسأله شسع نعله إذا انقطع و اسألوا الله من فضله فانّه يحبّ ان يسئل.[۳]

* عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: اعجز النّاس من عجز عن الدعاء.[٤]

۱- الكافي، ج ۲، ص ٤۹۰، باب من ابطأت عليه الاجابة، ح ۸.

۲- بحارالانوار، ج ۸، ص ۲۲۱، باب ۲۳، ح ۲۱٦. ۳- بحار الانوار، ج ۹۰، ص ۳۰۰، باب ۱٦، ح ۳۷.

٤- بحار الانوار، ج ۷۳، ص ٤، باب ۹۷، ح ۱۱.

الفصل السّادس و الثّلاثون

الفضيلة الثّامنة و الثّلاثون: التمسّك بالقرآن و العترة

الرّذيلة السّابعة و الثّلاثون: التمسّك بالطّاغوت

الفضيلة الثّامنة والثّلاثون: التمسُّك بالقرآن والعترة

هذه الفضيلة أمّ الفضائل و منبعها، لانّ كلّ فضيلة تحتاج إليها و من فقدها فقد تورّط في الضلالة، و قد تواتر من الفريقين انّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يكرّر فيما يسنح له من الأزمنة و الأمكنة الهامّة: انّي تارك فيكم ما ان تمسّكتم به لن تضلّوا، كتاب الله و عترتي أهل بيتي، فانّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض.[1]

و المراد بالتمسّك بهما هو الايمان بهما و عقد الاعتقاد عليهما، و بهذا المعنى تختصّ هذه الفضيلة بالشيعة الّذي جعل هذا العقد من اصول دينه فاتّخذ القرآن بيد و العترة بيد آخر و انتجّ منهما شعاري الشهادة بالرسالة و الإمامة لسيّديهما و رُحي قطبهما، مفدّي كلّ ما على الأرض من النّفس و الأسرة و غيرهما لهما و اعلاءً لكلمتهما و هذا هو المثبَت بالتاريخ و الاختبار، الموضح لنا و لأعدائنا، و الحمدلله على ذلك الّذي هو خير الفضائل كلّها، الّذي به كمال الدين و تمام النّعمة فالحمد له على ما ارتضى لنا ذلك.

قال تعالى: ﴿اليوم اكملت لكم دينكم و اتممت عليكم نعمتي و رضيت لكم الإسلام ديناً﴾.[2]

١- بحار الانوار، ج ٢٣، ص ١٣٣، باب ٧، ح ٧١. ٢- المائدة / ٣.

و قد استفاضت روايات الفريقين في تفسير الآية، بأنّ اكمال الدين و اتمام النعمة و رضاه تعالى يتمّ بولاية أميرالمؤمنين على بن أبي طالب عليه السلام بل قام الاجماع و الاتّفاق على ذلك و المخالف معاندٌ لا يعبأ به عند الفريقين.

و لمّا كان البحث عن الثقلين يقتضى انفراده لكلّ واحدٍ منهما، فلا بدّ لنا من تفصيل الكلام في القرآن مستقلاًّ و في العترة ايضاً على سبيل الاستقلال فنقول:

أمّا القرآن فهو معجزة باهرة له القيام بشؤون المجتمع المختلفة إلى يوم القيامة.

أمّا كونه معجزة فيكفيك من بين دلائلها الكثيرة تحدّيه في موارد متعدّدة و منها قوله تعالى: ﴿قل لئن اجتمعت الانس و الجنّ على ان يأتوا بمثل هذا القران لا يأتون بمثله و لو كان بعضهم لبعض ظهيراً﴾.[١]

و أمّا كونه قادراً على علاج أمور المجتمع إلى يوم القيامة لأنّه يهدى إلى الصراط المستقيم المبرّأ عن الاعوجاج و الافراط و التفريط و لانه حاو لما يحتاج إليه النّاس إلى يوم القيامة و قد تدلّ عليه آيات منها قوله تعالى: ﴿انّ هذا القران يهدى للّتى هي اقوم﴾[٢] و قوله تعالى: ﴿و لا رطب و لا يابس إلّا في كتاب مبين﴾.[٣]

و هذا هو السرّ لكون المبعوث بهذه الشريعة خاتماً لسلسلة الرسل، لانّ الإسلام لو كان اقوم الطرق جامعاً لأحكام كلّ رطب و يابس من عالم الكون و لااقلّ من عالم التشريع، فمجيئ الرسول و الكتاب بعده لغو غير محتاج اليه.

قال تعالى: ﴿ما كان محمّد أبا احد من رجالكم و لكن رسول الله و خاتم النبيّين﴾.[٤]

و قال تعالى: ﴿لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه﴾.[٥]

و التمسّك بالقرآن كغيره من الفضائل ذو مراتب.

١- الاسراء / ٨٨. ٢- الاسراء / ٩. ٣- الانعام / ٥٩. ٤- الاحزاب / ٤٠.

٥- فصلت / ٤٢.

الف: الايمان و الاعتقاد بحسب العقل، فهو اوّل المراتب و العقل لمّا يرى تحدّيه غير هازلٍ فيه فيعتقد انّه من الله تعالى.

كما يرى أنّ الكتاب يشتمل على قوانين حفظ المجتمع عن الانحطاط و دستور التوحيد و علوم المجتمع و الطبيعة و النجوم و معرفة النّفس و غيرها من العلوم مع أنّه ليس من جملة الآثار المؤلّفة في تلك الفنون، بل يرى اشتماله على نواميس توصِل الإنسان إلى مقام المعرفة و العبوديّة من غير ان يسلك سبل كتب الأخلاق الشّتيتة، بل بسلوكه سبيل الهداية العنائية و الايصال إلى المطلوب، كما قال تعالى: ﴿**قد جاءكم من الله نور و كتاب مبين يهدى به الله من اتّبع رضوانه سبل السلام و يخرجهم من الظلمات إلى النور باذنه و يهديهم إلى صراطٍ مستقيم**﴾.(۱)

يفهم أنّ هذا الكتاب موهبةٌ إلهيّة وهبها تعالى لمن له قلبٌ أو ألق السمع و هو شهيد لتصلهم إلى غاياتهم في مقامات العبوديّة. ولكن ليس هذا إلّا معرفة اجماليّةً، فلا ترتق عن معرفة العلم الحصولي، و هذا العلم و إن رسخ في نفس العالم و أحكم فيها غاية الإحكام، المصطلح عليه بمرتبة علم اليقين، لكنّه ليس لها أن يجاوز مرتبة الإجمال، و إن كان حسناً معدوداً من المواهب.

و اعلى من هذه الموهبة ان يستيقن بأنّ هذا الكتاب الكريم يطابق عالم التكوين تطابقاً تامّاً فهو تشريع ذلك التكوين و يطابق كلّ الآخر، فعالم الكون تكوين و القرآن الشريف تشريع ذلك التكوين.

قال تعالى: ﴿**و نزّلنا عليك الكتاب تبياناً لكلّ شيء**﴾.(۲)

و أعلى و اشرف من هاتين المرتبتين، دركه و استيقانه بذلك العلم الاجمالى الحصولى، بان الذكر الحكيم هو المجلى للذات الاحدية مع جميع الاسماء و الصفات حتّى المستأثر منها

۱- المائدة / ۱٦، ۱٥. ۲- النحل / ۸۹.

الّذي لا يعلمه إلّا هو، فهو تجلّى فيه الذّات مع جميع الاسماء و الصفات حتّى المستاثر منها و بهذا المعنى و الموهبة العظمى اشار تعالى بقوله: **﴿و عنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلّا هو و يعلم ما في البرّ و البحر و ما تسقط من ورقة إلّا يعلمها و لا حبّة في ظلمات الأرض و لا رطب و لا يابس إلّا في كتاب مبين﴾**.(۱)

فترى انّ صدر الآية الشريفة يدلّ على انّ الغيب كلّه لله تعالى، و ذيلها يدلّ على انّ الغيب كلّه في الكتاب، فالآية بتمامها تدلّ على انّ الله تعالى مع غيبه المطلق تجلّى في الكتاب العزيز.

و بهذا المعنى صرّح سيدنا الاستاذ الامام الخمينىقدّس سرّه فيما اوصى به بقوله: الحمد لله و سبحانك اللهم صلّ على محمّد و آله مظاهر جمالك و جلالك و خزائن اسرار كتابك الّذي تجلّى فيه الاحديّة بجميع اسمائك حتّى المستأثر منها الّذي لا يعلمه غيرك و اللعن على ظالميهم اصل شجرة الخبيثة.(۲)

اللهم انت تعلم انّا نعتقد بذلك كلّه، و نشكرك على هذه الموهبة الّتي وهبتنا ايّاها و نحمدك عليها و نرجو من فضلك ان تمدّ عطائك حتّى نجاوز من علم اليقين إلى عين اليقين و منه إلى حقّ اليقين حتّى يصير علمنا الاجمالى الحصولى علماً تفصيلياً حضورياً، آمين آمين آمين يا ربّ العالمين بحقّ خير خلقك محمّد و آله الطاهرين.

قال تعالى: **﴿و يقول الّذين كفروا لست مرسلا قل كفى بالله شهيداً بينى و بينكم و من عنده علم الكتاب﴾**.(۳)

فاضافة العلم إلى الكتاب كاضافة النكرة إلى اسم المصدر تدلّ على انّ علم الكتاب الكريم كلّه يوجد عند أميرالمؤمنينعليه السلام و قد وهبه الله تعالى لهعليه السلام و سيأتى زيادة توضيح لذلك في البحث عن العترة.

۱- الانعام / ۵۹. ۲- الوصيّة السياسيّة الالهيّة للامام الخمينى، ص ۱. ۳- الرعد / ۴۳.

ب: المرتبة الوسطى.

و اما المرتبة الوسطى من التمسّك بالقرآن الكريم فتتمّ باستيقان القلب بجميع ما قلناه من كونه حقّا حاوٍ لما ينفع في السلوك العلمي نحو الكمال مطابقاً لعالم الكون مجلاً لذات الحق تعالى بجميع اسمائه العليا و صفاته العظمى ثمّ رسوخ ذلك كلّه في القلب.

و معلوم انّ رسوخ شيء في القلب غير رسوخه في العقل و استيقان القلب بشيء غير استيقان العقل به إذ الأوّل من باب رؤية القلب و شهوده، و الثانى من باب التعقّل.

و بعبارة أخرى، الأوّل من باب حضور الشّيء عند الشّيء و الثانى من باب حضور صورة الشّيء عند الشيء.

و بعبارة علميّة، الأوّل من باب العلم الحضورى و الثانى من باب العلم الحصولى و كم من الفرق بينهما.

و بعبارة عرفانية، الأوّل من باب خرق الحجب النوريّة و الثانى من باب خرق الحجب الظلمانيّة، لانّ رفع الجهل و هو حجاب الظلمة شيء و رفع حجاب العلم و هو حجاب النور شيء آخر، و الأوّل يرتبط بالعقل كما انّ الثانى يرتبط بالقلب.

و بعبارة علم الاصول، الأوّل يقبل الشكّ و الترديد و التوهّم و التخيّل بخلاف الثانى الّذي لا يقبل ذلك كلّها اصلاً.

و تسمّى تلك المرتبة عند أهل القلوب بعين اليقين تارة و بالكشف و الشهود أخرى فمن وصل إلى هذه المرتبة بالرياضات المشروعة و من جملتها التمسك بالثقلين الّذي هو اسّ الاساس، فيرى نور القرآن و يصدّق قلبه تصديقاً حضوريّاً لقوله تعالى: ﴿قد جائكم من الله نور و كتاب مبين﴾.[1]

و يجد الهداية العنائية من الحقّ و يصدّق قلبه تصديقا عينياً لقوله تعالى: ﴿يهدى به

۱- المائدة / ۱۵.

الله من اتّبع رضوانه سبل السلام﴾.[١]

و يرى قلبه سبل السلام و إخراجه باذن الله تعالى من الظلمات إلى النور و انسلاكه في الصراط المستقيم و يصدّق قوله تعالى: **﴿و يخرجهم من الظلمات إلى النور باذنه و يهديهم إلى صراط مستقيم﴾**.[٢]

هذه هي المرتبة الوسطى للتمسّك بالقرآن الكريم.

ج: المرتبة الشديدة الأخيرة.

و أمّا المرتبة الشديدة من التمسّك بالقرآن فهى مرتبة الوجدان.

توضيح ذلك، انّ المتمسّك بالقرآن قد يستيقن آثار التمسّك بالكتاب المبين بعقله فيتعقّل تلك الآثار و يراها عقلاً و قد يستيقن تلك الآثار قلباً و يرى قلبه تلك الآثار بخرق الحجب الظلمانية و النورانية و هاتان المرتبتان قد مرّ بيانهما و ذكرنا تسميتهما عند القوم بعلم اليقين و عين اليقين و سيأتى انّهم اخذوا ذلك المصطح من القرآن الكريم.

و قد يجد تلك الآثار كظمآنٍ شرب الماء فوجد طعمه و كمن دخل النار فأحسّ حرقه و كعاشقٍ وجد لذّة الوصل بعد الم الفراق بل نظير كلّ الآلام و اللّذّات سيّما المعنوية منها.

و المتمسّك بالقرآن إذا وصل إلى هذه المرتبة يجد نور القرآن و يسيطر هذا النور على قلبه فيهدي بالهداية العنائية من الرحمن و يحسّ يد الله على رأسه و يدخل في سبل السلام و يخرج من الظلمات و يدخل في النور المطلق و يصل إلى غايته و مطلوبه و هو الرجعى و المنتهى للسير في الصراط المستقيم.

قال تعالى: **﴿انّ إلى ربّك الرّجعى﴾**.[٣]

و قال تعالى: **﴿و انّ إلى ربّك المنتهى﴾**.[٤]

و تسمّى هذه المرتبة عند أهل القلوب بحقّ اليقين فيجد قوله تعالى: **﴿قد جائكم من**

١- المائدة / ١٦. ٢- المائدة / ١٦. ٣- العلق / ٨. ٤- النجم / ٤٢.

الله نور و كتاب مبين﴾[1] بتجلّيها في قلبه فتنوّر قلبه، في قلبه و ينوّر قلبه بنور القرآن.

كما يجد قوله تعالى: ﴿يهدى به الله من اتّبع رضوانه سبل السلام﴾.[2] و يحسّ يد الله و دخوله في سبل السلام.

كما قد يجد قوله تعالى: ﴿و يخرجهم من الظلمات إلى النور باذنه و يهديهم إلى صراط مستقيم﴾[3] و خروجه من مطلق الظلمات و دخوله في النور المطلق فيرى نفسه في الصراط المستقيم بل وصوله إلى منتهى سيره و وصوله إلى غايته فيشهد قوله تعالى: ﴿انّ الله يحول بين المرء و قلبه﴾.[4]

و بعبارة أخرى يصل إلى ما خلق له و هو غاية الأنبياء كلّهم في رسالتهم و قد أمرنا الله تعالى في الذكر الحكيم و رغّبنا فيه بالتمسّك به محصّلين هذه المرتبة الشامخة.

قال تعالى: ﴿آلم * ذلك الكتاب لا ريب فيه هدىً للمتّقين﴾.[5]

يعني انّ هذا القرآن يهدى إلى حقّ اليقين و لكن لا جميع النّاس بل المتّقين الّذين أعطاهم بعباداتهم و رياضاتهم اليقين لانه لا يحصل هذه المرتبة و كذلك المرتبة الثانية إلّا بالعبادة.

قال تعالى: ﴿و اعبد ربّك حتّى يأتيك اليقين﴾.[6]

و قال تعالى: ﴿انّ هذا لهو حقّ اليقين﴾.[7]

و قال تعالى: ﴿و انّه لحقّ اليقين﴾.[8]

و قال تعالى: ﴿فلمّا جائها نودى ان بورك من في النّار و من حولها و سبحان الله ربّ العالمين﴾.[9]

١- المائدة / ١٥. ٢- المائدة / ١٦. ٣- المائدة / ١٦. ٤- الانفال / ٢٤.
٥- البقرة / ٢، ١. ٦- الحجر / ٩٩. ٧- الواقعة / ٩٥. ٨- الحاقة / ٥١.
٩- النّمل / ٨.

يعنى انّ موسى بن عمران عليه السلام وصل إلى مرتبة حق اليقين (من في النار) و اهله مرتبة عين اليقين (و من حولها) ثمّ تشير الشريفة إلى أن هاتين المرتبتين موهبة له و لأهله (و لما جائها نودى ان بورك).

و قال تعالى: ﴿سنريهم اياتنا في الافاق و في انفسهم حتّى يتبيّن لهم انّه الحقّ أو لم يكف بربّك انّه على كلّ شهيد * اَ لا انّهم في مرية من لقاء ربّهم اَ لا انّه بكلّ شيء محيط﴾.[1]

و اليقين الأوّل ـ حتّى تبيّن ـ هو علم اليقين، و اليقين الثانى ـ انّه على كلّ شيء شهيد ـ هو عين اليقين، و اليقين الثالث ـ اَ لا انّه بكلّ شيء محيط ـ هو حقّ اليقين.

و قال تعالى: ﴿الهيكم التكاثر * حتّى زرتم المقابر * كلّا سوف تعلمون * ثمّ كلّا سوف تعلمون * كلّا لو تعلمون علم اليقين * لترونّ الجحيم * ثمّ لترونّها عين اليقين * ثمّ لتسئلنّ يومئذ عن النعيم﴾.[2]

و المراد بقوله ﴿ثمّ لتسئلنّ يومئذ عن النعيم﴾ هو حقّ اليقين الّذي يحصل لهم حين أن ذاقوا العذاب في الجحيم يسئل عنهم عن النعيم و من جملة النعيم هو القرآن و الولاية.

ما يترتّب على هذه المراتب الثلاثة.

انّ للتمسّك بالقرآن الشريف و الاعتقاد و الايمان به بمراتبه الثلاث آثاراً و تلك الآثار تدلّ على أنّ التمسّك قد رسخ في العقل أو في القلب أو في أعماق وجود المتمسّك يعنى انّ تلك الآثار تدلّ على كونه منسلكاً في علم اليقين أو عين اليقين أو حقّ اليقين و تلك الآثار كثيرة و نحن نذكر الأهمّ منها.

الف: قراءة القرآن

و القرآن يطلبها و يؤكّد عليها تأكيداً بيّناً و يأمر بها بأوامر قلّ أن يوجد مثلها فيه.

١- فصلّت / ٥٤، ٥٣. ٢- التكاثر / ٨ ـ ١.

قال تعالى: ﴿فاقرؤا ما تيسّر من القران علم ان سيكون منكم مـرضى و آخـرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله و آخرون يقاتلون في سبيل الله فاقرؤا ما تيسّر منه﴾.[1]

و في اوّل هذه السورة المباركة المنزلة على النبيّ بعد أوائل العلق المبدوّ بها الرسـالة، أوصى الله تعالى نبيّه بما يقتدر به على حمل مشاقّ الرسالة أو على حدّ تعبير الكتاب العزيز تحمّل القول الثقيل فأوصاه بقراءة القرآن،

قال تعالى: ﴿يا ايّها المزمّل * قم اللّيل إلّا قليلاً * نصفه أو انقص منه قليلاً * أو زد عليه و رتلّ القران ترتيلاً * انّا سنلقى عليك قولاً ثقيلاً﴾.[2]

ففي اوّل السورة و في آخرها أمر بقرائة القرآن و أعاد الأمر تنويهاً على عظم شأنها.

و أهل السير يرون انّه لا يتيسّر إلّا بالقراءة، فيستمدّون منها بالمقدور و الميسور.

و أهل العشق يسمعون كلام المعشوق منها بلسانهم، فعندهم انّها كـلام نـازل و انّ الدعاء كلام صاعد فالصلوة لهم مكالمة بين العبد و المولى بل معاشقة بين العاشق و معشوقه.

و أهل البصيرة يرون انّه نور و قراءته تضيىء قلب القارى بل البيت الّذي يقرء فيه.

عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال أميرالمؤمنين عليه السلام: البيت الّذي يقرأ فيه القرآن و يذكر الله عزّوجلّ فيه تكثر بركته و تحضره الملائكة و تهجره الشياطين و يضيئ لأهل السماء كما تضيئ الكواكب لأهل الأرض و انّ البيت الّذي لا يقرأ فيه القرآن و لا يذكر الله عزّوجلّ فيه تقلّ بركته و تهجره الملائكة و تحضره الشياطين.[3]

و قد اشتهر بين أهل القلوب ان الصعود إلى قلل الكمالات يمكن بها، فكأنّ القرآن سلّم للوصول إليها.

١- المزمل / ٢٠. ٢- المزمل ٥ ـ ١.

٣- الكافي، ج ٢، ص ٦١٠، باب البيوت الّذي يقرأ فيها القرآن، ح ٣.

عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: تعلّموا القرآن فانّه يأتي يوم القيامة صاحبه في صورة شابّ جميل شاحب اللّون.... ثم يقال له: اقرء و ارقه فكلّما قرء آية صعد درجة.(۱)

و قد تواترت في الروايات الواردة في خواصّ السور انّ القرآن يحفظ قارئه و صاحبه و من حفظه على ظهر قلبه و عمل به و من رسّخ آياته في قلبه و من اختلط آيه بلحمه و دمه.

و نحن نذكر الروايات مستوفاةً في خاتمة البحث و إليك الآن بعضها:

❊ عن الامام على بن الحسين عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: من قرأ اربع آيات من اوّل البقرة و آية الكرسى و آيتين بعدها و ثلاث آيات من آخرها لم ير في نفسه و ماله شيئاً يكرهه و لا يقربه شيطان و لا ينسى القرآن.(۲)

و عن الامام موسى بن جعفر عليه السلام في رواية:... إذا خفت امراً فاقرأ مائة آية من القرآن من حيث شئت ثمّ قل: اللّهم اكشف عنّي البلاء، ثلاث مرّات.(۳)

و عن الامام أبي عبدالله عليه السلام قال: لو قرءت الحمد على ميّت سبعين مرّة ثمّ ردّت فيه الرّوح ما كان ذلك عجباً.(٤)

و عن الامام موسى بن جعفر عليه السلام قال: من استكفى بآية من القرآن من الشرق الغرب كفى إذا كان بيقين.(۵)

و جميع تلك الروايات و غيرها مقيّدٌ بهذا القيد، فاستفادة المرء من القرآن ليست إلّا

۱- الكافي، ج ۲، ص ۶۰۳، باب فضل حامل القرآن، ح ۳.

۲- الكافي، ج ۲، ص ۶۲۱، باب فضل القرآن، ح ۵.

۳- الكافي، ج ۲، ص ۶۲۱، باب فضل القرآن، ذيل ح ۸.

٤- الكافي، ج ۲، ص ۶۲۳، باب فضل القرآن، ح ۱۶.

۵- الكافي، ج ۲، ص ۶۲۳، باب فضل القرآن، ح ۱۸.

على قدر يقينه به، و السرّ فيه انّه نور و شفاء و دواء لكلّ داء و انّه قدرة و قوّة و هداية و رحمة.

قال تعالى: ﴿قد جائكم من الله نور﴾.[١]

و قال تعالى: ﴿قد جاءتكم موعظة من ربّكم و شفاء لما في الصدور و هدى و رحمة للمؤمنين﴾.[٢]

و قال تعالى: ﴿و ننزّل من القران ما هو شفاء و رحمة﴾.[٣]

و قال تعالى: ﴿لقد انزلنا إليكم كتاباً فيه ذكركم﴾.[٤]

و قال تعالى: ﴿و نزّلنا عليك الكتاب تبياناً لكلّ شيء﴾.[٥]

و قال تعالى: ﴿قال الّذي عنده علم من الكتاب انا اتيك به قبل ان يرتدّ إليك طرفك﴾.[٦]

فالمستيقن بالقرآن بحقّ اليقين يقتدر على طيّ الأرض من مشرقه إلى مغربه في طرفة عين ببسم الله الرحمن الرحيم و نحوه كما تدلّ على ذلك هذه الآية الشريفة.

و لعلّه من هذا القبيل ما روى المفيد في الاختصاص في المهدى و اصحابه عجل الله تعالى فرجه الشريف عن الامام أبي جعفر عليه السلام: انّه سيركب السحاب و يرقى في الاسباب اسباب السموات السبع و الارضين السبع.[٧]

و المستيقن بالقرآن بعين اليقين يقتدر على شفاء الأمراض الصعب العلاج بل ما لا علاج له و حفظ نفسه من السبُع و العدوّ كما ثبت ذلك لنا بالاختبار و يدلّ عليه غير واحد من الروايات.

و لمن حاز الحدّ الأدنى من الاستيفان بالذكر المنير أي البالغ مرتبة علم اليقين ان يحفظ

١- المائدة / ١٥. ٢- يونس / ٥٧. ٣- الاسراء / ٨٢. ٤- الأنبياء / ١٠.

٥- النحل / ٨٩. ٦- النّمل / ٤٠. ٧- بحار الانوار، ج ٥٢، ص ٣٢١، باب ٢٧، ح ٢٧.

نفسه و ماله و ذويه و من أراده من النّاس من شرّ الجنّ و الانس و البلايا و الفتن و الحرق و الغرق و الهوام و الدواب، و قد مرّ بعض الروايات المتواترة في ذلك كما و قد جرّبناه وجداناً و سمعاً و رؤيةً.

و الحاصل انّ الذكر الحكيم هو مائدةٌ بها يحصل السعادة، كما انّ لمن آمن به أن يتصرّف في الأكوان على حدّ ايمانه و لله درّ من قال:

بلبل به باغ و جغد به ويرانـه تـاخته　　　هر كس بقدر همّت خود خانه ساخته

ب: العمل بالقرآن الكريم.

يظهر من غير واحد من الآيات الشريفة انّ التنزيل العزيز كتاب الهدايتين التشريعيّة و العنائية، فله ارائة الطريق كما له الايصال إلى المطلوب.

قال تعالى: ﴿**انّا هديناه السبيل * إمّا شاكراً و إمّا كفوراً**﴾.(١)

و قال تعالى: ﴿**الٓم * ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتّقين**﴾.(٢)

و أنّه هو الصراط المستقيم الّذي هو اقصر الطرق للوصول إلى المقصود.

قال تعالى: ﴿**و انّ هذا صراطى مستقيماً فاتّبعوه و لا تتّبعوا السبل فتفرّق بكم عن سبيله**﴾.(٣)

و أنّه هو التذكرة، و الذكرى.

قال تعالى: ﴿**و لقد يسّرنا القران للذكر فهل من مدّكر**﴾.(٤)

و أنّه هو البصيرة، أي: به يبصر الحقّ.

قال تعالى: ﴿**قد جائكم بصائر من ربكم فمن ابصر فلنفسه و من عمى فعليها**﴾.(٥)

و أنّه دُستور الحيوة الطيّبة فمن وافقه عمله يحيى بها في الدارين.

١- الإنسان / ٣.　　٢- البقرة / ٢ ـ ١.　　٣- الانعام / ١٥٣.　　٤- القمر / ١٧.

٥- الانعام / ١٠٤.

قال تعالى: ﴿يا ايّها الّذين آمنوا استجيبوا لله و للرّسول إذا دعاكم لما يحييكم﴾.[1]

و أنّه نور يستضيىء به المتمسّك به فيجد بذلك النور سبل السلام في حياته الآجلة و العاجلة فعيشه سلام و قلبه اسلم و ظاهره سلام و باطنه اسلم و بشره سلام و قلبه اسلم و دنياه سلام و أخراه اسلم فجديرٌ به ان يسلّم الله تعالى و يصلّى عليه في الدارين.

قال تعالى: ﴿و إذا جائك الّذين يؤمنون باياتنا فقل سلام عليكم﴾.[2]

و قال تعالى: ﴿هو الّذي يصلّى عليكم و ملائكته﴾.[3]

و قال تعالى: ﴿سلام قولاً من ربّ رحيم﴾.[4]

و قد روى الديلمى في الارشاد في حديث المعراج انّ بعض عباده الصالحين كانوا ينغمرون في ذات جلاله تعالى الله عمّا يقول الظالمون، فنادى الله انّ أهل الجنّة كانوا يتنعّمون بنعم الجنّة و لذّتهم تلك النعم و أمّا انتم فلذّتكم مكالمتكم معى و كان ينظر الله تعالى إليهم مكرراً فبكلّ نظرة يحصل لهم السعة وجوداً.[5]

و تلخيص القول في هذا المضمار انّ التنزيل الحكيم كتاب اخلاق يخرج من اتبعه سبل السلام و يخرجه من الظلمات إلى النور و يهديه إلى صراط مستقيم.

قال تعالى: ﴿قد جائكم من الله نور و كتاب مبين * يهدى به الله من اتّبع رضوانه سبل السلام و يخرجهم من الظلمات إلى النور باذنه و يهديهم إلى صراط مستقيم﴾.[6]

و قد تواترت روايات أهل البيت عليهم السلام في كون القرآن كتاباً جامعاً لموازين العمل، منها:

قول رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: إذا التبست عليكم الفتن كقطع اللّيل المظلم فعليكم بالقرآن فانّه شافع مشفّع و ماحل مصدّق و من جعله امامه قاده إلى الجنّة و من جعله خلفه ساقه

١- الانفال / ٢٤. ٢- الانعام / ٥٤. ٣- الاحزاب / ٤٣. ٤- يس / ٥٨.

٥- بحار الانوار، ج ٧٤، ص ٢١، باب ٢، ح ٦. ٦- المائدة / ١٦، ١٥.

إلى النار.[1]

و قول أميرالمؤمنين عليه السلام قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم يقول: اتانى جبرئيل فقال: يا محمّد ستكون في امّتك فتنة، قلت: فما المخرج منها؟ قال: فقال: كتاب الله فيه بيان قبلكم من خير و خبر ما بعدكم و حكم ما بينكم و هو الفصل ليس بالهزل، من وليه من جبّار قصمه الله و من التمس الهدى في غيره اضلّه الله و هو حبل الله المتين و هو الذكر الحكيم و هو الصراط المستقيم.[2]

و الحاصل من هذه الآيات و الروايات الّتي هي نموذجٌ من الآثار الواردة في الباب انّ الذكر نُزّل ليُعمل به، حتّى انّ الأمر بقرائته ليس إلّا مقدّمةً للعمل به، فللعامل به سعادة الدارين كما أنّ لمن تركه شقاءهما فله ظهرٌ قصيم فيهما و معيشةٌ ضنك في أولاهما.

قال تعالى: ﴿و من اعرض عن ذكرى فانّ له معيشة ضنكاً﴾.[3]

و قال تعالى: ﴿يوم يعضّ الظّالم على يديه يقول يا ليتنى اتّخذت مع الرسول سبيلاً * يا ويلتى ليتنى لم اتّخذ فلاناً خليلاً * لقد اضلّنى عن الذكر بعد اذ جائنى و كان الشيطان للانسان خذولاً * و قال الرسول يا ربّ انّ قومى اتّخذوا هذا القران مهجوراً﴾.[4]

ج: درك معاني التنزيل و معرفتها و تعلّمها و تعليمها.

لا اشكال في انّ الكتاب نزل لان يعرفه النّاس و هو البيان كما هو البلاغ و اليسر.

قال تعالى: ﴿هذا بيان للناس و هدىً و موعظة للمتّقين﴾.[5]

و قال تعالى: ﴿كذلك يبيّن الله لكم اياته لعلّكم تعقلون﴾.[6]

١- الكافي، ج ٢، ص ٥٩٩، باب كتاب فضل القرآن، ذيل ح ٢.

٢- بحار الانوار، ج ٨٩، ص ٢٤، باب ١، ح ٢٥. ٣- طه / ١٢٤. ٤- الفرقان / ٣٠ـ٢٧.

٥- آل عمران / ١٣٨. ٦- البقرة / ٢٤٢.

و قال تعالى: ﴿ كذلك يبيّن الله لكم الايات لعلّكم تتفكّرون ﴾.

و قال تعالى: ﴿ كذلك يبين الله لكم اياته لعلكم تهتدون ﴾.[١]

و قال تعالى: ﴿ هذا بلاغ للناس و لينذروا به و ليعلموا انّما هو اله واحد و ليذّكّر اولوا الالباب ﴾.[٢]

و حيث انه كتاب العلم يحتاج إلى معلّم، فنصب تعالى مَن عنده علم الكتاب كلّه معلّمه و أمرنا بالرجوع إليهم و ليس فيهم من يساوي الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم ، فهو المعلم الأوّل في هذه الساحة:

قال تعالى: ﴿و انزلنا إليك الذكر لتبيّن للناس ما نزّل اليهم ﴾.[٣]

و قال تعالى: ﴿و ما انزلنا عليك الكتاب إلّا لتبيّن لهم الّذي اختلفوا فيه ﴾.[٤]

و ثانياً العترة الطاهرة الموصوفون في الذكر بأنّهم الراسخون في العلم و المصطفون من عباد الله و الشاهدون للنبوة.

قال تعالى: ﴿و ما يعلم تأويله إلّا الله و الراسخون في العلم ﴾.[٥]

و قال تعالى: ﴿و الّذي أوحينا إليك من الكتاب هو الحقّ مصدّقاً لما بين يديه ان الله بعباده لخبير بصير * ثمّ اورثنا الكتاب الّذين اصطفينا من عبادنا ﴾.[٦]

و قال تعالى: ﴿و يقول الّذين كفروا لست مرسلاً قل كفى بالله شهيداً بينى و بينكم و من عنده علم الكتاب ﴾.[٧]

فعلينا الرجوع إليهم اوّلاً في فهم القرآن ثمّ التدبّر في آياته و تعلّمها من اهله و الرجوع إلى التفاسير حتّى نحصّل ملكة استنباط معاني الذكر و الاخذ من ذلك البحر الّذي لا ينفد، بحيث كلّما نراجعه مرّةً بعد أخرى نجد فيه درّاً آخر فهو إلى يوم القيامة حديث لايبلى، و هذا

١- آل عمران / ١٠٣. ٢- ابراهيم / ٥٢. ٣- النحل / ٤٤. ٤- النحل / ٦٤.

٥- آل عمران / ٧. ٦- فاطر / ٣٢، ٣١. ٧- الرعد / ٤٣.

من معجزاته.

عن علي ابن الحسين عليه السلام: آيات القرآن خزائن فكلّما فتحت خزانة ينبغى لك ان تنظر ما فيها.[١]

فالتدبّر في القرآن و تعليمه و تعلّمه و معرفة معانيه و تفسيره و التتبع و الاجتهاد و الغوص فيه و اخراج درره بالميسور الممكن لازم حتمٌ.

قال تعالى: ﴿**و لقد يسّرنا القران للذكر فهل من مدّكر**﴾.[٢]

و قال تعالى: ﴿**افلم يتدبّرون القران ام على قلوب اقفالها**﴾.[٣]

نعم، التدبّر فيه من دون الالتفات إلى المأثور عن أهل البيت عليهم السلام مفسّري الذكر و عِدله ـ كما ذكرهم النبي كذلك ـ ليس إلّا ضلالة تؤدّي إلى الخذلان و السقوط في مهاوي المهالك.

و انت إذا راجعت التفاسير غير الناظرة إلى المأثور عنهم ترى هفوات منهم و تخيّلات تضحك منها الثكلى، كانكارها المعاني المستفادة من آيات الفضائل النازلة بشأن أهل البيت بل تأويلها إيّاها بما لايرضى به أحدٌ كقوله تعالى: ﴿**و الّذي أوحينا إليك من الكتاب هو الحقّ مصدّقاً لما بين يديه انّ الله بعباده لخبير بصير * ثمّ اورثنا الكتاب الّذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه و منهم مقتصد و منهم سابق بالخيرات باذن الله ذلك هو الفضل الكبير**﴾.[٤]

المستفاد منها عرفاً بحيث لاتقبل التأويل كما لاتحتاج إليه إيحاء الله تعالى الذكر المصدّق للانبياء إلى الرسول صلى الله عليه و آله، ثم اعطاء علمه ارثاً أي: بلا مشقّة و تعلّم بالمصطفين من عبادنا، فالناس بعد ذلك على اصناف ثلاثة فمنهم ظالمون و هم الّذين لا يقبلون الحقّ و منهم

١- الكافي، ج ٢، ص ٦٠٩، باب في قراءته، ح ٢. ٢- القمر / ١٧. ٣- محمّد / ٢٤.

٤- فاطر / ٣٢، ٣١.

مقتصدون غير ظالمين و هم الّذين يقبلون الحقّ و منهم افضل من المقتصدين و هم الّذين يسلّمون ذلك الحقّ تسليماً، هذا هو ما يستفيده المفسّر العارف بلسان التنزيل من الآية الكريمة، كما أنّ الرواية المتواترة عند الفريقين أي: رواية الثقلين تعاضد ما فهمه لكن من الغريب ما يتراءى من بعض التفاسير من جريان احتمالات كثيرة فيها حتّى احتمل في لفظة الكتاب في قوله تعالى ﴿ثمّ اورثنا الكتاب﴾ كونه الكتب السماوية و ان كلمة اللام للجنس، و احتمل ان المصطفين هم بنو اسرائيل و هكذا، و يلوح من هذا جهدهم لابداع ما يُنكر به فضائل أهل البيت عليهم السلام ساداة الأنام، بسترها تحت تلك المحتملات الواهية، فأفٍّ لهذا المفسّر الّذي أخذ العناد و اللجاج بزمام عقله، فقاده إلى ما لايقود إليه ذومسكةٍ.

فراجع التفاسير الّتي لم تتنوّر بنبراس أقوالهم عليهم السلام، فخرجت عن الظواهر و ذكرت الأقوال و الردود و النقود لجماعةٍ أخرى أسوء حالاً منهم، فرجوعهم ليس إلّا إلى اللعن و الابتلاء عن رحمته تعالى،

قال تعالى: ﴿ان الّذين يكتمون ما انزلنا من البيّنات و الهدى من بعد ما بيّنّاه للناس في الكتاب اولئك يلعنهم الله و يلعنهم اللاعنون﴾.[١]

د: الاستضائة من نور القرآن و حقيقته

هذه المرتبة من فوائد القرآن تختصّ بمن له قلب حتّى ينشرح بنوره و له بصيرة حتّى تبصر نوره و له اذن واعية حتّى تسمع صوته.

و بعبارة أخرى تختص بمن وصل إلى حقيقة التنزيل بعد التجاوز عن دار المجاز بطيّ الطريق و التخطّي من منزلٍ إلى آخر حتّى يصل إلى الحق و يتبيّن له حقيقته بعد تجاوزه عن الأعراض و الأغراض.

قال تعالى: ﴿في كتاب مكنون * لا يمسّه إلّا المطهّرون﴾.[٢]

١- البقرة / ١٥٩. ٢- الواقعة / ٧٩، ٧٨.

فالقلب المطهّر يمسّ القرآن و نوره و حقيقته.

هذا سرّ ما ورد في بعض الروايات من انّ أهل المحشر يرون القرآن و هو احسن صورة بهاء و جمالاً و نوراً و ارتفاعاً من عبادالله الصالحين و من الشهداء و النبيّين و من الملائكة المقرّبين و يتجاوز القرآن عنهم حتّى ينتهى إلى الله تعالى تحت العرش فيخرّ، فيناديه تبارك و تعالى يا حجّتى و كلامى ارفع رأسك و سل تعط و اشفع تشفّع». [۱]

و القلب المطهّر يحسّ في هذه الدنيا القرآن مع جلاله البالغ، و يرى بل يجد نور القرآن و يستضيىء به و لا يستوحش و لو مات من بين المشرق و المغرب بعد أن آنس به و لا يخاف من عداوة النّاس و لو كان بعض أهل الدنيا لبعضهم ظهيراً.

عن على بن الحسين عليه السلام: لو مات من بين المشرق و المغرب لمّا استوحشت بعد ان يكون القرآن معى. [۲]

و بالجملة انّ القرآن يكون له نوراً و رفيقاً و مؤنساً و سلاحاً و حجاباً بينه و بين الاغيار.

قال تعالى: **﴿و إذا قرأت القران جعلنا بينك و بين الّذين لا يؤمنون بالاخرة حجاباً مستوراً﴾**. [۳]

فكما انّ الدعاء سلاح المؤمن و سنانه و ستره فكذلك القرآن، فلصاحبه ان يستفيد منه لتبعيد الشياطين من الانس و الجنّ و للغلبة عليهما في جهاده الاصغر و الاكبر.

هذا مجمل القول في التمسّك بالقرآن.

و اما التمسّك بالعترة فهو ايضاً طويل الذيل لكنّا نقتصر هنا بمقدار يرتبط بالمقام.

التمسك بالعترة

۱- الكافي، ج ۲، ص ۵۹۷، باب فضل القرآن، ذيل ح ۱.

۲- الكافي، ج ۲، ص ۶۰۲، باب فضل القرآن، ح ۱۳.

۳- الاسراء، ۴۵.

يظهر من القرآن الشريف انّ الشريعة البيضاء من دون التمسّك بالعترة الطاهرة ناقصةً غير مرضيةٍ له تعالى.

قال تعالى: ﴿اليوم اكملت لكم دينكم و اتممت عليكم نعمتي و رضيت لكم الإسلام ديناً﴾.[١]

بل يظهر منه انّ الإسلام من دونهم ليس بشيء.

قال تعالى: ﴿يا ايّها الرسول بلّغ ما انزل إليك من ربّك و ان لم تفعل فما بلّغت رسالته﴾.[٢]

كما يظهر من الروايات المتواترة بين الفريقين انّ التديّن بشريعة لم تنتظم فيها الولاية ضلالٌ و هلاك بل كفر و نفاق و ميتة جاهليّة.

قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: انّي تارك فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلّوا كتاب الله و عترتي أهل بيتي فانّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض.[٣]

و قال صلّى الله عليه وآله وسلّم: مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح من ركبها نجى و من تخلّف عنها غرق.[٤]

و قال أيضاً صلّى الله عليه وآله وسلّم: من مات و لم يعرف امام زمانه مات ميتة جاهلية.[٥]

و معيّة القرآن العترة و معيّة العترة القرآن و دوران كلٍّ منها حيث دار الآخر، ممّا يدلّ عليه الذكر و الحديث من غير أن يسنح فيه ابهام و اجمال، إلّا ما يحدثه حب الشهوات من الرئاسة و الثروة، ثمّ تقليد العوام عن الرؤساء في ذلك،

١- المائدة / ٣.　　٢- المائدة / ٦٧.　　٣- بحار الانوار، ج ٢٣، ص ١٣٤، باب ٧، ح ٧١.

٤- بحار الانوار، ج ٢٣، ص ١١٩، باب ٧، ذيل ح ٤٠.

٥- بحار الانوار، ج ٢٣، ص ٨٩، باب ٤، ذيل ح ٣٥.

قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: الحقّ مع عليّ و عليّ مع الحقّ يدور حيثما دار.[1]

مراتب التمسّك بالعترة

و التمسّك بالعترة و الايمان به كالتمسّك بالقرآن الكريم و الايمان به يكون ذا مراتب ضعفاً و شدّة فقد يكون من باب علم اليقين، و ادّعاء انّ الشيعة لا أقلّ من اتّصافه بهذا الحدّ، ليس بجزاف، كما أنّ اقوالهم و اعمالهم و مشاعرهم و مجالسهم و تعزيتهم عليهم عليهم السلام و زياراتهم دليل واضح على هذا الادّعاء.

و الحمد لله على هذه النّعمة و اغفر اللّهم لآبائنا و امّهاتنا.

و اما الخواصّ من الشيعة فلهم عين اليقين، فلهم مضافاً إلى رسوخ ذلك الايمان في العقول رسوخه في القلوب، فعجنوا به، من غير شبهةٍ في ذلك تعتريهم فيرون نور الولاية كما يرون السراج عندهم، بل اعلى و اجلّ من ذلك، كما يظهر من مشاعرهم بالنسبة إليهم، هنيئاً لارباب النعيم نعيمهم.

و اما اخصّ الخواصّ، فلهم الشهود مضافاً إلى الكشف، فوصلوا بما وصلوا و نالوا بما نالوا، فما يكون لعموم النّاس غيباً و لخواصّهم كشفاً يصير لهم شهوداً فلهم حقّ اليقين، فبارك الله لهم في ذلك و تبارك ربّ العالمين الّذي أعطاهم ايّاه.

اللهم ارزقنا ذلك المقام الّذي لانظير له بين المقامات بالّذين اوصلوا شيعتهم الخاصّة اليه.

فأنّهم عندهم و هم معه في الغيب كانوا أو في الحضور، فالغيب لهم حضور، و الحضور لهم شهود و بذلك اشير في الزيارة الجامعة الكبيرة: بابى انتم و امّى و نفسى و اهلى و مالى ذكركم في الذاكرين و اسمائكم في الاسماء و اجسادكم في الاجساد و ارواحكم في الارواح و انفسكم في النفوس و آثاركم في الآثار و قبوركم في القبور فما احلى اسمائكم و اكرم انفسكم

١- بحار الانوار، ج ١٠، ص ٤٣٢، باب ٢٦، ذيل ح ١٢.

و اعظم شأنكم و اجلّ خطركم.[١]

و التمسّك بالعترة كالتمسّك بعِدْله باعتبار المتعلّق و الفوائد المترتّبة عليه، ذو مراتب ايضاً و ان شئت قلت بذلك الاعتبار ينقسم إلى أقسام.

الف: معرفة الامام

انّ للإمامة في الذكر الحكيم شأناً جليلاً كما أنّ بعض مراتبها اعلى و اجلّ من النّبوّة و انّ لها معانى مختلفة و انّ لها مراتب ضعفاً و شدّةً.

فقد يطلق الامام في القرآن على اولى الامر، و هم الّذين بيدهم زعامة النّاس و الحكم عليهم و معلوم انّ كلّ مجتمع يحتاج إلى الزعامة و الحكم كما أنّ الشريعة تشكّل مجتمعاً من المتديّنين بها، فتحتاج إليه بالضرورة.

و بهذا الدليل الضرورى يدّعى الشيعة وجوب نصب الولي على الله و الرسول، لئلّا يخلّ بالضروري، حيث يحكم العقل بقبحه.

و يدّعى انّ الله تعالى نصب علياً عليه السلام ولياً على النّاس و اعلنه بيد الرسول صلى الله عليه وآله في مثل يوم الغدير حيث قال: من كنت مولاه فهذا علىّ مولاه.[٢] و انزل الله بعد ذلك ﴿اليوم أكملت لكم دينكم و اتممت عليكم نعمتى و رضيت لكم الإسلام ديناً﴾.[٣]

و بذلك الدليل ايضاً يدّعى انّ الله تعالى بلسان رسوله بيّن زعامة أهل البيت عليهم السلام واحداً بعد واحد حتّى انتهى إلى القائم منهم عجل الله تعالى فرجه الشريف و يدّعى ايضاً انّ الله تعالى بلسان رسوله و الائمّة من ولده عليهم السلام، بيّن أنّ الزعامة في عصر الغيبة و عدم صلة النّاس بالمعصوم للفقيه الجامع للشرائط و قد وردت عنهم في ذلك روايات منها قول الحجة عجل الله تعالى فرجه الشريف: و أمّا الحوادث الواقعة فارجعوا إلى رواة حديثنا

١- مفاتيح الجنان، الزيارة الجامعة الشريفة. ٢- بحار الانوار، ج ٣٧، ص ١٠٨، باب ٥٢، ح ١.

٣- المائدة / ٣.

فانّهم حجّتي عليكم و انا حجة الله.[١]

فوجوب الزعامة و الولاية في كلّ زمان ممّا لا بدّ منه و ذلك الوجوب من الضروريات العقليّة و النقليّة.

فادّعت الشيعة انّ الولاية في عصر الحضور تختصّ بالمعصوم و في زمن الغيبة بالفقيه العدل الجامع لشرائط القيام بالولاية، المصطلح عليه في عصرنا هذا بولاية الفقيه. و حيث إنّ تعدّد الفقهاء الجامعي الشرائط الولاية في كلّ عصرٍ يخلّ بانعقادها، فعليهم أن يفوّضوا الأمر إلى أصلحهم و أولاهم للقيام بها، كما أنّ دُستور جمهورية ايران الاسلاميّة عيّن مجلس النوّاب لهذا الأمر، و هذا المجلس يُعيّن من قبل آحاد الناس، ليشاركوا في تعيين الفقيه الوليّ. و قد فصّلنا الكلام في ذلك في دراساتنا في ولاية الفقيه[٢].

و قد يطلق الامامة في الذكر و يُراد بها الزعامة و الولايه في الفتوى أي في الاحكام الشرعية و هو المصطلح عليه عند الشيعة بمرجع التقليد.

قال تعالى: **﴿و إذا جائهم أمر من الامن أو الخوف اذاعوا به و لو ردّوه إلى الرسول و إلى اولى الامر منهم لعلمه الّذين يستنبطونه منهم و لو لا فضل الله عليكم و رحمته لاتّبعتم الشيطان إلّا قليلاً﴾**.[٣]

و هذه الآية الشريفة و ان نُزلت في مختلقات المنافقين ليضعّفوا بها صفوف المجاهدين في الحروب، إلّا أنّه لايخصّصها به، بل أُشرب فيها معنى الرجوع إلى المخصّصين في جميع ما يحدث من المجهولات، بل المشتهيات؛ فلها لسان واضحٌ على وجوب الرجوع إلى الرسول و اوصياءه الخاصّة اوّلاً، ثمّ إلى مستنبطي الحكم ثانياً، أمّا ردّ المجهول إلى غيرهم فليس إلّا

١- الاحتجاج، طبع بيروت، ص ٤٧٠.

٢ ـ و قد حرّرها بعض أجلّة الأفاضل رعاه الله تعالى و بلّغه مناه، فجاء بحمدالله حاوياً لجميع ما حقّقناه. فراجعه بمجلّداته الثلاثة تجد مبتغاك فيه.

٣- النساء / ٨٣.

ضلال و هلاك و هذا حكم عقليّ ضروريّ، فالآية الشريفة لا تكون إلّا ارشاداً إليه، لانّ وجوب رجوع الجاهل إلى العالم و ذي‌الخبرة في كلّ فنّ، ممّا استقلّ به العقل، فلذا اشتهر بين الاصحاب في أمر التقليد في الفروع الفقهيّة انّه ليس في التقليد تقليد، يعنى انّه أمر عقليّ لا تعبّديّ، و التقليد يختصّ بالتعبّديّات و لا يشمل العقليّات.

و قد يطلق الامامة في التنزيل مريداً منها القضاء.

قال تعالى: ﴿فلا و ربّك لا يؤمنون حتّى يحكّموك فيما شجر بينهم ثمّ لا يجدوا في انفسهم حرجاً ممّا قضيت و يسلّموا تسليماً﴾.[١]

و هذا ايضاً ممّا يحكم به العقل ضرورة، لانّ المجتمع لايدوم بلاقضاء و القدر المتيقن للقيام بها هو المجتهد الجامع للشرائط بعد الرسول و الائمّة الاثنى عشر، و هم العلماء الامناء على حلال الله و حرامه كما روى ذلك عنهم عليهم السلام.

و الكتاب يدلّ على ثبوت الحكم و القضاء و التقنين للرسل.

قال تعالى: ﴿لقد ارسلنا رسلنا بالبيّنات و انزلنا معهم الكتاب و الميزان ليقوم النّاس بالقسط و انزلنا الحديد فيه بأس شديد و منافع للناس﴾.[٢]

و هذا أمر عقليّ أيضاً لانّ كلّ رسول بعث لاصلاح النّاس و اصلاحهم يحتاج إلى مجتمعٍ صالحٍ و هو يحتاج إلى الحكم و التقنين و القضاء.

فبهذا البيان ثبتت الأمور الثلاثة بعد رسول الله للائمّة الاثنى عشر و من بعدهم للمتيقّن للقيام بها، و هم العلماء الصالحون الامناء على حلاله و حرامه.

قال سيد شهداء الأوّلين و الآخرين الامام الحسين عليه السلام: مجارى الأمور و الاحكام على ايدى العلماء بالله الامناء على حلاله و حرامه.[٣]

و قد يطلق الامامة في القرآن مريداً منها الامامة التكوينيّة و الوساطة لايصال فيض

١- النساء / ٦٥. ٢- الحديد / ٢٥. ٣- تحف العقول، طبع بيروت، ص ١٧٢، سطر ١٠.

الله تعالى إلى عباده.

قال تعالى: ﴿و جعلناهم ائمّة يهدون بامرنا﴾.[١]

بناءً على كون الامر بمعنى الوجود كما هو في قوله تعالى: ﴿و ما امرنا إلّا واحدة كلمح بالبصر﴾.[٢]

و من هذا القبيل قوله تعالى: ﴿و إذا ابتلى ابراهيم ربّه بكلمات فاتمّهنّ قال انّى جاعلك للناس اماماً قال و من ذرّيّتى قال لا ينال عهدى الظالمين﴾.[٣]

فابراهيم عليه‌السلام كان رسولاً و له الامامة التشريعيّة من الزعامة و تبيين الاحكام و القضاء، فليس بدّ من ان يقال ان هذا المنصب هو الامامة التكوينيّة، و حيث ان الله تعالى خصّه بهذا المنصب فقط لمكان قوله تعالى «انّى جاعلك للناس اماماً» فيكون ابراهيم عليه‌السلام هادياً للناس تكويناً بمعنى ايصالهم إلى الكمالات حتّى ايصال السائر في الصراط المستقيم المستعدّ للّقاءِ إليها.

و بعبارة أخرى جعل الله تعالى له مقام الايصال إلى المطلوب بعد ما كان له مقام ارائة الطريق، بل يمكن الاستظهار من قوله تعالى ﴿و جعلناهم ائمّة يهدون بامرنا﴾ انّ ابراهيم مضافاً إلى خيازته الامامة التكوينية للناس قد حازها لجميع شراشر الوجود، نعم هذا المنصب له مادام هو فيهم لا مطلقاً.[٤]

و الحاصل ان الآية الشريفة تدلّ بوضوح على ثبوت الولاية التكوينيّة لابراهيم عليه‌السلام ـ و هي فوق الولاية التشريعيّة ـ و لكن سعة ولايته ليست مبيّنة لنا، بل يظهر من القرآن تضييقها حدّاً.

و لكن آية الشهادة تدلّ على ثبوتها للرسول و أهل بيته عليهم‌السلام على جميع النّاس من البدو إلى الختم.

١- الأنبياء / ٧٣. ٢- القمر / ٥٠. ٣- البقرة / ١٢٤. ٤- المائدة / ١١٧.

قال تعالى: ﴿و كذلك جعلناكم امّة وسطاً لتكون شهداء على النّاس و يكون الرسول عليكم شهيداً﴾.[١]

بل العقل و النصّ يدلّان على انّهم وسائط فيضه تعالى و انّهم الّذين يهدون عالم الكون بأسره.

ففي الزيارة الجامعة الكبيرة: بكم فتح الله و بكم يختم و بكم ينزّل الغيث و بكم يمسك السماء ان تقع على الأرض إلّا باذنه و بكم ينفّس الهمّ و يكشف الضرّ.[٢]

و في دعاء العديلة: بيمنه رزق الورى و بوجوده ثبتت الأرض و السّماء.[٣]

فكما انّهم وسائطه تعالى في التشريع لأخذ الحكم و عرضه على الناس، فهم أيضاً وسائط التكوين لأخذ الفيض من الله تعالى و ايصاله إلى الخلق.

و هذا الامر من اسرار الشيعة و ليس لغيرهم نصيب منه.

و بهذا و امثاله نسب الغلوّ إلى الشيعة بل أُتّهم بالشرك مع كون هذا السرّ و أمثاله من مسلّمات القرآن و العقل، فجهل غيرهم بمثل هذه الاسرار يوجب اتّهامهم و بالمآل نال الشيعة الكرام ما نال فاسئل الله هداية الأعداء بمنّه الكريم.

ب: محبة العترة

هذه المرتبة عجنت قلوب الشيعة بها حتّى العوام منهم الّذين لايعرفون الامام إلّا تقليداً، أي: بالعلم الاجمالى الناشيء عن التقليد عن الآباء و الأقرباء و حفظ التشيعالآن يدور مدار هذه المشاعر و العواطف الّتي يخاف منها العدو كما أنّ إفدائهم الأنفس و الأموال حفظاً له يكون كذلك.

و تلك العواطف قويّةٌ صلبة جداً، و ان كانت ناشئةً من التقليد، فلا تُزال بشيءٍ و ان

١- البقرة / ١٤٣. ٢- مفاتيح الجنان، زيارة الجامعة الشريفة.

٣- مفاتيح الجنان، دعاء العديلة.

كان أصلب من الحديد، و برهان هذا المدّعى استمرار التشيع من بعد السقيفة إلى الآن ـ و اقوى دليل على وجود الشّيء وقوعه و هذا الحب يفيد المحبّ و يوجب انجائه من النار لو دخل فيها كما و يوجب أن يُشفع له ان كان لائقاً لها، هذا في الآخرة أمّا في الدنيا فيمنعه عن كثيرٍ من المهلكات و يهديه إلى كثيرٍ من المنجيات الخيرات، و بالمال إنّ حبّ العترة الطاهرة فخرٌ آخر، فنعم الفخر هو.

و القرآن الكريم اوّلاً جعل المودّة اجر الرسالة و هذا أمرٌ هامٌّ جداً إذ من المعلوم انّ الرسالة اعلى و اجلّ من الدنيا و ما فيها قدراً، فالمودّة الّتي هي أجرها خير من الدنيا و ما فيها.

قال تعالى: ﴿**قل لا اسئلكم عليه اجراً إلّا المودّة في القربى**﴾.[١]

ثمّ ذكّرنا في آية أخرى انّ تلك المودّة الّتي هي اجر الرسالة يرجع نفعهاإلى الامّة لاالرسول و لعلّ من منافعها ما أشرنا إليه من انّ ابقاء التشيّع طيلة الدهر لا يكون إلّا بهذه المودّة.

قال تعالى: ﴿**ما سئلتكم من اجر فهو لكم**﴾.[٢]

ج: متابعة أهل البيت عليهم السلام

انّ المحبة قد تنشأ من العقل كمحبّة العالم و المتعلّم للعلم فبالضرورة تلازم تحصيله فالمحصّل لمّا احبّ العلم يطلبه و يجدّ في طلبه.

قال تعالى: ﴿**ان كنتم تحبّون الله فاتّبعوني يحببكم الله**﴾.[٣]

و قد تنشأ من القلب كحبّ الامّ لولدها فمعلوم انّه يترتّب عليها الآثار و انفكاك الآثار عنها شاذّ نادر جدّاً.

قال تعالى: ﴿**قالت الاعراب امنّا قل لم تؤمنوا و لكن قولوا اسلمنا و لمّا يدخل**

١- الشورى / ٢٣.　　٢- سبأ / ٤٧.　　٣- آل عمران / ٣١.

الايمان في قلوبكم و ان تطيعوا الله و رسوله لا يلتكم من اعمالكم شيئاً انّ الله غفور رحيم * انّما المؤمنون الّذين امنوا بالله و رسوله ثمّ لم يرتابوا و جاهدوا باموالهم و انفسهم في سبيل الله اولئك هم الصادقون﴾.[١]

و قد تنشأ من المشاعر و العواطف فهى لا يترتّب عليها الاثر العقلى و القلبى في كثيرٍ من الموارد يعنى متابعة المحبوب و هذا سرّ صدور بعض الذنوب و المعاصي عن محبّي أهل البيت بالمشاعر و العواطف. و هذا الحبّ و ان لم يمنع عن اقتراف الذنوب لكنّه نافعٌ جدّاً، حيث اشرنا إلى انّه من العلل المبقية للتشيع طيلة الزمن.

فالمطلوب كلّه هو الجمع بين الاقسام الثلاثة.

د: التسليم لأهل البيت عليهم السلام

هذه مرتبةٌ عظيمةٌ قدراً و منزلةً و من اعظم نعم الله على أخصّ خواصّ عباده، ونادر الوجود كالدّرّ اليتيم و مع الوصف القيام لتحصيلها من اوجب الواجبات على العباد.

قال تعالى: ﴿فلا و ربّك لا يومنون حتّى يحكّموك فيما شجر بينهم ثمّ لا يجدوا في انفسهم حرجاً ممّا قضيت و يسلّموا تسليماً﴾.[٢]

فترى ان الله حلف على نفى الايمان عمّن لا يكون له مقام التسليم و تحصيل هذه المرتبة صعبٌ جدّاً و لكنّ الذكر الحكيم طلبه من المؤمنين و اكدّ عليه تاكيداً بليغاً.

و روى العلامة المجلسى قدس سره في البحار في باب واحد ازيد من ماة رواية في انّ أمر الولاية صعب ممتصعب و كذلك كلام الأولياء عليهم السلام و سيرتهم و لا يقدر على حمل ذلك إلّا نبيّ مرسل أو ملك مقرّب أو مؤمن ممتحن قلبه بالايمان، بل في بعض تلك الروايات انّه لا يتحمّل ذلك ملك مقرّب و لا نبيّ مرسل و لا مؤمن امتحن الله قلبه للايمان.[٣]

١- الحجرات / ١٥، ١٤.   ٢- النساء / ٦٥.

٣- بحار الانوار، ج ٢، ص ١٨٤، باب ٢٦، ح ٦.

و قال السيّد الاستاذ الطباطبائی قدّس سرّه في ذيل هذه الاخبار انّ المراد عدم تحمّلهم و نيلهم ما عندهم عليهم السلام من حقيقة الدين و هو كمال التوحيد الّذي هو الولاية فانّه ذو مراتب و لا ينال المرتبة الكاملة منها من ذكروه، بل يظهر من بعض الاخبار ما هو أعلى من ذلك و أغلى.(۱)

و المراد من تلك المرتبة الكاملة هو ما يختصّ بهم عليهم السلام و قد أُخبر عن هذه المرتبة في الرواية ٣٦ من هذا الباب.

و في بعضها انّ علامة الايمان هي التسليم و غير المسلّم ليس بمؤمن.(۲)

و في بعضها الآخر انّ المسلّمين هم النجباء.(۳)

عن سفيان بن السمط قال: قلت لابی عبدالله عليه السلام: جعلت فداك انّ الرجل ليأتينا من قبلك فيخبرنا عنك بالعظيم من الامر فيضيق بذلك صدورنا حتّى نكذّبه، قال: فقال أبو عبدالله عليه السلام: اليس عنّي يحدّثكم؟ قال: قلت:

بلى، قال: فيقول للّيل انه نهار، و للنهار انّه ليل؟ قال: فقلت له: لا، قال: فقال: ردّه الينا فانّك ان كذّبت فانّما تكذّبنا.(٤)

و عن أبي جعفر عليه السلام قال: يا كامل تدرى ما قول الله قد افلح المؤمنون؟ قلت: جعلت فداك افلحوا و فازوا و أُدخلوا الجنّة، قال: قد افلح المسلّمون ان المسلّمين هم النجباء.(۵)

هـ: التوسّل إلى أهل البيت عليهم السلام

و قد أمر الله تعالى به في كتابه لينال المتوسّلون سعادة الدارين.

۱- بحار الانوار، ج ۲، ص ۱۹۲، باب ۲٦، ح ٣٤.　　۲- بحار الانوار، ج ۲، ص ۲۰۰، باب ۲٦، ح ٦٣.

٣- بحار الانوار، ج ۲، ص ۲۰۰، باب ۲٦، ح ٦٠، ٦١، ٦٨، ٧١.

٤- بحار الانوار، ج ۲، ص ۱۸۷، باب ۲٦، ح ١٤.　　۵- بحار الانوار، ج ۲، ص ۱۹۹، باب ۲٦، ح ٦٠.

قال تعالى: ﴿يا ايّها الّذين امنوا اتّقوا الله و ابتغوا إليه الوسيلة﴾.[١]

و قال تعالى: ﴿و لله الاسماء الحسنى فادعوه بها﴾.[٢]

و في رواية عن النّبيّ عليهم السلام: نحن الوسيلة إلى الله.[٣]

و في رواية عن الامام الصادق عليه السلام: نحن و الله الاسماء الحسنى.[٤]

و في روايات كثيرة انّ الدعاء لا يستجاب إلّا بالتوسّل إلى أهل البيت عليهم السلام و إليك بعضها:

عن الامام أبي عبدالله عليه السلام: لا يزال الدعاء محجوباً حتّى يصلّى على محمّد و آل محمّد.[٥]

و عنه عليه السلام أيضاً قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: لا تجعلونى كقدح الراكب، فان الراكب يملأ قدحه فيشربه إذا شاء، اجعلونى في اوّل الدعاء و في آخره و في وسطه.[٦]

قال العلّامة المجلسى رحمة الله عليه: معناها لا تجعلونى كقدح الراكب الّذي لا يذكره إلّا إذا عطش و اضطرّ إليه فيلتفت إليه و يشرب منه و أمّا في سائر الاوقات غافل عنه.[٧]

و أمّا العقل فقد مرّ الكلام في انّهم وسائط فيض الله تعالى و لا فيض منه تعالى إلّا بهم و إليهم و منهم.

و ورد في آخر الزيارة الجامعة الكبيرة الّتي هي من شعار الشيعة و أسراره: يا وليّ الله انّ بينى و بين الله ذنوباً لا يأتى عليها إلّا رضاكم فبحقّ من ائتمنكم على سرّه و استرعاكم

١- المائدة / ٣٥. ٢- الاعراف / ١٨٠. ٣- بحار الانوار، ج ٢٥، ص ٢٨، باب ١، ذيل ح ٣٨.

٤- الكافي، ج ١، ص ١٤٣، باب النوادر، ح ٤.

٥- الكافي، ج ٢، ص ٤٩١، باب الصلوة على النبى ....، ح ١.

٦- الكافي، ج ٢، ص ٤٩٢، باب الصلوة على النبي....، ح ٥.

٧- الكافي، ج ٢، ذيل ص ٤٩٢، نقلاً عن مرآت العقول.

أمر خلقه و قرن طاعتكم بطاعته لمّا استوهبتم ذنوبي و كنتم شفعائي.

و التوسّل الواجب ذو مراتب ضعفاً و شدّة فترتّب الاثر عليه باعتبار تلك المراتب.

و تلك المراتب تنشأ من قوّة الايمان بهم عليهم السلام و ضعفه.

فمن كان ايمانه ايمان العوام كدعائه قد يؤثّر في سلسلة العلل و قد لا يؤثّر لعدم تمامية الاقتضاء أو لوجود مانعٍ في البين.

و من كان ايمانه ايمان الخواصّ فتوسّله ايضاً نظير دعائه لا يردّ، فيهديه تعالى كيفيّة الدعاء و ما يرجع إليها زماناً و مكاناً و غيرهما فارادته تابعة لمشيّة الله تعالى.

قال تعالى: ﴿و ما تشائون إلّا ان يشاء الله﴾.[١]

و من كان ايمانه ايمان اخصّ الخواصّ فيتّصل بخزانة الولاية اتّصال شعاع الشمس بها فيكون ايمانه شهودياً فيقتدر على التصرّف في التكوين فله حينئذٍ قطرة من بحار قدرة الولاية و علمها و ارادتها فكما انّ آصف بن برخيا حصّل على قطرة من بحر قدرتهم و علمهم فاقتدر على ان يأتي عرش بلقيس من اليمن إلى الشام طرفة عين فكذلك من اتّصل بالولاية له أن يتصرّف في الكون ما شاء.

و في روايات كثيرة انّ ما عند آصف بن برخيا ذرّة و ما عند الولاية درّة، رواها الكليني رحمة الله عليه في الكافي منها رواية سدير عن أبي عبدالله عليه السلام و فيها، فقال: يا سدير الم تقرء القرآن؟ قلت: بلى، قال: فهل وجدت فيما قرأت من كتاب الله عزّوجلّ ﴿قال الّذي عنده علم من الكتاب انا اتيك به قبل ان يرتدّ إليك طرفك﴾ قال: قلت جعلت فداك قد قرأته، قال: فهل عرفت الرجل و هل علمت ما كان عنده من علم الكتاب، قال: قلت: اخبرني به، قال: قدر قطرة من الماء في البحر الاخضر، فما يكون ذلك من علم الكتاب؟ قال: قلت: جعلت فداك ما اقلّ هذا، فقال: يا سدير ما أكثر هذا ان ينسبه الله عزّوجلّ إلى العلم

١- الإنسان / ٣٠.

الّذي أخبرك به، يا سدير فهل وجدت فيما قرأت من كتاب الله عزّ وجلّ ايضاً ﴿قل كفى بالله شهيداً بيني و بينكم و من عنده علم الكتاب﴾ قال: قلت: قد قرأته جعلت فداك، قال: افمن عنده علم الكتاب كلّه افهم ام من عنده علم الكتاب بعضه؟ قلت: لا بل من عنده علم الكتاب كلّه، قال فاومأ بيده إلى صدره و قال: علم الكتاب و الله كلّه عندنا، علم الكتاب و الله كلّه عندنا.(١)

فمن اتّصل بهذه الولاية اتّصالاً شهودياً و يؤمن بها على حدّ حقّ اليقين فينال منها ما لايقلّ عن ذرّةٍ كما كانت لآصف فيقدر على التصرّف في التكوين، ولعلّ اصحاب ولىّ العصر عجل الله تعالى فرجه الشريف الّذين اشتهر انهم قليلون (٣١٣ نفساً) و مع ذلك يسيطر على الدنيا بيوم بتلك الاصحاب يكونوا كآصف فيكون سلطته و سلطتهم كسلطة سليمان عليه السلام و آصف.

فهم يتوسّلون بذيل عنايتها و يسلّطون على الدنيا بيوم.

فهذا النحو من التوسّل و ان كان قليل الوجود ولكن لو جُمع مباحثه بين الدفّتين، ليكون كتاباً كبيراً!.

و في الختام نأتي ببعض روايات الباب مذيّلاً على المبحث، لترى أنّ جميع ما قلنا أو يمكن ان يقال فيها، مأخوذٌ منها و مطويٌّ فيها، و الحمدلله على هذه النعمة الكبرى و سلامه و صلواته عليهم اجمعين.

١- الكافي، ج ١، ص ٢٥٧، باب نادر فيه ذكر الغيب، ح ٣.

روايات في التمسّك بالقرآن

* قال أبو عبدالله عليه السلام: انّ العزيز الجبّار انزل عليكم كتابه و هو الصّادق البارّ، فيه خبركم و خبر من قبلكم و خبر من بعدكم و خبر السّماء و الأرض و لو اتاكم من يخبركم عن ذلك لتعجّبتم.[1]

* عن أبي عبدالله عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: ايها النّاس.... فاذا التبست عليكم الفتن كقطع اللّيل المظلم فعليكم بالقرآن فانّه شافع مشفّع و ماحل مصدّق، و من جعله امامه قاده إلى الجنّة و من جعله خلفه ساقه إلى النّار، و هو الدّليل يدلّ على خير سبيل، و هو كتاب فيه تفصيل و بيان و تحصيل، و هو الفصل ليس بالهزل، و له ظهر و بطن فظاهره حكم و باطنه علم، ظاهره انيق و باطنه عميق، له نجوم و على نجومه نجوم، لا تحصى عجائبه و لا تبلى غرائبه، فيه مصابيح الهدى و منار الحكمة و دليل على المعرفة لمن عرف الصّفة فليجل جال بصره و ليبلغ الصّفة نظره، ينج من عطب، و يتخلّص من نشب، فانّ التّفكّر حياة قلب البصير، كما يمشى المستنير في الظّلمات بالنّور، فعليكم بحسن التّخلّص و قلّة التّربّص.[2]

* قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: انا اوّل وافد على العزيز الجبّار يوم القيامة و كتابه و أهل بيتى ثمّ امّتى، ثمّ اسألهم ما فعلتم بكتاب الله و باهل بيتى.[3]

١- الكافي، ج ٢، ص ٥٩٩، ح ٣.

٢- الكافي، ج ٢، ص ٥٩٨، ح ٢.

٣- الكافي، ج ٢، ص ٦٠٠، ح ٤.

* عن أبي عبدالله عن آبائه عليهم السلام قال: شكا رجل إلى النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وجعاً في صدره فقال صلى الله عليه وآله وسلم: استشف بالقرآن فانّ الله عزّوجلّ يقول: ﴿و شفاء لما في الصّدور﴾.[1]

* قال أبو عبدالله عليه السلام: انّ الدّواوين يوم القيامة ثلاثة: ديوان فيه النّعم و ديوان فيه الحسنات و ديوان فيه السّيّئات، فيقابل بين ديوان النعم و ديوان الحسنات فتستغرق النّعم عامّة الحسنات و يبقى ديوان السّيّئات فيدعى بابن آدم المؤمن للحساب فيتقدّم القرآن أمامه في احسن صورة فيقول: يا ربّ انا القرآن و هذا عبدك المؤمن قد كان يتعب نفسه بتلاوتي و يطيل ليله بترتيلي و تفيض عيناه إذا تهجّد فارضه كما ارضاني، قال: فيقول العزيز الجبّار: عبدي ابسط يمينك فيملأها من رضوان الله العزيز الجبّار و يملأ شماله من رحمة الله ،ثمّ يقال: هذه الجنّة مباحة لك فاقرء و اصعد فاذا قرء آية صعد درجة.[2]

* قال علي بن الحسين عليه السلام: لو مات من بين المشرق و المغرب لّما استوحشت بعد ان يكون القرآن معي.[3]

* قال أبو عبدالله عليه السلام: إذا جمع الله عزّوجلّ الاوّلين و الآخرين إذا هم بشخص قد اقبل لم ير قطّ احسن صورة منه فاذا نظر إليه المؤمنون و هو القرآن قالوا: هذا منّا، هذا احسن شيء رأينا فاذا انتهى إليهم جازهم، ثم ينظر إليه الشّهداء حتّى إذا انتهى إلى آخرهم جازهم فيقولون: هذا القرآن، فيجوزهم كلّهم حتّى إذا انتهى إلى المرسلين فيقولون: هذا القرآن، فيجوزهم حتّى ينتهي إلى الملائكة فيقولون: هذا القرآن، فيجوزهم ثمّ ينتهي حتّى يقف عن يمين العرش فيقول الجبّار: و عزّتي و جلالي و ارتفاع مكاني لأُكرمنّ اليوم من اكرمك و لأُهيننّ من اهانك.[4]

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: انّ أهل القرآن في اعلى درجة من

١- الكافي، ج ٢، ص ٦٠٠، ح ٧.

٢- الكافي، ج ٢، ص ٦٠٢، ح ١٢.

٣- الكافي، ج ٢، ص ٦٠٢، ح ١٣.

٤- الكافي، ج ٢، ص ٦٠٢، ح ١٤.

الآدميين ما خلا النّبيّين و المرسلين فلا تستضعفوا أهل القرآن حقوقهم فانّ لهم من الله العزيز الجبّار لمكاناً عليّاً.[١]

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: الحافظ للقرآن العامل به مع السّفرة الكرام البررة.[٢]

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: تعلّموا القرآن فانّه يأتى يوم القيامة صاحبه في صورة شابّ جميل شاحب اللّون فيقول له القرآن: انا الّذي كنت اسهرت ليلك و اظمأت هواجرك و اجففت ريقك و اسلت دمعتك اؤول معك حيثما اُلت و كلّ تاجر من وراء تجارته و انا اليوم لك من وراء تجارة كلّ تاجر و سيأتيك كرامة من الله عزّوجلّ فابشر، فيؤتى بتاج فيوضع على رأسه و يعطى الامان بيمينه و الخلد في الجنان بيساره و يكسى حلّتين ثمّ يقال له: اقرء وارقه، فكلّما قرء آية صعد درجة و يكسى أبواه حلّتين ان كانا مؤمنين ثمّ يقال لهما: هذا لما علّمتماه القرآن.[٣]

* عن الزّهرى قال: قلت لعلىّ بن الحسين عليه السلام: اىّ الاعمال افضل؟ قال: الحالّ المرتحل، قلت: و ما الحالّ المرتحل؟ قال: فتح القرآن و ختمه، كلّما جاء باوّله ارتحل في آخره و قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: من اعطاه الله القرآن فرأى انّ رجلاً أعطى افضل ممّا اعطى فقد صغّر عظيماً و عظّم صغيراً.[٤]

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: من قرء القرآن و هو شابّ مؤمن اختلط القرآن بلحمه و دمه و جعله الله عزّوجلّ مع السّفرة الكرام البررة و كان القرآن حجيزاً عنه يوم القيامة يقول: يا ربّ انّ كلّ عامل قد اصاب اجر عمله غير عاملى فبلّغ به اكرم عطاياك، قال: فيكسوه الله العزيز الجبّار حلّتين من حلل الجنّة و يوضع على رأسه تاج الكرامة ثمّ يقال له: هل ارضيناك فيه؟ فيقول القرآن: يا ربّ قد كنت ارغب له فيما هو افضل من هذا فيعطى

١- الكافي، ج ٢، ص ٦٠٣، ح ١

٢- الكافي، ج ٢، ص ٦٠٣، ح ٢.

٣- الكافي، ج ٢، ص ٦٠٣، ح ٣.

٤- الكافي، ج ٢، ص ٦٠٥، ح ٧.

الامن بيمينه و الخلد بيساره ثمّ يدخل الجنّة فيقال له: اقرأ و اصعد درجة، ثمّ يقال له: هل بلّغنا به و ارضيناك فيقول: نعم قال: و من قرأه كثيراً و تعاهده بمشقّة من شدّة حفظه اعطاه الله عزّوجلّ اجر هذا مرّتين.[١]

❊ قال أبو عبدالله عليه السلام: من قرأ القرآن فهو غنيّ و لا فقر بعده و إلّا ما به غنىً.[٢]

❊ قال موسى بن جعفر عليهما السلام لرجل: اتحبّ البقاء في الدّنيا؟ فقال: نعم، فقال: و لم؟ قال: لقراءة قل هو الله احد، فسكت عنه فقال له بعد ساعة: يا حفص من مات من اوليائنا و شيعتنا و لم يحسن القرآن علّم في قبره ليرفع الله به من درجته فانّ درجات الجنّة على قدر آيات القرآن يقال له: اقرأ و ارق، فيقرأ ثمّ يرقى، قال حفص: فما رأيت احداً اشدّ خوفاً على نفسه من موسى بن جعفر عليه السلام و لا ارجأ النّاس منه و كانت قراءته حزناً، فاذا قرء فكانّه يخاطب انساناً.[٣]

❊ عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: حملة القرآن عرفاء أهل الجنّة، و المجتهدون قوّاد أهل الجنّة، و الرّسل سادة أهل الجنّة.[٤]

١- الكافي، ج ٢، ص ٦٠٣، ح ٤.
٢- الكافي، ج ٢، ص ٦٠٥، ح ٨.
٣- الكافي، ج ٢، ص ٦٠٦، ح ١٠.
٤- الكافي، ج ٢، ص ٦٠٦، ح ١١.

روايات في التمسّك بالعترة عليهم السلام

* عن العبد الصالح عليه السلام قال: انّ الحجّة لا تقوم لله على خلقه إلّا بامام حتّى يُعرف.[1]

* عن الحسين بن أبي العلاء قال: قلت لابى عبدالله عليه السلام: تكون الأرض ليس فيها امام؟ قال: لا، قلت: يكون امامان؟ قال: لا إلّا و احدهما صامت.[2]

* عن احدهما عليه السلام قال: قال: انّ الله لم يدع الأرض بغير عالم و لولا ذلك لم يعرف الحقّ من الباطل.[3]

* عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال: و الله ما ترك الله ارضاً منذ قبض آدم عليه السلام إلّا و فيها امام يهتدى به إلى الله و هو حجّته على عباده و لا تبقى الأرض بغير امام حجّة لله على عباده.[4]

* عن محمّد بن الفضيل عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: قلت له: اتبقى الأرض بغير امام؟ قال: لا، قلت: فانّا نروى عن أبي عبدالله عليه السلام انّها لا تبقى بغير امام إلّا ان يسخط الله تعالى على أهل الأرض أو على العباد، فقال: لا، لا تبقى اذاً لساخت.[5]

١- الكافي، ج ١، ص ١٧٧، باب انّ الحجّة ....، ح ١.

٢- الكافي، ج ١، ص ١٧٨، باب انّ الأرض لا يخلو من حجّة، ح ١.

٣- الكافي، ج ١، ص ١٧٨، باب انّ الأرض لا يخلو من حجّة، ح ٥.

٤- الكافي، ج ١، ص ١٧٨، باب انّ الأرض لا يخلو من حجّة، ح ٨.

٥- الكافي، ج ١، ص ١٧٩، باب انّ الأرض لا يخلو من حجّة، ح ١١.

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال أبو جعفر عليه السلام: دخل أبو عبدالله الجدليّ على أميرالمؤمنين فقال عليه السلام: يا أبا عبدالله اَ لا اُخبرك بقول الله عزّوجلّ: ﴿من جاء بالحسنة فله خير منها و هم من فزع يومئذ آمنون و من جاء بالسيّئة فكبّت وجوههم في النار هل تجزون إلّا ما كنتم تعملون﴾؟ قال: بلى يا أميرالمؤمنين جعلت فداك، فقال: الحسنة معرفة الولاية و حبّنا أهل البيت و السيّئة انكار الولاية و بغضنا أهل البيت، ثم قرأ عليه هذه الآية.(١)

* قال أبو عبدالله عليه السلام: نحن قوم فرض الله طاعتنا و انتم تأتّمون بمن لا يعذر النّاس بجهالته.(٢)

* قال أبو عبدالله عليه السلام: نحن قوم فرض الله عزّوجلّ طاعتنا، لنا الانفال و لنا صفو المال و نحن الرّاسخون في العلم، و نحن المحسودون الّذين قال الله: ﴿أم يحسدون النّاس على ما آتاهم الله من فضله﴾.(٣)

* عن الحسين بن أبي العلاء قال: ذكرت لابى عبدالله عليه السلام قولنا في الاوصياء انّ طاعتهم مفترضة قال: فقال: نعم، هم الّذين قال الله تعالى: ﴿اطيعوا الله و اطيعوا الرسول و اولى الامر منكم﴾ و هم الّذين قال الله عزّوجلّ: ﴿انّما وليّكم الله و رسوله و الّذين آمنوا﴾.(٤)

* عن أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سألته عن الائمّة هل يجرون في الامر و

١- الكافي، ج ١، ص ١٨٥، باب معرفة الامام ....، ح ١٤.

٢- الكافي، ج ١، ص ١٨٦، باب فرض طاعة الائمة، ح ٣.

٣- الكافي، ج ١، ص ١٨٦، باب فرض طاعة الائمة، ح ٦.

٤- الكافي، ج ١، ص ١٨٧، باب فرض طاعة الائمة، ح ٧.

الطاعة مجرى واحد؟ قال: نعم.[١]

* عن أبي سلمة عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سمعته يقول: نحن الّذين فرض الله طاعتنا، لا يسع النّاس إلّا معرفتنا و لا يعذر النّاس بجهالتنا، من عرفنا كان مؤمناً، و من انكرنا كان كافراً، و من لم يعرفنا و لم ينكرنا كان ضالاً حتّى يرجع إلى الهدى الّذي افترض الله عليه من طاعتنا الواجبة فان يمت على ضلالته يفعل الله به ما يشاء.[٢]

* عن محمّد بن الفضيل قال: سألته عن افضل ما يتقرّب به العباد إلى الله عزّوجلّ قال: افضل ما يتقرّب به العباد إلى الله عزّوجلّ طاعة الله و طاعة رسوله و طاعة أُولى الامر، قال أبو جعفر عليه السلام: حبّنا ايمان و بغضنا كفر.[٣]

* عن اسماعيل بن جابر قال: قلت لابى جعفر عليه السلام: اعرض عليك دينى الّذي أدين الله عزّوجلّ به؟ قال: فقال: هات، قال: فقلت: اشهد ان لا اله إلّا الله وحده لا شريك له و انّ محمّداً عبده و رسوله و الاقرار بما جاء به من عند الله و انّ عليّاً كان اماماً فرض الله طاعته، ثم كان بعده الحسن اماماً فرض الله طاعته، ثمّ كان بعده الحسين اماماً فرض الله طاعته، ثمّ كان بعده عليّ بن الحسين اماماً فرض الله طاعته حتّى انتهى الامر اليه، ثمّ قلت: انت يرحمك الله؟ قال: فقال: هذا دين الله و دين ملائكته.[٤]

* قال أبو عبدالله عليه السلام في قول الله عزّوجلّ: ﴿فكيف إذا جئنا من كلّ امّة بشهيد و جئنا بك على هؤلاء شهيداً﴾ قال: نزلت في امّة محمّد صلّى الله عليه و آله و سلّم خاصّة في كلّ قرن منهم امام

١- الكافي، ج ١، ص ١٨٧، باب فرض طاعة الائمة، ح ٩.

٢- الكافي، ج ١، ص ١٨٧، باب فرض طاعة الائمة، ح ١١.

٣- الكافي، ج ١، ص ١٨٧، باب فرض طاعة الائمة، ح ١٢.

٤- الكافي، ج ١، ص ١٨٨، باب فرض طاعة الائمة، ح ١٣.

منّا شاهد عليهم و محمّد صلّی الله علیه و آله و سلّم شاهد علينا.[1]

* عن بريد العجلى قال: سألت أبا عبدالله علیه السلام عن قول الله عزّوجلّ: ﴿و كذلك جعلناكم امّة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس﴾ قال: نحن الامّة الوسطى و نحن شهداء الله على خلقه و حججه في ارضه، قلت قول الله عزّوجلّ: ﴿ملّة ابيكم ابراهيم﴾ قال: «ايّانا خاصّة ﴿هو سمّاكم المسلمين من قبل﴾ في الكتب الّذي مضت «و في هذا» القرآن ﴿ليكون الرسول عليكم شهيداً﴾ فرسول الله صلّی الله علیه و آله و سلّم الشهيد علينا بما بلّغنا عن الله عزّوجلّ و نحن الشهداء على النّاس فمن صدّق صدّقناه يوم القيامة، و من كذّب كذّبناه يوم القيامة﴾.[2]

* عن الفضيل قال: سألت أبا عبدالله علیه السلام عن قول الله عزّوجلّ: «و لكلّ قوم هاد» فقال: كلّ امام هاد للقرن الّذي هو فيهم.[3]

* عن أبي جعفر علیه السلام في قول الله تبارك و تعالى: ﴿انّما انت منذر و لكلّ قوم هاد﴾ فقال: رسول الله صلّی الله علیه و آله و سلّم المنذر و عليّ الهادى، اما و الله ما ذهبت منّا و ما زالت فيناالساعة.[4]

* قال أبو عبدالله علیه السلام: الاوصياء هم أبواب الله عزّوجلّ الّتي يؤتى منها و لو لا هم ما عرف الله عزّوجلّ و بهم احتجّ الله تبارك و تعالى على خلقه.[5]

* عن عبدالله بن سنان قال: سألت أبا عبدالله علیه السلام عن قول الله جلّ جلاله: ﴿وعد الله

١- الكافي، ج ١، ص ١٩٠، باب انّ الائمة شهداء الله، ح ١.

٢- الكافي، ج ١، ص ١٩٠، باب انّ الائمة شهداء الله، ح ٢.

٣- الكافي، ج ١، ص ١٩١، باب انّ الائمة علیهم السلام هم الهداة، ح ١.

٤- الكافي، ج ١، ص ١٩٢، باب انّ الائمة علیهم السلام هم الهداة، ح ٤.

٥- الكافي، ج ١، ص ١٩٣، باب انّ الائمة علیهم السلام خلفاء الله، ح ٢.

الّذين امنوا منكم و عملوا الصالحات ليستخلفنّهم في الأرض كما استخلف الّذين من قبلهم﴾ قال: هم الائمّة.[۱]

* عن أبي خالد الكابلي قال: سألت أبا جعفر عليه‌السلام عن قول الله عزّوجلّ: ﴿فامنوا بالله و رسوله و النور الّذي أنزلنا﴾ فقال: يا أبا خالد النور و الله نور الائمّة من آل محمّد صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم إلى يوم القيامة، و هم و الله نور الله الّذي أنزل، و هم و الله و نور الله في السماوات و في الارض، و الله يا أبا خالد لنور الامام في قلوب المؤمنين انور من الشمس المضيئة بالنهار، و هم و الله ينوّرون قلوب المؤمنين، و يحجب الله عزّوجلّ نورهم عمّن يشاء فتظلم قلوبهم، و الله يا أبا خالد لا يحبّنا عبد و يتولّانا حتّى يطهّر الله قلبه و لا يطهّر الله قلب عبد حتّى يسلّم لنا و يكون سلماً لنا، فاذا كان سلماً لنا سلّمه الله من شديد الحساب و آمنه من فزع يوم القيامة الاكبر.[۲]

* عن أبي عبدالله عليه‌السلام قال: ما جاء به عليّ عليه‌السلام آخذ به و ما نهى عنه انتهى عنه، جرى له من الفضل مثل ما جرى لمحمّد صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم و لمحمّد صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم الفضل على جميع من خلق الله عزّوجلّ، المتعقّب عليه في شيء من احكامه كالمتعقّب على الله و على رسوله و الرادّ عليه في صغيرة أو كبيرة على حدّ الشرك بالله، كان أميرالمؤمنين عليه‌السلام باب الله الّذي لا يؤتى إلّا منه و سبيله الّذي من سلك بغيره هلك، و كذلك يجرى لائمّة الهدى واحداً بعد واحد، جعلهم الله اركان الأرض ان تميد باهلها و حجّته البالغة على من فوق الأرض و من تحت الثرى، و كان أميرالمؤمنين صلوات الله عليه كثيراً ما يقول: انا قسيم الله بين الجنّة و النار، و انا الفاروق الاكبر و انا صاحب العصا و الميسم و لقد اقرّت لى جميع الملائكة و الرّوح و الرّسل بمثل ما اقرّوا به لمحمّد صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم و لقد حملت على مثل حمولته و هي حمولة الربّ و انّ

۱- الكافي، ج ۱، ص ۱۹۳، باب انّ الائمة عليهم‌السلام خلفاء الله، ح ۳.

۲- الكافي، ج ۱، ص ۱۹۴، باب انّ الائمة عليهم‌السلام نور الله، ح ۱.

رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم يدعى فيكسى، و أُدعى فأُكسى و يستنطق و استنطق فانطق على حدّ منطقه و لقد أُعطيت خصالاً ما سبقنى اليها احد قبلى، علمت المنايا و البلايا و الانساب و فصل الخطاب فلم يفتنى ما سبقنى و لم يعزب عنّى ما غاب عنّى أُبشّر باذن الله و أُؤدّى عنه كلّ ذلك من الله مكّننى فيه بعلمه.(١)

* عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم: من احبّ ان يحيى حياة تشبه حياة الانبياء، و يموت ميتة تشبه ميتة الشهداء و يسكن الجنان الّتي غرسها الرّحمن فليتولّ عليّاً و ليوال و ليقتد بالائمّة من بعده، فانّهم عترتى خلقوا من طينتى، اللّهمّ ارزقهم فهمى و علمى، و ويل للمخالفين لهم من أُمّتى، اللّهمّ لا تنلهم شفاعتى.(٢)

* قال أبو جعفر عليه السلام: و انّ الرّوح و الراحة و الفلج و العون و النجاح و البركة و الكرامة و المغفرة و المعافاة و اليسر و البشرى و الرضوان و القرب و النصر و التمكّن و الرّجاء و المحبّة من الله عزّوجلّ لمن تولّى عليّاً و ائتمّ به و برئ من عدوّه و سلّم لفضله و للاوصياء من بعده، حقّاً علىّ ان ادخلهم في شفاعتى و حقّ على ربّى تبارك و تعالى ان يتسجيب لى فيهم فانّهم اتباعى و من تبعنى فانّه منّى.(٣)

* عن احدهما عليه السلام في قول الله عزّوجلّ: ﴿و ما يعلم تأويله إلاّ الله و الرّاسخون في العلم﴾ فرسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم افضل الراسخين في العلم، قد علّمه الله عزّوجلّ جميع ما انزل عليه من التنزيل و التأويل، و ما كان الله لينزل عليه شيئاً لم يعلّمه تأويله، و اوصياؤه من بعده يعلمونه كلّه، و الّذين لا يعلمون تأويله إذا قال العالم فيهم بعلم فاجابهم الله بقوله: ﴿يقولون آمنّا به كلّ من عند ربّنا﴾ و القرآن خاصّ و عامّ و محكم و متشابه و ناسخ و

١- الكافي، ج ١، ص ١٩٦، باب انّ الائمة عليهم السلام هم اركان الارض، ح ١.

٢- الكافي، ج ١، ص ٢٠٨، باب ما فرض الله ....، ح ٣.

٣- الكافي، ج ١، ص ٢١٠، باب ما فرض الله ....، ح ٧.

منسوخ، فالراسخون في العلم يعلمونه.[١]

* عن سالم قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عزّوجلّ: ﴿ثمّ اورثنا الكتاب الّذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه و منهم مقتصد و منهم سابق بالخيرات باذن الله﴾ قال: السابق بالخيرات الامام، و المقتصد العارف للامام، و الظالم لفنسه الّذي لا يعرف الامام.[٢]

* عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال: لمّا نزلت هذه الآية: ﴿يوم ندعو كلّ أُناس بامامهم﴾ قال المسلمون: يا رسول الله الست امام النّاس كلّهم اجمعين؟ قال: فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: انا رسول الله إلى النّاس أجمعين و لكن سيكون من بعدى ائمّة على النّاس من الله من أهل بيتى، يقومون في النّاس فيكذّبون، و يظلمهم ائمّة الكفر و الضلال و اشياعهم، فمن والاهم و اتّبعهم و صدّقهم فهو منّى و معى و سيلقانى اَ لا و من ظلمهم و كذّبهم فليس منّى و لا معى و انا منه برىء.[٣]

* عن بريد بن معاوية قال: قلت لابى جعفر عليه السلام: ﴿قل كفى بالله شهيداً بينى و بينكم و من عنده علم الكتاب؟﴾ قال: ايّانا عنى، و علىّ اوّلنا و افضلنا و خيرنا بعد النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم.[٤]

* عن أبي جعفر عليه السلام قال: انّ اسم الله الاعظم على ثلاثة و سبعين حرفاً و انّما كان عند آصف منها حرف واحد فتكلّم به فخسف بالارض ما بينه و بين سرير بلقيس حتّى تناول السرير بيده ثم عادت الأرض كما كانت اسرع من طرفة عين و نحن عندنا من الاسم

١- الكافي، ج ١، ص ٢١٣، باب انّ الراسخين ....، ح ٢.

٢- الكافي، ج ١، ص ٢١٤، باب انّ من اصطفاه ....، ح ١.

٣- الكافي، ج ١، ص ٢١٥، باب انّ الائمة في كتاب الله امامان، ح ١.

٤- الكافي، ج ١، ص ٢٢٩، باب انّه لم يجمع القرآن كلّه إلّا الائمة، ح ٦.

الاعظم اثنان و سبعون حرفاً، و حرف واحد عندالله تعالى استأثر به في علم الغيب عنده، و لا حول و لا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم.[۱]

۱- الكافي، ج ۱، ص ۲۳۰، باب ما اعطى الائمة من اسم الله الاعظم، ح ۱.

الرّذيلة السّابعة و الثّلاثون: التمسُّك بالطّاغوت

ليست رذيلة اقبح من هذه الرذيلة و أضرّ بصاحبها؛ و المراد منها هو الإيمان بالطاغوت و الاعتقاد به.

قال الله تعالى: **﴿الله ولى الّذين امنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور و الّذين كفروا اوليائهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون﴾**.[1]

فلو لم تكن في القرآن الكريم آية لمذمّة التمسّك بالطّاغوت إلّا هذه الشريفة لتكفيها قبحاً و مذمّةً.

و الطّاغوت هو كلّ متعدّ مجاوز عن طريق الخير و عن الصراط المستقيم و كلّ معبود غيره تعالى.

قال الراغب في المفردات: و الطاغوت عبارة عن كلّ متعدّ و كلّ معبود من دون الله ... فعبارة عن كلّ متعدّ و لما تقدّم سمّى الساحر و الكاهن و المارد من الجنّ و الانس و الصارف عن طريق الخير طاغوتاً.

١- البقرة / ٢٥٧.

فبناءً عليه كلّ من انصرف عن القرآن و هو الكتاب الحقّ المبين و عن العترة و هم الصراط المستقيم بايّ وجه من الانصراف فوجهه إلى الطاغوت و انصرف عن الله تعالى و وجّه إلى الباطل عن الحقّ المبين، و الانصراف عن الكتاب و العترة ليس إلّا الضلالة.

قال تعالى: ﴿فما ذا بعد الحقّ إلّا الضّلال﴾.[۱]

و قال رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم: انّی قد خلّفت فيكم شيئين لن تضلّوا بعدی ابداً ما اخذتم بهما.[۲]

و قال أيضاً صلّى الله عليه و آله و سلّم: مثل أهل بيتی فيكم كمثل سفينة نوح من ركبها نجی و من تخلّف عنها غرق.[۳]

و قال تعالى: ﴿من اعرض عن ذكری فانّ له معيشة ضنكاً و نحشره يوم القيامة اعمی﴾.[۴]

فتری انّ هذه الآيات و الروايات و نظائرها الكثيرة تدلّ على انّ الانصراف عن الذكر و مفسّريه و الاعراض عنهما يوجب الضلال و خسران الدارين فضلاً عمّا إذا توجّه بعد الانصراف عنهما إلى غيرهما و أخذه اسوة، و بعبارة أخری فضلاً عمّا إذا تمسّك بغيرهما لاستجلاب سعادة الدارين، فهو ليس إلّا شقاءٌ و ضلال و لو لم يرد في الذكر الحكيم لبيان شقاء المتمسّكين بغير الذكر و العترة إلّا قوله تعالى: ﴿يوم يعضّ الظّالم على يديه يقول يا ليتنی اتّخذت مع الرسول سبيلاً * يا ويلتی ليتنی لم اتّخذ فلاناً خليلاً * لقد اضلّنی عن الذكر بعد اذ جائنی و كان الشيطان للانسان خذولاً * و قال الرسول يا ربّ انّ قومی اتّخذوا هذا القرآن مهجوراً﴾.[۵] لكفاك ان تقول انّ التمسّك بغيرهما فوق كلّ ضلال و

۱- يونس / ۳۲.
۲- بحار الانوار، ج ۲۳، ص ۱۳۲، باب ۷، ح ٦٦.
۳- بحار الانوار، ج ۲۳، ص ۱۱۹، باب ۷، ذيل ح ٤٠.
٤- طه / ۱۲٤.
۵- الفرقان / ۳۰ ـ ۲۷.

شقاء، و في القرآن الشريف وردت تشبيهات عديدة سيّما تشبيه المعقول بالمحسوس لاثبات شقاءه و ضلاله، منها قوله تعالى: ﴿الم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيّبة كشجرة طيّبة اصلها ثابت و فرعها في السماء تؤتي اكلها كلّ حين باذن ربّها... و مثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثّت من فوق الأرض ما لها من قرار». [۱]

و هذه الرذيلة لها مراتب باعتبار متعلّقاتها و نحن نذكر هنا بعض مراتبها.

الف: التمسّك بالعقل و توجيه القرآن و كلمات أهل البيت إلى ما فهمه عقله.

و بعبارة أخرى تحميل ما اعتقد على القرآن و كلمات أهل البيت ليكونا مروّجَين لما توهّمه أو تخيّله.

و بعبارة علميّة تاويل القرآن و كلماتهم عليهم السلام على وفق مراده و معقولاته و توهّماته و تخيّلاته.

و هذه المرتبة و ان كانت من ضعاف مراتب تلك الرذيلة إلّا انّها من شدائد مراتب الضلال و الإضلال، حيث يتوغّل في الجهل المركّب الّذي عبّر عنه القرآن بالخسران.

قال تعالى: ﴿هل ننبّئكم بالاخسرين اعمالاً * الّذين ضلّ سعيهم في الحيوة الدنيا و هم يحسبون انّهم يحسنون صنعاً﴾. [۲]

و التنزيل العزيز خصّ هذه المرتبة بمن في قلبه مرض و زيغ.

قال تعالى: ﴿هو الّذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هنّ امّ الكتاب و أُخر متشابهات فامّا الّذين في قلوبهم زيغ فيتّبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة و ابتغاء تأويله و ما يعلم تأويله إلّا الله و الرّاسخون في العلم يقولون امنّا به كلّ من عند ربّنا و ما يذّكر إلّا اولوا الالباب﴾. [۳]

و انت إذا دقّقت النظر في أحوال الملل و النحل وقفت على انّ الباطل لاطريق لنشره

۱- ابراهيم / ۲۶ ـ ۲٤.   ۲- الكهف / ۱۰٤، ۱۰۳.   ۳- آل عمران / ۷.

إلّا من هذا الباب، فكأنّ هذه المرتبة عين لحميم سائر المراتب.

و في الحقيقة أصحاب هذه المرتبة هم الّذين يؤمنون ببعض الكتاب و يكفرون ببعضه و للقرآن لسان واضح على كفرهم و بطلان طريقهم.

قال تعالى: ﴿انّ الّذين يكفرون بالله و رسله و يريدون ان يفرّقوا بين الله و رسله و يقولون نؤمن ببعض و نكفر ببعض و يريدون ان يتّخذوا بين ذلك سبيلاً * اولئك هم الكافرون حقّاً و اعتدنا للكافرين عذاباً مهيناً﴾.[١]

لهم سيرة أهل النفاق و الاستكبار حيث يلبسون أباطيلهم لباس الحقّ تجهيلاً للمستضعفين و قد صرّح بذلك الذكر الحكيم في مواضع عدّة تنبيهاً للغافلين و تفضيحاً للمنافقين فقال: ﴿و إذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا انّما نحن مصلحون * اَ لا انّهم هم المفسدون و لكن لا يشعرون * و إذا قيل لهم امنوا كما امن النّاس قالوا انؤمن كما امن السفهاء اَ لا انّهم هم السفهاء و لكن لا يعلمون.... مثلهم كمثل الّذي استوقد ناراً فلمّا اضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم و تركهم في ظلمات لا يبصرون * صمّ بكم عمى فهم لا يرجعون﴾.[٢]

هذا حال المنافقين، الّذين يقبلون من آي الذكر ما يوافق أهوائهم، و يتأوّلون ما يخالفها و قد أخبر الله تعالى عن سيرتهم و سنّتهم بقوله:

﴿قال الّذين لا يرجون لقائنا ائت بقران غير هذا أو بدّله﴾.[٣]

و حيث إنّه تعالى لم يستجب عنهم فلم يأت بذلك فهم يبدّلونه و يأوّلونه على وفق عقولهم و توهّماتهم، كما و قد بيّن الله تعالى سيرة المستكبرين و مقالهم في آيات كثيرة منها الآيات الّتي بيّن الله فيها سيرة فرعون مع قومه افحاماً للحقّ و خدعاً بهم منها قوله تعالى: ﴿و نادى فرعون في قومه قال يا قوم اليس لى ملك مصر و هذه الانهار تجرى من تحتى

١- النساء / ١٥١، ١٥٠. ٢- البقرة / ١٨ ـ ١١. ٣- يونس / ١٥.

افلا تبصرون * ام انا خير من هذا الّذي هو مهين و لا يكاد يبين * فلو لا القى عليه اسورة من ذهب أو جاء معه الملائكة مقترنين * فاستخفّ قومه فاطاعوه انّهم كانوا قوماً فاسقين﴾.[١]

يجب علينا أن نلفّت نظر القارئ الكريم إلى نكتةٍ هامّة و هي ما جاء في الآي الأخير من هذه الايات من شركة قوم فرعون في وزره و معصيته معه، حيث كانوا يقبلون منه ما يتقوّله و يخيّله إليهم، فبفسقهم مكّنوه من الحكم عليهم بطاعتهم إيّاه و عدم استقلالهم في النّظر قِبَله، ليردّوا عليه قوله أنا ربّكم الأعلى، فلهم قسطٌ وفيرٌ من العذاب كما له قسطٌ آخر منه.

و هذا كما يجرى في سيرة فرعون و قومه، يجرى في سيرة المأوّلين و متابعيهم في جميع الأعصار و الأمصار، فلو لم يقبل النّاس عنهم ما لفّقوه بل عرضوه على العلماء الامناء على حلال الله و حرامه ليبيّنوه لهم، فلا يأخذهم المأوّلون مفاجأةً ليقعوا في شبكتهم لكنّهم بفرارهم عن العلماء أصبحوا مصيداً لهم، فاصطادوهم.

ب: التمسّك بغير القرآن و العترة جهلاً عن القصور أو التقصير، كعامّة النّاس حيث يتمذهبون بما تمذهب به آبائهم، و يقلّدون كبرائهم في آرائهم و انظارهم.

قال تعالى: ﴿انّا وجدنا ابائنا على امّة و انّا على اثارهم مقتدون﴾.[٢]

و قال تعالى: ﴿و قالوا ربّنا انّا اطعنا سادتنا و كبرائنا فاضلّونا السبيلا﴾.[٣]

و قال تعالى: ﴿و لقد ذرأنا لجهنّم كثيراً من الجنّ و الانس لهم قلوب لا يفقهون بها و لهم اعين لا يبصرون بها و لهم اذان لا يسمعون بها اولئك كالانعام بل هم اضلّ اولئك هم الغافلون﴾.[٤]

١- الزخرف / ٥٤ـ ٥١. ٢- الزخرف / ٢٣. ٣- الاحزاب / ٦٧.

٤- الاعراف / ١٧٩.

نعم للمقصّر حكمٌ و هو الدخول في النار ليس للقاصر، إذ القاصر و إن لم يدخل الجنّة لعدم حيازته ما تقتضيه، و لكنّه لقصوره لم يدخل النار أيضاً، فهو لا يدخل النار كما لا يدخل الجنّة، بل لله تعالى لسعة رحمته مراتع شتّى أعدّها لتعيّشهم فيها، و تفصيل الكلام في ذلك موكولٌ إلى علم الكلام.

قال الله تعالى: ﴿**انّ الّذين توفّتهم الملائكة ظالمى انفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنّا مستضعفين في الأرض قالوا الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها فاولئك مأواهم جهنّم و سائت مصيراً * إلّا المستضعفين من الرجال و النساء و الولدان لا يستطيعون حيلة و لا يهتدون سبيلاً**﴾.[1]

فترى انّ هذه الآية الشريفة بجيّد تدلّ على انّ القاصر ليس من أهل النار بل انّها تختصّ بالمقصّر.

و لا فرق بين أهل القصور ان يكون استضعافهم بحسب الفكر كعامّة النّاس أو بالجهل المركب لو لم يقصّر في حصوله، أو بالغفلة عن الحقّ ليفحّص عنه أو لعدم إدراكه الحق، هذا كلّه كما في عامّة الناس، فنقول مقتبساً من آي الكتاب و المرويّ من أهل البيت عليهم السلام و العقل السليم: انّ هذه الطوائف الأربع لايدخلون الجحيم، لقيام الأدلّة على اختصاص النار بالمعاند اللّاجّ المقصّر، لا بالقاصر، فلا نار لهم ألبتّة.

فالجنّة لأهل الحق و النار لأصحاب الباطل و غيرهما يرتعون في سعة رحمته تعالىٰ.

ج: عدم التمسّك بالقرآن و العترة، بل التمسّك بغيرهما عناداً و لجاجاً أو حباً للدنيا، أو لرسوخ رذيلة كالكبر أو رذائل على قلبه بل كثيراً ما يلتفت المرء إلى بطلان ما اختاره، لكنّه يؤكّد عليه لما كمن في نفسه من العُقد و غيرها.

قال تعالى: ﴿**و ما ارسلنا في قرية من نذير إلّا قال مترفوها انّا بما ارسلتم به**

١-النساء / ٩٨، ٩٧.

كافرون﴾.[١]

و قال تعالى: ﴿افرأيت من اتّخذ الهه هواه و اضلّه الله على علم﴾.[٢]

و قال تعالى: ﴿يا حسرة على العباد مايأتيهم من رسول إلّا كانوا به يستهزئون﴾.[٣]

و نظير الآيات في القرآن كثير جدّاً.

بل بناء على ما مضى من انّ العذاب لايشمل القاصر، بل هو مختصٌّ بالمقصّر ليوضح أنّ الآيات المهدّدة كلّها راجعةٌ إلى المقصّرين الّذين أعرضوا عن القرآن و العترة و تمسّكوا بغيرهما من الطواغيت.

التجربة و الاختبار أثبت أنّ المترفين لا سيّما غير المهذّبين منهم يعرضون عن الذكر و أقوال أهل العصمة متمسّكين بغيرهما عالمين عامدين بل لاجّين في ذلك فيأوّلون الحق بما تضحك منه الثكلى و هذا ينشأ عن توغّلهم في المعاصي الّتي توجب قسوة القلب، أضف إلى ذلك العصبيّة القوميّة و الثقافيّة، و قد بارز الله سبحانه و تعالى لهم حيث قال:

﴿انّه فكّر و قدّر * فقتل كيف قدّر * ثمّ قتل كيف قدّر * ثمّ نظر * ثمّ عبس و بسر * ثمّ ادبر و استكبر * فقال ان هذا إلّا سحر يؤثر * ان هذا إلّا قول البشر﴾.[٤]

و قال تعالى: ﴿فما لهم عن التذكرة معرضين * كانّهم حمر مستنفرة * فرّت من قسورة﴾.[٥]

هذا كلّه مشهود لنا و إذا راجعت التاريخ ترى انّ الامر في كثيرٍ من الأمم و الجماعات كان كذلك.

فانظر على سبيل المثال إلى سيرة النّاس بعد ان ارتحل الرسول الاكرم صلّى الله عليه وآله وسلّم إلى الرفيق الأعلى مع وصيّه و خليفته المنصوص به، كيف انكره القوم مع ما شاهدوه من

١- سباء ٣٤. ٢- الجاثية / ٢٣. ٣- يس / ٣٠. ٤- المدثر / ٢٥ ـ ١٨.

٥- المدثر /٥١ ـ ٤٩.

اقواله ﷺ يوم غدير خمٍّ و في غيره من الأيّام، الّتي ملأت الكتب كالعبقات و غاية المرام و الغدير، و بعد أن رأوا نزول الكريمة: ﴿اليوم اكملت لكم دينكم و اتممت عليكم نعمتى و رضيت لكم الإسلام ديناً﴾[1] في وصيّه و وليّ أمره، فهل تحمل سيرتهم على الجهل القصوري؟، أو التقصيري، أو العنادي؟ و هو الضلال على علمٍ.

و قد روى ان رجلاً سأل النبي ﷺ عن نصبه عليّاً خليفةً للمسلمين هل كان بأمرٍ منه تعالى أو بارادته ﷺ، فان كان بارادته فلا يُقبل، و إن كان بأمرٍ منه فادع ان يقتلني بصاعقةٍ، فنزل قوله تعالى: ﴿و اذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحقّ من عندك فامطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب اليم﴾.[2]

و في الاتيان بضمير الجمع مع كون المتكلّم الشاكّ في أمر الوصيّ واحداً، اشارة إلى رسوخ العناد و اللجاج في كثيرٍ من النّاس فمنهم من أظهر بغضاه، و منهم من أخفاه، و منهم من أقدم على قتل النبيّ ﷺ و اغتياله، و منهم من تهاون بأمره ﷺ فلم يف به بعد وفاته،

لعمر أميرالمؤمنين عليه السلام على ما تحمل هذه القضايا؟

فبناءً عليه لو قلنا انّ رفع اليد عن القرآن و العترة و التمسّك بغيرهما حدث لكثيرٍ من النّاس عن عنادٍ منهم و لجاج، فلسنا مجازفين في القول. فجدّ ثمّ جُدّ في تهذيب نفسك لئلّا تورّط في مهاوي هذه الرذيلة المهلكة. و لقد مرّ منّا فى المجلّد الأوّل من هذا الكتاب، انّ من طرق تهذيب النّفس الهامّة هو السير في احوال الماضين و المعاصرين و لقد أمر الله بذلك فيما يزيد على عشر آية منها قوله تعالى: ﴿فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذّبين».[3]

۱- المائدة / ۳. ۲-الانفال / ۳۲. ۳- آل عمران / ۱۳۷.

روايات في التمسّك بالطاغوت

* عن بريد العجلي قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عزّوجلّ: ﴿اطيعوا الله و اطيعوا الرّسول و اولي الامر منكم» فكان جوابه: ﴿الم تر إلى الّذين اوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت و الطّاغوت و يقولون للّذين كفروا هؤلاء اهدى من الّذين امنوا سبيلاً﴾ يقولون لائمّة الضلالة و الدّعاة إلى النار: هؤلاء اهدى من آل محمّد سبيلاً ﴿اولئك الّذين لعنهم الله و من يلعن الله فلن تجد له نصيراً ام لهم نصيب من الملك ـ يعنى الامامة و الخلافة ـ فاذاً لا يؤتون النّاس نقيراً﴾ نحن النّاس الّذين عنى الله، و النقير النقطة الّتي في وسط النواة ﴿ام يحسدون النّاس على ما آتاهم الله من فضله﴾ نحن النّاس المحسودون على ما آتانا الله من الامامة دون خلق الله أجمعين ﴿فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب و الحكمة و آتيناهم ملكاً عظيماً﴾ يقول: جعلنا منهم الرّسل و الأنبياء و الائمّة، فكيف يقرّون به في آل ابراهيم عليه السلام و ينكرونه في آل محمّد صلى الله عليه وآله وسلم ﴿فمنهم من امن به و منهم من صدّ عنه و كفى بجهنّم سعيراً ان الّذين كفروا بآياتنا سوف تصليهم ناراً كلّما نضجت جلودهم بدّلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب انّ الله كان عزيزاً حكيماً﴾.[1]

* قال أميرالمؤمنين عليه السلام: ما بال اقوام غيّروا سنّة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و عدلوا عن وصيّه؟ لا يتخوّفون ان ينزل بهم العذاب، ثمّ تلا هذه الآية: ﴿الم تر إلى الّذين بدّلوا نعمة

١- الكافي، ج ١، ص ٢٠٥، باب انّ الائمة ولاة الامر، ح ١.

الله كفراً و احلّوا قومهم دار البوار جهنّم﴾...[١]

* عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: **﴿و انّ الّذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط لناكبون﴾** قال: عن ولايتنا.[٢]

* قال أبو عبدالله عليه السلام: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: من مات و هو لا يعرف امامه مات ميتة جاهليّة، فعليكم بالطّاعة، قد رأيتم اصحاب عليّ، و انتم تأتّمون بمن لا يعذر النّاس بجهالة، لنا كرائم القرآن، و نحن اقوام افترض الله طاعتنا، و لنا الانفال و لنا صفو المال.[٣]

* عن الحسين بن أبي العلا قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: من مات ليس له امام مات ميتة جاهليّة، فقال: نعم، لو انّ النّاس تبعوا على بن الحسين عليه السلام و تركوا عبد الملك بن مروان اهتدوا، فقلنا: من مات لا يعرف امامه مات ميتة جاهليّة ميتة كفر؟ فقال: لا، ميتة كفر.[٤]

* عن زين العابدين عليه السلام انّه قال في قول الله: **﴿بئسما اشتروا به انفسهم ان يكفروا بما انزل الله بغياً﴾** قال: بالولاية على أميرالمؤمنين و الاوصياء من ولده.[٥]

* عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله: **﴿إذا دعى الله وحده كفرتم و ان يشرك به تؤمنوا فالحكم لله العليّ الكبير﴾** يقول: إذا ذكر الله وحده بولاية من أمر الله بولايته كفرتم، و ان يشرك به من ليست له ولاية تؤمنوا بانّ له ولاية.[٦]

* سالت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله: **﴿و من النّاس من يتّخذ من دون الله انداداً يحبّونهم كحبّ الله﴾** قال: هم اولياء فلان و فلان اتّخذوهم ائمّة دون الامام الّذي جعله الله

١- الكافي، ج ١، ص ٢١٧، باب انّ النعمة ....، ح ١.

٢- بحار الانوار، ج ٢٢، ص ١٦، باب ٢٤، ح ٢١.

٣- بحار الانوار، ج ٢٣، ص ٧٦، باب ٤، ح ١.

٤- بحار الانوار، ج ٢٣، ص ٧٦، باب ٤، ح ٣.

٥- بحار الانوار، ج ٢٣، ص ٣٥٤، باب ٢١، ح ١.

٦- بحار الانوار، ج ٢٣، ص ٣٥٦، باب ٢١، ح ٧.

للنّاس اماماً، و كذلك قال: ﴿و لو يرى الّذين ظلموا اذ يرون العذاب انّ القوّة لله جميعاً و انّ الله شديد العذاب اذ تبرّأ الّذين اتّبعوا من الّذين اتّبعوا و رأوا العذاب و تقطّعت بهم الاسباب و قال الّذين اتّبعوا لو انّ لنا كرّة فنتبرّأ منهم كما تبرّءوا منّا﴾ الآيه، ثمّ قال أبو جعفر عليه السلام: هم و الله يا جابر ائمّة الظلم و اشياعهم.(١)

* على بن جعفر عن اخيه موسى عن آبائه عن أميرالمؤمنين: قال: قال لى رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: يا على ما بين من يحبّك و بين ان يرى ما تقرّ به عيناه إلّا ان يعاين الموت، ثم تلا: ﴿ربّنا أخرجنا نعمل صالحاً غير الّذي كنا نعمل﴾ يعنى انّ اعدائنا إذا دخلوا النار قالوا: ربّنا أخرجنا نعمل صالحاً في ولاية علي عليه السلام غير الّذي كنّا نعمل في عدواته، فيقال لهم في الجواب: ﴿او لم نعمّركم ما يتذكّر فيه من تذكّر و جاءكم النذير﴾ و هو النبى صلى الله عليه و آله و سلم ﴿فذوقوا فما للظالمين﴾ لآل محمّد صلى الله عليه و آله و سلم «من نصير» ينصرهم و لا ينجيهم منه و لا يحجبهم عنه.(٢)

* عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عزّوجلّ: ﴿الّذين امنوا و لم يلبسوا ايمانهم بظلم﴾ قال: بما جاء به محمّد صلى الله عليه و آله و سلم من الولاية و لم يخلطوها بولاية فلان و فلان فهو الملبّس بالظلم.(٣)

* عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عزّوجلّ: ﴿انّ الّذين امنوا ثمّ كفروا ثمّ امنوا ثمّ كفروا ثمّ ازدادوا كفراً ...﴾ قال: نزلت في فلان و فلان و فلان آمنوا بالنبيّ صلى الله عليه و آله و سلم في اوّل الامر، و كفروا حيث عرضت عليهم الولاية حين قال النبي صلى الله عليه و آله و سلم: من كنت مولاه فعليّ مولاه، ثمّ آمنوا بالبيعة لاميرالمؤمنين عليه السلام ثمّ كفروا حيث مضى رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فلم

١- بحار الانوار، ج ٢٣، ص ٣٥٩، باب ٢١، ح ١٦.

٢- بحار الانوار، ج ٢٣، ص ٣٦١، باب ٢١، ح ١٩.

٣- بحار الانوار، ج ٢٣، ص ٣٧١، باب ٢١، ح ٤٩.

يقرّوا بالبيعة، ثمّ ازدادوا كفراً باخذهم من بايعه بالبيعة لهم، فهؤلاء لم يبق فيهم من الايمان شيء.[۱]

* عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله تعالى: ﴿انّ الّذين ارتدّوا على ادبارهم من بعد ما تبيّن لهم الهدى﴾ فلان و فلان و فلان، ارتدّوا عن الايمان في ترك ولاية أميرالمؤمنين عليه السلام قلت: قوله تعالى: ﴿ذلك بانّهم قالوا للّذين كرهوا ما نزّل الله سنطيعكم في بعض الامر﴾ قال: نزلت و الله فيهما و في اتباعهما و هو قول الله عزّوجلّ ﴿الّذي نزّل به جبرئيل عليه السلام على محمّد صلى الله عليه وآله وسلم: ذلك بانّهم قالوا للّذين كرهوا ما نزّل الله﴾ في علي عليه السلام «سنطيعكم في بعض الامر» قال: دعوا بني اميّة إلى ميثاقهم إلّا يصيّروا الامر فينا بعد النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم و لا يعطونا من الخمس شيئاً، و قالوا: ان اعطيناهم ايّاه لم يحتاجوا إلى شيء، و لا يبالوا إلّا يكون الامر فيهم، فقالوا: سنطيعكم في بعض الامر الّذي دعوتمونا اليه، و هو الخمس إلّا نعطيهم منه شيئاً، و قوله: ﴿كرهوا ما نزّل الله﴾ و الّذي نزّل الله ما افترض على خلقه من ولاية أميرالمؤمنين عليه السلام، و كان معهم أبو عبيدة، و كان كاتبهم، فانزل الله: ﴿ام ابرموا امراً فانّا مبرمون﴾ ام يحسبون انّا لا نسمع سرّهم و نجواهم» الآية.[۲]

۱- بحار الانوار، ج ۲۳، ص ۳۷۵، باب ۲۱، ح ۵۷.

۲- بحار الانوار، ج ۲۳، ص ۳۷۵، باب ۲۱، ح ۵۸.

الفصل السّابع و الثّلاثون

الفضيلة التّاسع والثّلاثون: الاِقتصاد

الفضيلة الأربعون: العزلة

الفضيلة التّاسع و الثّلاثون: الاِقتصاد

و هي ملكة يقتدر بها صاحبها على كونه في صراط سويٍّ من حيث المعيشة و العمل و الخُلُق، فمن يتوسّط في جميع الأمور انفاقاً و عملاً فله تلك الفضيلة العظمى الّتي فيها خير الدنيا و الآخرة.

اما التوسّط من حيث المعيشة فأورده الذكر الحكيم في عداد صفات المؤمنين.

قال الله تعالى: ﴿**و الّذين إذا انفقوا لم يسرفوا و لم يقتروا و كان بين ذلك قواماً**﴾.[1]

بل ذكر في الحديث كأنّه الكمال الكامل و حقيقة الإيمان.

قال الامام أبو جعفر عليه السلام: الكمال كلّ الكمال التفقّه في الدين و الصّبر على النائبة و تقدير المعيشة.[2]

و قال أميرالمؤمنين عليه السلام: لا يذوق المرء من حقيقة الايمان حتّى يكون فيه ثلاث خصال، الفقه في الدين و الصّبر على المصائب و حسن التقدير في المعاش.[3]

و اما التوسّط في الاعمال فهو الّذي عبّر عنه في مصطلح الأخلاقيّين و باحثيه بالعدالة

١- الفرقان / ٦٧. ٢- الكافي، ج ١، ص ٣٢، باب صفة العلم و ....، ح ٤.

٣- بحار الانوار، ج ١، ص ٢١٠، باب ٦، ح ٤.

المؤكّد عليها في الشرع، حتّى كأنّها شرطٌ في جميع ما يرجع إلى الأمور الجماعيّة، حتّى الامام في الصلاة. و قد أوصي بها في التنزيل و لو كان الاتّصاف بها ممّا يُلام عليه، أو يوجّه ضرراً إليه أو إلى أقربائه و ذويه،

قال تعالى: ﴿يا ايّها الّذين امنوا كونوا قوّامين لله شهداء بالقسط و لا يجرمنكم شنئان قوم على إلّا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتّقوى و اتّقوا الله انّ الله خبير بما تعملون﴾.[1]

و قال تعالى: ﴿و إذا قلتم فاعدلوا و لو كان ذا قربى﴾.[2]

و قال تعالى: ﴿يا ايّها الّذين امنوا كونوا قوّامين بالقسط شهداء لله و لو على انفسكم أو الوالدين و الأقربين﴾.[3]

و أمّا التوسّط في الخُلُق فهو ممّا اهتمّ به التنزيل حتّى جعله غاية ارسال الرسل و انزال الكتب.

قال تعالى: ﴿لقد ارسلنا رسلنا بالبيّنات و انزلنا معهم الكتاب و الميزان ليقوم النّاس بالقسط و انزلنا الحديد فيه بأس شديد و منافع للناس﴾.[4]

و ممّا ذكرنا ظهر انّ الاقتصاد و التوسّط في الأمور و الصراط المستقيم و العدالة و القسط كلها الفاظ مختلفة تنبيء عن معنى واحد، نعم! إذا اجتمع بعضُها الآخَر فله معنى خاصٌّ به، و لكن يُستعمل كلُّ واحد منها مكان الآخر، و ذلك لتقاربها في المعنى.

نعم سبر موارد استعمالها يدلّ على أنّ الاكثر انّ استعمال الاقتصاد في المعيشة، و العدالة في الاعمال، و القسط في السجايا.

و هذه الفضيلة العظمى مطلوبة حتّى و في العبادات، كما تدلّ عليه جملةٌ من النصوص، منها قول الإمام أبي جعفر عليه السلام انّه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: انّ هذا الدين متين فاوغلوا

١- المائدة / ٨. ٢- الانعام / ١٥٢. ٣- النساء / ١٣٥. ٤- الحديد / ٢٥.

فيه برفق و لا تكرهوا عبادة الله إلى عباد الله، فتكونوا كالراكب المنبّت الّذي لا سفراً قطع و لا ظهراً ابق.[١]

بل يستفاد ذلك من آي الوحي أيضاً،

قال تعالى: ﴿و لا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك و لا تبسطها كلّ البسط فتقعد ملوماً محسوراً﴾.[٢]

بل أمر الله تعالى بانسلاك النّاس في الصراط السويّ، ثم بأن يدعوه تعالى ليستقيموا فيه.

قال تعالى: ﴿و انّ هذا صراطى مستقيماً فاتّبعوه و لا تتّبعوا السّبل فتفرّق بكم عن سبيله﴾.[٣]

و قال تعالى: ﴿اهدنا الصراط المستقيم * صراط الّذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم و لا الضالّين﴾.[٤]

و كلّ ذلك يدلّ على انّ التوسّط في جميع الأمور مطلوب حتّى في العبادات، و هذا هو السرّ في الأمر به و لو في الأمور المُياومة، فكأنّ الادب مرهون هذه الفضيلة.

قال تعالى: ﴿و اقصد في مشيك و اغضض من صوتك انّ انكر الاصوات لصوت الحمير﴾.[٥]

أضف إليه ذكره مرادفاً لمهام الأمور المأمور بها، ثمّ مرادفاً لجملةٍ ممّا يُنهى عنه، و هذا يدلّ على مطلوبيّته للشارع جلّ و علا.

قال تعالى: ﴿يا بنيّ اقم الصلوة و أمر بالمعروف و انه عن المنكر و اصبر على ما اصابك انّ ذلك من عزم الأمور * و لا تصعّر خدّك للنّاس و لا تمش في الأرض مرحاً انّ

١- الكافي، ج ٢، ص ٨٦، باب الاقتصاد في العبادة، ح ١.
٢- الاسراء / ٢٩.
٣- الانعام / ١٥٣.
٤- الفاتحة / ٦، ٧.
٥- لقمان / ١٩.

الله لا يحبّ كلّ مختال فخور﴾.[١]

فترى انّ الله تعالى جعل الاقتصاد في المشى و غضّ الصوت تلواً للصلوة و القيام بها و للأمر بالمعروف و النهى عن المنكر، ثم جعله تلواً للنهى عن التذلّل و التكبّر و الوسوسة و التفاخر فوحدة السياق تدلّ على انّ الاقتصاد حتّى في الآداب الجماعيّة هامٌّ جدّاً، حيث عُدّ في سياق اهمّ الواجبات.

تنبيهٌ هامٌّ

ذكرنا في المجلّد الأوّل من هذا الكتاب انّه قد اشتهر بين الاصحاب انّ الفضائل هو المتوسّط بين الرذائل، فعدّوا الشجاعة وسطاً بين الجبن و التهوّر، و العدالة وسطاً بين الظلم و الانظلام و هكذا، و قلنا هناك انّ ذلك رأيٌ خطأ، لانّ الشجاعة و ان كان يضادّ الجبن و التهوّر، و لكنّها ليست وسطاً لها، لانّه لا معنى لكون ضدّ طرفاً لضدّ آخر، و ما قلنا هناك يأتى هنا ايضاً.

توضيح ذلك انّ ضدّ الاقتصاد في المعيشة هو الإسراف و التقتير كما صرّح بذلك الكتاب الشريف:

﴿و الّذين إذا أنفقوا لم يسرفوا و لم يقتروا و كان بين ذلك قواماً﴾.[٢]

و لكنّهما ليسا طرفي الاقتصاد بحيث يكون الاقتصاد وسطاً بينهما بل هما ضدّان له لا يجتمعان معه اصلاً، فان اردت ازيد من ذلك فراجع المجلّد الأوّل من هذا الكتاب.

فللاقتصاد مراتب شتّى ضعفاً و شدّة، أمّا المرتبة الضعيفة منه فهي المعيشة الزخرفيّة الترفيّة و أمّا المرتبة الوسطى منه فهى المعيشة الكفائية، و أمّا المرتبة القويّة منه فهى المعيشة الضروريّة.

و كلّ من المراتب الثلاثة لها مراتب أخرى ضعفاً و شدّة و كلّها من الفضائل المطلوبة

١- لقمان / ١٨، ١٧. ٢- الفرقان / ٦٧.

عقلاً و شرعاً.

و الرذيلة هي الإسراف و التبذير و هي المعيشة ذات الترفية و لها مراتب ايضاً ضعفاً و شدّة فالمرتبة الضعيفة منها هي الانفاق فيما لايُحتاج إليه و يقال له الإسراف و المرتبة الوسطى هي الانفاق فيما لادليل له عقلاً و عرفاً و يقال له التبذير و المرتبة الشديدة منهاالانفاق في سبيل الطواغيت الجنيّة و الانسية، و منها النّفس الأمّارة و يقال لها الاتراف.

فترى انّ الاقتصاد في المعيشة و الإسراف و التبذير فيها يضادّ كلّ منها الآخر، فلاتجتمع فليس إلّا في جامع مفهومي الإسراف و التبذير طرفين للاقتصاد، و ليس الاقتصاد وسطاً لهما.

و بعبارة أخرى انّ الاقتصاد في المعيشة هو صراط مستقيم ينتهي إلى الله تعالى وقربه و جنّته، و الإسراف و التبذير سبيلان منحرفان عن الصراط السويّ، فينتهيان إلى الطاغوت و القرب منه و السعير.

و قد روى انّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم رسّم يوماً خطّاً مستقيماً و قال: هذا صراط إلى الجنّة، ثمّ رسّم خطوصاً انحرافية تلو ذلك الطراط المستقيم و قال: هذه كلّها سبل إلى النار، ثمّ أمر ان يكون المسلم في الصراط المستقيم و يتّقي عن كلّ ما هو غيره.

و بما ذكرنا يظهر حال الاقتصاد في العمل و هو العدالة و الاقتصاد في السجيّة و بما انّ البحث عن العدالة و السجايا مضى ذكره في هذا الكتاب، و كذلك البحث عن ضدّ الاقتصاد في المعيشة و هو الإسراف و التقتير فنبحث هيهنا عن الاقتصاد في المعيشة فقط.

الاقتصاد في المعيشة يلازم فضائل كثيرة كلّ واحدة منها خير من الدنيا و ما فيها منها القناعة و الكفاف و الاستغناء عن النّاس و الصّبر و الشكر و الرضا و التسليم و قصر الامل و العفّة و الزهد و العدالة و الشجاعة و اتّباع الحقّ و الصّدق و عزّة النّفس و علوّ الهمّة و الغيرة و الحمية و الوقار و نحوها العديد، بحيث يصحّ ان يقال انّه يلازم الفضائل كلّها.

فيباعد الرذائل كلّها الّتي هي تضادّه، فلايجتمع الطمع و الحرص و الحاجة إلى النّاس و الجزع و الفزع و الكفران و طول الامل و الذلّة و حبّ الدنيا بالمعنى العام من المال و الرئاسة و الشهوة و الحسد و الظلم و الانظلام و التهوّر و الجبن و العزلة و متابعة الباطل و الكذب و الغدر و دنائة الهمّة و غيرها.

كما أنّها تمنع من معاصي كثيرة كالسرقة و الرشاء و الارتشاء و نهب حقوق النّاس و الخدعة و الكذب و الدناءة في الاقوال و الافعال كالتملّق و التذلّل و نحوهما، و بما ذكرنا اشار الله تعالى في القرآن الكريم بقوله: ﴿يا بنى ادم خذوا زينتكم عند كلّ مسجد و كلوا و اشربوا و لا تسرفوا انّه لا يحبّ المسرفين * قل من حرّم زينة الله الّتي أخرج لعباده و الطيّبات من الرزق قل هي للذين امنوا في الحيواة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصّل الايات لقوم يعلمون * قل انّما حرّم ربّى الفواحش ما ظهر منها و ما بطن و الاثم و البغى بغير الحقّ و ان تشركوا بالله ما لم ينزّل به سلطاناً و ان تقولوا على الله ما لا تعلمون﴾.(١)

فترى انّ الله تعالى كيف أمر بالاقتصاد في المعيشة و عيّن حدوده على احسن الوجوه ثمّ بيّن أنّه يمنع عن كلّ رذيلة و كلّ معصية (الفواحش ما ظهر منها و ما بطن) ثمّ فصّلها بقوله و الاثم و البغى و الشرك و الكذب على الله و هي امّهات الرذائل و الكبائر.

و لا محالة تدلّ الكريمة بدلالة الاشارة على انّ الاقتصاد في المعيشة تلازم جميع، و من تلك الايات قوله تعالى: ﴿و لا تجعل يدك مغولة إلى عنقك و لا تبسطها كلّ البسط فتقعد ملوماً محسوراً﴾.(٢)

و هذه الآية ايضاً تدلّ على انّ اللؤم كلّه سيّما العُدم و المذلّة مستورٌ تحت الإسراف و التقتير، و لا محالة تدلّ بدلالة الاشارة على انّ الفخر و العزّ كلّه تحت لواء الاقتصاد في المعيشة و بذلك اشار ما نسب إلى أميرالمؤمنين عليه السلام المذكور في الديوان المنسوب إليه:

١- الاعراف / ٣٢، ٣١. ٢- الاسراء / ٢٩.

و قد دقّت و رقّت و استرقّت　　　فضول العيش اعناق الرجـال

و هذا الكلام أُشرب فيه أمرٌ آخر، و هو انّ الاضطراب و الذلّ و المهانة و غيرها كلّها مستورةٌ تحت الإسراف و التبذير و هما من فضول العيش.

فبالملازمة تدلّ على انّ الحياة النشيطة و العزّ و المكانة الجماعيّة لا يمكن إلّا تحت لواء الاقتصاد في المعيشة.

و انت تعلم انّ الإسراف و التبذير في فضول العـيش، يُـعدّا مـن أشراك الشـيطان، ليصطاد بهما المرء غير المقتصد في الأمور. فللذكر الحكيم دلالة واضحة عـلى أنّ سـعادة الدارين و كذلك شقاءهما مخبوءان تحت هذه الفضيلة و تركها.

قال تعالى: **﴿و اصحاب الشمال ما اصحاب الشمال * في سموم و حميم * و ظلّ من يحموم * لا بارد و لا كريم * انّهم كانوا قبل ذلك مترفين * و كانوا يصرّون عـلى الحنث العظيم﴾**.[1]

و قال تعالى: **﴿و إذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها فحقّ عليها القول فدمّرناها تدميراً﴾**.[2]

اركان الاقتصاد في المعيشة

لا اشكال في انّ الاقتصاد المطلوب عقلاً و شرعاً يتوقّف على امور.

الف: التوليد، و لااقلّ من كونه على حدّ الكفاف و الكفاية فعلى الزارع في زراعته و الصانع في صنعه و صنعته و أهل العلم في مدرسته و العامل في معمله أن يفي بما يرتبط إليه و بعبارة أخرى القيام بايفاء المهمّة على وجه احسن لرفع حوائج الفرد و المجتمع ليكون النّاس في سعةٍ من العيش و معلوم انّ ذلك من اوجب الواجبات لئلّا يكون المسلمون عبدةً للكفّار في لوازم معاشهم، كما قد اشار إليه تعالى مؤكّداً عليه.

١- الواقعة / ٤٦ ـ ٤١.　　٢- الاسراء / ١٦.

قال تعالى: ﴿لا يتّخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين و من يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلّا ان تتّقوا منهم تقية و يحذّركم الله نفسه و إلى الله المصير﴾.[1]

فترى أنّه تعالى نهى عن أخذ المؤمنين غير المؤمنين اولياء، ثمّ أوعد الآخرين ان يرفع يد عنايته عنهم و عن مجتمعهم إلّا ان يرجعوا و يتّقوا عن تلك الكبيرة الموبقة.

و ليس المراد من أخذهم اولياء الصّلة و التّرابط و المؤالفة بينهما فقط، بل المصداق الجليّ للاستيلاء هو الصلة الاقتصاديّة و السياسيّة بحيث توجب تغلّبهم على بلاد المسلمين فيكون المسلمون رقاقاً لهم، و معلوم انّ الملّة الّتي تحتاج في انتاج الصنائع و الاشياءالكفّار ليست إلّا عبيداً لهم.

و البطانة المنهى عنها المبيَّن فسادها في الذكر الحكيم لا تكون إلّا تحت لواء الحاجةالاجانب في أنحاء الانتاجات.

قال تعالى: ﴿يا ايّها الّذين امنوا لا تتّخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالاً ودّوا ما عنتّم قد بدت البغضاء من افواههم و ما تخفى صدورهم اكبر﴾.[2]

و يشترط في النشوء و الانتاج أمورٌ هامّة:

١ ـ ان يكون التوليد ممّا يحتاج اليه، فالانتاجات غير الضروريّة كالترفّهيّات اضرّ من تعليق ملّة على ملّة سيّما الكفّار و سيّما إذا احتاج تلك الملّة إلى ضروريّاتها فكلّ ملّة يتوغّل في التجمّلات فعليها الهلاك لانّها من فضول العيش و هي دقّت و رقّت و استرقّت اعناقهم.

هذا إذا كانت هي من انتاجاتهم، فكيف إذا كانت من مستورداتهم، فكيف إذا كانت تصديراتهم من انتاجاتهم الضرورية أو من ذخائرهم ثم كانت مستورداتهم من الترفّهيّات فويل لهم ثمّ ويل لهم.

فتحصّل انّ من كان له ماء و ارض ثمّ افتقر فعليه لعنة الله.

١- آل عمران / ٢٨.   ٢- آل عمران / ١١٨.

و من كان له استعداد فافتقر فعليه لعنة الله.

و من كان شهيداً و اسوة للنّاس ثمّ جعل غيره اسوة لنفسه فعليه لعنة الله.

و من جعل عدوّه بطانة و اراد ان يستفيد منه فهو في عمى و عليه لعنة الله.

و من ترك ما يحتاج إليه في الانتاج و يكون انتاجاته غير الضروريات في العيش فعليه لعنة الله.

و بالجملة انّ الشرط و الحجر الاساس في الانتاج ان يكون ممّا رغّب إليه الإسلام فى كثير من آيات القرآن، و هو العمل الصالح. فانتاج المحرّمات كالخمر و المخدّرات ليس ممّا يُؤمر به من قِبَل العقل و الشرع، هكذا الحكم في الترفّهيّات غير الضروريّة في معايش الناس.

٢ ـ ان يكون المنتَج شهيّاً محبوباً بحيث يمنع المستعملين عن الرغبة إلى ما أنتجه أهل الكفر و الشرك، و هذا هو المشاهَد اليوم في بلادهم و يخالفه أهل الصناعة من ملّة التوحيد، حيث انّ المنتجات في بلادنا تكون على اوهن الوجوه، و لذلك ترى اقبال النّاس إلى ما صنعه صنّاع الافرنج.

٣ ـ ان يكون التوليد المنتج مستيقناً ذا دوام، و هذا مصداق جليّ للعمل الصالح، فالصانع الّذي لايحسن صنعه، فهو المفسد لا المصلح و عمله يضرّ بالمجتمع، فلذا ترى ان الذكر المبين نهى عن بخس الاشياء تارة من لسان هود عليه السلام و تارة من لسان شعيب عليه السلام و ثالثة من غير اسناده إلى أحدٍ مكرّراً ذلك مهدّداً فيه بكلمة الويل الظاهرة في التهديد و العقاب.

قال تعالى: ﴿و لا تبخسوا النّاس اشياءهم و لا تفسدوا في الأرض بعد اصلاحها﴾.[1]

١- الاعراف / ٨٥.

و قال تعالى: ﴿و لا تبخسوا النّاس اشيائهم و لا تعثوا في الأرض مفسدين﴾.[١]

و قال تعالى: ﴿ويل للمطفّفين * الّذين إذا اكتالوا على النّاس يستوفون * و إذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون * اَ لا يظنّ اولئك انّهم مبعوثون * ليوم عظيم﴾.[٢]

و البخس كما فسّره الراغب في المفردات هو نقص الشّيء على سبيل الظلام، فلا يختصّ بالمكيال و الميزان.

و كذلك الطفّ، لأنّها بمعنى القلّة، كما في المفردات ايضاً و المطفّف هو من نقص الشّيء ظلماً، و لا تختصّ بالمكيال و الميزان، و ذكر المكيل و الموزون في تلك الموارد من باب المثال.

و اظهر مصاديق الباخس و المطفّف هو الصانع الّذي ينقص عمله و يكون ظاهره غير باطنه و بعبارة أخرى يكون غير محكّم متقنٍ و هو غشّ، و من غشّ وُصِف في بعض الأحاديث بأنّه سلب عنه الايمان و انخرط في زمرة المنافقين.

و قد روى انّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم حين سوّى لحد سعد بن معاذ و احكمه و اتقنه قال: انّى لاعلم انّه سيبلى و يصل البلى إليه و لكنّ الله يحبّ عبداً إذا عمل عملاً احكمه.[٣]

و روى ايضاً انّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم رأى في قبر ابراهيم ابنه حين دفنه خللاً، فسوّاه بيده مع كونه حزناً من موته و قال: إذا عمل احدكم عملاً فيتقن.[٤]

و اظهر مصاديق الباخس و المطفّف هو الديواني الّذي له رفع حوائج النّاس و لكن يسوّف في علمه فيضيّع أعمارهم لو لم يكن ذنب هذا اعظم من الرشاء فلا اقلّ من مماثلتها في الحكم، فلذا سلب عنه الايمان مهدّداً بكلمة الويل.

قال تعالى: ﴿ارأيت الّذي يكذّب بالدّين * .... فويل للمصلّين * الّذين هم عن صلاتهم ساهون * الّذين هم يراءون * و يمنعون الماعون﴾.[٥]

١- هود / ٨٥.
٢- المطفّفين / ٥ ـ ١.
٣- بحار الانوار، ج ٦، ص ٢٢٠، باب ٨، ذيل ح ١٤.
٤- بحار الانوار، ج ٢٢، ص ١٥٧، باب ١، ح ١٦.
٥- الماعون / ٧ ـ ١.

و قد ورد متواتراً ما يدلّ على ذمّ المانعين، فراجع الكافي تجد صدق ما قلنا و نحن نذكر هنا رواية كنموذج منها.

عن الإمام أبي عبدالله عليه‌السلام قال: أيّما مؤمن منع مؤمناً شيئاً ممّا يحتاج إليه و هو يقدر عليه من عنده أو من عند غيره اقامه الله يوم القيامة مسودّاً وجهه مزرقة عيناه مغلولة يداه إلى عنقه فيقال: هذا الخائن الّذي خان الله و رسوله ثمّ يؤمر به إلى النار.(١)

هذا كلّه من غير النظر إلى العنوان الثانوى المترتّب عليه و مع النظر إليه فذنبه اعظم.

توضيح ذلك، انّ العمل غير المتقن من الصانع، أو الانتاجات الترفّهيّة من الناتجين، أو التوانى للديواني حرام ذاتاً و قد مرّ الكلام فيه و لكنّ الاهمّ من ذلك ما يترتّب عليها من توجّه الضرر إلى المسلمين و العار إلى الشريعة البيضاء فيسلّط عليهم الكفر، و هذا ذنبٌ لا يُرجى أن يغفر الله له.

ب: التوزيع و التقسيم الصحيح

من اركان الاقتصاد هو التقسيم و مرادنا منه هنا، هو توزيع الانتاجات بين النّاس و يقال للموزّع الكاسب و التاجر، و الواسطة بين المولّد و المستعمل، و هو ممّا رغّب إليه الشرع و يظهر من غير واحد من الروايات، انّ أهل البيت عليهم‌السلام كما كان لهم الانتاج كان لهم التوزيع ايضاً، و من الروايات الّتي تدلّ على قيامهم بالانتاج هي رواية على بن حمزة، فانّه قال: رأيت أبا الحسن عليه‌السلام يعمل في ارض له قد استنقعت قدماه في العرق، فقلت: جعلت فداك اين الرجال؟ فقال: يا على قد عمل باليد من هو خير منّى و من أبي في ارضه، فقلت: و من هو؟ فقال: رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم و أميرالمؤمنين عليه‌السلام و آبائى كلّهم كانوا قد عملوا بايديهم و هو من عمل النبيّين و المرسلين و الاوصياء و الصالحين.(٢)

١- الكافي، ج ٢، ص ٣٦٧، باب من منع مؤمناً شيئاً...، ح ١.

٢- وسايل الشيعة، ج ١٢، ص ٢٣، باب ٩ من أبواب مقدمات التجارة، ح ٦.

و من الروايات الّتي تدلّ على كونهم من موزّعي المنتجات رواية محمّد بن عذافر عن ابيه، فانّه قال: اعطى أبو عبدالله عليه السلام أبي الفاً و سبعمأة دينار، فقال له: اتّجر بها لى، ثمّ قال: اما انّه ليس لى رغبة في ربحها و ان كان الربح مرغوباً فيه و لكنّي احببت ان يرانى الله عزّوجلّ متعرّضاً لفوائده.(۱)

و قد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام: انّ الله يحبّ المتحرّف الامين.(۲)

و قد اشترط في التقسيم كالانتاج أشياء:

۱ ـ توزيع ما يحتاج إليه النّاس و الاجتناب عن تقسيم المحرّمات و الترفّهيات. فالمذكور في الشرط الأوّل من شروط التوليد، يجري هيهنا أيضاً.

۲ ـ مراعاة العدل و الانصاف فكلّ تاجر و كاسب و موزّع أخذ بالانصاف أمامه فهو تاجرٌ، و إلّا ففاجر، حيث انّ مهمّته تضرّ بالمجتمع حينئذٍ.

و يظهر من الروايات انّ الربح جايز إذا كان مصحوباً بالعدل، و إلّا فهو حرام بحكم الربا و ان كان بحسب الفقه حلالاً.

بل يظهر منها أيضاً انّ قانون المواساة يقتضى ان لا يربح الموزّع من المؤمن بعد تحصيل قوت يومه إلّا ان يريد البائع التجارة فاذن يجوز أن يُربَح منه.

و انّ قانون المواساة يقتضى ان يحبّ لغيره ما يحبّ لنفسه و يبغض لغيره ما يبغض لنفسه، و ان لا يرضى للمؤمنين ما لا يرضى لنفسه و عياله، و نحن نذكر منها روايتين كنموذجٍ منها.

عن الإمام أبي عبدالله عليه السلام قال: ربح المؤمن على المؤمن رباً إلّا ان يشترى باكثر من

۱ـ وسائل الشيعة، ج ۱۲، ص ۲۶، باب ۱۱ من أبواب مقدمات التجارة، ح ۱.

۲ـ وسائل الشيعة، ج ۱۲، ص ۱۳، باب ٤ من أبواب مقدمات التجارة، ح ١٤.

ماة درهم فاربح عليه قوت يومك أو يشتريه للتجارة فاربحوا عليهم و ارفقوا بهم.[١]

و عن أبي عبدالله عليه السلام انه اعطى الف دينار نفراً للتجارة فهو باع له بربح الدينار ديناراً فجاء إليه بكيسين في كلٍ الف دينار، و نقل له القضية فهو اخذ رأس المال و قال: لا حاجة لنا في هذا الربح، فقال: مجالدة السيوف اهون من طلب الحلال.[٢]

و شتّان بين هذه الروايات و بين ما يقوم به أهل السوق في عصرنا هذا.

فالروايات نهت عن الربح زائداً على قوت يومه و امرت بمراعات الرفق و الانصاف و المواسات.

بينما نرى في هذا العصر ولع بعض السوقيّين على جمع الاموال و نهبها من أي طريق امكن لهم، فبعد ذلك لا تعجب من قول أميرالمؤمنين عليه السلام، فانّه قال: جاء اعرابي النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فسأله عن شرّ بقاع الأرض و خير بقاع الارض، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: شرّ بقاع الأرض الاسواق و هي ميدان ابليس يغدو برايته و يضع كرسيه و يبثّ ذرّيّته...[٣]

٣ـ رفع الوسائط بين الانتاج و التقسيم و توزيع الربح بين أهاليهما بما يقتضيه الحكمة.

و هذا شرط هامٌ جدّاً، لئلّا يسقط الانتاج بخسران المنتج و ربح الموزّع، حيث للسلعة سعرٌ آخر في السوق بينهما بعدٌ بعيدٌ، و ليس الربح هذا إلّا للموزّعين في سلسلتهم الطوليّة.

و بهذا الامر الثالث يحدث الطبقات الاجتماعيه السفلى و العليا في المجتمع، فيفنى الشرع و المجتمع معاً.

ج: الاستهلاك العادل و هذا الشرط هو مرادنا في هذا الفصل و الإسلام اهتمّ به كمال

١- وسائل الشيعة، ج ١٢، ص ٢٩٣، باب ١٠ من أبواب آداب التجارة، ح ١.

٢- وسائل الشيعة، ج ١٢، ص ٣١١، (نقل الرواية تلخيصاً)، باب ٢٦ من أبواب آداب التجارة، ح ١.

٣- وسائل الشيعة، ج ١٢، ص ٣٤٤، باب ٦٠ من أبواب آداب التجارة، ح ١.

الاهتمام.

و هذا الشرط هو المعدّل للشرطين الأوّل و الثانى، و هذا هو الّذي يكون من الايمان و من الكمال بل كلّ الكمال، و هذا هو الّذي يمكّن المرء بما فوق التمكّن و السعة و الرفاه، و هذا هو الّذي يجلب الحيواة الطيّبة، و لا حيواة إلّا بالاقتصاد في الاستهلاك و إلّا فالحيواة مع الإسراف و التبذير لا يكون إلّا برماً و بالمآل عذاباً في الدارين، و قد مرّ انّ الذكر الحكيم يشير إلى ترتّب الكبائر الموبقة عليه، فاسمع إلى هاتين الآيتين لترى ما بينهما من الوعيد الهائل.

قال تعالى: ﴿و اصحاب الشّمال ما اصحاب الشّمال * في سموم و حميم * و ظلّ من يحموم * لا بارد و لا كريم * انّهم كانوا قبل ذلك مترفين * و كانوا يصرّون على الحنث العظيم﴾.[1]

و قال تعالى: ﴿و إذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها فحقّ عليها القول فدمّرناها تدميراً﴾.[2]

و بالجملة لا اشكال في انّ العيش الهنيء تحت لواء الاقتصاد في الاستهلاك و من لايقتصد في الاستهلاك فيعذّب بالإسراف و التبذير طوال حياته، إذ يبتلى بالترفّه و الرّقابة في العيش و التسابق فيهما، فيبتلي بالتّعب و الفاقة، و يتبعهما الانهيار العصبي المترتّب عليه الهموم و الغموم و الاضطراب و إن شئت فقل انّهم مجانين على صورة العقلاء، و فقراء على صورة الاغنياء، فيرى النّاس انّهم في راحة مع انّهم في شدّة الآلام الروحيّة و يرونهم في غنى مع انّهم في غاية الاحتياج النفسي و حتّى في العدم، إذ الإسراف و التبذير يفني ثروتهم و أموالهم، فهم في الحقيقة عادموا اللذّة و الثروة. و قد رسّمهم الله في الذكر أحسن ترسيمٍ حيث قال: ﴿و الّذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمأن ماءً حتّى إذا جائه لم

۱- الواقعة / ۴۵ ـ ۴۱. ۲- الاسراء / ۱۶.

يجده شيئاً و وجد الله عنده فوفّيهُ حسابه و الله سريع الحساب ﴿أو كظلمات في بحر لجّيّ يغشيه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يريها و من لم يجعل الله له نوراً فما له من نور﴾.[1]

فالمسرفون و المبذّرون و المترفون كذلك فالناس يرون ظواهرهم الجليّة و لا يهتدوا إلى انّ هذه الحيوة ظاهرها جيّد متزيّنٌ و لكن في جوفها نزاع و تشاجرٌ و همّ و غمّ، و فيها آلام تحرق صاحبها و ليس لصاحبها إلّا الحساب و الكتاب عند الله و مآله إلى النار، فهى كالبحر اللجّىّ تتراكم عليها الظلمة فلا يرى صاحبها نفسه فضلاً عن تلك الحيواة، فهو كالدود و يلفّ في تلك الظلمات حتّى يموت، و إذا مات فله الحسرة و الندامة و العذاب، فهو كلّما خرج من غمّ دخل في غمّ آخر.

قال تعالى: ﴿كلّما ارادوا ان يخرجوا منها من غمّ اعيدوا فيها﴾.[2]

و السرّ في ذلك انّ عذابه في الآخرة هو تجسّم ما في دنياه، فكما أنّه في دنياه كلّما اراد ان يخرج من غمّ اعيد في غمّ آخر، ففي فآخرته يكون كذلك ايضاً.

و يشترط فيه ايضاً شروط

١ ـ التحفّظ الكامل في الاستهلاك، فمن لا يحتاج إلى المسكن الغالى الواسع و لوازمه فيكتفى بما يحتاج اليه، و من لا يحتاج إلى البسة عالية فيكتفى بالمحتاج اليه، و كذلك في المأكل و المشرب و غيرهما، و بعبارة أخرى انّ العيش الساذج من اهمّ شرائط الاقتصاد.

٢ ـ مراعات قانون المواسات في الاستهلاك و هذا ايضاً من اهمّ الشرائط.

٣ ـ مراعات التساوى الجماعية في الاستهلاك، فأعضاء المجتمع لو كانوا في وضع خاصّ كالحرب و القحط و غيرهما فلابدّ له من أن يساويهم في معيشتهم.

تنبيهٌ اقتصاديٌ أخلاقيٌ و هو بمنزلة التتمّة للكلام، بل بمنزلة المسك للختام.

١- النور / ٤٠، ٣٩.　　٢- الحجّ / ٢٢.

انّ حوائج الإنسان للعيش في الدنيا تنحصر بالمأكل و المشرب و الملبس و المسكن و الزواج.

و الإسلام أراد و قدّر لكلّ انسان هذه الحوائج الخمس بمقدار الضرورة، بل بمقدار السعة و الرفاه فمن يقدر على تحصيل تلك الخمسة يجب عليه تحصيلها و من لا يقدر عليها فعلى الامّة إعانته فيها.

و قانون المواساات الّذي يُعدّ من اوجب الواجبات الاقتصاديّة وُضِع لهذا الامر الهامّ.

و اجود طرق المجتمع لتحصيله هو مراعات الاقتصاد في المصرف، و لا يحتاج إلى فكر بل بأدنى تأمّل يظهر أنّ صرف فضول العيش في حوائج المجتمع الضروريّة يجعله في سعة و رفاه فضلاً عن رفع حوائجه الضروريّة، فلو انّ النّاس اقتصدوا في مأكلهم و مشربهم و اجتنبوا عن الإسراف و التبذير و صرفوا الزوائد في حوائج غيرهم، لن يوجد فقير محتاج إلى شيء، فانظر إلى هذا المثال الّذي يُعلن عن الاذاعات و يُنشر في الصُحف و المجلات: انّ المجتمع يستهلك من الخبز ما يفي بخمسة عشر مليوناً آخر، و لو لم يكن هذا الإسراف فهل يبق أحدٌ جائعاً لايجد سبيلاً إلى الطعام؟ كما أنّ الجيكارة و استعمالها يستهلك من المنابع المالية ما يفي بتأمين ما نقص من الماء المحتاج إليه في المجتمع للشرب.

فلو انّ النّاس اقتصدوا في الملبس و اجتنبوا الترفّه و قاموا بما احتاج إليه غيرهم فهل يوجد من يحتاج إلى البسة ضروريّة بل إلى البسة ترفّهية؟

كما لنا أن نتساءل المخدّرات عن البستهنّ غير الضروريّة لهن؟، لو اقتصدن فيها فهل يبق منهنّ من يحتاج إلى الضروريّة منها؟ و هكذا الكلام في مساكن النّاس و مشاغلهم و....

نعم يترائى في زماننا هذا المدعوّ باستقرار الدولة الاسلامية فيه بين الشعب المسلم التسابق في الابنية الترفّهية و ألبستها بمبرّرات مختلفة، كرئاسة المنظّمة و البلدة و غيرهما من

أجزاء المجتمع السّياسيّة، على كون المجتمع بحاجةٍ ماسّة إلى المدارس الأوليّة فضلاً عن المدارس العالية.

هذا و أنّ الجيل الشابّ في خطر عظيم، لعدم تمكّنه من الزواج، و لو اكتفى النّاس في زواج أبنائهم و بناتهم بالضروريّ من الانفاق، و اجتنبوا عن السّرف و التبذير فيه فهل يبقى شاب عزب لايجد إلى النكاح سبيلاً؟، سيّما لو أنفق النّاس الزائد من الضروريّ في زواج أقربائهم و ذويهم، هذا الأمر المستحسن الّذي حيث عليه الشارع و جعله من المندوب.

و ان ابيت عن ذلك فالتفت إلى الأحدوثات الشائعة في الزواج، من جعل البعل معدماً أو دائناً، ثمّ عليه أن يشترى من المجوهرات و الألبسة الفاخرة ما يميل إليه أسرة الزوجة، ثمّ على أسرتها الوليمة الترفّهيّة في مجلس الزواج، و على جميع المدعوّات لبس الألبسة الجاهرة غير المستعملة و لو لمرّةٍ واحدة ثمّ على والد العروس تجهيزها بما تحتاج إليه طوال حياتها من اوّلها إلى آخرها، ثمّ على البعل القيام بترتيب مجلس العرس من المآكل و المشارب الزائدة على الضروريّ بمرّات عديدة، و على جميع المدعوّين اهداء الصباحيات إلى العروس و العريس و هذا ما يضطرّ الجيل الشاب إلى ان لايفكّر في أمر الزواج، إذ الزواج في عصرنا هذا يحتاج إلى هذه الاستهلاكات البالغة حد السّفاهة، فنعوذ بالله تعالى منها.

هذا كما قد اشتهر ان معدماً كثير العيال جاء إلى غنيّ مترف مسرف و انشأ له بالفارسية:

يك روز روزه‌دار و بكن جان ما خلاص ‌‌ ‌‌ ‌‌ يك روز خرج مطبخ تو قوت سال ماست

و نظير هذا الفقير و ذلك الغنيّ في مجتمعنا كثير و ليت ان الأغنياء كانوا يسمعون انين الفقراء و ليت انهم يسمعون ذلك الشعر الّذي هو لسان حال الفقراء و لسان قولهم و لكن قال تعالى: ﴿فانّك لا تسمع الموتى و لا تسمع الصمّ الدعاء﴾.[1]

١- الروم / ٥٢.

فتحصّل من جميع ما ذكرنا أنّه ان هجم علينا عويصة الفقر الفردى و الجماعي و انتشر العدم بحيث يحتاج بعض النّاس إلى قوت يومه و ليلته و ستر بدنه و مسكنٍ يسكن فيه و زواجٍ يسكن إليه، كلّ ذلك ليس إلّا لعدم تمكين المتمكّنين عن قانون المساوات و العمل به، و الغفلة عن اهتمام الشرع به، و لله درّ من قال:

هر چه هست از قامت ناساز بى اندام ماست

و رنه تشريف تو بر بالاى كس كوتاه نيست

و ورد في روايات كثيرة، أنّه لا فقر مع الاقتصاد في الاستهلاك، منها:

* عن أبي عبدالله عليه السلام: انّ السرف يورث الفقر و ان القصد يورث الغنى.[1]

* و عن موسى بن جعفر عليه السلام: ضمنت لمن اقتصد ان لا يفتقر.[2]

و يظهر من غير واحد من تلك الروايات انّ معنى الاقتصاد هو ان يكون الإنسان في المجتمع مثلهم فلو كانوا في مضيقة فهو يلوّن بلونهم، و لو كانوا في سعة و رفاه فهو يلوّن بلونهم و من تلك الروايات:

* قال معتب قال أبو عبدالله عليه السلام و قد يزيد السعر بالمدينة: كم عندنا من طعام؟ قال: قلت: عندنا ما يكفينا اشهراً كثيرة، قال: أخرجه و بعه، قال: قلت له: و ليس بالمدينة طعام، قال: بعه، فلمّا بعته قال: اشتر مع النّاس يوماً بيوم، و قال: يا معتّب اجعل قوت عيالى نصفاً شعيراً و نصفاً حنطة، فانّ الله يعلم انّى واجد ان اطعمهم الحنطة على وجهها و لكنّى احببت ان يرانى الله قد احسنت تقدير المعيشة.[3]

و بالجملة انّ الإسلام يحبّ ان يكون المرء في المجتمع الاسلامى في سعة و رفاه، و يكون الجميع بحيث لايعدم شيئاً من متطلّبات حياتهم و يحكم عليهم قانون الاقتصاد و المواسات

١- وسائل الشيعة، ج ١٢، ص ٤١، باب ٢٢، ح ١. ٢- وسائل الشيعة، ج ١٢، ص ٤١، باب ٢٢، ح ٢.

٣- وسائل الشيعة، ج ١٢، ص ٣٢١، باب ٣٢، ح ٢.

فلهم المدينة الفاضلة و لهم الحيوة الطيّبة.

قال تعالى: ﴿من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى و هو مؤمن فلنحيينّه حيواة طيّبة و لنجزينّهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون﴾.[1]

و احسن الاعمال الصالحة و اجودها و اوجبها هو مراعات الاقتصاد و المواسات و الإباء عن الاسرافات و التبذيرات و الاترافات، و نحن غفلنا عن اخلاق الإسلام و اخلاقياته و توهّمنا انّ المراد بالعمل الصالح في هذه الآية الشريفة هو العبادات المشهورة كالصلوة و الصوم و الزكوة و الحجّ فقط مع انّ دُستور الاقتصاد في المعيشة و كذلك قانون المواسات يُعدّان من اهمّ الواجبات، هذا آخر ما أردنا إيراده في هذا البحث و نتلوه بذكر الروايات ليكون ختامه مسكاً و نوراً.

١- النحل / ٩٧.

روايات في الاقتصاد

* عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال علي بن الحسين صلوات الله عليهما: لينفق الرّجل بالقصد و بلغة الكفاف و يقدم منه فضلاً لآخرته فانّ ذلك ابقى للنعمة و أقرب إلى المزيد من الله عزّوجلّ و انفع في العافية.[1]

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: انّ القصد أمر يحبّه الله عزّوجلّ و انّ السرف أمر يبغضه الله حتّى طرحك النواة فانّها تصلح للشيء و حتّى صبّك شرابك.[2]

* عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عزّوجلّ ﴿و يسألونك ماذا ينفقون قل العفو﴾ قال: العفو الوسط.[3]

* قال أميرالمؤمنين صلوات الله عليه: القصد مثراة و السّرف متواة.[4]

* عن علي بن الحسين عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ثلاث منجيات فذكر الثالث، القصد في الغنى و الفقر.[5]

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سمعته يقول: ضمنت لمن اقتصد ان لا يفتقر.[6]

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: لو انّ رجلاً انفق ما في يديه في سبيل من سبيل الله ما كان احسن و لا وفّق، اليس يقول الله تعالى: ﴿و لا تلقوا بايديكم إلى التهلكة و احسنوا انّ الله

١- الكافي، ج ٤، ص ٥٢، باب فضل القصد، ح ١.
٢- الكافي، ج ٤، ص ٥٢، باب فضل القصد، ح ٢.
٣- الكافي، ج ٤، ص ٥٢، باب فضل القصد، ح ٣.
٤- الكافي، ج ٤، ص ٥٢، باب فضل القصد، ح ٤.
٥- الكافي، ج ٤، ص ٥٣، باب فضل القصد، ح ٥.
٦- الكافي، ج ٤، ص ٥٣، باب فضل القصد، ح ٦.

يحبّ المحسنين﴾ يعنى المقتصدين.[١]

* قال أبو عبدالله عليه السلام: يا عبيد انّ السرف يورث الفقر و انّ القصد يورث الغنى.[٢]

* قال أبو الحسن عليه السلام: ما عال امرءٌ في اقتصاد.[٣]

* عن اسحاق بن عبد العزيز، عن بعض اصحابه، عن أبي عبدالله عليه السلام انّه قال له: انّا نكون في طريق مكة فنريد الاحرام فنطلى و لا تكون معنا نخالة نتدلّك بها من النورة فنتدلّك بالدّقيق و قد دخلنى من ذلك ما الله اعلم به، فقال: امخافة الاسراف؟ قلت: نعم، فقال: ليس فيما اصلح البدن اسراف انّى ربما امرت بالنقى فيلتّ بالزّيت فاتدلّك به، انما الإسراف فيما افسد المال و اضرّ بالبدن، قلت: فما الاقتار؟ قال: اكل الخبز و الملح و انت تقدر على غيره، قلت: فما القصد؟ قال: الخبز و اللّحم و اللّبن و الخلّ و السّمن مرّة هذا و مرّة هذا.[٤]

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إذا جاد الله تبارك و تعالى عليكم فجودوا و إذا أمسك عنكم فامسكوا و لا تجاودوا الله فهو الأجود.[٥]

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: من اقتصد في معيشته رزقه الله و من بذّر حرمه الله.[٦]

* عن موسى بن بكر قال: سمعت أبا الحسن موسى عليه السلام يقول: الرّفق نصف العيش و ما عال امرءٌ في اقتصاده.[٧]

١- الكافي، ج ٤، ص ٥٣، باب فضل القصد، ح ٧.
٢- الكافي، ج ٤، ص ٥٣، باب فضل القصد، ح ٨.
٣- الكافي، ج ٤، ص ٥٣، باب فضل القصد، ح ٩.
٤- الكافي، ج ٤، ص ٥٣، باب فضل القصد، ح ١٠.
٥- الكافي، ج ٤، ص ٥٤، باب فضل القصد، ح ١١.
٦- الكافي، ج ٤، ص ٥٤، باب فضل القصد، ح ١٢.
٧- الكافي، ج ٤، ص ٥٤، باب فضل القصد، ح ١٣.

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: انّ محمّد بن المنكدر كان يقول: ما كنت ارى انّ على بن الحسين عليه السلام يدع خلفاً افضل منه حتّى رأيت ابنه محمّد بن على عليه السلام فاردت ان اعظه فوعظنى فقال له اصحابه: باىّ شيء وعظك؟ قال: خرجت إلى بعض نواحى المدينة في ساعة حارّة، فلقينى أبو جعفر محمّد بن على وكان رجلاً بادناً ثقيلاً وهو متّكئ على غلامين اسودين أو موليين، فقلت في نفسى: سبحان الله شيخ من اشياخ قريش في هذه الساعة على هذه الحال في طلب الدنيا، اما لاعظنّه، فدنوت منه فسلّمت عليه، فردّ علىّ السلام بنهر، وهو يتصاب عرقاً، فقلت: اصلحك الله شيخ من اشياخ قريش في هذه الساعة على هذه الحال في طلب الدنيا، ارأيت لو جاء اجلك وانت على هذه الحال ما كنت تصنع؟ فقال: لو جاءنى الموت وانا على هذه الحال جاءنى وانا في (طاعة من) طاعة الله عزّوجلّ اكفّ بها نفسى وعيالى عنك وعن النّاس وانّما كنت اخاف ان لو جاءنى الموت وانا على معصية من معاصى الله، فقلت: صدقت يرحمك الله اردت ان اعظك فوعظتنى.[١]

* عن عبد الاعلى مولى آل سام قال: استقبلت أبا عبدالله عليه السلام في بعض طرق المدينة في يوم صايف شديد الحرّ فقلت: جعلت فداك حالك عندالله عزّوجّل وقرابتك من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وانت تجهد لنفسك في مثل هذا اليوم؟ فقال: يا عبد الاعلى خرجت في طلب الرّزق لاستغنى عن مثلك.[٢]

* اسباط بن سالم قال: دخلت على أبي عبدالله عليه السلام فسألنا عن عمر بن مسلم ما فعل؟ فقلت: صالح ولكنّه قد ترك التجارة، فقال أبو عبدالله عليه السلام: عمل الشيطان ـ ثلاثاً ـ اما علم انّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اشترى عيراً اتت من الشام فاستفضل فيها ما قضى دينه وقسّم في قرابته، يقول الله عزّوجلّ ﴿رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله﴾ ـ إلى آخر الآية

١- الكافي، ج ٥، ص ٧٣، باب ما يجب من الاقتداء بالائمة، ح ١.

٢- الكافي، ج ٥، ص ٧٤، باب ما يجب من الاقتداء بالائمة، ح ٣.

ـ» يقول القصّاص:[١] انّ القوم لم يكونوا يتّجرون، كذبوا و لكنّهم لم يكونوا يدعون الصلاة في ميقاتها و هو افضل ممّن حضر الصلاة و لم يتّجر.[٢]

* سأل أبو عبدالله عليه السلام عن رجل و انا عنده، فقيل له: اصابته الحاجة، قال: فما يصنع اليوم؟ قيل: في البيت يعبد ربّه قال: فمن اين قوته؟ قيل: من عند بعض اخوانه، فقال أبو عبدالله عليه السلام: و الله للّذى يقوته اشدّ عبادة منه.[٣]

قال أبو عبدالله عليه السلام: اقرؤا من لقيتم من اصحابكم السلام و قولوا لهم انّ فلان بن فلان يقرئكم السلام و قولوا لهم: عليكم بتقوى الله عزّوجلّ و ما ينال به ما عندالله، انّى و الله ما امركم إلّا بما نأمر به انفسنا، فعليكم بالجدّ و الاجتهاد، و إذا صلّيتم الصبح و انصرفتم فبكّروا في طلب الرزق و اطلبوا الحلال فانّ الله عزّوجلّ سيرزقكم و يعينكم عليه.[٤]

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: اربعة لا تستجاب لهم دعوة، رجل جالس في بيته يقول: اللّهم ارزقنى فيقال له: الم آمرك بالطلب، و رجل كانت له امرأة فدعا عليها فيقال له: الم اجعل امرها اليك، و رجل كان له مال فافسده فيقول: اللّهم ارزقنى فيقال له: الم آمرك بالاقتصاد، الم آمرك بالاصلاح، ثم قال: ﴿و الّذين إذا انفقوا لم يسرفوا و لم يقتروا و كان بين ذلك قواماً﴾، و رجل كان له مال فادانه بغير بيّنة فيقال له: الم آمرك بالشهادة.[٥]

١- القُصّاص، رواة القصص و الاكاذيب، به عبّر عليه السلام عن مفسّرى العامّة و علمائهم لابتناء امورهم على الاكاذيب و لعلّهم اوّلوا الآية بترك التجارة لئلّا تلهيهم عن الصلاة و الذكر و لا يخفى بعده، كافي، ج ٥، ص ٧٥، في ذيل الصفحة نقلاً من مرآت العقول.

٢- الكافي، ج ٥، ص ٧٥، ح ٨.

٣- الكافي، ج ٥، ص ٧٨، ح ٤.

٤- الكافي، ج ٥، ص ٧٨، ح ٨.

٥- الكافي، ج ٢، ص ٥١١، باب من لا تستجاب دعوته، ح ٢.

الفضيلة الأربعون: العزلة

و هي ملكة يقتدر بها الإنسان ان يعيش وحده في خلوةٍ عن الناس، فلو كان فی حبس أو في برّ لا يشغله الوحدة و الخلوة عن نفسه و عن اللّه تعالى و هذه الفضيلة عظيمة محبوبة للاولياء و لا يمكن الوصول إلى الكمال إلّا بتحصيل ملكتها، حتّى انّ رسـول الله ﷺ انعزل عن النّاس و التجأ إلى جبل حراء حتّى يتلّقى الوحى من ربّه الجليل كما انّه تعالى إذا أراد أن يهب له ابنته الصدّيقة المعصومة أمره بالانعزال اربعين يوماً ثمّ غذّاه من اغذيه الجنّة، ثم أمره بالخروج إلى زوجته فانتقل نور الزهراء منه إلى الخديجة الكبرى سلام الله عليها.

و انت تعلم انّه لا اثر علمى و لاكتاب لعالمٍ إلّا و هو رهين عزلة صاحبه. فلولاها لما كانت لنا هذه الآثار الّتي نفتخر بها اليوم، فخلوات المفيد و الطوسی و المحقّق نصير الملّة و الدّين و المحقّقين و العلّامة و الشّهيدين و الشّيخ الأنصاری و صدر المتأ لهين و شيخ الرّئيس و صاحب الجواهر و امثالهم رضوان الله تعالى عليهم وفّقتهم للقيام بنشر العلم و كتابته و بثّه.

و انت إذا تأمّلت أحوالهم ترى انّ عزلتهم أوجبت لهم تلك الافتخارات، و كلّ هؤلاء الاخيار ما عمّروا ازيد من السبعين أو الثمانين بل غالبهم دون الستين، و لكن الاستفادة من

العمر بالعزلة فيه أعطتهم التوفيق لتدوين تلك الآثار، و غالب هؤلاء الاعلام لهم ازيد من مأة مؤلَّفٍ.

و قس عليهم المخترعين و المبدعين فمن نظر في تاريخهم و سيرتهم يرى انّ العزلة اعطتهم تلك الافتخارات.

و بالجملة انّ التفكر و هو بحاجةٍ إلى العذلة يوجب العظمة فلذا عدّ ساعته افضل من عبادة سبعين سنة.

و هذا العظمة و الفخر لا يختصّ بصاحبها فقط، بل بالانسانية و لا يختصّ بالمعنويات، بل الكمالات كلّها فردية و اجتماعية، مادّية و معنوية مرهونة للفكر، و معلوم انّ التّفكّر لا يمكن ان يتحقق بلا ملكة العزلة.

و ضدّ هذه الملكة العظيمة هو الالفة و هي ملكة يقتدر بها صاحبها على مخالطة النّاس و كونه جاذباً و منجذباً، و بعبارة أخرى انّ الالفة ملكة يقتدر صاحبها على كونه آلفاً و مألوفاً.

و روى عن أميرالمؤمنين عليه السلام انّها من صفات المؤمن و لا خير فيمن لا يكون له تلك الفضيلة.

قال عليه السلام: المؤمن مألوف و لا خير فيمن لا يألف و لا يؤلف.(۱)

و هي كالعزلة من الملكات الفاضلة الهامّة، و لو لم تفد إلّا التمكّن من التّعليم و التّعلّم ليكفيك ان تقول: أنّها من أفضل الفضائل فتحصيل العلم و المعاش و المعاد و كسب الفضائل و درك ثواب اعانة النّاس و العمل بقانون المواسات و نحو ذلك يتوقّف على الالفة، بل الدّين لا يكون إلّا الحبّ و البغض و هما يتوقّفان على المؤالفة.

اضف إلى ذلك انّ ابلاغ الشرع لايمكن إلّا بالمؤالفة، و المبلّغون لرسالات الله من

۱- الكافي، ج ۲، ص ۱۰۲، باب حسن الخلق، ح ۱۷.

الأنبياء و الاوصياء و العلماء لايتمكّنوا من الإبلاغ إلّا بالمخالطة و المؤالفة.

اَلا ترى انّ ابراهيم عليه السلام إذا اسكن اسماعيل و امّه عليها السلام بواد غير ذى زرع لتبليغ الدّين و عمران بيت الله و اقامة الصّلوة، دعاه تعالى فاستدعى منه مؤالفة النّاس لهما و ميلهم إليهما.

قال تعالى: ﴿**ربّنا انّى اسكنت من ذرّيتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرّم ربّنا ليقيموا الصّلوة فاجعل افئدة من النّاس تهوى إليهم و ارزقهم من الثمرات لعلّهم يشكرون**﴾.(١)

اَلا ترى انّ الله تعالى جعل أجر المتّقين في الدّنيا مودّة النّاس لهم و هوى قلوبهم اليهم.

قال تعالى: ﴿**انّ الّذين امنوا و عملوا الصالحات سيجعل لهم الرّحمٰن ودّاً**﴾.(٢)

اَلا ترى انّه تعالى جعل المودّة أجر الرّسالة ثمّ اخبر انّ تلك المودّة توجب السّعادة لهم فيرجع الاجر اليهم.

قال تعالى: ﴿**قل لا اسئلكم عليه اجراً إلّا المودّة في القربى**﴾.(٣)

و قال تعالى: ﴿**قل ما سألتكم من اجر فهو لكم**﴾.(٤)

و بالجملة انّ الالفة و المؤالفة فضيلة هامّة و مطلوبة عندالله تعالى و تترتّب عليها فوائد كثيرة و لا يمكن تحصيل سعادة الدّارين إلّا بها، فهى كالعزلة ذات مزايا لابدّ لكلّ مؤمن ان يحصّلها.

و ان شئت قلت: انّ الالفة و العزلة جناحان و من شاء ان يعرج إلى سماء السّعادة لا محيص له من ان يطلبهما، فجناح العزلة فقط غير مفيد كالطّائر الّذي يكون له جناح واحد، و جناح الالفة فقط ناقص ايضاً كالطّائر ذى جناح واحد، فمن يطلب الطّيران إلى السّعادات الدّنيوية و الاخرويّة ليطلب الجناحين من العزلة و الالفة، فبعد ذلك يحصل له البراق و يعرج إلى ما اراد.

١- ابراهيم / ٣٧. ٢- مريم / ٩٦. ٣- الشورى / ٢٣. ٤- سبأ / ٤٧.

و ممّا يمتاز هذه الفضيلة ـ أي فضيلة العزلة ـ عن سائر الفضائل انّ ضدّها ايضاً فضيلة، فالعزلة فضيلة عظيمة تترتّب عليها آثار عظيمة، و الالفة ايضاً فضيلة مهمّة تترتّب عليها فوائد كثيرة، فلابدّ لمن يريد التّحلية ان يحلّى بهاتين الفضيلتين و يستفيد من كلّ واحدٍ منهما فيما يخصّه من الموارد و ليس بين الفضائل ما هو بهذه المثابة لانّ الشّجاعة على سبيل المثال فضيلة و لكن ضدّها و هو الجبن أو التهوّر ليس بفضيلة بل انّهما من الرّذائل بحيث يجب الاجتناب عنهما، و السّخاوة فضيلة و ضدّها و هو البخل رذيلة يجب التّخلية عنها، و العدالة فضيلة و ضدّها الظلم أو الانظلام و يلزم الاجتناب عنهما، و القناعة فضيلة و ضدّها الطّمع الّذي التخلية عنها واجب، و التّواضع فضيلة و ضدّها الكبر رذيلة موبقة توجب الخسران، و الحلم فضيلة و ضدّها الغضب رذيلة ان اشتعلت تحرق الدين، و هكذا و قد مرّت في هذه المجلّدات الثلاثة تسع و ثلاثون فضيلة تضادّ كلّ واحد منها رذيلة، فمن يريد السّلوك إلى جنابه تعالى و السير إليه لابدّ له من ان يخلّى نفسه عن تلك الرّذائل و يقطع عروقها و يهذّبها عنها، و ان يحلّى بتلك الفضائل و يغرس شجرة كلّ واحد منها في قلبه و بالمواظبة التّامّة عليها تؤتى اكلها كلّ حين باذن ربّها.

و لكن من بين الفضائل تمتاز هذه الفضيلة ـ و هي الّتي جعلناها الأخير من الفضائل في هذا الكتاب و هي الموفية لعدد الأربعين المبارك ـ بمزية خاصّة و هي انّ ضدّها ـ و هو الالفة ـ ايضاً فضيلة فالسالك لا محيص له من ان يتحلّى بالفضيلتين، و خلوّ النّفس منهما أو من احدهما نقص يوجب فوات فوائد كثيرة بل كما ذكرنا في صدر البحث لا يمكن العروج السّعادات لمن لم يحصل هاتين الجناحين.

و من الغريب ما وقع لنا في تدوين هذا الكتاب من البدأ بالفضائل و الختم بها أيضاً، حيث ان الألفة فضيلة أيضاً، و ما كنّا مقدّرين لهذا الأمر، كما و أنّه قد ختمناه بعدد الأربعين المبارك، و هذا أيضاً غريبٌ، فنتفاءّل بهما الخير ليكونا لطفين خفيّين منه جلّ و علا، ذلك

فضل الله يؤتيه من يشاء و الله ذو الفضل العظيم.

تنبيهات هامّة:

الف: انّ العزلة قد تفسّر بالرهبانية و هي ترك مجتمع النّاس و بالمآل ترك الدّنيا و لذّاتها و الحرمان عن منافعها و عن مثوبات لاتحصل إلّا بمعاشرة الآدميّين.

و بعبارة أخرى هي العزلة بحسب الجسم، و هي ليست من الإسلام في شيءٍ و قد اشتهر انّ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كررّ قوله هذا في مواضع مختلفة: لا رهبانية فى الاسلام[1]، و قد وردت روايات من أهل البيت عليهم السلام في مذمّتها حتّى انه صلى الله عليه وآله وسلم جعلها رغبة عن السّنّة ثمّ ذكر الرغبة عنها في حدّ الكفر، و قد اشتهر منه صلى الله عليه وآله وسلم انّه إذا سمع انّ رجلاً من اصحابه تزهّد أو ترهّب، كان يقول: اَلا انّى انام بالليل و انكح و افطر بالنّهار فمن رغب عن سنّتى فليس منّى.[2]

و نحن سنذكر بعض تلك الرّوايات في آخر البحث ان شاء الله تعالى.

و القرآن الكريم ردّ على هذه الرّهبانية بقوله تعالى: **﴿و رهبانيّة ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلّا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حقّ رعايتها﴾**.[3]

و المعنى انّ النّصارى ابتدعوا الرّهبانية و كانت بدعة منهم حيث لم نكتبها عليهم بل المكتوب عليهم ابتغاء رضوان الله فهم لم يراعوا ما كتبنا و ابتدعوا الرّهبانية الّتي لم تكن من رضوان الله تعالى.

و بالجملة انّ الشّذوذ من الجماعة و الخروج عنها و تركها ليس من الإسلام كما انّ التّزهد من لذّات الدّنيا ايضاً كذلك، نعم قد تكون العزلة بهذا المعنى حسن بعنوان ثانوى كما إذا فسد الزّمان فانحصر حفظ الدين أو الدنيا للمرء في الزهد و الاعتزال عنهم أو يكون

١- مستدرك الوسائل، ج ١٤، ص ١٥٥، باب ٢، ح

٢- بحار الانوار، ج ٦٧، ص ١١٦، باب ٥١، ح ٤.

٣- الحديد / ٢٧.

ضعيف النّفس، فيؤدّ يه الاختلاط و التآلف إلى الفساد و نحو ذلك إلّا انّه خارج عن محلّ الكلام، و لعلّ بعض الروايات الّتي وردت في مدح العزلة بهذا المعنى وردت مشيراً إلى زمان خاصّ أو مكان خاصّ أو فرد خاصّ فليس وارداً مدار السّنّة المطهّرة.

و قد تفسّر بمعنى التبتّل و هو الانقطاع إلى الله عن النّاس و الانس به تعالى و لو كان بين النّاس، و بعبارة أخرى عزلة القلب، و بهذا المعنى تكون العزلة من اشرف الحالات ممدوحةً بلسان الوحى، كقوله تعالى: **﴿في بيوت اذن الله ان ترفع و يذكر فيها اسمه يسبّح له فيها بالغدوّ و الاصال * رجال لا تلهيهم تجارة و لا بيع عن ذكر الله﴾**.(١)

و يمدحها أهل البيت عليهم السلام في روايات منها قول الصادق عليه السلام: صاحب العزلة متحصّن بحصن الله و محترس بحراسته، فيا طوبى لمن تفرّد به سرّاً و علانية.(٢)

و بهذا المعنى كما يظهر من الآيات و الرّوايات يحضر قلب المرء المنغزل عن المجتمع بحضرته تعالى و لو كان بين النّاس و فيهم، فهو دائم التّوجّه سرّاً و علانية، و لا فرق في انّه يصبح في الخلوة أو في الجلوة جسماً فطوبى له.

و ثالثة تفسّر بمعنى القدرة على التّفرّد و التوحّد فيلتذّ منها كما يلتذّ من الالفة و يقتدر على الصّبر عليها.

و هذا المعنى هو الّذي نبحث عنه هيهنا، و قلنا انّها نعمة عظيمة و فضيلة كبيرة، و كثير من المنافع مرهونة لها، و بهذا المعنى تمدح في روايات، منها قول الكاظم عليه السلام لهشام بن الحكم: يا هشام الصّبر على الوحدة علامة على قوّة العقل، فمن عقل عن الله اعتزل أهل الدّنيا و الرّاغبين فيها و رغب فيما عندالله و كان الله انيسه في الوحشة و صاحبه في الوحدة و غناه في العيلة و معزّه من غير عشيرة، يا هشام قليل العمل مع العلم مقبول مضاعف، كثير

١- النّور / ٣٦، ٣٧. ٢- بحار الانوار، ج ٦٧، ص ١١٠، باب ٤٩، ح ٩.

العمل من أهل الجهل مردود.[١]

نعم من حصلت له هذه الفضيلة فلابدّ له من التفاته إليها ليستفيد منها كمال الاستفادة اوّلاً، و الالتفات إلى أنّها لا تصرف فيما لا يعنى و فيما لا فائدة هامّة فردية أو جماعية فيه ثانياً، ثمّ الالتفات إلى أنّه لايجوز البطالة فيها ثالثاً، و يتذكّر انّ الفرصة تمرّ مرّ السّحاب فلو صُرِفت هذه النّعمة في الفضولات أو أُضيعت فلم يستفد منها حقّها فللمعتزل ما أوعده الوحي المبين بقوله: ﴿ثمّ لتسئلنّ يومئذ عن النّعيم﴾.[٢]

كما و قد نعرف رجالاًكثيرة قد وهبهم الله تعالى هذه النعمة حتّى صارت طبيعةً ثانويةً لهم، لكنّهم أضاعوها، فلا حظّ لهم منها، أو حظّهم منها قليلٌ جداً، حيث استعملوها فيما لافائدة فيه، كتأليف ما لايحتاج إليه المجتمع، أو لايقبله، أو يُرمىٰ في زاوية من مكتباتهم الخاصّة لاعوجاجاتهم الفكريّة، أو استبدادهم بآرائهم، أو غيرها، و أقبح من الكلّ صرفها فيما يشين الشريعة البيضاء، نعوذ به سبحانه و تعالى من الخذلان.

ب: انّ الالفة ايضاً كالعزلة تستعمل في معان عدّة مختلفة.

فقد يُطلق و يراد منها مخالفة النّاس بحسن الخلق و طلاقة الوجه و لينة الكلام و مراعات الآداب و الرّسوم الجماعيّة، و قد استفاضت الرّوايات في لزوم ذلك على المؤمن و رتّب عليها ثواب عظيم فيها كما وقد روى ثقة الإسلام الكليني ـ رضوان الله تعالى عليه ـ روايات كثيرة في ذلك، منها:

* عن الامام أبي جعفر عليه السلام: انّ اكمل المؤمنين ايماناً احسنهم خلقاً.[٣]

* و عن الامام على بن الحسين عليهما السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ما يوضع في ميزان امرء يوم القيامة افضل من حسن الخلق.[٤]

١- بحار الانوار، ج ٦٧، ص ١١١، باب ٤٩، ذيل ح ١٤.
٢- التكاثر / ٨.
٣- الكافي، ج ٢، ص ٩٩، باب حسن الخلق، ح ١.
٤- الكافي، ج ٢، ص.٩٩، باب حسن الخلق، ح ٢.

* و عن الامام أبي عبدالله عليه السلام: ما يقدم المؤمن على الله عزّوجلّ بعمل بعد الفرائض احبّ إلى الله تعالى من ان يسع النّاس بخلقه.(١)

* و عن الامام أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: انّ صاحب الخلق الحسن له مثل اجر الصّائم القائم.(٢)

* و عن الامام أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يا بنى المطلب انّكم لن تسعوا النّاس باموالكم فالقوهم بطلاقة الوجه و حسن البشر.(٣)

* و عن الامام أبي عبدالله عليه السلام: ثلاث من اتى الله بواحدة منهنّ اوجب الله له الجنّة، الانفاق من اقتار و البشر لجميع العالم و الانصاف من نفسه.(٤)

* و عن الامام أبي عبدالله عليه السلام قال: قلت له: ما حدّ حسن الخلق؟ قال: تليّن جناحك، و تطيّب كلامك، و تلق اخاك ببشر حسن.(٥)

و في روايات كثيرة يذمّ عمّن لا يكون كذلك بل يترتّب عليه عذاب القبر و ضغطه و لو كان من أهل الجنّة.

* عن الامام أبي عبدالله عليه السلام قال: قال أميرالمؤمنين عليه السلام: المؤمن مألوف و لا خير فيمن لا يألف و لا يؤلف.(٦)

* و عنه عليه السلام قال: صنائع المعروف و حسن البشر يكسبان المحبّة و يدخلان الجنّة و

١- الكافي، ج ٢، ص ١٠٠، باب حسن الخلق، ح ٤.

٢- الكافي، ج ٢، ص ١٠٠، باب حسن الخلق، ح ٥.

٣- الكافي، ج ٢، ص ١٠٣، باب حسن البشر، ح ١.

٤- الكافي، ج ٢، ص ١٠٣، باب حسن البشر، ح ٢.

٥- الكافي، ج ٢، ص ١٠٣، باب حسن البشر، ح ٤.

٦- الكافي، ج ٢، ص ١٠٢، باب حسن الخلق، ح ١٧.

البخل و عبوس الوجه يبعدان من الله و يدخلان النّار.[١]

❊ و عنه أيضاً عليه السلام في آخر الرّواية الّتي وردت في كيفيّة تشييع و تدفين سعد بن معاذ: انّ رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم قال: انّ سعداً قد اصابته ضمّة، قالوا: يا رسول الله امرت بغسله و صلّيت على جنازته و لحّدته في قبره ثمّ قلت انّ سعداً قد اصابته ضمّة؟! قال صلى الله عليه و آله و سلم: نعم انّه كان في خلقه مع اهله سوء.[٢]

و قد تطلق و يراد منها معنى اخصّ من ذلك و هو الاخوّة، و الرّوايات في هذا المعنى ايضاً على حدّ التّواتر، منها:

❊ قال الامام أبو عبدالله عليه السلام: انّما المؤمنون اخوة بنو اب و امّ، و إذا ضرب على رجل منهم عرق سهر له الآخرون.[٣]

❊ و عنه عليه السلام: المؤمن اخ المؤمن، عينه و دليله، لا يخونه و لا يظلمه و لا يغشّه و لا يعده عدة فيخلفه.[٤]

❊ و عنه أيضاً عليه السلام: المؤمن اخ المؤمن كالجسد الواحد، ان اشتكى شيئاً منه وجد الم ذلك في سائر جسده، و ارواحهما من روح واحدة، و انّ روح المؤمن لاشدّ اتصالاً بروح الله اتّصال شعاع الشّمس بها.[٥]

و قد تُطلق و يراد منها معنىً اخصّ من ذلك و هو السّعى في رفع حوائج أخيه و إدخال السّرور في قلبه و قد أكّدت الائمّة عليهم السلام على ذلك كثيراً، فضافاً إلى ترتّب الثّواب العظيم

١- الكافي، ج ٢، ص ١٠٣، باب حسن البشر، ح ٥.

٢- بحار الانوار، ج ٦، ص ٢٢٠، باب ٨، ح ١٤.

٣- الكافي، ج ٢، ص ١٦٥، باب اخوّة المؤمنين، ح ١.

٤- الكافي، ج ٢، ص ١٦٦، باب اخوّة المؤمنين، ح ٣.

٥- الكافي، ج ٢، ص ١٦٦، باب اخوّة المؤمنين، ح ٤.

عليها جعلوها كأنّها في حدّ الوجوب المؤكّد، و الرّوايات في ذلك ايضاً على حدّ التّواتر، منها ما روى عنهم مستفيضة انّ قضاء حاجة المؤمن افضل من طواف و طواف و طواف حتّى عدّ عشراً، بل قضاء حاجة المؤمن افضل من حجّ مبرور و عمرة مبرورة و صوم شهرين و اعتكاف شهرين في المسجد الحرام، بل قضاء حاجة المؤمن افضل من سبعين حجّة.[١]

* و روى عنهم مستفيضة: من اصبح لا يهتمّ بامور المسلمين فليس بمسلم.[٢]

و قد تُطلق و يراد منها معنى اخصّ من ذلك و هو مراعات قانون المواسات و قد وردت في ذلك روايات متواترة بعضها تدلّ على انّ من لا يراعى ذلك القانون فليس بشيعيٍ حقيقي و انّه لم يبلغ الحلم بعد، و من المؤسّف عليه جدّاً عدم اهتمام الشيعة به و لا اظنّ ان يعمل به إلى ظهور القائم عجل الله تعالى فرجه الشّريف، فلذا يُرىٰ في غير واحد من الروايات إباء الائمة عن بيانه و شرحه، إلّا إذا أصرّ عليه السائل و لعلّ السّرّ في ذلك انهم عليهم السلام لرأفتهم عليهم، أرادوا أن لا يهلك النّاس بعدم عملهم به بعد علمهم به فجعلوه في بقعة الإجمال لئلّا يوجّه التكليف إلى الناس، و بذلك الاجمال اشار الامام الصادق عليه السلام في رواية معلّى بن خنيس، فانّه قال: قلت له: ما حقّ المسلم على المسلم؟ قال له: سبع حقوق واجبات ما منهنّ حقّ إلّا و هو عليه واجب، ان ضيّع منها شيئاً خرج من ولاية الله و طاعته و لم يكن لله فيه من نصيب، قلت له: جعلت فداك و ما هى؟ قال: يا معلّى انّى عليك شفيق اخاف ان تضيّع و لا تحفظ، و تعلم و لا تعمل، قال: قلت له: لا قوّة إلّا بالله، قال: ايسر حقّ منها ان تحبّ له ما تحبّ لنفسك و تكره له ما تكره لنفسك، و الحقّ الثّانى ان تجتنب سخطه و تتّبع مرضاته و تطيع امره، و الحقّ الثّالث ان تعينه بنفسك و مالك و لسانك و يدك و رجلك، و الحقّ الرّابع ان تكون عينه و دليله و مرآته، و الحقّ الخامس ان لا تشبع

١- الكافي، ج ٢، ص ١٩٢، باب قضاء حاجة المؤمن، ح ٦.

٢- الكافي، ج ٢، ص ١٩٢، باب قضاء حاجة المؤمن، ح ٩.

و يجوع و لا تروى و يظمأ و لا تلبس و يعرى، و الحقّ السّادس ان يكون لك خادم و ليس لاخيك خادم فواجب ان تبعث خادمك فيغسل ثيابه و يصنع طعامه و يمهد فراشه، و الحقّ السّابع ان تبرّ قسمه، و تجيب دعوته، و تعود مريضه، و تشهد جنازته، و إذا علمت انّ له حاجة تبادره إلى قضائها و لا تلجئه ان يسألكها و لكن تبادره مبادرة، فاذا فعلت ذلك وصلت ولايتك بولايته و ولايته بولايتك.[1]

و هذه الرواية أمثال كثيرة، حتّى أفرد لها ثقة الإسلام باباً أورد فيه ستة عشر روايةً منها، أضف إلى ذلك روايته ما يزيد على مأة في غيره من أبواب جامعه الكافي.

أمّا أبناء الزمان من العالم و الجاهل و المتّقي و الفاسق فتسامحون في الاتيان بمقتضى هذا القانون، زاعمين أنّه من المندوبات المسمّاة بالأخلاقيّات و لعمر الحبيب لم أدر كيف أخرجوه من قائمة الواجبات و ادخلوه في قائمة المندوبات محتجّين بكونه من الاخلاقيات؟ و إلى ذلك الوهم و جوابه، أشير في روايةٍ.

* عن محمّد بن عجلان، قال: كنت عند أبي عبدالله عليه السلام فدخل رجل فسلّم، فسأله كيف من خلّفت من اخوانك؟ قال: فاحسن الثّناء و زكّى و اطرى، فقال له: كيف عيادة اغنيائهم على فقرائهم؟ فقال: قليلة، قال: و كيف مشاهدة اغنيائهم لفقرائهم؟ قال: قليلة، قال: فكيف صلة اغنيائهم لفقرائهم في ذات ايديهم؟ فقال: انّك لتذكر اخلاقاً قلّ مافيمن عندنا، قال: فقال: فكيف تزعم هؤلاء انّهم شيعة.[2]

و قد تُطلق و يراد منها معنى اخصّ من ذلك القانون ايضاً و هو قانون الايثار و هذا القانون و إن كان غير واجبٍ على المؤمنين، و لكنّهم لاينالوا حقّ الايمان و حقيقة التشيّع إلّا بالقيام به، هكذا ورد في جملة من الآي و الأحاديث المرغّبة فيه.

١- الكافي، ج ٢، ص ١٦٩، باب حقّ المؤمن على أخيه، ح ٢.

٢- الكافي، ج ٢، ص ١٧٣، باب حقّ المؤمن على أخيه، ح ١٠.

قال تعالى: ﴿و الّذين تبوّءو الدّار و الايمان من قبلهم يحبّون من هاجر إليهم و لا يجدون في صدورهم حاجة ممّا اوتوا و يؤثرون على انفسهم و لو كان بهم خصاصة﴾.(١)

و قال تعالى: ﴿و يطعمون الطّعام على حبّه مسكيناً و يتيماً و اسيراً * انّما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاءً و لا شكوراً﴾.(٢)

* و عن أبان ين تغلب قال: كنت اطوف مع أبي عبدالله عليه السلام فعرض لى رجل من اصحابنا كان سألنى الذّهاب معه في حاجة فاشار الىّ فكرهت ان ادع أبا عبدالله عليه السلام و اذهب إليه فبينا انا اطوف اذ اشار الىّ ايضاً فراه أبو عبدالله عليه السلام فقال: يا أبان ايّاك يريد هذا؟ قلت: نعم، قال: فمن هو؟ قلت رجل من اصحابنا، قال: هو على مثل ما انت عليه؟ قلت: نعم، قال: فاذهب اليه، قلت: فاقطع الطّواف؟ قال: نعم، قلت: و ان كان طواف الفريضة؟ قال: نعم، قال: فذهبت معه، ثمّ دخلت عليه بعد فسألته، فقلت: اخبرنى عن حق المؤمن على المؤمن، فقال: يا أبان دعه لا ترده، قلت: بلى جعلت فداك فلم ازل اردد عليه، فقال: يا أبان تقاسمه شطر مالك، ثمّ نظر الىّ فرأى ما دخلنى، فقال: يا أبان اما تعلم انّ الله عزّوجلّ قد ذكر المؤثرين على انفسهم؟ قلت: بلى جعلت فداك، فقال: أمّا إذا انت قاسمته فلم تؤثره بعد، انّما انت و هو سواء انّما تؤثره إذا انت اعطيته من النّصف الآخر.(٣)

و لعلّك تقول ليس لمثل قانون المواسات و الايثار مؤيّد و مثبّت، نعم! ليس لهما مثبّتٌ ما لم نؤمن حقيقة الايمان، أمّا إذا دخل الايمان في قلوبنا فنرىٰ المؤيّد لهما في قلوبنا.

قال تعالى: ﴿قالت الاعراب امنّا قل لم تؤمنوا و لكن قولوا اسلمنا و لمّا يدخل الايمان في قلوبكم.... * انّما المؤمنون الّذين امنوا بالله و رسوله ثمّ لم يرتابوا و جاهدوا باموالهم و انفسهم في سبيل الله اولئك هم الصّادقون﴾.(٤)

١- الحشر / ٩. ٢- الدّهر / ٨، ٩.

٣- الكافي، ج ٢، ص ١٧١، باب حقّ المؤمن على اخيه، ح ٨. ٤- الحجرات / ١٤، ١٥.

هذا وعد من الله و نظيره في القرآن كثير و يدلّ على انّ المؤمن إذا رسخ الايمان في قلبه، فيسهل عليه مراعاة القانونين بل الايثار و اعطاء ماله من الاموال و الانـفس و الاولاد أضف إلى ذلك المشاعر و العواطف الدينيّة، فانّها أيضاً مثبّتٌ لهما و إن كانت بلا أصلٍ تنقلع عن النّفس بعد ثورانها. نعم يمكن أن تثبت فيها إذا كانت ناتجةً عن الايمان، كما تراه فيما ذكره المورّخون عن ايثار المسلمين أنفسهم و أموالهم و أولادهم في الصدر، و كما رأيناه في سيرة المسلمين الإيرانيّين طوال الحرب المشتعلة نائرتها بين دولتى الإيران و العراق لـمدة ثمـان سنوات، و ذلك لما رأت المسلمون في الصدر من سيرة الرسول صلّى الله عليه و آله و سلّم، بل لما رأيـنا مـن سيرة سيدنا الاستاذ الخميني العالم بتهييج عواصف المشاعر، فالمشاعر الدينيّة أيضاً مـن مثبّتات هذين القانونين المترقيّين المزدهرين.

بل كثيراً ما نسمع و نرى انّ العصبيات الفـرديّة و القـوميّة و الحـزبيّة بـل الرّذائـل الاخلاقيّة نظير الحسد و الكبر و الغريزة الجنسيّة و نحو ذلك تحرك المشاعر و هي توجب ان يسهل لصاحبها ايثار النّفس و الاولاد فضلاً عن المال أو غيره.

نعم انّ المشاعر بايّ وجه تحرّكت سيّما إذا تحرّكت من جهة العقيدة الدينيّة تـوجب العمل و هي المثبّت إلّا انّها لا ثبات لها، و إذا ذهب المحرّك ذهب المتحرّك، و هذا هو السرّ في ارتداد النّاس بعد النبي و رجوعهم عن بيعتهم يوم الغدير إلّا قليل منهم و هم المؤمنون حقّاً الّذين دخل الايمان شراشر قلوبهم.

و المقصود من هذا التطويل انّ للاسلام مثبّتاً و هو الايمان القلبيّ و هي هامّةٌ جدّاً، فما قيل من انّ الأخلاقيّات امور حسنة ولكنّها لامؤيّد لها، خطأٌ جدّاً.

ج: انّ القوم في هذا البحث وقعوا في اشتباه عظيم حيث خُيّل إليهم انّه لا يجوز ان يجتمع العزلة و الالفة في شخص واحد و انّهما ضدّان، فان استقرّ أحدهما في نفس المرء لا استقرار للثاني فيها، فظنّوا انّ بينهما تضادّ من باب الفضيلة و الرّذيلة، فلذا وقعوا في الحيص و البيص

و القيل و القال، و في ذكر مرجّحات العزلة على الالفة و بالعكس و ذكر الروايات الواردة في فضيلة كلّ واحدٍ منهما و كيفيّة الجمع بين الروايات، و أخيراً تبعوا الغزالي في الاحياء، فقالوا بتفاوت الاشخاص و الازمنة و الامكنة في ذلك، فذهبوا إلى انّ الافضل لمن بلغ مقام الانس هو الخلوة و العزلة، و لمن لم يصل إليه هو الخلطة ثمّ اوردوا على انفسهم بانّ الأنبياء مع وصولهم إلى مقام الانس قد خالطوا النّاس فلا منافاة بين الالفة و العزلة، ثمّ اجابوا بعدم امكان الجمع بينهما إلّا بالقوّة النبويّة.

هذا مجمل كلامهم في هذا المضمار، و أنت بسبر النظر فيما قلنا، خبيرٌ بمواضع الخطأ فيه، و السرّ فيه ابتنائهم المسألة على مبنى خطأ، فنهجوا طريقاً غير سويٍّ ليصلوا إلى الطريق المستقيم، فكلّما زادوا في السير بعدوا عنه أكثر فأكثر. و وضع هذا الكتاب لايسمح لنا أن نتبع أقوالهم فنذكر خطاياهم، فنشير إلى نكتة هامّة فقط و هي:

انّ توجيه الغلط و تبريره من المصائب العظمى لعالمي كلّ فنٍّ من الفنون فاياك ثمّ اياك ان تسقط في هذه الورطة المظلمة الّتي هي مصداق جليٌّ لقوله تعالى: ﴿.... **كمن مثله في الظّلمات ليس بخارج منها كذلك زيّن للكافرين ما كانوا يعملون**﴾.[١]

و هذه الحالة قد تنشأ من الجهل المركّب فهذا الجاهل يُعدّ من اخسرين اعمالاً.

قال تعالى: ﴿**قل هل ننبّئكم بالاخسرين اعمالاً * الّذين ضلّ سعيهم في الحيواة الدّنيا و هم يحسبون انّهم يحسنون صنعاً**﴾.[٢]

و من المؤسّف عليه المعَجب منه ان للذكر الحكيم دلالة واضحة على انّهم في الآخرة هم الاخسرون.

قال تعالى: ﴿**الّذين يصدّون عن سبيل الله و يبغونها عوجاً و هم بالاخرة هم كافرون * ... لاجرم انّهم في الآخرة هم الأخسرون**﴾.[٣]

١- الانعام / ١٢٢. ٢- الكهف / ١٠٣، ١٠٤. ٣- هود / ١٩ـ ٢٢.

و قد تنشأ من اللّجاج و الكبر العلمی و العصبّيات القوميّة و نحو ذلك سيّما الجاه و المقام و هي كثيرة جدّاً كما قد اشار إليه التنزيل في آيات كثيرة، منها قوله تعالى: **﴿و ما ارسلنا في قرية من نذير إلّا قال مترفوها انّا بما ارسلتم به كافرون﴾**.(١)

و قد تنشأ من المبنى الخطأ و بناء رأيٍ فاسد عليه، و لو لم يكن فاسداً فيفسد ببنائه عليه و هذا أكثر و استقرّت سيرة علماء العامّة على ذلك، و خطر ذلك ازيد بمراتب من الخطر الأوّلين و هو مصداق جليّ لقوله تعالى: **﴿افرأيت من اتّخذ الهه هواه و اضلّه الله على علم﴾**.(٢)

توضيح ذلك انّ تشكيل السقيفة ثمّ خضوع العامة بنتائجها من اثبات الخلافة لأبي‌بكر بحكم طائفةٍ من الصحابة، ثمّ اثباتها لعمر بوصية من ابن أبي قحافة ثم لعثمان بالشورى لم يكن إلّا باصرارهم على مبناهم الخطأ، كما أنّ اجيال العامّه خضعوا لها تمسّكاً بأنّ المهاجرين و الأنصار قد قبلوها فليس لنا أن نرفضها، فكأنّ الله تعالى يحكى قولهم حيث يقول: **﴿انّا وجدنا ابائنا على امّة و انّا على اثارهم مقتدون﴾**.(٣)

و بالجملة انّ تلك الطّريقة صارت عندهم من المسلّمات و خيّل إليهم الابليس انّ من انكرها فهو كافر ضالّ مضلّ.

و الشيعة تخالف السّقيفة بالنّصوص المتواترة المقطوع بصحّتها عند الفريقين(٤) من كون الائمّة اثنی عشر رجلاً اوّلهم أميرالمؤمنين على بن ابيطالب عليه السلام و آخرهم قائمهم محمّد بن الحسن العسكرى عليه السلام الّذي به يملأ الله الأرض قسطاً بعد ما ملئت ظلماً و جوراً، و تتلقّاها بالقبول جيلاً بعد جيل. ثمّ انّ الشيعة الاماميّة حذراً عن وقوع الخلاف بين المسلمين أخذوا بالتقية و المداراة مع العامّة، ولكنّهم و لا سيّما طائفة من علمائهم و أعلامهم زادوا في

١- سباء / ٣٤. ٢- الجاثية / ٢٣. ٣- الزّخرف / ٢٣.

٤- راجع مثل «العبقات» و «احقاق الحقّ» و «المراجعات» و «الغدير».

التنبور نغمةً أخرى، فأفتوا بكفر الشيعة و إباحة دمائهم و أموالهم، فأصرّوا على هذا المبنى حتّى انكروا فضائل أهل البيت عليهم السلام أو أشركوا فيها معهم طائفةً من الصحابة، و هم تابعوا مدرسة الخلفاء و ناصروا الأمويّين، ثمّ انّ خطاياهم بعد السقيفة من احراق بيت الزهرا سلام الله عليها إلى مذبحة الشيعة في بلاد العراق و البحرين بيد الوهابيّين اتباع محمّد بن عبدالوهاب الخاطىء المذنب، كلّها تنشأ من هذا المبنى الخطأ الفاضح، فأمر أبي‌بكر بافناء أحاديث الرسول على رؤس الأشهاد، ثم نهي عمر عن روايتها و مدارستها، لم يكن إلّا لاصرارهم على خطأهم، و هكذا الأمر في عصر الأمويّين و العبّاسيّين، فاعتزل أهل العصمة الكبرى عن المجتمع الاسلامى، فرسخ الضيغ و الانحراف فيه، حتّى ان أباالفرج حكى في الاغانى أنّ شهاب بن عبدالله قال: قال لي خالد القسري و هو كان يوالي مكّة المكرّمة لوليد بن عبد الملك ثمّ لأخيه سليمان: اكتب لى السّيرة، فقلت له: فانّه يمرّ بى الشّيء من سير على بن ابيطالب عليه السلام فاذكره؟ قال: لا إلّا ان تراه في قعر الجحيم.[١]

فهم لم يكونوا غاصبى حقّهم فقط بل كانوا يخفون فضائلهم بل غصبوها فخصّصوها بغيرهم، كما قد خصّوا «آية التّطهير» بنساء النّبيّ و رواية «سدّوا الابواب إلّا باب عليٍّ» بابى‌بكر و هكذا، فسهّلوا الطريق لابن كثير حتّى يقول في البداية و النهاية مذيّلاً على حديث تصدّق أميرالمؤمنين عليه السلام خاتمه في الصّلوة و هو راكع، و فنزل فيه و في جوده قوله تعالى: ﴿انّما وليّكم الله و رسوله و الّذين آمنوا الّذين يقيمون الصّلوة و يؤتون الزّكوة و هم راكعون﴾[٢]: هذا لا يصحّ بوجه من الوجوه لضعف اسانيده و لم ينزل في عليّ شيء من القرآن بخصوصية، و كلّ ما يريدون في قوله تعالى: ﴿انّما انت منذر و لكلّ قوم هاد﴾[٣] و قوله تعالى: ﴿و يطعمون الطّعام على حبّه مسكيناً و يتيماً و اسيراً﴾[٤] و قوله تعالى:

١- الاغاني، ج ٢٢.　٢- المائدة / ٥٥.　٣- الرّعد / ٧..　٤- الإنسان / ١٨.

﴿اجعلتم سقاية الحاجّ و عمارة المسجد الحرام كمن امن بالله و اليوم الاخر﴾[١] و غير ذلك من الآيات و الاحاديث الواردة، في انّها نزلت في عليّ، لا يصحّ شيء منها.[٢]

و أقبح من ذلك كلّه ما اتّهموا به الاماميّة، ثمّ تكفيرهم و تفسيقهم ايّاهم بما لفّقوا و تخيّلوا لهم،

قال ابن عبد ربّه في العقد الفريد: انّ الرّافضة يهود هذه الامّة يبغضون الإسلام كما يبغض اليهود النّصرانيّة و محبّة الرّافضة محبّة اليهود، و اليهود يؤخّرون صلوة المغرب حتّى تشتبك النّجوم و كذلك الرّافضة، و اليهود لا ترى الطّلاق الثلث شيئاً و كذلك الرّافضة، و انّ اليهود لا ترى على النّساء عدّة و كذلك الرّافضة، و اليهود تستحلّ دم كلّ مسلم فكذلك الرّافضة، و اليهود حرّفوا التّوراة و كذلك الرّافضة حرّفوا القرآن، و اليهود تبغض جبرئيل و تقول هو عدوّنا من الملائكة و كذلك الرّافضة تقول غلط جبرئيل في الوحى إلى محمّد بترك على بن ا[illegible]ب، و اليهود لا تأكل لحم الجزور و كذلك الرّافضة.

ثمّ نقل أضحوكة عن بعضهم حتّى يتمّ بها اكذوباته العشرة، فقال: قال أبو عثمان من بعض التجّار: كان معنا في السفينة رجل إذا سمع اسم الشّيعة غضب شديداً، فقلت له يوماً عن سببه؟ قال: ما اكره منهم إلّا هذه الشّين في اوّل اسمهم فانّى لم اجدها إلّا في كلّ شرّ و شؤم و شيطان و شغب و شقاء و شقار و شرر و شين و شرك و شكوى و شهرة و شتم و شحّ. فقال أبو عثمان: فما ثبت لشيعيّ بعدها قائمة.[٣]

يا لله من هذه التهم الفاضحة على جمعٍ من المسلمين، بل على اليهود، و لايجوز التحقيق حول هذه الافتراءات، لأنّ الرشيد يكفيه ان يقرأها فقط، فيحكم ببطلانها و ما حكيناه عنها ليس إلّا قطرة من بحار الافتراءات، فكأنّهم رأوها فخراً لهم بها يفتخروا في حضرته

١- التوبة / ١٩. ٢- البداية و النّهاية، ج ٧، ص ٣٥٧.

٣- العقد الفريد، ج ١، ص ٢٦٩.

تعالى.

و قد روى عن مولانا على بن الحسين عليه السلام انّه قال: لو اوصى القرآن بالظلم على أهل البيت عليهم السلام و بدّل آية المودّة بآية الظلم على ذوى القربى لم يقتدروا ان يظلموا علينا ازيد ممّا ظلمونا.

ثمّ جاء دور ابن تيميّة المكفَّر من قبل أعلام عصره و مذهبه، حتّى ظهرت الفئة الوهابية، الّتي ليست إلّا فتنةً من فتن الابليس و هي من المصائب الواردة على المسلمين قاطبة، سيّما على البلدين الشريفين، طيّبهما الله، و أهلها. كما انّ من المعاصرين من تسابق أسلافه في تلفيق ما لا حظّ له من الواقع، كبعض اساتذة الأزهر و خرّيجيه، منهم احمد امين، و محمد رشيدرضا، و طه حسين و غيرهم. فانظر إلى أباطيل رشيدرضا الّذي سبق زملائه في هذا المضمار، فانّه قال: انّ مبتدع مذهب الشّيعة و اصوله هو عبدالله بن سباء اليهودى، و فعلاً ادارة هذا المذهب بيد زنادقة الفرس و من هذا المذهب مذهب البابيّة و البهائيّة الّذين يقولون بالوهيّة البهاء و نسخه لدين الإسلام و ابطاله لجميع الاديان، و اختلال العراق دائماً أنّما هو للرافضيّة و لم يزالوا يفرحون بنكبات المسلمين حتّى اتّخذوا يوم غلبة الرّوس على المسلمين عيداً سعيداً و أهل ايران زيّنوا يومئذٍ بلادهم فرحاً و سروراً، و انّهم كاليهود يؤمنون ببعض و يكفرون ببعض، يبغضون كثيراً من اولاد فاطمة رضى الله عنها بل يسبّونهم كزيد بن على بن الحسين و يحيى ابنه، و انّهم زعموا انّ اصحّ كتبهم اربعة، الكافي و من لا يحضره الفقيه و التّهذيب و الاستبصار، و مثل الشّيخ الطّوسى يروى عن ابن المعلّم و هو يروى عن ابن بابويه الكذوب صاحب الرقعة المزوّرة، و يروى عن المرتضى ايضاً و قد طلبا العلم معاً و قرءا على شيخهما محمّد بن النعمان و هو اكذب من مسيلمة الكذّاب، و انّهم اخذوا غالب مذهبهم كما اعترفوا من الرّقاع المزوّرة الّتي لا يشكّ عاقل في انّها افتراء على الله، و العجب من الرّوافض انّهم سمّوا صاحب الرّقاع بالصدوق و هو الكذوب، بل انّه عن

الدّين المبين بمعزل، و انّ جملة من عقائدهم مكذوبة كشتمهم جمهور اصحاب رسول الله و حكمهم بارتدادهم إلّا العدد اليسير، و قولهم بانّ الائمّة يوحى إليهم و انّ موت الائمّة باختيارهم، و انّهم اعتقدوا بتحريف القرآن و نقصانه، و انّهم يقولون بانّ الحجّة المنتظر إذا ذكر في مجلس حضر، فيقومون له، و انكارهم كثيراً من الضّروريّات، و يكفي لاثبات ضلالهم المتعة الدّورية و يروون في فضلها ما يروون.[١]

هذه نبذة من أباطيل هذا الرجل وجّهها إلى الشيعة من غير أن يستحيي من الّذي لا ينام و لايسهو و هو على كلّ شيء رقيبٌ جلّ وعلا، و من الغريب اشتراكه في المؤتمر الاسلامى الّذي عُقد لاتحاد الأمّة، و دعوتها إليه! و من البيّن بطلان أقواله، بل كلّ عامي يضحك منها و بها، و الظاهر من كلامه انّه لم ير الكتب الأربعة الحديثيّة و لم يعرف مؤلّفيها، و أحسن ما يمكن أن يجاب عنه هو قوله تعالى: ﴿**و إذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً**﴾.[٢]

و المراد بالجاهلين في الكريمة و الله تعالى اعلم و علمه سبحانه أتم و احكم هم الحمقاء، لأنّ العدو العاقل لايتفوّه بهذه الأكذوبات و الأساطير لكن للأحمق أن يدوّنها و لايخاف يوم تقوم الحساب، بل لايخاف من ان ينظر يوماً سني أو شيعي في كتابه فينسبه إلى الحمق أو البغضاء. و قد جمع صاحب الغدير سقاه الله من عين رحمته في المجلد الثالث منه من أقوالهم و كلماتهم ما يعجب المرء، و الآن و أنا اكتب هذه الاسطر ظهر يوم العاشور لمحرم سنة ١٤١٦ يوم قُتل فيه سيد شهداء الاولين و الآخرين الحسين بن على عليه السلام و أصحابه، و قد قتله قومه بأسيافهم و أنّهم يقتلونه بأقلامهم،

و قد اشتهر انّه إذا سئل عن على بن الحسين عليه السلام ايّ مكان كان لكم اشدّ مصيبة؟ قال ثلاث مرّات: الشّام، الشّام، الشّام، فقيل له: انّ أباك و اصحابه قتلوا بكربلاء؟! قال عليه السلام: انّ كربلا مكان جراحات السّيف و الشّام مكان جراحات اللّسان.

١- الغدير / ج ٣، ص ٢٦٦.

٢- الفرقان / ٦٣.

فانظر إلى ما لفّقه بعض اساتذة التاريخ في الأزهر و هو الخضري كيف جرح روح الحريّة بما كتبه من غير ان يراعى فيه الحقّ و الصدق، نسئله تعالى ليفرّج عن صاحب العصر و الزمان صلوات الله و سلامه عليه و على آبائه حتّى يبيّن الحق و يظهر العدل.

قال الخضري: و ممّا يزيد الأسف انّ حرب صفّين لم يكن المراد منها الوصول إلى تقرير مبدء دينى أو رفع حيف حلّ بالامّة، و انّما كانت لنصرة شخص على شخص، فمعاوية فانّه من دون ريب يرى نفسه عظيماً لانّه من عظماء قريش و كذلك علىّ، و أمّا فكرة معاوية في اختيار الخليفة بعده حسن جميل لانّه بعد الانتخاب من احسن الوجوه، و انّ الحسين قد اخطا خطاء في خروجه الّذي هو جرّ على الامّة وبال الفرقة و الاختلاف، و يجرّ ذلك الاختلاف إلى يومنا هذا و هو طلب امراً لم يتهيّأ له، فحيل بينه و بين ما يشتهى فقتل دونه، و قبل ذلك قتل أبوه و لم يجد من اقلام الكاتبين أمر قتله و قد ذهبوا إلى ربّهم يحاسبهم على ما فعلوا، و التّاريخ يأخذ من ذلك عبرة و هي أنّه لا ينبغى لمن يريد عظائم الأمور ان يسير اليها بغير عدّتها الطّبيعيّة، و لابدّ ان تكون ذلك لمصلحة الامّة، أمّا الحسين فانّه خالف يزيد و قد بايعه النّاس و لم يظهر منه الجور و لا العسف حتّى يجوز القيام عليه.[1]

و هذه الأكذوبات من الخضرى و غيره كصاحب المنار لا تحتاج إلى الجواب و ان اجاب عنها العلّامة الامينى رضوان الله تعالى عليه بما لا مزيد عليه، بل نقل هذه الاكذوبات يعد من اشاعة الكفر و الفسق و الاباطيل، و هي منهية عنها في الذكر الحكيم.

قال تعالى: **﴿انّ الّذين يحبّون ان تشيع الفاحشة في الّذين امنوا لهم عذاب اليم في الدّنيا و الآخرة﴾**.[2]

فنطوي هذا الكلام كشحاً و لانخوض فيما لفّقوه من أباطيلهم، و الغاية من نقلها الاشارة إلى أنّ البناء على المبنى الخطأ لاتنتج إلّا خطأً آخر، و لله درّ من أنشد بالفارسية:

١- الغدير، ج ٣، ص ٢٤٩.

٢- النّور / ١٩.

خشت اوّل چون نهد معمار كج　　　　تا ثريّا مى‌رود ديوار كج

هذا و لا أظنّ بابن‌كثير و ابن عبدربّه و رشيد رضا و الخضري و أمثالهم من أماثل العامة أن يكونوا من الجهّال غير عارفين بسيرة يزيد و معاوية من ناحيةٍ و سيرة أهل العصمة من ناحيةٍ أخرى، لكونهم من كبار علماء القوم كما و لا أظنّ بهم أن يتقوّلوا للعصبيّة القومية أو اللجاج حتّى يقال: انّهم من مصاديق قوله تعالى: ﴿صمّ بكم عمى فهم لا يعقلون﴾.[١] و قوله تعالى: ﴿و لقد ذرأنا لجهنّم كثيراً من الجنّ و الانس لهم قلوب لا يفقهون بها و لهم اعين لا يبصرون بها و لهم آذان لا يسمعون بها اولئك كالانعام بل هم اضلّ اولئك هم الغافلون﴾.[٢]

بل كلّ ما صدر عن أقلام هؤلاء الأعلام طوال الاعصار ليس إلّا من فرط حبّهم لتوجيه الأخطاء و تفسيرها بما لايرضى به أحدٌ، فكأنّهم مصاديق جليّة لقوله تعالى: ﴿افرأيت من اتّخذ الهه هواه و اضلّه الله على علم﴾.[٣]

فايّاك ثم ايّاك عن تثبّت الباطل لحبّه، فيؤدّى بك عملك إلى انخراطك في حزبه. و الله سبحانه و تعالى يعلم انّا لانحبّ الخلاف بين الأمّه و الشقاق فيها عملاً بما نادىٰ به أميرالمؤمنين بعد فراغ القوم عن السقيفة، و اخذاً بقول امامنا الصادق حيث قال: عليه السلام: لا دين لمن لا تقيّة له.[٤]

و قد جعل الصّلوة خلفهم مثل الصلّوة خلف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

فترى ان لأعلام الشيعة دوراً تامّاً في طرد الخلاف و احياء الوفاق بين المسلمين فعلى سبيل المثال ان الشّيخ الطوسي شيخ الطائفة الامامية ألّف كتاب الخلاف جامعاً لأقوال أعلام العامة و لا سيّما ائمّتهم الأربعة، احتراماً لهم، كما ان سيدنا الاستاذ البروجردي اسهم في

١- البقرة / ١٧١.　　٢- الاعراف / ١٧٩.　　٣- الجاثية / ٢٣.

٤- الكافي، ج ٢، ص ٢١٧، باب التقية، ح ٢.

تاسيس المؤتمر الاسلامي لاتحاد المسلمين و قد أرسل ممثّلاً إليه و كان يفخر بذلك، و ان سيدنا الاستاذ الاخر الامام الخميني أفتى بوجوب الشركة في صلاتهم و حرمة القيام بما يشمّ منه الخلاف على جميع النّاس و لاسيّما على الحجّاج منهم، و هو قدّس سره لبّى نداء ربّه و كان يدعو إلى الاتحاد و ترك الخلاف و قد استقرّت سيرة الاعلام الآن على ذلك، فلاتسمع إلى تلك الاكذوبات الملفّقة من ناحية بعض أعلام العامّة، وكن مجتهداً في سبيل توحيد كلمة المسلمين.

و من الغريب أنّ الشيعة الاماميّة في جميع بلادها يجتمع كتب العامّة من التفسير و الحديث و الفقه و التاريخ و التراجم و الأنساب و غيرها في المكتبات العامّة و الخاصّة ليستفيد منها المحقّقون و أصحاب الفضل، بينما انّ أهل السنّة منهم من لايعرف مصادر الشيعة الاماميّة الحديثيّة الأربعة فضلاً عن غيرها من آثارهم و موسوعاتهم، كجواهر الكلام و المبسوط و غيرهما العديد، فلذلك قد افترى رشيد رضا على الشيعة بأنهم اخذوا مذهبهم عن الرقاع المزوّرة مع انّ تلك الرقاع المطهّرة الّتي لم تبلغ عشراً، لم توجد في الكتب الاربعة، بل توجد في غيرها من الآثار مجتمعةً أو متفرّقة. و ينبغي الاعراض عن ذكر مقالهم و الاجابة عنه، لأنّه تعالى أمر المؤمنين بالاعراض عمّا لافائدة فيه،

قال الله تعالى: ﴿قل الله ثمّ ذرهم في خوضهم يلعبون﴾.[١]

و قال تعالى: ﴿ذرهم يأكلوا و يتمتّعوا و يلههم الامل فسوف يعلمون﴾.[٢]

و قال تعالى: ﴿لعلّك باخع نفسك إلّا يكونوا مؤمنين﴾.[٣]

و قال تعالى: ﴿و سواء عليهم أأنذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون﴾.[٤]

١- الانعام / ٩١. ٢- الحجر / ٣. ٣- الشّعراء / ٣. ٤- يس / ١٠.

روايات في العزلة

* عن الصادق عليه السلام قال: ان قدرتم ان لا تُعرَفوا فافعلوا، و ما عليك ان لم يثن عليك الناس؟ و ما عليك ان تكون مذموماً عند النّاس إذا كنت عندالله محموداً.[١]

* قال أبو عبدالله عليه السلام: انّ من اغبط اوليائى عندى عبداً مؤمناً إذا حظّ من صلاح احسن عبادة ربّه، و عبدالله في السريرة و كان غامضاً في الناس، فلم يشر إليه بالاصابع، و كان رزقه كفافاً فصبر عليه تعجّلت به المنيّة فقلّ تراثه و قلّت بواكيه ـ ثلاثاً.[٢]

* قال أميرالمؤمنين عليه السلام: ايها النّاس طوبى لمن لزم بيته، و اكل كسرته، و بكى على خطيئته، و كان من نفسه في تعب و النّاس منه في راحة.[٣]

* عن جعفر عن ابيه عليه السلام قال: قال النبي صلى الله عليه و آله و سلم: ثلاث منجيات، تكفّ لسانك و تبكى على خطيئتك و تلزم بيتك.[٤]

* عن عليّ عليه السلام قال: قال عيسى بن مريم: طوبى لمن كان صمته فكراً و نظره عبراً و وسعه بيته و بكى على خطيئته و سلم النّاس من يده و لسانه.[٥]

* عن على بن مهزيار قال: قال عليه السلام: يأتى على النّاس زمان تكون العافية فيه عشرة اجزاء، تسعة منها في اعتزال النّاس و واحدة في الصمت.[٦]

١- بحار الانوار، ج ٦٧، ص ١٠٩، باب ٤٩، ح ٢.
٢- بحار الانوار، ج ٦٨، ص ١٠٩، باب ٤٩، ح ٣.
٣- بحار الانوار، ج ٦٧، ص ١٠٩، باب ٤٩، ح ٤.
٤- بحار الانوار، ج ٦٧، ص ١٠٩، باب ٤٩، ح ٥.
٥- بحار الانوار، ج ٦٧، ص ١٠٩، باب ٤٩، ح ٦.
٦- بحار الانوار، ج ٦٧، ص ١١٠، باب ٤٩، ح ٧.

* عن المفضّل قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: طوبى لعبد نوومة عرف النّاس قبل معرفتهم به.[١]

* قال أبو محمّد عليه السلام: من آنس بالله استوحش من الناس.[٢]

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: خالط النّاس تخبرهم و متى تخبرهم تقلهم.[٣]

* عن أبي محمّد العسكرى عليه السلام قال: الوحشة من النّاس على قدر الفطنة بهم.[٤]

* عن الباقر عليه السلام قال: لا يكون العبد عابداً لله حقّ عبادته حتّى ينقطع عن الخلق كلّهم اليه، فحينئذ يقول: هذا خالص لى فيقبله بكرمه.[٥]

* و عن الهادى عليه السلام: لوسلك النّاس وادياً وسيعاً لسلكت وادى رجل عبد الله وحده خالصاً.[٦]

* قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: العزلة عبادة.[٧]

* قال أميرالمؤمنين عليه السلام في غرر الحكم:

العزلة حسن التّقوى.

العزلة افضل شيم الاكياس.

إذا رأيت الله يؤنسك بخلقه و يوحشك من ذكره فقد ابغضك.

١- بحار الانوار، ج ٦٧، ص ١١٠، باب ٤٩، ح ١٠.

٢- بحار الانوار، ج ٦٧، ص ١١٠، با ٤٩، ح ١١.

٣- بحار الانوار، ج ٦٧، ص ١١١، باب ٤٩، ذيل ح ١٤.

٤- بحار الانوار، ج ٦٧، ص ١١١، باب ٤٩، ذيل ح ١٤.

٥- بحار الانوار، ج ٦٧، ص ١١١، باب ٤٩، ذيل ح ١٤.

٦- بحار الانوار، ج ٦٧، ص ١١٢، باب ٤٩، ذيل ح ١٤.

٧- بحار الانوار، ج ٧٤، ص ١٨٣، باب ٧، ذيل ح ١٠.

في الانفراد لعبادة الله كنوز الارباح.

في اعتزال ابناء الدنيا جماع الصّلاح.

قد نجا من وحد.

كيف يأنس بالله من لا يستوحش من الخلق؟!

من اختبر اعتزل.

من اعتزل حسنت زهادته.

من عرف النّاس تفرّد.

ملازمة الخلوة دأب الصّلحاء.

مداومة الوحدة اسلم من خلطة النّاس.

نعم العبادة العزلة.

السّلامة في التّفرّد.

الانفراد راحة المتعبّدين.

انّ في الخمول لراحة.

سلامة الدّين في اعتزال الناس.[1]

١- تصنيف غرر الحكم، طبع مكتب الاعلام الاسلامى، ص ٣١٨، ح ٧٣٤٩ إلى ٧٣٦٦.

روايات في مذمّة العزلة

❊ قال أميرالمؤمنين عليه السلام: و الزموا السواد الاعظم فانّ يد الله مع الجماعة و ايّاكم و الفرقة فانّ الشاذّ من النّاس للشيطان، كما انّ الشّاذّ من الغنم للذّئب.(۱)

❊ قال أميرالمؤمنين عليه السلام: فايّاكم و التّلوّن في دين الله، فانّ جماعة فيما تكرهون من الحق خيرٌ من فرقةٍ فيما تحبّون من الباطل، و انّ الله سبحانه لم تعط احداً بفرقة خيراً ممّن مضى و لا ممّن بقى.(۲)

قال محمّد عبده في ذيل الكلام: من يحافظ على نظام الالفة و الاجتماع و ان ثقل عليه اداء بعض حقوق الجماعة و شقّ عليه ما تكلّفه به من الحقّ فذلك الجدير بالسعادة دون من يسعى للشقاق و هدم نظام الجماعة و ان نال بذلك حقّاً باطلاً و شهوة وقتية، فقد يكون في حظّه الوقتى شقاؤه الابدى، و متى كانت الفرقة عمّ الشقاق و احاطت العداوات و اصبح كلّ واحد عرضة لشرور سواه، فحبت الراحة و فسدت حال المعيشة.(۳)

۱- نهج البلاغة، ذيل الخطبة ۱۲۷.

۲- نهج البلاغة، ذيل الخطبة ۱۷٦.

۳- نهج البلاغة، عبده، ج ۲، ص ۹٦.

خاتمةٌ

قد تمّ ـ و الحمد لله ربّ العالمين ـ كتابنا هذا بمجلّداته الثلاثة، و نرجوا من الله تعالى ان يوفّقنا للقيام بما وعدناه في اوّل الكتاب من تأليف الأخلاقيّات من الواجبات و المحرّمات و السنن و الرسوم الاسلاميّة و المندوبات و المكروهات و خصوصاً تأليف مجلّد في اسرار العبادات، و الان و أنا أضع اللمسات الأخيرة من هذا الكتاب في عصر يوم العاشر من محرّم سنة ١٤١٦ أدعوه تعالى و أبتهل إليه بحقّ الحسين سيد شهداء الأوّلين و الآخرين و ابنه الاكبر و أخيه العباس و أخته العقيلة سلام الله عليهم أجمعين أن يتقبّل منّا ما كابدناه في تدوين هذا الكتاب، و أن ينفع به الناس، و أن يوفّقنا لكتابة مابقي من مباحث هذا العلم من اخلاقيّاته.

ثمّ أخاطب سيدالشهداء و اقول: سلام من الرحمن نحو جنابكم، يا سيد العترة الهاشميّة انت تعلم حبّي بك و رسوخه في قلبي و لحمي و دمي، و الشكر على هذه العطية واجبٌ فأحمده تعالى حيث منحني هذه الموهبة العظمى الّتي لافخر لي إلّا بها. فاسئلك بحقّ امّك الصّدّيقة عليها السلام ان تقبل هذه البضاعة المزجاة منّي.

و أمّا بيان الخاتمة، انّ غالب اصحاب هذا الفن كالفيض و النّراقيين و من يحذو حذوهم جعلوا «احياء العلوم» للغزلي اسوةً لهم في تآليفهم، مع كون هذا الكتاب رغماً لاشتهاره الواسع في غاية الضعف.

قال الفيض قدس سره في مقدمة «محجّة البيضاء» واصفاً «احياء العلوم»: و كان كثير من مطالبه خصوصاً ما في فنّ العبادات منها مبنيّاً على اصول عامية فاسدة، و مبتدعات لأهل الاهواء كاسدة، و كان أكثر الاخبار المرويّة فيه مسندة عن المشهورين بالكذب و الافتراء على الله و رسوله صلى الله عليه و آله و سلم ممّن لا وثوق باقوالهم مع وجود ما يطابق العقل منها و الدّين في

احاديثنا المرويّة عن أهل العصمة و الطّهارة و أهل بيت الوحى و السّفارة صلوات الله عليهم أجمعين ببيان احسن و طريق اتقن، و كان فيه من الحكايات العجيبة و القصص الغريبة المروية عن الصّوفيّة ما لا يتلقّاه أكثر العقلاء بالقبول لبعدها عن ظواهر العقول مع قلّة فائدتها و نزارة عائدتها إلى غير ذلك من الأمور الّتي كان يشمئزّ منها قلوب أهل الحقّ من الفرقة النّاجية الامامية و ينبو بسببها عن مطالعته و الانتفاع به طباع اكثرهم.[۱]

ليت عمرى ما الّذي أقدم العلامة الامام الفيض على تهذيب هذا الكتاب المملوّ بالغرائب و الأحاديث الضعاف، هلّا ألّف موسوعةً أخرى تشتمل على لبّ الحقّ و نفائس الكلمات و الآثار، و هذا هو السّر في اشتمال المحجّة على روايات عاميّة و حكايات لا أصل لها بوجهٍ، إذ الأصل الفاسد لايثمر ثمرةً صحيحة.

قال الله تعالى: ﴿أ لم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيّبةً كشجرة طيّبة اصلها ثابت و فرعها في السّماء * تؤتى اكلها كلّ حين باذن ربّها و يضرب الله الامثال للنّاس لعلّهم يتذكّرون * و مثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثّت من فوق الأرض ما لها من قرار﴾.[۲]

و قال تعالى: ﴿افمن اسّس بنيانه على تقوى من الله و رضوان خير ام من اسّس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنّم و الله لا يهدى القوم الظّالمين﴾.[۳]

نعم، كتاب يجوّز مؤلّفه الغناء و اللّهو و الملاهي و سماع صوت المغنّية الاجنبيّة و الرّقص و اللّعب بالآلات و الضّرب بالدّفّ كجزءٍ من اجزاء الشريعة المطهّرة و كأمرٍ يجوّزه علم الأخلاق الاسلامى بل ينسب ذلك كلّه إلى الرسول، بينما يفتي بعدم جواز لعن الابليس و يزيد بن معاوية و أمثالهما و ينسب أعلى الكرامات إلى مشايخ الصوفية ليخالف بها مقامات أهل البيت عليهم السلام بل ليحتجبها، نعم هذا الكتاب لايجوز السناد عليه و جعله أصلاً في تأليفٍ آخر فعلى سبيل المثال ذكر في كتاب ترتيب الاوراد، ما لا يقبله صبيّ فضلاً عن عالم، نظير

۱- المحجّة البيضاء، ج ۱، ص ۱.   ۲- ابراهيم / ۲۴ ـ ۲۶.   ۳- التّوبة / ۱۰۹.

انّ ابراهيم التيمى مكث اربعة اشهر من غير طعامٍ و لا شراب، و نظير انّ ابن منهال كان يختم القرآن في كلّ شهر تسعين مرّة، و نظير انّ كرز بن وبرة أقام بمكّة المكرّمة فكان يطوف في كلّ يوم سبعين شوطاً و في كلّ ليلة سبعين شوطاً آخر و كان مع ذلك يختم القرآن في اليوم و اللّيلة مرّتين.

و لا يخفى انّ هذه السّيرة القبيحة لا تختصّ بالغزالى بل كتب العامّة سيّما سيرهم مملوّ من هذه الأكذوبات الخرافية، و العلّامة الامينى رضوان الله تعالى عليه نقل في المجلد ۱۱ من «الغدير» مأة من اساطيرهم كقول الشّيخ عبد القادر: احلمت ليلة اربعين مرّة و غسلت اربعين مرّة و نظير انّ ابن حزرم اراد ان يحرق نسخ الاحياء كلّها فجمعها، فراى في النّوم رسول الله و أبابكر و عمر و الغزالى فاشتكى الغزالي إلى الرسول صلّى الله عليه و آله و سلّم من ابن‌حزرم و اعطى النّبى الكتاب فناوله و نظر فيه إلى آخره و قال: و الله انّ هذا شيء حسن ثمّ ناوله أبابكر ثمّ عمر فاستحسناه، فامر رسول الله ان يضرب على ابن حزرم حدّ المفترى فضرب، ثمّ شفع فيه أبوبكر بعد خمسة اسواط فلمّا استيقظ ابن حزرم تاب عن تشنيعه فيه و اثر السّياط كان ظاهراً على ظهره إلى ان مات.

و على ايّ حال لا ينبغى لمثل الفيض تهذيب الاحياء بعد اقراره بنواقصه و نواقضه بل اقراره بأنّه غذاء لذيذ و لكن فيه رياق الفم كثير بل فيه سموم تقتل الخواصّ فضلاً عن العوام.

و ان شئت قلت: انّ ريح الاحياء المنتنّة تفوح من المحجّة حتّى لمن لاعلم له بصلة الثاني بالأوّل.

و اعجب من ذلك منهج صاحب جامع السعادات حيث واظب على ما في الاحياء حتّى قد ينقل منه حرفيّاً، مع علوّ كعبه في هذا العلم و استغنائه عن الاحياء و أضرابه.

و أمّا «معراج السّعاده» فحاله معلوم لانّه تفسير بل ترجمة لجامع السّعادات. أمّا كتاب

تهذيب الأخلاق لابن مسكويه و نظائره فهي على اقوال الحكماء نظير جالينوس و ارسطو و بقراط و فيثاغورث و افلاطون حتّى أنّ ابن مسكويه خصّ باباً في الكتاب بنقل كلمات بعض الحكماء، مثلاً قال في باب تأديب الاحداث و الصبيان: فصل نقلت اكثره من كتاب بريس[1] و من اوّل الكتاب إلى آخره لم يذكر آية و لا رواية إلّا شاذّاً من غير سنادٍ عليها و هو من عجائب هذا الكتاب.

و أمّا «اخلاق النّاصرى» فهو مثله بلا تفاوت، مع أنّه في اوّل الكتاب لم يضمن صحّة الكتاب و لا سقمه، قال: «و پيش از خوض در مطلوب مى‌گوئيم آنچه در اين كتاب تحرير مى‌افتد از جوامع حكمت عملى بر سبيل نقل و حكايت و طريق اخبار و روايت از حكيمان متقدّم و متأخّر باز گفته مى‌آيد بى آنكه در تحقيق حقّ و ابطال باطل شروعى رود يا به اعتبار معتقد ترجيح رأيى و تزييف مذهبى خوض كرده شود پس اگر متأمّل را در نكته‌اى اشتباهى افتد يا مسأله‌اى را محلّ اعتراض شمرد بايد كه داند محرّر آن صاحب عهدهٔ جواب و ضامن استكشاف از وجه صواب نيست».[2]

و لكن بقى سؤال و هو أنّ نصير الملّة و الدين الطوسي مع كونه مفخر علماء الشيعه علماً و عملاً لِمَ لم يبتن كتابه على القرآن الكريم و روايات أهل البيت عليهم السلام حتّى لم يحتج ذلك الاعتذار، و لِمَ أنّه اعرض عن وصايا أميرالمؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة و اختتم كتابه بوصايا افلاطون، فلااقلّ من وجوب الجمع بين اقوال حكماء يونان و بين الآيات و الرّوايات، عملاً بما قال به الشّيخ بهاءالدين العاملي رضوان الله تعالى عليه في كتابه «نان و حلوا»:

چند خوانى حكمت يونانيان ... حكمت ايمانيان را هم بدان

نعم أمثال هؤلاء الكبراء أجلّ شأناً من أن يحوم حول ساحتهم هذه الاعتراضات فلو

١- تهذيب الاخلاق، باب تأديب الاحداث و الصّبيان، ص ٦٨.

٢- اخلاق ناصري، ص ١.

أمكن لهم الاجابة يمكن أن يجابوا بما يشفي الصدور، فلا علم لنا بحقيقة آرائهم في هذا الباب، فعلينا غضّ النظر عن هذا الاشكال و التمثيل بما أجاب به بعضهم حيث سأل عن بيتٍ لشمس الدين محمد حافظ فأجاب:

بعضى شكسته خوانند بعضى نشسته دانند

چون نيست خواجه حافظ معلوم نيست ما را

و قد انكر بعض كون الكتاب من مسبوكات قلم المحقّق الطوسى، و ذلك الانكار أقرب إلى الواقع و لا اقلّ من جواز ادّعاء الدّسّ فيه لانّ فيه ما ينافي مقام قدسه رضوان الله تعالى عليه، و لذلك نقول لايحسن لعامّة النّاس الرجوع إلى الكتابين و لا سيما كتاب تهذيب الاخلاق، بل جعلهما في المكتبات أولى من كونهما تحت ايدى الناس.

و بعد اللّتيا و الّتي إنّي اردت ان اؤلّف كتاباً في الأخلاق و الأخلاقيّات لا يبتنى على شيء إلّا على الكتاب الكريم و روايات أهل البيت عليهم السلام و هما الثّقلان اللّذان أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في موارد كثيرة بالتّمسّك بهما، و عزمت ان لا اراجع إلى كتاب من كتب الأخلاق و لا اتّخذ منها شيئاً، ليتمّ تمسّكى بهما فقط. و الحمدلله على ما انعم عليّ فوفّقني على اتمام هذه النّعمة العظيمة، فاتممت باب الأخلاق في المجلّدات الثّلاثة عملاً بذلك العزم.

ثمّ إنّي كنت في موارد غلب عليّ الحيرة و الشك في اصل المبحث أو كيفيّة تحريره، أبتهل إلى مولى العصر و الزمان عليه السلام فكان يجعل لي فرجاً و مخرجاً لأخرج عن المضائق العلمية، فليس هذا الكتاب إلّا رزقاً معنوياً من الارزاق الجارية على أيديهم عليهم السلام، فأنا على يقينٍ ممّا ورد في دعاء العديلة: «بيمنه رزق الورى و بوجوده ثبتت الأرض و السّماء» و قوله في الزيارة الجامعة الكبيرة: «بكم فتح الله و بكم يختم و بكم ينزّل الغيث و بكم يمسك السّماء ان تقع على الأرض و بكم ينفّس الهمّ و يكشف الضّرّ». فعليك ثمّ عليك بالتّوسّل إلى أذيال عناية أهل البيت عليهم السلام سيّما امام العصر عجل الله تعالى فرجه الشّريف لانّهم وسائط

الفيض بين الله تعالى و بين عباده في الدارين.

و في الختام نلفّت نظر القارىء الكريم و لاسيّما طلاب الحوزات العلميّة إلى اهميّة هذا العلم البالغة، فلا ينبغي لنا و لايحسن بنا مانراه اليوم من غربة هذا العلم و نسيانه في الأوساط العلميّة تدريساً و تدرّساً، إذ عماد الحوزات العلميّة ليس إلّا الأخلاق النبويّ و السيرة العلويّة، فالطالب الّذي لايهتمّ بخُلُقه في خطر عظيم، كما انّ المجتمع التارك للتهذيب في هذا الخطر، بل في خطر التورّط في المهالك و المهاوي بل لسنا مجازفاً في القول لو قلنا انّ الحوزة الّتي لم تصدر في كلّ سنةٍ مؤلّفاتٍ اخلاقيّة ليست بمرضيةٍ للحجّة الغائب سلام الله عليه. فعلى الطالب بما هو حصنٌ من حصون الإسلام القيام بتهذيب النّفس و تخليتها عن الرذائل و تحليتها بالفضائل، ليتمكّن من الاحتفاظ على المجتمع، و على اسرته، و على الحوزات و الأوساط العلميّة، و ذلك بنشر هذا العلم تعليماً و تعلّماً، كتابةً و تبليغاً و تذكّراً و تذكيراً.

جعلنا الله تعالى و ايّاكم من مروّجى هذا العلم الّذي بعث الله تعالى جميع الأنبياء و لا سيّما سيّدنا و مولانا محمّد صلّى الله عليه و آله و سلّم لترويجه و نشره. قال تعالى: ﴿**لقد ارسلنا رسلنا بالبيّنات و انزلنا معهم الكتاب و الميزان ليقوم النّاس بالقسط**﴾.[1] و قال: ﴿**لقد منّ الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولاً من انفسهم يتلوا عليهم آياته و يزكّيهم و يعلّمهم الكتاب و الحكمة**﴾.[2]

و آخر دعوانا ان الحمد لله ربّ العالمين و صلّى الله على خير خلقه محمّد و آله أجمعين و اللعن على أعدائهم إلى يوم الدين.

محرّم الحرام لسنة ١٤١٦ الهجريّة القمريّة

حسين المظاهري ـ عفي عنه ـ

١- الحديد / ٢٥. ٢- آل عمران / ١٦٤.

الفهرس